

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

المتوفى ٧٣٣ هـ

الجزء السابع والعشرون

تحقيق

الدكتور نجيب مصطفى فواز و الدكتورة حكمت كشلي فواز

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه توفيقي

ذكر أخبار السلطان مغيث الدين(١)

هو أبو القاسم محمود بن محمد طبر بن ملكشاه، جلس على تخت السلطنة في النصف من ذي الحجة، سنة إحدى عشرة وخمسمائة، كما قدمنا ذكر ذلك في أخبار أبيه السلطان محمد، ثم خطب له بالسلطنة ببغداد بعد وفاة أبيه على عادة الملوك السلجقية، في يوم الجمعة ثالث عشر(٢) المحرم سنة ثنتي عشرة وخمسمائة، في خلافة المستظهر بالله، ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور.

ولما ولي السلطان مغيث الدين عزل بهروز عن شحنكية(٣) بغداد، وولى آقسنقر البُرسقي(٤) - وكان بالرحبة(٥) - في إقطاعه، فسار إلى السلطان محمد قبل وفاته يسأله الزيادة في إقطاعه، فبلغه وفاته قبل وصوله إلى بغداد، وأرسل مجاهد الدين بهروز

---

(١) ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥، ص١٨٢ رقم: ٧١٤، والكامل لابن الأثير ج١٠، ص٥٢٥، ٥٣٣، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٤، ص٧٦، وتاريخ ابن خلدون ج٥، ص٤٥، والسلوك للمقريزي ج١، ص٣٤، والتاريخ الباهر لابن الأثير، ص٤٢، والمنتظم لابن الجوزي ج١٠، ص٣٤، وعبر الذهبي ج٤، ص٦٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٥، ص٢٤١.

(٢) الثالث والعشرين من المحرم في وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥، ص١٨٢ رقم ٧١٤.

(٣) الشحنة: بكسر الشين والتشديد وسكون الحاء وفتح النون: في اللغة الجماعة من المحاربين يقيمون في البلد للدفاع عنها وحمايتها وأطلق هذا المصطلح على من يقوم برئاسة هؤلاء المحاربين. والشحنكية معناها محافظ المدينة أو الإقليم. القلقشندي: صبح الأعشى ج٥، ص٣٦٢.

(٤) انظر الصفحة التالية من هذا الجزء.

(٥) مدينة بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣، ص٣٢.

يمنعه من دخول بغداد، فسار إلى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحُلْوَان[١]، فلما ولي هرب بهروز إلى تكريت[٢] وكانت له.

ثم ولى السلطان شحنكية بغداد للأمير منكبرس[٣]، وهو من أكابر الأمراء، فسيّر إليها ربيبه الأمير حسين بن أرديل، أحد أمراء الأتراك لينوب عنه. فلما فارق باب همذان اتصل به جماعة من الأمراء البلخية، فلما بلغ البُرْسقي ذلك خاطب الخليفة المستظهر بالله أن يأمره بالتوقف عن العبور إلى بغداد إلى أن يكاتب السلطان، فأرسل إليه الخليفة في ذلك، فأجابه: إن رسم الخليفة بالعود عدت، وإلا فلا بد من الدخول إلى بغداد. فجمع البرسقي أصحابه وسار إليه والتقوا واقتتلوا، فقتل أخ للأمير حسين وانهزم هو ومن معه، وعادوا إلى عسكر السلطان، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة.

قال: وكان الأمير دُبَيْس بن صدقة[٤] عند السلطان محمد منذ قتل والده، فلما توفي السلطان خاطب السلطان محمود في العودة إلى بلدة الحَلَّة[٥]، فأذن له فعاد إليها، فاجتمع له خلق كثير من العرب والأكراد وغيرهم.

ذكر مسير الملك مسعود ابن السلطان محمد وجيوش بك وما كان بينهما وبين البُرسقيّ والأمير دُبَيْس بن صدقة

قال: وفي جمادى الأولى سنة ثنتي عشرة وخمسمائة برز اقسنقر البُرْسقي[٦]،

---

(١) حُلوان: بالضم ثم السكون، مدينة كبيرة بالعراق، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص٢٩٠. والحميري: الروض المعطار، ص١٩٥.

(٢) تكريت: بفتح التاء والعامة يكسرونها، بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهي إلى بغداد أقرب. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص٣٨.

(٣) «منكبرس» في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٥٥٦.

(٤) هو دُبَيْس بن سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الأسدي توفي عام ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٦٣ ـ ٢٦٥، رقم ٢٢٦.
ترجمته وأخباره في: الأعلام للزركلي ج٢، ص٣٣٦، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٤٩، والكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٦٨، ٦٧٩، وج١١، ص٣٠.

(٥) الحلة: مدينة كبيرة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي. الحميري: الروض المعطار، ص١٩٧، انظر أيضًا ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص٢٩٥.

(٦) هو أبو سعيد آق سُنقُر البُرسقيّ الغازي الملقب قسيم الدولة سيف الدين صاحب الموصل والرحبة وتلك النواحي.

ونزل بأسفل الرَّقَّة[١] في عسكره، ومن انضاف إليه، وأظهر أنه على قصد الحَلَّة وإخراج الأمير دُبَيْس بن صدقة عنها، وجمع جموعًا كثيرة من العرب والأكراد وفرق الأموال الكثيرة والسلاح. وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل عند أتابكه[٢] الأمير جيوش بك كما ذكرناه في أخبار السلطان محمد، فأشار عليهما جماعة بقصد العراق، وقالوا لا مانع دونه، فسارا في جيوش كثيرة، ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس، وقسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين الشهيد[٣] ومعهم صاحب سنجار، وصاحب إربل[٤]، وكرباوي بن خراسان التركماني صاحب البَوازِيج[٥].

فلما علم البُرسقي بقربهم خافهم، وتجهّز لقتالهم عندما قربوا من بغداد، فسار إليهم ليقاتلهم، فأرسل إليه الأمير كرباوي في الصلح، وأعلمه أنهم إنما جاؤوا نجدة له على دُبَيْس، فاصطلحوا وتعاهدوا. ووصل الملك مسعود إلى بغداد؛ ونزل بدار المملكة، فأتاهم الخبر بوصول الأمير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره في جيش كبير، فسار البُرسقيّ عن بغداد ليحاربه ويمنعه من دخولها، فلما علم منكبرس بذلك قصد النعمانية واجتمع هو والأمير دُبَيْس بن صدقة واتفقا على المعاضدة[٦] والتناصر وقوي كل منهما بصاحبه. فلما اجتمعا سار الملك مسعود والبُرسقيّ وجيوش بك ومن معهم إلى المدائن للقاء دُبَيْس ومنكبرس، فأتتهم الأخبار بكثرة جمعهما، فعاد البُرسقيّ

= ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج١، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣ رقم ١٠٣، الكامل لابن الأثير، ج٩، ص٥٠١ ـ ٦٣٣، التاريخ الباهر لابن الأثير، ص٢٤ ـ ٣١، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٥، ص٢٢٣، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٤، ص٦٠.

(١) الرقّة: مدينة بالعراق مما يلي الجزيرة، وكل أرض إلى جانب وادٍ ينبسط عليها الماء عند المدّ فهي رقة، وبه سميت المدينة، الحميري: الروض المعطار ص٢٧٠.

(٢) أتابك: لفظ تركي معناه مربي الملك. ويعبر عنه بأتابك العساكر وأصله أطابك ومعناه الولد الأمير وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، وقيل أطابك معناه أمير، أب وأبو الأمراء هو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وغاية رفعة المحل وعلو المقام. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص١٨.

(٣) هو نور الدين محمود بن زنكي.

(٤) إربل: بالكسر ثم السكون: مدينة كبيرة واسعة من أعمال الموصل، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٣٨.

(٥) البوازيج: من أعمال الموصل. بلد قرب تكريت. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٠٣.

(٦) المعاضدة: المعاونة، ابن منظور: لسان العرب (عضد).

والملك مسعود وعبرا نهر صَرْصَر[١]، وحفظا المخائض عليه، ونهب الطائفتان السواد نهبًا فاحشًا، واستباحوا النساء، فأرسل الخليفة المسترشد بالله ـ وكان قد بويع له بعد وفاة أبيه ـ إلى الملك مسعود وإلى البُرسقيّ ينكر ذلك، ويأمرهم بحقن الدماء، وترك الفساد، والموادعة والمصالحة. فأنكر البُرسقيّ أن يكون ذلك قد وقع، وأجاب إلى العود إلى بغداد، وعاد، ووقع الصلح والاتفاق بينهما. وكان سبب الاتفاق أن جيوش بك كتب إلى السلطان محمود يطلب الزيادة للملك مسعود ولنفسه، فوصل كتاب الرسول يذكر أنه لقي من السلطان إحسانًا كثيرًا، وأنه أقطعهم أذربيجان[٢]. فوقع الكتاب إلى منكبرس، فأرسله إلى جيوش بك، وضمن له إصلاح السلطان محمود له وللملك مسعود. وكان منكبرس متزوجًا بأم الملك مسعود واسمها سرجهان، فعند ذلك تفرق عن البُرسقيّ من كان معه، وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان والتحق بخدمة الملك مسعود، واستقر منكبرس في شحنكية بغداد، وعاد الملك مسعود وجيوش بك إلى الموصل وعاد دُبَيْس إلى الحَلّة.

واستقر منكبرس ببغداد، وأخذ في الظلم والعسف والمصادرات، فاختفى أرباب الأموال، وانتقل جماعة إلى حريم الخلافة خوفًا منه، وكثر فساد أصحابه، حتى أن بعض أهل بغداد تزوج بامرأة فلما زُفّت إليه أتاه بعض أصحاب منكبرس وكسر بابه وجرح الزوج عدة جراحات، وابتنى بالمرأة. فكثر الدعاء على منكبرس وأصحابه واستغاث الناس وأغلقوا الأسواق. فبلغ السلطان ذلك فاستدعاه إليه وحثه على اللحاق به، وهو يغالط ويدافع. فلما بلغ أهل بغداد ذلك طمعوا فيه وهمُّوا به، ففارق بغداد، وسار إلى السلطان، وظهر من كان قد استتر من الناس.

ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود[٣]

كان الملك طغرل[٤] لما توفي والده بقلعة من سَرْجَهان[٥]. وكان والده قد

---

(١) نهر صرصر: نهر يصب في دجلة تجري فيه السفن، وعليه مدينة بينها وبين بغداد سبعة أميال. الحميري: الروض المعطار ص٣٥٧.

(٢) أذربيجان: في الإقليم الخامس وهي مملكة جلال الدين منكبرتي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٢٨.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٤٧ ـ ٥٤٨.

(٤) أخباره: في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٤٧، وج١١، ص١٢ و١٩، المنتظم لابن الجوزي ج١٠، ص٥٣، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٤٦.

(٥) قلعة حصينة تشرف على قاع قزوين وزنجان وأبهر. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣، ص٢٠٧.

أقطعه ساوه[١] وآوه[٢] وزَنْجان في سنة أربع وخمسمائة، وعمره إذ ذاك سنة، فإن مولده كان في سنة ثلاث وخمسمائة. وجعل السلطان أتابكه الأمير شيركير، ففتح عدة من قلاع الإسماعيلية في سنة خمس وخمسمائة، منها قلعة كُلام[٣] وقلعة بَيْرَة[٤] وغيرهما. فازداد ملك طغرل بما فتحه أتابكه شيركير، فأرسل السلطان محمود الأمير كندغدي[٥] ليكون أتابكًا لأخيه الملك طغرل ومدبرًا لأمره، وأمره بحمله إليه. فلما وصل إليه حسن له مخالفة أخيه ونزع يده من طاعته، فوافقه على ذلك، فسمع السلطان الخبر، فأرسل شرف الدين أنو شروان بن خالد، ومعه خلع وتحف وثلاثون ألف دينار، ووعد أخاه بإقطاع كثير، زيادة على ما بيده إن هو قصده واجتمع به، فلم يجب إلى الاجتماع به، وقال كندغدي: «نحن في طاعة السلطان، وأي جهة أراد قصدناها، ومعنا من العساكر ما نقاوم بهم من أمرنا بقصده»[٦]. فبينما هم في ذلك إذ ركب السلطان محمود من باب همذان في عشرة آلاف فارس جريدة، وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وكتم مقصده، وعزم على أن يكبس أخاه طغرل والأمير كندغدي. فرأى أحد خواص السلطان تركيًا من أصحاب الملك طغرل، فأعلم السلطان به، فقبض عليه. وكان معه رفيق سلم، وسار عشرين فرسخًا في ليلة، ووصل إلى الأمير كندغدي وهو سكران، فأيقظه بعد جهد، وأعلمه بالخبر، فقام كندغدي لوقته وأخذ الملك طغرل وسار به مختفيًا، وقصدا قلعة سميران[٧]، فضلا عن الطريق إلى قلعة سرجاهان[٨]، وكان ضلالهما سببًا لسلامتهما، فإن السلطان جعل

---

(١) ساوَه: مدينة بين الري وهمذان، وساوَه سنية شافعية، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٩.

(٢) آوَه: قرية بين زنجان وهمذان، وهي شيعية إمامية، ياقوت الحموي المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٣.

(٣) كلام: قلعة قديمة في جبال طبرستان من أيام الأكاسرة، ملكها الملاحدة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٥.

(٤) بَيْرة: هي بُليدة قريبة من ساحل البحر بالأندلس، ولها مرسى ترسي فيه السفن. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١، ص٥٢٦.

(٥) «كنتغدي» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٤٧.

(٦) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٤٧.

(٧) سميران: بفتح أوله وكسر ثانيه، قلعة حصينة على نهر عظيم جار بين جبال في ولاية تارم، وهي من أمات القلاع في الديلم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٦.

(٨) «سرجهان» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٤٧، هي قلعة حصينة على طرف جبال الديلم تشرف على قاع قزوين وزنجان وأبهر. معجم البلدان: ياقوت الحموي، ج٣، ص٢٠٧.

طريقه على قلعة سميران، فسلما منه بما ظناه عطبًا. ووصل السلطان إلى عسكر أخيه فكبسه ونهب ما فيه وأخذ من خزانة أخيه ثلاثمائة ألف دينار. وأقام السلطان بزنجان وتوجه منها إلى الري ونزل طغرل من قلعة سرجاهان، ولحق هو وكندغدي، بكنجة[١]، وقصده أصحابه فقويت شوكته، وتمكنت الوحشية بينهما.

وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

كانت الحرب بين السلطان سنجر شاه وبين السلطان محمود، وكان الظفر لعمه سنجر شاه عليه، وقطعت خطبته من بغداد، وخطب لسنجر شاه، ثم اتفقا وحضر السلطان محمود إلى خدمة عمه فأكرمه وأحسن إليه وجعله ولي عهده كما قدمناه في أخبار السلطان سنجر.

قال: وأقطعه عمه سنجر شاه من حد خراسان إلى الداروم[٢] بأقصى الشام، وهي من الممالك: همذان، وأصفهان، وبلد الجبال جميعها، وديار مضر[٣]، وبلاد فارس، وكرمان وخوزستان، والعراق، وأذربيجان، وأرمينية، وديار بكر[٤]، وبلاد الموصل، والجزيرة، وديار ربيعة[٥]، وما بين هذه من الممالك.

قال القاضي عماد الدين بن الأثير في تاريخه: ورأيت منشوره بذلك، وليس ابن الأثير هذا هو الجزري صاحب التاريخ المترجم بالكامل بل هو صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية وهو الذي عاصرناه.

ذكر مقتل الأمير منكبرس[٦]

ومنكبرس هو الذي كان شحنة بغداد الذي قدمنا ذكره، وكان مقتله في سنة

(١) كنجة: بالفتح ثم السكون، مدينة تعتبر قصبة بلاد أران وهي من نواحي لرستان بين خوزستان وأصبهان، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤، ص٤٨٢، والحميري: الروض المعطار، ص٤٩٦.

(٢) الداروم: قلعة بعد غزة بينها وبين البحر مقدار فرسخ. معجم البلدان: ياقوت الحموي، ج٢، ص٤٢٤.

(٣) ديار مضر: وهي الواقعة شرقي الفرات. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٨.

(٤) ديار بكر: الأراضي الممتدة شرقي الفرات في الجزيرة الفراتية. القلقشندي: المصدر نفسه، ج٤، ص١١٨.

(٥) ديار ربيعة: الديار الواقعة بين الموصل، ورأس العين، وحوض نهر الخابور، القلقشندي: المصدر السابق، ج٤، ص٣١٥.

(٦) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٥٦.

ثلاث عشرة وخمسمائة. وكان سبب قتله أنه لما انهزم السلطان محمود من عمه، عاد إلى بغداد، فنهب عدة مواضع من طريق خراسان، وقصد دخول بغداد، فسير دُبَيْس بن صدقة من منعه، فعاد وقد استقر الصلح بين السلطان وعمه، فدخل إلى السلطان سنجر[١] ومعه سيف وكفن، فقال له: «أنا لا أؤاخذ أحدًا» وسلمه إلى السلطان محمود وقال له: «هذا مملوكك، اصنع به ما تريد» فأخذه، وكان في نفسه منه أشياء: منها أنه لما توفي السلطان محمد أخذ سريته والدة الملك مسعود قهرًا قبل انقضاء عدتها، ومنها استبداده بالأمور دونه، ومسيره إلى شحنكية العراق والسلطان كارهٌ لذلك، وما فعله ببغداد. فقتله السلطان محمود صبرًا وأراح الناس من شرهِ والله أعلم.

ذكر مقتل الأمير عليّ بن عُمَر

وفيها أيضًا قتل الأمير علي بن عمر، حاجب السلطان محمد، وكان قد صار أكبر الأُمراء، وانقادت له العساكر، فحسده الأُمراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله. فعلم بذلك فهرب إلى قلعة برجين - وهي بين بَروجِرْدَ[٢] وكَرَج - وكان بها أهله وماله، وسار منها في مائتي فارس إلى خوزستان، وكانت بيد أقبورى بن برسق وابني أخويه أُرغلي بن يَلْبَكي وهندُو بن زنكي. فأرسل إليهم وأخذ عهودهم بأمانه وحمايته. فلما سار إليهم أرسلوا عسكرًا منعوه من قصدهم، ولقُوه على ستة فراسخ من تُسْتَر[٣] فانهزم هو وأصحابه ووقف به فرسه، فانتقل إلى غيره، فنشب

(١) هو السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان واسمه أحمد، سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر وخُطب له بالعراقين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين. ولد سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م وتوفي سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م. ابن خلكان وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢٧ ـ ٤٢٨.

أخباره في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٢٦٥، ٢٧٩، ٣٠٥ و٦٦١، ٦٥١، وج١١، ص٢٨، ٦٧، ١٧٦، ٢٢٢ وصفحات متفرقة من تاريخ الملوك السلجوقية لصدر الدين الحسيني، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٣١٢، وتاريخ الإسلامي للدكتور حسن إبراهيم حسن ج٤، ص٣٤. والمنتظم لابن الجوزي ج١٠، ص١٧٨ و٢١٦.

(٢) بَروجزد: بالفتح ثم الضم وكسر الجيم وسكون الراء ودال. بلدة بين الكرج وهمذان. بينها وبين همذان ثمانية عشر فرسخًا وبينها وبين الكرج عشرة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٠٤.

(٣) تُستر: أعظم مدينة بخوزستان: ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩.

ذيله[١] بسرجه الأوّل فأزاله ثم عاود التعلق فأبطأ فأدركوه وأسروه وكاتبوا السلطان محمود في أمره، فأمرهم بقتله فقتلوه[٢].

ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما والصلح

وفي سنة أربعة عشرة وخمسمائة في شهر ربيع الأول كان المصافّ بين السلطان محمود وأخيه مسعود[٣]. وكان لمسعود الموصل وأذربيجان وكان سبب هذه الحرب أنّ دُبَيْس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك الملك مسعود، ويحثّه على طلب السلطنة. وكان مقصده أن يقع الاختلاف بينهما، فينال من الجاه وعلوّ المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلطان محمد وبركياروق[٤] [ابنيْ ملكشاه][٥] وكان آقسنقر البُرسقيّ مع الملك مسعود منذ فارق شحنكية بغداد، وأقطعه الملك مسعود مَراغة[٦] مضافةً إلى

---

(١) «فتشبث ذيله» في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٥٥٧ ونشب معناه علق، ابن منظور: لسان العرب (نشب).

(٢) «فقتل وحمل رأسه إليه» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٥٧.

(٣) هو أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب السلجوقي الملقب غياث الدين، ولد يوم الجمعة لثلاث خلون من ذي القعدة سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م خُطب له ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشر ليلة خلت من صفر سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م توفي في حادي عشر جمادى الآخرة سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م وقيل يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من الشهر. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٠٠ ـ ٢٠٢.
أخباره في: الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٦٢، ٦٩٦، ٦٧٢، ٦٧٦، ٦٨٦، وج١١، ص٢٤، ١٣١، ١٦٠، وتاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٤٥، والسلوك للمقريزي، ج١، ص٣٤، ومرآة الزمان لسبط بن الجوزي ص٢١٤، والمنتظم لابن الجوزي، ج١٠، ص١٥١، وعبر الذهبي، ج٤، ص١٢٧، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٤، ص١٤٥، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٩١.

(٤) هو أبو المظفر بركياروق الملقب ركن الدين ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن دقاق. أحد الملوك السلجوقية. ولد ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م وتوفي ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م، أقام في السلطنة ١٢ سنة وأشهرًا. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.
أخباره في ابن خلدون ج٥، ص١٢ وما بعدها، الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٢٢٩، ٢٤٤، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣٨٠.

(٥) ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٦٢.

(٦) مراغة: بالفتح، والغين المعجمة: بلدة مشهورة في بلاد أذربيجان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٩٣.

الرّحبة. وكان بينه وبين دُبَيْس عداوةٌ مستحكمة فكاتب دُبَيْس جيوش بك يشير عليه بالقبض على البُرسقيّ، فعلم البرسقيّ بذلك، ففارقهم إلى السلطان محمود، فأكرمه وأعلى[١] محله وزاده.

واتصل الأُستاذ أبو إسماعيل الحسين بن علي الأصبهاني الطُّغرائي[٢] بالملك مسعود. فاستوزره مسعود بعد [أن] عزل [أبا علي][٣] بن عمّار [صاحب طرابلس] فحسّن له أيضًا مخالفة السلطان، والخروج عن طاعته. فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب إليهم يحذرهم من مخالفته، ويعدهم الإحسان إن أقاموا على الطاعة، فلم يصغوا إلى قوله وأظهروا ما كانوا أضمروه، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة، وضربوا له النُّوَب الخمس[٤]، وكان ذلك على تفرق عساكر السلطان محمود، فقوي طمعهم وأسرعوا إليه ليلقوه وهو في قلة من العسكر. واجتمع إليه نحو خمسة عشر ألفَ فارس.

فسار السلطان إليهم فالتقوا عند عقَبة أستراباد[٥] نصف شهر ربيع الأول، واقتتلوا نهارًا كاملاً والبُرسقيّ في مقدّمة عسكر السلطان محمود وأبلى يومئذ بلاءً حسنًا. فانهزم عسكر الملك مسعود في آخر النهار، وأُسر جماعة كبيرة من أعيان أصحابه. وأُسر الوزير، فأمر السلطان بقتله وقال: «ثبت عندي فساد نيته» وكان حسن الكتابة والشعر، وله تصانيف في صنعة الكيميا ضيّعت للناس من الأموال ما لا يحصى كثرة.

قال: ولمّا انهزم أصحاب الملك مسعود وتفرّقوا، قصد جبلاً بينه وبين المصاف اثنا عشر فرسخًا، واختفى فيه بألفي فارس، وأرسل إلى أخيه يطلب منه الأمان، فرقّ

---

(١) في الأصل «أعلا» والتصحيح يقتضيه السياق.

(٢) هو العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشىء المعروف بالطغرائي، قتل سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م وقيل إنه قتل ٥١٤هـ/ ١١٢٠م وقيل ٥١٨هـ/ ١١٢٤م ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٥ ـ ١٩٠، رقم ١٩٧.
ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (١ ـ ٢٠) القاهرة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨.

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٦٣.

(٤) النوب: وهم الذين ينوبون في الحراسة في أوقات معروفة، وهذه الفرق من الجند وعددها خمسة. ابن منظور: لسان العرب (نوب).

(٥) هكذا في الأصل، وفي ابن الأثير «اساداباز» الكامل ج١٠، ص٥٦٤.
واستراباذ: بفتح الألف وسكون السين: بلدة من أعمال طبرستان: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٧٤ ـ ١٧٥ في الأصل «اثني» والتصحيح يقتضيه السياق.

له وأجابه إلى ما طلب، وأمر آقسنقر البخاري بالمسير إليه وإعلامه بعفو السلطان وبسط أمله.

ولما كتب إلى أخيه في طلب الأمان وصل إليه بعد ذلك بعض الأمراء، وحسن له المسير إلى الموصل، ومكاتبة دُبَيْس بن صدقة، والاتفاق معه، ومعاودة طلب السلطنة، فسار من ذلك الموضع ووصل آقسنقر البخاري فلم يجده فسار في أثره وجدّ السير، فأدركه على ثلاثين فرسخًا من مكانه ذلك، فاجتمع به وعرّفه عفو أخيه عنه، وضمن له ما أراد، وأعاده إلى العسكر، فأمر السلطان العسكر باستقباله وتعظيمه، ففعلوا ذلك. وأمر السلطان بإنزاله عند والدته وجلس له وأحضره، واعتنقا وبكيا، وانعطف عليه السلطان محمود، ووفى له، وخلطه بنفسه في جميع أحواله، فعدّ الناس ذلك من مكارم السلطان محمود. وكانت الخطبة لمسعود بالسلطنة بأذربيجان والجزيرة والموصل ثمانية وعشرين يومًا.

وأما أتابكه جيوش بك فإنه سار إلى عقبة أستراباد، وانتظر الملك مسعود فلم يره، فلما أيس منه سار إلى الموصل، ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد إليها، واجتمع إليه عسكره فلما بلغه ما كان من أمر الملك مسعود وأخيه، سار إلى السلطان وهو بهمذان ودخل إليه فأمّنه.

وأما الأمير دُبَيْس بن صدقة، فإنه نهب البلاد وخرّبها وفعل الأفعال القبيحة، فأمّنه السلطان، والله أعلم.

ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود[1]

قال: كان دخول الملك طغرل في طاعة أخيه السلطان محمود في المحرّم سنة ست عشرة وخمسمائة، وكان قد قصد أذربيجان في سنة أربع عشرة. وكان أتابكه كندغدي يحسن له ويقوّيه عليه، فاتّفقتْ وفاته في شوال سنة خمس عشرة وكان الأمير آقسنقر صاحب مراغة عند السلطان ببغداد، فاستأذن السلطان في المضي إلى إقطاعه فأذن له، فلما سار عن السلطان ظنّ أنه يقوم مقام كندغدي عند الملك طغرل ويتنزل منزلته، فسار إليه واجتمع به، وأشار عليه بمكاشفة أخيه، وقال له: «إذا وصلتَ إلى مَراغة، اتّصل بك عشرة آلاف فارس وراجل» فسار طغرل معه، فلما وصلا إلى

(١) انظر الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٥٩٧.

أرْدَبِيل[١]، أُغلقت أبوابها دونهما، فسارا عنها إلى قرية تِبريز، فأتاهما الخبر أنّ السلطان محمود سيّر الأمير جيوش بك إلى أذربيجَانَ، وأقطعه البلاد، وأنه نزل على مَراغة في عسكر كثيف، فعدلا إلى خويه[٢] وانتقض عليهما ما كانا فيه، وراسلا الأمير شيران[٣] الذي كان أتابك طغرل [أيّام أبيه][٤] يدعوانه إلى إنجادهما. وكان بإقطاعه أبْهر وزَنْجَان[٥]، فأجابهما واتّصل بهما، وساروا إلى أبْهَر فلم يتم لهم ما أرادوه فعند ذلك راسلوا السلطان بالطاعة وسألوا الأمان، فأجابهم إلى ذلك، واستقرّت القاعدة، وتمّ الصلح.

ذكر قتل الوزير السُّميرميّ[٦]

وفي سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة قتل الوزير كمال الدين أبو طالب السُّميرميّ وزير السلطان محمود. وكان قد برز مع السلطان ليسير إلى همَذان، فدخل إلى الحمّام وخرج وبين يديه الرجالة والخيالة، وهو في موكب عظيم، فاجتاز بمنفذ ضيق فيه [حظائر الشوك][٧] فتقدم أصحابه لضيق المكان، فوثب عليه باطنيٌّ، وضربه بسكّين فوقعت في بغلته، وهرب الضارب إلى دجلة، وتبعه الغلمان فخلا الموضع، فظهر رجل آخر فضربه بسكّين في خاصرته، وجذبه عن البغلة إلى الأرض، وضربه عدة ضربات. وعاد أصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيّان، فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذُبِحَ الوزير مثل الشاة، وبه نيفٍ وثلاثون، جراحة فقتلوا قتلته.

---

(١) أردبيل: بالفتح ثم السكون، من أشهر مدن أذربيجان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٤٥.

(٢) هكذا كتبها النويري. وفي معجم البلدان خُوَيّ: بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء: بلد مشهور من أعمال أذربيجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٠٨.

(٣) «شيركير» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٩٧.

(٤) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٩٧.

(٥) أبهر: بالفتح ثم السكون: بلدة من نواحي أصبهان وكذلك زنجان: بفتح أوله وسكون ثانيه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٨٢.

(٦) هو علي بن أحمد بن حرب أبو طالب، كمال الدين: وزير السلطان محمود بن محمد السلجوقي. توفي سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م.
أخباره في: الأعلام للزركلي، ج٤، ص٢٥٥، والكامل لابن الأثير ج١٠، ص٦٠٢، والمنتظم لابن الجوزي، ج٩، ص٢٣٩.

(٧) «حضاير» في الأصل والتصحيح من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٠١.

قال: ولما كان في الحمّام أخذ المنجمون له الطالع للخروج فقالوا: «هذا وقت جيّد، وإن تأخّرتَ يفوت طالع السعد» فأسرع وركب وأراد أن يأكل طعامًا فمنعوه لأجل الطالع، فقُتل ولم ينفعه ذلك. وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر، وانتُهب ماله، وأخذ السلطان خزانته. وكانت زوجته[١] قد خرجت في هذا اليوم في موكب كبير ومعها نحو مائة جارية وجَمْعٌ من الخدم، والجميع بمراكب الذهب.. فلمّا سمعن بقتله عُدْنَ حافيات حاسرات، وقد تبدلْنَ عن العز هوانًا، وعن المسرة أحزانًا.

وكان السُّميرميّ ظالمًا كثير المصادرات للناس، سيىء السيرة، فلمّا قُتل أطلق السلطان ما كان جدّده من المكوس، واستوزر بعده شمس الملك عثمان بن نظام الملك[٢].

ذكر قتل الأمير جيوش بك[٣]

كان مقتله في شهر رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة. وكان السلطان قدمه بعد عوده إليه، وأحسن إليه، وأقطعه أذربيجان، وجعله مقدم عسكره، فجرى بينه وبين الأمراء منافرة ومنازعة، فوشوا به عند السلطان فقتله. وكان عادلاً، حسن السيرة.

وفيها أقطع السلطان محمود الأمير آقسنقر البُرسقي مدينة واسط وأعمالها، مضافة إلى ولاية الموصل وشحنكية العراق، فسيّر البُرسقي إلى واسط عماد الدين زنكي.

ذكر ظفر السلطان محمود بالكُرْج

وفي سنة سبع عشرة وخمسمائة اشتدت نكاية الكُرج[٤] في بلاد الإسلام، وعظُم الأمر على الناس، لا سيما أهل دَرْبَنْد شِروان[٥]، فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم

(١) أي زوجة السميرمي.

(٢) قتل سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م. أخباره في المنتظم لابن الجوزي ج٩، ص٢٤٦، والكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٠٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٢٠ - ٢٢١.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٠٣.

(٤) الكُرج: بالضم ثم السكون وآخره جيم: وهم جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القَبْق، وبلد السرير، فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس، ولهم ولاية تنسب إليهم وملك ولغة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٦.

(٥) دَرَبْند شروان: مدينة على بحر طبرستان أو الخزر، وهي ثغر هام وبناها أنوشروان لذلك نسب إليه وسميت بالباب أو باب الأبواب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٠٣.

إلى السلطان، وشكوا إليه ذلك، فسار إليهم وقد وصل الكُرْج إلى شَماخِي[١] فنزل السلطان ببستان هناك، وتقدم الكُرْج إليه، فخافهم العسكر خوفًا شديدًا، وأشار الوزير على السلطان بالعود. فلما سمع أهل شروان بذلك، قصدوا السلطان وقالوا: «نحن نقاتل ما دمت عندنا وإن تأخرت ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا» فأقام بمكانه، وبات العسكر على وجلٍ عظيم، فأتاهم الله بفرج من عنده، وألقى بين الكُرْج والقفجاق الاختلاف، فاقتتلوا تلك الليلة، ورحلوا شبه المنهزمين، وكفى الله المؤمنين القتال. وأقام السلطان بشِروان ثم عاد إلى همذان.

وفي سنة ثماني[٢] عشرة وخمسمائة عُزل آقسنقر البُرسقيّ عن شحنكية العراق ورسم له بالعود إلى الموصل، وأرسل السلطان محمود إليه ولدًا صغيرًا له مع أمه لكيون عنده. فلما وصل الصغير إلى العراق تلقته المواكب، وكان لدخوله يومًا مشهودًا. وتسلّم البُرسُقيّ الصغير وسار به وبأمه إلى الموصل. وولى شحنكية العراق سعد الدولة برنقش[٣]. وملك البُرسُقيّ في هذه السنة مدينة حلب وقلعتها.

ذكر وصول الملك ودُبَيْس بن صدقة إلى العراق وعودهما

كان الخليفة المسترشد بالله[٤] خرج لقتال دُبَيْس بن صدقة في سنة سبع عشرة وخمسمائة، وقاتله، فانهزم دُبَيْس كما ذكرناه في أخبار المسترشد، ثم التحق بعد هزيمته بالملك طغرل أخي السلطان محمود. فلما وصل إليه أكرمه وأحسن إليه، وجعله من أعيان خواصه وأمرائه. فحسّن له دُبَيْس قصد العراق، وهوّن الأمر عليه، وضمن له أن يملكه، فسار معه إلى العراق في سنة تسع عشرة وخمسمائة فوصلوا إلى

---

(١) شماخي: بفتح أوله وتخفيف ثانيه: مدينة عامرة وهي قصبة بلاد شروان، تعد من أعمال باب الأبواب أو دربند شروان. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦١.

(٢) «ثمانٍ» في الأصل والتصحيح يقتضيه السياق.

(٣) «برتقش الزكوي» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٢٢.

(٤) هو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بالله العباسي. ولد سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م وقيل ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م و٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م توفي سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م بويع له بالخلافة سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م.

ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٤، ص٨٦، المنتظم لابن الجوزي، ج٩، ص١٩٧، وج١٠، ص٥٣، الكامل لابن الأثير، ج١٠ ص٥٣٦، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٤٩.

دقوقاء[١] في عساكر كثيرة. فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة بذلك، فخرج الخليفة في العساكر والرجال ونزل بصحراء الشّمّاسيّة[٢]، وبرنقش أمامه.

فلما بلغ الملك طغرل الخبر، عدل إلى طريق خراسان، وتفرّق أصحابه للنهب وتوجه هو ودُبَيْس إلى الهارونيّة[٣]. وسار الخليفة حتى أتى الدّسكرة[٤]، فاستقر الأمر بين طغرل ودُبَيْس أن يسيرا حتى يعبرا نهر دَيَالَى[٥] ويقطعا جسر النَّهروان، ويقيم دُبَيْس لحفظ المخايض[٦]، ويتقدم الملك طغرل إلى بغداد فيملكها وينهبها. فسارا على ذلك فحصل لطغرل حمى شديدة منعته من ذلك، وبلغ الخليفة الخبر، فعاد إلى بغداد. وانتقض على طغرل ودُبَيْس ما دبراه، فقصدا السلطان سنجر واجتازا في طريقهما بهمذان، فبسط على أهلها مالاً كثيرًا وأخذاه، فبلغ خبرهما السلطان محمود فجدّ السير في إثرهما، فانهزما منه إلى خراسان، واجتمعا بالسلطان سنجر، وشكيا من الخليفة، وبرنقش، وأقاما عند السلطان سنجر؛ ثم كان من أمرهما ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر مقتل البُرسقيّ وملك ابنه عزّ الدين مسعود

وفي سنة عشرين وخمسمائة قتل آقسنقر البُرسقيّ صاحب الموصل بمدينة الموصل، قتله الباطنية في يوم الجمعة بالجامع. وكان من عادته أنه يصلي الجمعة في الجامع مع العوام. وكان قد رأى في منامه في تلك الليلة أن عدة من الكلاب ثاروا به، فقتل بعضهم ونال منه الباقي ما أذاه، فقصّ ذلك على أصحابه فأشاروا عليه بترك

---

(١) دقوقاء: بفتح أوله وضم ثانيه: مدينة بين إربل وبغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٩.

(٢) الشماسية: بفتح أوله وتشديد ثانيه: وهي مجاورة لدار الروم في أعلى بغداد. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦١.

(٣) الهارونية: مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٨.

(٤) الدسكرة: بفتح أوله وسكون ثانيه، قرية تقع غربي بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٥٥.

(٥) ديالى: بفتح أوله: نهر كبير بقرب بغداد. وهو نهر بعقوبا الأعظم يجري في جنبها، وهو الحد بين طريق خراسان والخالص، وهو نهر تامرا بعينه. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩٥.

(٦) «المعابر» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٢٦.

الخروج من داره عدة أيام، فقال: «لا أترك الجمعة لشيء أبدًا» فغلبوه على رأيه ومنعوه من قصد الجمعة، فعزم على ذلك، وأخذ المصحف ليقرأ فيه، فأول ما خرج له قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] فركب إلى الجامع على عادته. وكان يصلي في الصف الأول، فوثب عليه بضعة عشر نفسًا، عدة الكلاب التي رآها، فجرحوه بالسكاكين، فجرح [هو][1]، بيده ثلاثة منهم، وقُتل رحمه الله تعالى. وكان تركيًا خيّرًا، يحب أهل العلم والدين، كثير العدل يحافظ على الصلوات لأوقاتها، ويصلي بالليل تهجّدًا. ولما قتل كان ابنه مسعود بحلب يحفظها من الفرنج، فأرسل إليه أصحاب والده بالخبر فسار إلى الموصل، ودخلها في أول ذي الحجة، ثم توجه إلى السلطان محمود فأحسن إليه وأعاده.

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين السلطان محمود والخليفة المسترشد بالله.

وكان سببه برنقش، فسار السلطان إلى العراق، وكان بينه وبين الخليفة ما قدمناه في أخبر المسترشد بالله، ثم اتفقا على مال حمله الخليفة إليه.

وفي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

أسند السلطان شحنكية العراق إلى عماد الدين زنكي على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره.

وفيها في عاشر شهر ربيع الآخر سار السلطان محمود من بغداد وحمل إليه الخليفة الخلع والدّواب الكثيرة، فقبل جميع ذلك، ولما أبعد عن بغداد قبض على وزيره أبي القاسم علي بن الناصر النساباذي[2] في شهر رجب لأنه اتهمه بممالأة المسترشد بالله، وأرسل إلى بغداد وأحضر شرف الدين أنوشروان بن خالد، فوصل إلى السلطان وهو بأصفهان، فخلع عليه الوزارة واستوزره، فاستمر عشرة أشهر وعزل نفسه، وعاد إلى بغداد في شعبان سنة اثنتين وعشرين، فأُعيد الوزير أبو القاسم.

وفي سنة إحدى وعشرين توفي عز الدين مسعود بن البُرسقيّ أمير الموصل فأقام السلطان مقامه عماد الدين زنكي.

وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قدم السلطان سنجر عم السلطان محمود إلى

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٣٤.
(٢) «الانساباذي» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٢، «والنساباذي» في الأصل.

الرَّيّ، واستدعى السلطان [محمود][١] فسار إليه فأكرمه وأجلسه معه على التخت، ولما عاد [سنجر][٢] إلى خُراسان سلّم دُبَيْس[٣] بن صدقة إلى السلطان محمود، وأوصاه بإكرامه وإعادته إلى بلده، فرجع محمود إلى همذان، ودُبَيْس في صحبته. ثم سار إلى العراق، وقدم بغداد في المحرم سنة ثلاث وعشرين، ودُبَيْس معه ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله. فامتنع الخليفة من إجابة السلطان إلى ولاية دُبَيْس بن صدقة البتة، فلم يمكن السلطان إجباره وأقام ببغداد إلى رابع جمادى الآخرة من السنة، وعاد إلى همذان، وجعل بهروز على شحنكية بغداد، وسلم إليه الحِلَّة واستصحب دُبَيْس بن صدقة معه.

ذكر ما فعله دُبَيْس بن صدقة وما كان من أمره

قال: ولما سار السلطان محمود من بغداد إلى همذان ماتت زوجته ابنة عمه السلطان سنجر، وكانت تعتني بأمر دُبَيْس. فلما ماتت انحل نظامه. واتفق أن السلطان مرض مرضًا شديدًا، فأخذ دُبَيْس ابنًا له صغيرًا وقصد العراق، فلما بلغ المسترشد خبره، جنّد الأجناد وحشّد وجمع. وكان بهروز بالحِلَّة ففارقها ودخلها دُبَيْس في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة. فلما بلغ السلطان الخبر أحضر الأميرين نيزك[٤] والأحمديليّ وقال: «أنتما ضمنتما مني دُبَيْس بن صدقة وأريده منكما» فسار الأحمديلي إلى العراق فاتصل خبره بدُبَيْس، فكتب إلى الخليفة يستعطفه ويقول: «إن رضيتَ عنّي فأنا أردّ أضعاف ما أخذتُ، وأكون العبد المملوك»، وترددت الرسائل بينهما، ودُبَيْس في خلال ذلك يجمع الرجال والأموال[٥]، وكان معه ثلاثمائة فارس فصار في عشرة آلاف فارس. ووصل الأحمديلي بغداد في شوال، وسار إلى دُبَيْس، وسار السلطان بعد ذلك إلى العراق، فأرسل إليه دُبَيْس هدايا جليلة وبذل ثلاثمائة حصان منعولة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة، فلم يجبه إلى ذلك. فسار إلى البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة، فسيّر الخليفة في إثره عشرة آلاف

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٥١.

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٥١.

(٣) هو أبو الحسن مجاهد الدين، ولي إمرة العراق نيفًا وثلاثين سنة، توفي سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٦٨.

(٤) هكذا في الأصل، و«الأميرين قزل والأحمديلي» في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٦٥٥.

(٥) هكذا في الأصل. وفي الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٥٥ «الأموال والرجال».

فارس ففارق البصرة ودخل البرية، ثم سار إلى الشام في سنة خمس وعشرين ليملك صَرْخَد[(١)]، وكان صاحبها قد توفي، واستولت جاريته على القلعة وما فيها، فاستدعت دُبَيْس بن صدقة ليتزوج بها، ويملك القلعة. فسار إليها فضلّ عن الطريق، فنزل بناس من كلب[(٢)] كانوا بنواحي الغوطة[(٣)] فأخذوه وحملوه إلى تاج الملوك[(٤)] صاحب دمشق، فحبسه عنده، فسمع أتابك زنكي خبره، فأرسل إليه يطلبه منه ويتهدده إن لم يرسله إليه، فأرسله إليه، فأحسن إليه زنكي إحسانًا لم يسمع بمثله، وكان قد ظن أنه يهلكه فأقام عنده وانحدر معه إلى العراق (والله أعلم).

وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل إلى ساوه. فسار السلطان من بغداد إلى همذان، وفي ظنه أن مسعود يخالفه على عادته. فلما وصل إلى كرمان[(٥)] وصل إليه أخوه الملك مسعود وخدمه، فأقطعه كنجه وأعمالها.

ذكر وفاة السلطان محمود وشيء من أخباره وملك ابنه داود

كانت وفاته بهمذان في شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان له من العمر نحو سبع[(٦)] وعشرين سنة، وكانت مدة سلطنته ثلاث عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يومًا وكان حليمًا كريمًا عاقلًا، يسمع ما يكره فلا يعاقب عليه مع القدرة، قليل الطمع في أموال الناس، عفيفًا عنها، كافًا لأصحابه عن الظلم والتطرق إلى أموال رعيته.

---

(١) صرخد: بالفتح ثم السكون: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة، وولاية حسنة واسعة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٠١.

(٢) كلب: بنو كلب قبيلة من عرب الجنوب وهم الذين انضافوا إلى قبيلة آل فضل. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص٢٠٥.

(٣) الغوطة: هي الكورة التي منها دمشق. وصفها ياقوت بأنها إحدى جنات الأرض. معجم البلدان، ج٤، ص٢١٩.

(٤) هو الملك تاج الملوك بُوري بن ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق. ولي أمر دمشق بعد موت أبيه الأتابك طغتكين في سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م توفي سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وشهورًا. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٤٣. أخباره في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٦٧٩، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص٧٨.

(٥) كَرْمان: بالفتح ثم السكون: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤، ص٤٥٤.

(٦) «عمره ثمانٍ وعشرون سنة» في النجوم الزاهرة ج٥، ص٢٤١ ومدة سلطنته أربع عشرة سنة.

ونقل بعض المؤرخين أن الأموال ضاقت في آخر أيامه حتى عجزوا في بعض الأيام عن إقامة وظيفة الفقاعي، فدفعوا له بعض صناديق الخزانة فباعها وصرف ثمنها في حاجته. ولما توفي والد السلطان محمد خلف ثمانية آلاف ألف دينار، سوى المصوغات والجواهر وأصناف الثياب وغير ذلك، فآل الأمر في أيام محمود إلى هذه الغاية. قال: وطلب يومًا من سابور الخادم الخازن غالية[1]، فشكا إليه الإقلال واستمهله. ثم أحضر إليه بعد مدة ثلاثين مثقالاً، فقال له السلطان وكان خازن أبيه: «كم كان في خزانة السلطان والدي من الغالية؟» فقال: «كان في قلعة أصفهان منها في أواني الذهب والفضة والبلور المحكم والصيني ما يقارب مائة وثمانين رطلاً، ومعنا في خزانة الصحبة ما يقارب ثلاثين رطلاً» فجعل يتعجب من ذلك ويقول لمن حضر: اعجبوا من التفاوت بين هذه الأيام وتلك».

وكان له من الأولاد محمد شاه ولي السلطنة، وملكشاه وليها أيضًا، وجفري شاه، وداود ووزراؤه ربيب الدولة أبو منصور وزير والده. ثم نظام الدين كمال الملك أبو طالب علي بن أحمد السُّميرميّ، صفي أمير المؤمنين إلى أن قتل كما ذكرناه. واستوزره بعده شمس الدين عثمان بن نظام الملك إلى أن قتله في سنة سبع عشرة وخمسمائة. واستوزر الوزير القوام أبا القاسم علي بن الناصر النساباذي، وقبض عليه في شهر رجب سنة عشرين. واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد، ثم استعفى من الوزارة وأعيد الوزير أبو القاسم.

قال: ولما توفي السلطان محمود جلس ابنه داود في السلطنة باتفاق من الوزير أبي القاسم، وأتابكه اقسنقر الأحمديلي، وخطب له في جميع بلاد الجبل وأذربيجان. ولما اطمأن الناس وسكنوا سار الوزير بأمواله إلى الري ليأمن بها حيث هي للسلطان سنجر. وكان سبب خوفه أنه قبل وفاة السلطان محمود خاف من جماعة من الأمراء وأعيان الدولة منهم: عين الدولة أبو نصر أحمد بن حامد المستوفي، والأمير أنوشتكين المعروف بشيركير. وولده عمر وهو أمير حاجب، فقبض عليهم. فأما عين الدولة فإنه أرسله إلى مجاهد الدين بهروز فحبسه بتكريت، ثم قتل بها، وأما شيركير وولده. فقتلهما في جمادى الآخرة.

(١) الغالية: الطيب. ابن منظور: لسان العرب (غلي).

ذكر أخبار السلطان غياث الدنيا والدين أبي الفتح مسعود بن ملكشاه وما كان من أمره، وخروجه من السلطنة وسلطنة أخيه السلطان طغرل، وعوده إليها

وقد رأيت من قدم أخبار السلطان طغرل على أخبار أخيه السلطان مسعود ثم ذكر سلطنة مسعود بعدها، وليس كذلك لأن السلطان طغرل ما تسلطن إلا بعد حرب السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر، ومسعود لم يحارب عمه سنجر بعد أن خطب له بالسلطنة فتعين بهذا أن السلطان مسعود تقدمه في السلطنة وقد بدأت بأخبار السلطان مسعود وجعلت أخبار السلطان طغرل مندمجة في أخبار السلطان مسعود وبينتها بالتراجم الدالة عليها لأن السلطان مسعود تسلطن قبله وعاش بعده.

ذكر ما اتفق للسلطان مسعود مع أخيه الملك سلجق شاه وداود بن محمود[١] واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود

قال ابن الأثير الجزري في تاريخه المترجم بالكامل: لما توفي السلطان محمود بن محمد، وخطب لولده الملك داود ببلاد الجبل أذربيجان سار الملك داود من همذان في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة إلى زنكان[٢]؛ فأتاه الخبر بمسير عمه السلطان مسعود من جُرجان، وأنه وصل إلى تبريز[٣] واستولى عليها. فسار الملك داود إليه، وحصره بها وجرى بينهما قتال إلى سلخ المحرّم سنة ست وعشرين [وخمسمائة][٤]، ثم اصطلحا وتأخر الملك داود مرحلة، وخرج السلطان مسعود من تبريز، واجتمعت عليه العساكر وسار إلى همذان [وأرسل يطلب الخطبة ببغداد][٥] وكانت رسل الملك داود تقدّمت إلى بغداد في طلب الخطبة، فأجاب المسترشد بالله أنَّ الحكم في الخطبة للسلطان سنجر، فمن أراد خطب له. وأرسل

---

(١) أخباره في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٦٩، وج١١ ص٦٠.

(٢) هكذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٧٤ «زنجان».

(٣) تبريز: بكسر أوله، وسكون ثانيه. أشهر مدن أذربيجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣.

(٤) ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٧٤.

(٥) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٧٤.

الخليفة إلى السلطان سنجَر أن لا يأذن في الخطبة لأحد، وأنه ينبغي أن تكون الخطبة له وحده دون بني أخيه، فوقع ذلك منه موقعًا حسنًا. ثم إن السلطان مسعود كاتب عماد الدين أتابك زنكي صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده بالنصر، فقويت نفسه بذلك على طلب السلطنة.

قال: ثم إن السلطان سلجق شاه[١] بن محمد سار به أتابكه قراجا الساقي صاحب بلاد فارس وخوزستان في عسكر كثير إلى بغداد، فوصل إليها قبل وصول أخيه السلطان مسعود، ونزل بدار السلطنة، فأكرمه الخليفة واستخلفه لنفسه. ثم وصل رسول السلطان [مسعود][٢] يطلب الخطبة لنفسه ويتهدد إن منعها، فلم يجبه المسترشد إلى ما طلب، فسار حتى نزل عباسية[٣] الخلاص. فبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجق شاه وقراجا[٤] الساقي نحو مسعود، وقد عزموا على حربه، فأتاهم الخبر بوصول عماد الدين زنكي[٥] إلى المعشوق[٦]، فعبر قراجا الساقي في أكثر العساكر إلى الجانب الغربي وسار في يوم وليلة إلى المعشوق، والتقى هو وزنكي فهزمه الساقي وأسر جماعة من أصحابه، وانهزم زنكي إلى تكريت، وسار إلى الموصل.

قال: وسار السلطان مسعود من العباسية المالكية[٧]، وحصلت المناوشة بين عسكره وعسكر أخيه سلجق شاه ودامت يومين، فأرسل سلجق شاه إلى قراجا يستحثه في العود، فعاد مسرعًا. فلما علم مسعود بهزيمة زنكي رجع إلى ورائه، وأرسل إلى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر إلى الري، وأنه عازم على قصد الخليفة وغيره، ويقول: «إن رأيتم أن نتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فأنا موافق على ذلك». وترددت الرسائل بينهم، فوقع الاتفاق على أن يكون العراق

---

(١) هكذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٧٤ «سلجوقشاه».

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٧٥.

(٣) في الأصل «عباسة» والتصحيح من معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٤، ص٧٥.

(٤) وردت «قراجة» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٧٥.

(٥) هو أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب صاحب الموصل. توفي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٧. أخباره في: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٧٠، وفي صفحات متفرقة من الكامل لابن الأثير ج١١، وفي كتاب الباهر لابن الأثير، وفي شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص١٢٨.

(٦) المعشوق: اسم لقصر يقع غربي دجلة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥، ص١٥٦.

(٧) المالكية: قرية على الفرات بالعراق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٣.

لوكيل الخليفة، والسلطنة لمسعود وسلجق شاه ولي عهده، وتحالفوا على ذلك. ودخل السلطان مسعود بغداد ونزل بدار السلطنة ونزل سلجق شاه بدار الشحنكية، وذلك في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وخمسمائة.

ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر شاه وهزيمة مسعود وسلطنة طغرل

قال: ولما وصل الخبر بوفاة السلطان محمود إلى عمه السلطان سنجر شاه، سار عن خراسان إلى بلاد الجبال[١] ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد، وكان قد لازمه، فوصلا إلى الري ثم إلى همذان، فاتصل الخبر المسترشد بالله والسلطان مسعود ومن معه، فاتفقوا على قتاله وأن يكون الخليفة معهم. فتجهز الخليفة وتقدم السلطان مسعود وسلجق شاه وقراجا الساقي، وساروا لقتال السلطان سنجر شاه، وتأخر الخليفة فأرسل إليه قراجا وألزمه بالخروج، وقال: «إن الذي تخافه من سنجر آجلًا أنا أفعله عاجلًا» فبرز حينئذ وسار حتى بلغ خانقين[٢] وأقام بها، وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه. ووصلت الأخبار بوصول عماد الدين زنكي ودُبَيْس بن صدقة إلى قرب بغداد. فأما دُبَيْس فذكر أن السلطان سنجر أقطعه الحلَّة وأرسل إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضى عنه فامتنع عن إجابته. وأما زنكي فإنه ذكر أن سنجَر أعطاه شحنكية العراق. فعاد المسترشد إلى بغداد، وأمر أهلها بالاستعداد، وجند بها أجنادًا وسار إلى السلطان مسعود، فلقيتهم عساكر سنجر وهو في مائة ألف، منهم خُوارزم شاه إتسز بن محمد والتقوا عند الدِّينَوَر[٣]. وكان مسعود يدافع الحرب وينتظر وصول الخليفة، فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بدًا من المصاف، فوقعت الحرب، وقامت على ساق، فحمل قراجا الساقي على القلب في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر، فجاء خوارزم شاه والملك طغرل وصاروا من وراء ظهر قراجا الساقي وصار هو في الوسط، فقاتل إلى أن جرح عدة جراحات، وقتل كثير من أصحابه وأسر هو فانهزم السلطان مسعود، وذلك في ثامن شهر رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة.

---

(١) جمع جبل: اسم للبلاد الواقعة ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والري، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩.

(٢) خانقين: بلدة من نواحي السواد على الطريق من بغداد إلى همذان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٠.

(٣) الدِّينور: مدينة قريبة من همذان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٤٥.

قال: ولما تمت الهزيمة على مسعود، نزل السلطان سنجر وأحضر قراجا الساقي وسبه ووبخه وقال له: «يا مفسد، أي شيء كنت ترجو بقتالي» قال: «كنت أرجو أن أقتلك وأقيم سلطانًا أحكم عليه» فقتله صبرًا، وأرسل إلى السلطان مسعود يستدعيه، فحضر إليه فأكرمه، وعاتبه على عصيانه ومخالفته وأعاده إلى كنجه. وأجلس الملك طغرل ابن أخيه محمد في السلطنة، وخطب له في جميع البلاد، واستوزر له الوزير: أبا القاسم النساباذي وزير السلطان محمود، وعاد إلى خراسان.

ذكر الحرب بين السلطان طغرل بن محمد وبين أخيه الملك داود بن محمود[(١)]

قال: لما توجه السلطان سنجر إلى خراسان عصى الملك داود بن محمود على عمه السلطان طغرل وجمع العساكر، وسار إلى همذان في مستهل شهر رمضان سنة ست وعشرين وخمسمائة. فخرج إليه السلطان طغرل، وعبى كل منهما أصحابه، والتقوا فوقع الخلف في عسكر داود، فهرب أتابكه آقسنقر الأحمديلي، وتبعه الناس، وبقي الملك داود متحيرًا إلى أوائل ذي الحجة منها فقدم بغداد هو وأتابكه الأحمديلي.

ذكر عود السلطان مسعود بن محمد إلى السلطنة وانهزام طغرل[(٢)]

قال: لما سمع السلطان مسعود انهزام داود، وأنه قصد بغداد، سار هو أيضًا إلى بغداد في سنة سبع وعشرين وخمسمائة. فلمّا قاربها لقيه داود ودخل في خدمته إلى بغداد، ونزل بدار السلطنة في صفر، وخاطب في الخطبة، فأجيب إلى ذلك، وخطب له ولداود بعده. ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما وخلع على مسعود في يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الأول من السنة. وكانت الخلع سبع دراريع مختلفات الأجناس والألوان والسابعة سوداء، وتاجًا مرصعًا بالجوهر والياقوت، وطوق ذهب وسراويل، وقلده بسيفين وعقد له لواءين بيده، وسلم إليه داود ابن أخيه وأوصاه به مشافهة. ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود إلى أذربيجان، وأرسل الخليفة معهما عسكرًا فساروا.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٨١.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٨٦.

وملك مسعود سائر بلاد أذربيجان، وهرب من بها من الأمراء مثل قراسنقر وغيره، وتحصن كثير منهم بمدينة أردبيل، فقصدهم مسعود وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة، وانهزم الباقون. ثم سار بعد ذلك إلى همذان لمحاربة أخيه الملك طغرل فاستولى عليها في شعبان. ولما استقر بها قُتل آقسنقر الأحمديلي، قتله الباطنية. وسار طغرل حتى بلغ قم[١]، ثم عاد إلى أصفهان وأراد أن يتحصن بها، فسار إليه مسعود ليحاصره بها فرحل طغرل إلى بلاد فارس، واستولى مسعود على أصفهان، وفرح أهلها به، ثم سار منها نحو فارس، فوصل إلى موضع بقرب البيضا[٢]، فاستأمن إليه أمير من أمراء أخيه طغرل معه أربعمائة فارس، فأمنه فخاف طغرل من عسكره أن يلتحقوا بأخيه، فانهزم وقصد الريّ.

قال: ولما تمّ على طغرل ما تمّ من الهزيمة، قال لوزيره أبي القاسم النساباذي: «قد علمت أنه ما تم عليّ هذا الخذلان إلا لظلمك للعباد» فقال له: «لا تقلق، قد أمرت أهل الموت بقتل آقسنقر وسائر أعدائك وهم فاعلون» فأمر به فضرب وصلب، فانقطع به الحبل، فقطع إربًا إربًا، وطيف بأعضائه في كل بلد عضو، وكان قتله بأصفهان.

واستمر طغرل حتى أتى الري في ثلاثة آلاف فارس، وسار الملك مسعود في طلبه فلحقه بموضع يقال له ذكراور، فوقع بينهما مصاف هناك، فانهزم طغرل ووقع عسكره في أرض قد نضب عنها الماء، وهي وحل، فأسر منهم جماعة فأطلقهم مسعود، ولم يقتل في هذا المصاف إلا نفر يسير. وكان هذا المصاف في ثامن عشر شهر رجب سنة سبع وعشرين وخمسمائة، ورجع الملك مسعود إلى همذان.

ذكر عود الملك طغرل إلى الجبل وانهزام السلطان مسعود[٣]

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عاد الملك طغرل إلى بلاد الجبل فملكها؛ وسبب ذلك أن السلطان مسعود لما عاد من حربه، بلغه عصيان داود ابن أخيه بأذربيجان، فسار إليه وحصره بقلعة روندر[٤]. واشتغل بحصره، فجمع الملك طغرل

---

(١) قم: بالضم وتشديد الميم. كلمة فارسية. وهي مدينة قريبة من قاشان ومستحدثة إسلامية، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٧.

(٢) البيضاء: مدينة مشهورة بفارس قرب شيراز. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٢٩.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٤٦.

(٤) روندر: قلعة حصينة من أعمال أذربيجان قرب تبريز. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٠٥.

العساكر، واستمال بعض أمراء السلطان مسعود، وتقدم لفتح البلاد وفتحها أولاً فأولاً، وكثرت عساكره، فقصد مسعود. فلما قارب قزوين سار مسعود نحوه، ولما تدانا العسكران انهزم السلطان مسعود وذلك في أواخر شعبان من السنة، فأرسل إلى الخليفة المسترشد بالله في القدوم إلى بغداد فأذن له. وكان نائبه بأصفهان النفيس[١] السلاحي ومعه الملك سلجق شاه، فلما سمعا بانهزام مسعود قصدا بغداد، فنزل سلجق شاه بدار السلطان فأكرمه الخليفة وأنفذ إليه عشرة آلاف دينار، ثم قدم مسعود إلى بغداد، وأكثر أصحابه على الجمال لعدم الخيل، فأرسل إليه الخليفة ما يحتاج إليه من الخيل والخيام والسلاح والثياب وغير ذلك، ونزل بدار السلطنة، وذلك في منتصف شوال من السنة. وأقام طغرل بهمذان فعاجلته المنية.

ذكر وفاة الملك طغرل وملك أخيه السلطان مسعود بلد الجبل[٢]

كانت وفاته بهمذان في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ومولده في المحرم سنة ثلاث وخمسمائة. وكان عاقلاً خيرًا عادلاً، محسنًا إلى الرعية قريبًا منهم. وكان قبل وفاته قد خرج يريد السفر لقتال أخيه مسعود، فدعا له الناس فقال: «ادعو لخيرنا للمسلمين» وكان له من الأولاد أرسلان شاه، ولي السلطنة، ومحمد ألب أرسلان لم يلها. وزراؤه: الوزير قوام الدين النساباذي وزير السلطان محمود إلى أن قتله، ثم استوزر شرف الدين علي بن رجا. قال: ولما توفي وصل الخبر بموته أخيه السلطان مسعود، فسار من وقته نحو همذان، وأقبلت العساكر إليه ودخلت في طاعته، واستقل بالسلطنة بعده.

وفي هذه السنة وقع بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود، والتقوا واقتتلوا، فانهزمت عساكر الخليفة ثم قتل على ما قدمناه في أخبار الدولة العباسية.

ذكر قتل الأمير دُبَيْس بن صدقة[٣]

وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة قتل السلطان مسعود الأمير دُبَيْس بن صدقة

(١) هكذا في الأصل. وفي الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٢ «البقش السلاحي». وكان هذا أميرًا كبيرًا ناب عن السلطان في ممالك ثم توهم السلطان منه وقبض عليه وحبسه بقلعة تكريت ثم أمر بقتله، فغرق نفسه في دجلة فأخرج من الماء وقطع رأسه وحمل إلى السلطان وكان ذلك في سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٥٥.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٥، ص٢٤٩.

وهو على باب سرادقه بظاهر مدينة خويّ[١]. أمر غلامًا أرمنيًا بقتله، فقام على رأسه وهو ينكت[٢] الأرض بإصبعه فضرب عنقه وهو لا يشعر. وكان صدقة يعادي المسترشد كما ذكرناه، فلما قتل المسترشد ظن صدقة أن الدنيا قد صفت له، فما لبث بعده. وهذه عادة الدنيا يتبع صفاها كدرها، وجودها ضررها كما قيل: [من البسيط]

إن الليالي لم تُحسن إلى أحدٍ ... إلا أساءتْ إليه بعدَ إحسانِ

قال: ولما قُتل دُبَيْس كان ابنه صدقة بالحِلّة، فاجتمع إليه مماليك أبيه وأصحابه وكثر جمعه، وبقي بها إلى أن قدم السلطان بغداد في سنة إحدى وثلاثين، فقصده وأصلح حاله معه، ولزم بابه.

ذكر اجتماع الأطراف على حرب السلطان مسعود وخروجهم عن طاعته

وفي سنة ثلاثين وخمسمائة اجتمع كثير من أصحاب الأطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود. فسار الملك داود ابن أخي السلطان في عسكر أذربيجان إلى بغداد، فوصل إليها في رابع صفر ونزل بدار السلطنة. ووصل بعده عماد الدين زنكي صاحب الموصل. ووصل الأمير برنقش بازدار صاحب قزوين وغيرها؛ والنفيس الكبير صاحب أصفهان وصدقة بن دُبَيْس صاحب الحلة وغيرهم. فجعل الملك داود في شحنكية بغداد برنقش بازدار، وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب لداود، فسار السلطان مسعود إلى بغداد، فتفرقت تلك الجيوش وسار الخليفة وزنكي إلى الموصل وخلع الراشد[٣]، وبويع المُقتفي[٤] على ما قدمنا ذكره في أخبار الدولة العباسية.

---

(١) «وكان قتله بالمراغة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٤٩.

(٢) ينكت: يقرع الأرض بإصبعه. ابن منظور: لسان العرب (نكت).

(٣) هو منصور بن المسترشد الملقب بالراشد أمير المؤمنين، بويع بالخلافة سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م، ولد سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م وتوفي سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥ ص٢٥٥.
ترجمته وأخباره في: المنتظم لابن الجوزي ج١٠، ص٥٠ ـ ٥٢، وص٧٦، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص١٠٠، والكامل لابن الأثير، ج١١، ص٢٧، ٣٥، ٦٢.

(٤) هو الخليفة المقتفي بالله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله. بويع بالخلافة بعد قتل ابن أخيه الراشد بالله سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م. ولد سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م توفي سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣١٧.
ترجمته وأخباره في: الكامل لابن الأثير ج١١، ص٢٥٦، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص١٧٢، المنتظم لابن الجوزي، ج١٠، ص١٩٧.

وفي سنة ثلاثين وخمسمائة عزل السلطان وزيره شرف الدين أنو شروان بن خالد واستوزر كمال الدين أبا البركات بن سلمة الدركزيني وهو من خراسان.

وفيها أرسل السلطان قراسنقر بعساكر كثيرة في طلب الملك داود، فسار وأدركه عند مراغة، فالتقيا واقتتلا قتالاً شديدًا، فانهزم داود إلى خوزستان، فاجتمع عليه هناك كثير من التركمان وغيرهم، فبلغت عدتهم عشرة آلاف فارس، فقصد بهم تُسْتَر[١] وحاصرها. وكان عمه السلطان سلجق شاه ابن السلطان محمد بواسط، فأرسل إلى أخيه السلطان مسعود يستنجده ويستمده، فأمده بالعساكر، فسار إلى داود وهو يحاصر تستر، فالتقوا فانهزم سلجق شاه.

وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة أذن السلطان مسعود للعساكر التي عنده ببغداد في العود إلى بلادهم، وذلك في المحرم منها. وسبب ذلك أنه بلغه أن الراشد بالله المخلوع فارق الموصل. قال: وزوج ابنته للأمير صدقة بن دُبَيْس بن صدقة، وتزوج الخليفة المقتفي بفاطمة أخت السلطان فاطمأن السلطان عند ذلك وفرق العساكر.

ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومن معه من الأمراء[٢]

وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة كانت الحرب بينهم، وسبب ذلك أن الراشد بالله المخلوع فارق الموصل وسار نحو أذربيجان فوصل إلى مراغة. وكان الملك داود بن محمود والأمير منكبرس صاحب فارس والأمير بوزابه نائبه بخوزستان، والأمير عبد الرحمٰن طغايرك على خوف ووجل من السلطان. فتجمعوا كلهم ووافقوا الراشد على الاجتماع معه ليكونوا يدًا واحدة ويردوه إلى الخلافة فأجابهم إلى ذلك، إلا أنه لم يجتمع معهم. ووصل الخبر إلى السلطان وهو ببغداد، فسار عنها في شعبان، والتقوا واقتتلوا، فانهزم الملك داود، وأسر الأمير منكبرس فقتل صبرًا بين يدي السلطان وتفرقت عساكر السلطان مسعود في النهب واتباع من انهزم، وكان بوزابه وعبد الرحمٰن طغايرك على نشز[٣] من الأرض، فرأيا السلطان وقد تفرقت عساكره،

---

(١) تُسْتَر: مدينة بخوزستان: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٩.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ج١١، ص٦٠.

(٣) نشز من الأرض: مكان مرتفع من الأرض: الفيروزآبادي: القاموس المحيط (نشز).

فحملا عليه، فلم يثبت لهما وانهزم، وقبض بوزابه على جماعة من الأمراء منهم صدقة بن دُبَيْس صاحب الحلّة وأتابك قراسنقر صاحب أذربيجان وعنتر بن أبي العساكر، وتركهم عنده. فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم جميعًا وصار العسكران مهزومين، وهذا من عجيب الاتفاق.

وقصد السلطان مسعود أذربيجان وقصد الملك داود همذان، ووصل إليها الراشد بعد الوقعة واختلفت آراء الجماعة، فمنهم من يقول: نقصد بغداد ونملكها، ومنهم من يقول: بل نتبع مسعود، فإذا فرغنا منه هان ما بعده. وكان بوزابة أكبر الجماعة، فرأى أن يتوجه إلى بلاد فارس ليملكها بعد صاحبها منكبرس، فسار إليها وملكها، وصارت بيده مع خوزستان. وسار سلجق شاه إلى بغداد ليملكها فمنعه من بها، وقاتله شحنتها. قال: ولما قتل الأمير صدقة أقر السلطان الحلّة على أخيه محمد بن دُبَيْس، وجعل معه مهلهل بن أبي العشاير، وهو أخو عنتر المقتول، ليدبر أمره.

ذكر قتل الوزير الدركزيني ووزارة ابن الخازن وزير قراسنقر[١]

وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة قبض السلطان مسعود على وزيره كمال الدين أبي البركات بن سلمة الدركزيني، وكان شهمًا شجاعًا عادلاً نافذ الحكم حسن السيرة، أزال المكوس ورفع المظالم. وكان يقيم مؤنة السلطان ووظائفه وجمع له خزانة وكشف أشياء من الخيانات كانت مستورة، فثقل أمره على المتصرفين وأرباب الأعمال، فأوقعوا بينه وبين الأمراء. وكان أشدهم عليه قراسنقر صاحب أذربيجان، فإنه فارق السلطان وأرسل إليه يقول: «إمّا[٢] أن تنفذ برأس الوزير إليّ وإلا خدمنا سلطانًا آخر» فأشار الأمراء بقتله، فقتله على كره منه، وأرسل برأسه إلى قراسنقر، فرضي. وكانت وزارته سبعة أشهر، واستوزر [السلطان مسعود] بعده أبا العز طاهر بن محمد البروجردي[٣] وزير قراسنقر، ولقب عز الملك. وضاقت الأمور على السلطان، فاستقطع البلاد على غير رضاه، ولم يبق له غير اسم السلطنة.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٦٤.

(٢) هكذا في الأصل والتصحيح يقتضيه السياق، ويتفق مع ما ورد في الكامل لابن الأثير ج١١، ص٦٤.

(٣) البروجردي نسبة إلى بروجرد. وهي مدينة خصبة تقع بين همذان والكرج. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١، ص٤٠٤.

وفيها توفيت زبيدة خاتون[١] زوجة السلطان مسعود، وهي ابنة السلطان بركياروق، فتزوج مسعود بعدها سفرى ابنة دُبَيْس بن صدقة في جمادى الأولى وتزوج أيضًا ابنة قاروت، وهو من البيت السلجقي.

وفيها أيضًا قتل السلطان مسعود ابن البقش السلاحي شحنة بغداد لظلمه وعسفه للناس، وجعل شحنة العراق مجاهد الدين بهروز[٢]، فأحسن السيرة.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة قدم السلطان مسعود إلى بغداد في فصل الشتاء، وصار يشتو بالعراق ويصيف بالجبال. ولما قدمها أزال المكوس وكتب الألواح بإزالتها، ووضعت على أبواب الجوامع وفي الأسواق. وتقدم إلى الجند أن لا ينزل أحد منهم في دار عامي إلا من أُذن له، فكثر الدعاء له والثناء عليه.

وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة قبض السلطان على وزيره البروجردي، واستوزر بعده المرزبان أبا عبد الله بن نصر الأصفهاني وسلّم إليه البروجردي، فاستخرج منه الأموال، ومات مقبوضًا عليه.

ذكر اتفاق بوزابة وعباس على الخروج عن طاعة السلطان مسعود[٣]

وفي سنة أربعين وخمسمائة سار بوزابة صاحب فارس وخُوزِستَان في عساكره إلى قاشان[٤]، ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود، واتصل بهم الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد، واجتمع بوزابه والأمير عباس صاحب الري، واتفقا على الخروج عن طاعة السلطان وملكا كثيرًا من بلاده. فأتاه الخبر وهو ببغداد ومعه الأمير عبد الرحمٰن طغايرك ـ وهو الحاكم في دولته ـ وكان ميله إليهما. فسار السلطان عن بغداد في شهر رمضان. فلما تقابل العسكران ولم يبق إلا القتال، لحق سليمان شاه بأخيه السلطان مسعود، وشرع عبد الرحمٰن في تقرير الصلح على القاعدة التي

---

(١) توفيت بهمذان، المنتظم لابن الجوزي، ج١٠، ص٧٤.

(٢) توفي مجاهد الدين بهروز سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، وكان قد أخذ كنيسة وبناها رباطًا على شاطىء دجلة وأوقف عليها أوقافًا. وبها دُفن. وبهروز (بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وهاء ساكنة وراء مهملة مضمومة وواو وزاي ساكنة) ومعناه باللغة العجمية يوم جيّد على التقديم والتأخير على عادة اللغة العجمية والتركية. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٥، ص٢٦٨.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٠٤.

(٤) قاشان: مدينة قرب أصبهان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤، ص٢٩٦.

أرادوها. وأضيف إلى عبد الرحمٰن ولاية أذربيجان وأرّانية[١] على ما بيده، وصار أبو الفتح بن دارست وزير السلطان مسعود [وهو وزير بوزابه][٢] وصار السلطان معهم تحت الحجر.

ذكر قتل عبد الرحمٰن طغايُرك وعَبَّاس[٣] صاحب الرَّيّ

وفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة قتل السلطان مسعود الأمير عبد الرحمٰن طغايُرك[٤] أمير حاجب دولته والحاكم عليها، وكان لم يبقَ للسلطان معه غير الاسم وكان سبب قتله أنه لما ضيق على السلطان وحجر عليه واستبد بالأمر دونه وأبعد خواصه عنه، فكان ممن أُبعد عنه بك أرسلان المعروف بخاص بك [بلنكري][٥]، وكان السلطان قد رباه وقربه فأبعده عنه وحجبه، وصار لا يراه. وكان في خاص بك عقل وتدبير وجودة قريحة، فاستقر بينه وبين السلطان قتل عبد الرحمٰن. فاستدعى خاص بك من يثق به وتحدث معهم، فكلهم خاف الإقدام عليه إلا رجل اسمه زنكي ـ وكان جانداراً[٦] ـ فإنه بذل من نفسه أن يلقاه ويبدأ بالقتل، ووافق خاص بك على ذلك جماعةٌ من الأمراء فبينما عبد الرحمٰن في موكبه بظاهر جَنزَه[٧]، إذ ضربه زنكي الجاندار على رأسه بمقرعة حديد كانت في يده، فسقط إلى الأرض وأجهز عليه خاص بك، وأعانه جماعة ممن كان واطأه من الأمراء.

---

(١) أرّانية: أرّان: بالفتح وتشديد الراء. اسم أعجمي لولاية واسعة منها جنزة وهي التي تسميها العامة كنجة بين أذربيجان وأرّان نهر يقال له الرش وأرّان من أصقاع أرمينية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٣٦.

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٠٤.

(٣) كان أميرًا شجاعًا مقدامًا جوادًا يباشر الحروب بنفسه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٧٠.

(٤) هو صاحب خلخال وبعض أذربيجان. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص١١٦. وخَلْخَال: مدينة وكورة في طرف أذربيجان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨١.

(٥) ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح من الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١١٦.

(٦) الجاندار: حافظ الروح، وهم الحرس، وهذا المصطلح قد تطور مفهومه في الدولة الأيوبية والدولة المملوكية فأصبح يعني فئة من مماليك السلطان أو الأمير. ووظيفة أمير جاندار هو أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان ويقدم البريد مع كاتب السر. وصاحب هذه الوظيفة يدور أيضًا حول السلطان. انظر صبح الأعشى للقلقشندي ج٤، ص٢٠، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، ص١١٧، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد البقلي، ص٨٢ وفيه «جان» بمعنى سلاح و«دار» بمعنى ممسك.

(٧) جنزه: بالفتح، مدينة بأرّان وهي بين شروان وأذربيجان، وهي التي تسميها العامة كنجة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٧١.

وبلغ السلطان الخبر وهو ببغداد، ومعه الأمير عباس صاحب الري وعسكره أكثر من عسكر السلطان، فأنكر الأمير عباس ذلك وتألم له، فداراه السلطان ولطف به، ثم استدعاه في بعض الأيام. فلما عبر إليه، منع أصحابه من الدخول وعدل به إلى حجرة، وقيل له: اخلع الزردية، وكان لا يزال يلبسها، فقال: إن لي مع السلطان أيمانًا وعهودًا، فلكموه وخرج عليه غلمان أعدوا له، فتشاهد وخلع الزردية وألقاها فضربوه بالسيوف، واحتزوا رأسه، وألقوه إلى أصحابه، ثم ألقوا جسده ونهبت خيامه. وكان مقتله في ذي القعدة. وكان من غلمان السلطان محمود حسن السيرة ودفن بالجانب الغربي ثم أرسلت ابنته وحملته إلى الرّي ودفنته هناك.

قال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل[1]: ومن الاتفاق العجيب أن العبادي كان يعظ يومًا فحضره عبّاس فأسمع العبادي بعض من حضر المجلس، ورمى بنفسه نحو الأمير عبّاس، فضربه أصحابه خوفًا عليه، لأنه كان شديد الاحتراس من الباطنية، لا يفارق لبس الزردية ومعه الغلمان الأجلاد، فقال له العِبادي: «يا أمير كم ذا الاحتراز، والله لئن قضى عليك بأمر لتحلّنَّ أنتَ بيدك أزرار الزّردية، فينفذ القضاء فيك» فكان كما قال.

كان السلطان قد استوزر ابن دارست وزير بوزابة كارهًا، فلما كان الآن استعفى وسأل العزل والعود إلى صاحبه فعزله وقرر معه أن يصلح له بوزابة ويزيل ما عنده من الاستشعار بسبب قتل عبد الرحمٰن وعباس.

وفيها حبس السلطان مسعود أخاه سليمان شاه بقلعة تكريت، والله أعلم.

ذكر قتل الأمير بوزابة[2]

قال: ولما اتصل بالأمير بوزابة قتل عباس جمع عساكر فارس وخوزستان وسار إلى أصفهان فحصرها وسيّر عسكرًا آخر إلى همذان، وعسكرًا ثالثًا إلى قلعة الباهلي[3] ثم سار هو عن أصفهان وراسل السلطان مسعود في الصلح فلم يجبه؛ وسار مجدًّا

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١١٧.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١١٩.

(٣) «قلعة الماهكي» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١١٩، وقلعة الماهكي من بلد اللحف صقع معروف من نواحي بغداد. سمي بذلك لأنه في لحف جبال همذان ونهاوند. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٤.

فالتقيا بمرج قراتكين[١] واقتتل العسكران، فانهزمت ميمنة السلطان وميسرته واقتتل القلبان أشد قتال وأعظمه، وصبر الفريقان فسقط بوزابة عن فرسه بسهم أصابه. وقيل بل كبا به فرسه فأُخذ أسيرًا، وحُمل إلى السلطان فقُتل بين يديه، وانهزم أصحابه، وبلغت هزيمة ميمنة السلطان وميسرته إلى همذان. وقتل من الفريقين خلق كثير. وكانت هذه الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين الأعاجم. وكانت في سنة اثنتين وأربعين والله أعلم.

ذكر الخلف بين السلطان وجماعة من الأمراء ووصولهم إلى بغداد وما كان منهم[٢]

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فارق السلطان مسعود جماعة من الأمراء الأكابر وهم: ايلدكز المسعودي صاحب كنجة وأرانية، وتبر الحاجب، وطرنطاي[٣] المحمودي شحنة واسط، وابن طغايرك وغيرهم. وكان سبب ذلك ميل السلطان إلى خاص بك، واطراحه لهم فخافوا أن يفعل بهم كما فعل بعبد الرحمٰن وعبّاس وبوزابة، ففارقوه وساروا نحو العراق. فلما بلغوا حُلوان خاف الناس ببغداد وأعمال العراق، وغلت الأسعار وأرسل الخليفة إليهم العبادي الواعظ فلم يرجعوا، ووصلوا إلى بغداد في شهر ربيع الآخر، ومعهم الملك محمد ابن السلطان محمود، فنزلوا بالجانب الشرقي.

ووقع القتال بين الأمراء وعامة بغداد ومن بها من العسكر عدة وقعات، فانهزم الأمراء من العامة في بعض الأيام خديعة ومكرًا، فلما تبعوهم عطفوا عليهم وقتلوهم، فأصيب أهل بغداد بما لم يصابوا بمثله وتفرق العسكر بالمحال الغربية، وأخذوا من أهلها الأموال الكثيرة ونهبوا بلد دُجَيْل[٤] وغيره، وأخذوا النساء والولدان ثم اجتمع الأمراء ونزلوا مقابل التاج[٥] وقبّلوا الأرض أمام الخليفة

(١) ذكرها ياقوت باسم: مرج قرابلين: وهي قريبة من همذان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٠١.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣٢.

(٣) «طرمطاي» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣٢.

(٤) دُجَيْل: نهر يخرج من دجلة من أعلى بغداد ويمكن أن يكون المقصود هنا بلد يقع بين بغداد وتكريت: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص٤٤٣.

(٥) التاج: اسم لدار من دور الخلافة العباسية ببغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص٣.

المقتفي، وترددت الرسائل بينهم وبين الخليفة إلى آخر النهار، وعادوا إلى خيامهم ثم تفرقوا وفارقوا العراق.

هذا كله والسلطان ببلد الجبل، والرسل بينه وبين عمه سَنْجَر تتردد. وكان سنجر يلومه على تقدمه خاصبك [خاصّ بك] ويتهدده أن يزيله عن السلطنة إن لم يبعده، وهو يغالط ولا يفعل. فسار السلطان سنجر إلى الري، وسار السلطان مسعود إلى خدمته واسترضاه فسكن. وكان اجتماعهما في سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

ذكر وفاة السلطان مسعود[(١)]

كانت وفاته بهمذان في شهر رجب[(٢)] سنة سبع وأربعين وخمسمائة ومرض بحمى حادة نحو أسبوع ومات، ودفن بمدرسة جمال الدين إقبال الجمدار. وكان مولده في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسمائة، فيكون عمره أربعًا وأربعين سنة وثمانية أشهر، ومدة سلطنته منذ وقع اسم السلطنة عليه إحدى وعشرين سنة وشهورًا، بما في ذلك من أيام أخيه السلطان طغرل. وكان رحمه الله حسن الأخلاق والسيرة كريمًا عفيفًا عن أموال الرعية من أصلح الملوك سيرة، وألينهم عريكة. ولما مات زالت سعادة البيت السلجقي بموته، ولم يقم له بعده قائمة، فكأنه المعني بقول الشاعر: [من الطويل]

وما[(٣)] كان قيسٌ هُلْكهُ هُلْكَ واحدٍ ولـكِـنّـهُ بُـنـيـانُ قَـوْمٍ تَـهَـدّمـا

ذكر سلطنة ملكشاه بن محمود بن محمد طبر ابن ملكشاه[(٤)] والقبض عليه

قال المؤرخ: كان السلطان مسعود قبل موته قد استدناه وقربه وأقره عنده، وعهد إليه بالسلطنة بعده. فلما توفي السلطان خطب الأمر خاصبك بن بلنكري

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٦٠.

(٢) «ومات في سلخ جمادى الآخرة: في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٩١ و«يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة» في المنتظم لابن الجوزي، ج١٠، ص١٥١ «في أول رجب» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٦٠.

(٣) «فما» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٦٠.

(٤) توفي عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م بأصبهان. أخباره في: الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٦٠، ٢٣٧، ٢٦٣، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٩١، المنتظم لابن الجوزي، ج١٠، ص١٩٨، صبح الأعشى للقلقشندي ج٤، ص٤١٩.

لملكشاه بالسلطنة باتفاق الأمراء، ورتّب الأمور وقررها بين يديه، وأذعنتْ له جميع العساكر بالطاعة. وكان ملكشاه شريبًا خميرًا، لا يصحو ساعة واحدة، كثير الاشتغال باللهو، فاجتمع الأمراء على خلعه وتولية السلطنة محمد بن محمود فخلعوه وقبض عليه خاصبك واعتقله بمرج همذان فتراخى مستحفظوه فهرب، ولم يطلب ولا عُلم له خبر فكانت مدة سلطنته شهرين أو ثلاثة. وقال ابن الأثير الجزري في تاريخه: إنه توجه إلى أصفهان وكثرت جموعه، وكتب إلى بغداد في طلب الخطبة لنفسه، فوضع الوزير عون الدين بن هبيرة خصيًا كان خصيصًا به يقال له أغلبك الكوهزاتيني فمضى إلى بلاد العجم واشترى جارية من قاضي همذان بألف دينار، وباعها من ملكشاه ووضعها لتسمه، ووعدها بمواعيد كثيرة، فسمته في لحم مشوي. فمات في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وجاء الطبيب فأعلم أصحابه أنه مات بسم، فقررت الجارية فأقرت. ولما مات خرج أهل البلد أصحابه وخطبوا لسليمان شاه بن محمد والله أعلم.

ذكر سلطنة محمد بن محمود[(١)]

هو أبو شجاع محمد بن محمود ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان محمد جغري بيك داود بن ميكائيل بن سلجق. ومحمد هذا في طبقة محمود ومسعود ابني محمد طبر، وقيل هو محمد بن محمود بن محمد طبر أخو ملكشاه الذي ذكرناه آنفًا.

قال: ولما قبض خاصبك على ملكشاه أرسل إلى محمد وهو بخوزستان وكان عمه السلطان سنجر قد ملكه إياها، واستدعاه ليسلطنه، وسيّر إليه الأمير مشيد الدين وكاتبه الزنجاني، وكان قصد خاصبك أنه إذا حضر عنده قبض عليه وخطب لنفسه بالسلطنة. فلما اجتمعا بمحمد حسنا له قتل خاصبك[(٢)] إذا استقر في السلطنة، وقالا له إن أمرك لا يتم إلا بقتله. وعادا إلى خاصبك وأخبراه أن محمدًا قد حلف له، وسار محمد من خوزستان إلى همذان في عدة يسيرة، فتلقاه خاصبك وخدمه وأجلسه على تخت المملكة، وذلك في أوائل صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وخطب له بالسلطنة، وبالغ في خدمته، وحمل إليه هدايا عظيمة جليلة المقدار.

---

(١) طلب الخطبة والسلطنة فلم يجب إليهما فجاء إلى بغداد فحاصرها، ثم عاد وتوفي في ذي الحجة من سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م بباب همذان. ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٩١. انظر أيضًا النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٣١٥، والكامل لابن الأثير ج١١، ص٢٥٠.

(٢) «خاص بك التركماني: قدمه السلطان مسعود على جميع الأمراء وصار له من المال ما لا يحصى» ابن الجوزي: المنتظم ج١٠، ص١٥٣.

ولما كان في اليوم الثاني أو الثالث من جلوسه، استدعى خاصبك ليشاوره فجاء إليه ومعه زنكي الجاندار، وهما قتلة عبد الرحمٰن طغايرك فقتلهما جميعًا، وألقى رأسيهما إلى أصحابهما، فتفرقوا ولم ينتطح فيها عنزان. ووجد في خزانة خاصبك ألف وسبعمائة ثوب من الديباج لون العنابي خاصة، سوى أنواع الثياب الأطلس والمصور وغير ذلك. وطلب له كفن فلم يقدر عليه، حتى جبى له من سوق العسكر.

قال: وكان أيدغدي التركماني ـ المعروف بشملة ـ مع خاصبك لما استدعاه السلطان، فنهاه عن الدخول إليه فلم يرجع إلى قوله، فلما قتل خاصبك مضى هو إلى خوزستان.

قال: وكان خاصبك صبيًا تركمانيًا، اتصل بالسلطان مسعود تقدم عنده على سائر الأمراء.

قال: ولما قتل السلطان خاصبك أشار عليه وزيره جلال الدين ابن الوزير قوام الدين أن يبعث برأس خاصبك إلى الأميرين صاحبي أذربيجان، ففعل. فلما وصل الرأس إليهما أكبرا ذلك، وعزما على إخراج سليمان شاه عليه.

ذكر سلطنة سليمان شاه بن محمد طبر بن ملكشاه(١)

قال: لما أخرج سليمان شاه من محبسه بقزوين اتصل به الأمير مظفر الدين بن ألب أرغو أو أخرجه معه إلى زنجان واتصل به الأمير شمس الدين ايلدكز والأمير آق سنقر بعسكريهما، وأخذاه من زنجان ومضيا إلى همذان فأجفل منهما محمد إلى أصفهان. وجلس سليمان شاه على سرير السلطنة بهمذان، وأخذ في الشرب واللهو فكان لا يصحو، وكذلك وزيره فخر الدين أبو طاهر القاشاني فلما رأى أيلدكز ذلك عزم على الرجوع فعاد إلى بلاده، ورجع نصرة الدين آق سنقر إلى أعماله. ثم اجتمع الأمراء مع نصير الدين أرسلان وقرروا أن ينتقلوا إلى مرج قراتكين ويتركوه بهمذان، ويقبضوا على وزيره. وكان مع سليمان شاه تباتكين بن خوارزم شاه وأخوه يوسف وأختهما زوجته والغالبة على أمره، فجاءت إليه ليلاً وهو معرس على ابنة ملك الكرج، وأخبرته باجتماع الأمراء بالمرج، واتفاقهم على القبض عليه وعلى وزيره، فهرب بها وبأخويها ليلاً، وترك خاتون الكرجية؛ وأصبح الأمراء فما علموا أين راح ولا كيف ذهب.

---

(١) أخباره في: الكامل لابن الأثير ج١١، ص٢٥٤، ٢٦٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٣١٥، وصبح الأعشى للقلقشندي ج٤، ص٤١٩ ـ ٤٢١.

ذكر عود السلطان محمد من أصفهان إلى مقر ملكه

قال: لما فارق همذان وصل إلى أصفهان كاتبُ أمراء الأطراف فأتى إليه الأمير إينانج صاحب الري فقويت به يده، واتفق رجوع أيلدكز فسار السلطان محمد إلى همذان، فدخلها في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، واستقامت له المملكة.

وفي سنة تسع وأربعين عزم الخليفة المقتفي على قطع دعوة الترك من بغداد، وفعل ما قدمنا ذكره في أخبار المقتفي من إخراج الشحنة مسعود البلالي الخادم منها؛ وتقوية الخليفة لوزيره عون الدين بن هبيرة، وما أقطعه من الإقطاعات، وما حازه الخليفة من ملك العراق من أقصى الكوفة إلى حلوان ومن تكريت إلى عبادان.

قال: ولما عاد السلطان بعد هرب سليمان شاه، راسل الخليفة في الخطبة فامتنع، واجتمع عند السلطان الأمراء الذين انقطعت أرزاقهم من بغداد، وسألوه في الرحيل معهم إليها. وكان يرجع إلى عقل ودين، فاستمهلهم حتى يكاتب الخليفة كرة ثانية، فامتنعوا وقالوا: «نحن نكفيك أمره» فوافقهم فتأهبوا وخرجوا وعليهم مسعود البلالي الذي أخرجه الخليفة من بغداد، وأخذوا معهم لفيفًا من التركمان، وساقوا مواشيهم وأغنامهم ليقاتلوا عليها. وكانت تكريت قد بقيت بيد مسعود البلالي، وملكشاه بن سلجق معتقل بها وأرسلان شاه بن طغرل، فلما احتاج هذا الجمع إلى ملك يضم شملهم اجتمعوا على إخراج أرسلان شاه بن طغرل، فأخرجوه وركبوه ووصلوا به إلى نواحي العراق، وأرهبوا على الناس.

وخرج الخليفة بعسكره وجنوده متوشحًا بالبردة، وبيده القضيب، وعلى مقدمته وزيره عون الدين بن هبيرة. وخيم الخليفة على مرحلتين، من بغداد وتقابلا قريبًا من شهر والخليفة ينتظر البداية. فظنّ مسعود البلالي أنه إنما ترك البداية بالحرب خورًا فبدأه، وركب الجيشان والتقيا، وكانت وقعة عظيمة انهزم فيها الملك أرسلان بن طغرل ووصل إلى أرانية، واستقر عند شمس الدين أيلدكز زوج أمه. وغنم الخليفة وعسكره معسكرهم وأغنام التركمان وذراريهم والترك، وقتلوا في كل واد. وعاد الخليفة إلى بغداد في أواخر سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

قال: ولما رجع العسكر إلى السلطان محمد عاتبهم، وقال: لقد أتيتم بعثرات لا تقال، وأفسدتم هيبتنا عند الخليفة، وأخرجتم أرسلان بن طغرل وما حفظتموه، وقد صار عند أيلدكز، وصار الخليفة لنا خصمًا، ولم يستقم للملوك السلجقية بعدها ببغداد سلطنة.

ذكر وصول سليمان شاه بن محمد طبر إلى بغداد وخروجه بالعساكر وحربه هو والسلطان محمد وهزيمته وحصار السلطان محمد بغداد ورجوعه

وفي سنة خمسين وخمسمائة[(١)] وصل السلطان سليمان شاه إلى بغداد مستنجدًا بالخليفة المقتفي على السلطان محمد، فلم يلقه الوزير عون الدين بل لقيه ابنه عز الدين محمد. فلما أخبره ابن الوزير سلام أمير المؤمنين عليه ترجل وقبّل الأرض ودخل بغداد. فلما وصل إلى باب النوبى من القصر، أنزلوه ليقبّل العتبة، فقبّلها وما قبّلها قبله ملك سلجقي ولا ديلمي. وأنزله الخليفة بدار السلطنة وخطب له على المنابر، ولم ينعته بالسلطان ولا بالمعظم وجهز معه الخليفة جيشًا كثيفًا، واستوزر له شرف الدين الخراساني.

وسار سليمان شاه بالجيوش إلى أذربيجان ثم إلى أرانية ثقة أن يخرج معه شمس الدين ايلدكز. وتحرك السلطان محمد إليه من همذان، والتقوا؛ فانهزم سليمان وعاد إلى بغداد على طريق الدربند[(٢)]، فقبض عليه على كورجك، واعتقله بقلعة الموصل وذلك في شعبان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة[(٣)]. وتجهز السلطان محمد بقصد بغداد، فوصل إليها في ذي القعدة من السنة، وقد جمع الجيوش العساكر وحاصرها، وكان الخليفة قد حصن بغداد بالمجانيق والرجال والسفن وغير ذلك، واستمر الحصار والحرب إلى سنة اثنتين وخمسين وجرت في خلال هذه المدة وقائع كثيرة يطول شرحها كان آخرها أنه وقع الاختلاف بين أصحاب السلطان فهزمتهم جيوش الخليفة ونهبوا أثقالهم، ولم تفلح السلجقية بعدها مع الخلفاء.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ج١١، ص٢٠١.

(٢) الدَّرَبند: هو باب الأبواب ينسب إليه الحسن بن محمد أبو الوليد المعروف بالدربندي. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص٤٤٩.

(٣) وردت رواية مختلفة في الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٥٥١هـ. وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٣٠٨. وفيه «في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة خلع الخليفة المقتفي بالله على سليمان شاه بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي بعد عمه سنجر شاه خلعة السلطنة: التاج والطوق والسوار والمركب. والمراد بالمركب هنا السَّرج وما يتعلق به. وانظر عن خلع التقليد والولاية والتشريف والمنادمة، رسوم دار الخلافة لهلال بن المحسن الصابىء، تحقيق ميخائيل عوّاد، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٦م ص٩٣ ـ ٩٤.

ذكر وفاة السلطان محمد بن محمود وما اتفق بعد وفاته(١)

قال الشيخ جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي المنصور ظافر بن حسين الأزدي في أخبار الدولة. أنه توفي في سنة خمس وخمسين(٢) وخمسمائة، وقال: ولم أعرف له عقبًا فأذكره وقرض الدولة السلجقية بوفاته. وقال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل أنه توفي سنة أربع وخمسين بباب همذان، وكان مولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وأنه لما حضرته الوفاة أحضر أمواله وجواهره وخصاياه ومماليكه ونظر إليها من طيارة وبكى، وقال: «هذه العساكر والأموال والمماليك وغيرها لم تغن عني مقدار ذرة ولا يزيدون في أجلي ذرة» وفرق من ذلك شيئًا كثيرًا وكان كريمًا عادلاً كثير التأني في أموره. وكان له ولد صغير فسلمه إلى اقسنقر الأحمديلي وقال له: «أنا أعلم أن العساكر لا تطيع هذا الطفل وهو وديعة عندك فارحل به إلى بلادك» فرحل به إلى مراغة. فلما مات اختلف الأمراء فطائفة طلبوا ملكشاه وأخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه عمه وهم الأكثر، وطائفة طلبوا أسلان الذي مع ايلدكز فأما ملكشاه فإنه سار من خوزستان ومعه دكلا صاحب فارس وشملة التركماني وغيرهما، فوصل إلى أصفهان فسلمها إليه ابن الخجندي وجمع له مالاً أنفقه عليه وأرسل إلى العساكر بهمذان يدعوهم إلى طاعته فلم يجيبوه لعدم الاتفاق ولأن أكثرهم كان يريد سليمان شاه.

ذكر مسير سليمان شاه بن محمد طبر إلى همذان(٣)

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة سار سليمان شاه من الموصل إلى همذان وكان معتقلاً بها كما قدمناه؛ فلما مات السلطان محمد بن محمود أرسل أكابر الأمراء من همذان إلى أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في طلبه منه ليولوه السلطنة، فاستقرت القاعدة بينهم أن يكون سليمان شاه هو السلطان وقطب الدين ودود أتابكه وجمال الدين وزير قطب الدين وزيره؛ وتحالفوا على ذلك وجهزه قطب الدين بما يحتاج إليه من الأموال والخيول وغير ذلك. فلما قارب بلاد الجبل

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٢٥٠، والمختصر لأبي الفداء ج٣، ص٣٤.

(٢) كانت وفاته في سنة ٥٥٤هـ في المنتظم لابن الجوزي ج١٠، ص١٩١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٣١٥. وتوفي ٥٥٥هـ في الأعلام للزركلي ج٧، ص٨٦.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٢٥٤، وصبح الأعشى للقلقشندي ج٤، ص٤١٩.

أقبلت العساكر إليه أرسالاً فاجتمع عسكر عظيم فخافهم قطب الدين مودود على نفسه؛ وعاد إلى الموصل. فلما فارقه قطب الدين لم ينتظم أمره وقبض العسكر على سليمان شاه بباب همذان في شوال سنة ست وخمسين وخمسمائة.

ذكر سلطنة أرسلان شاه ابن الملك طغرل ابن محمد طبر

قال: لما قبض الأمراء على سليمان شاه في شوال خطبوا لأرسلان شاه، وهو الذي كان قد تزوج أيلدكز بأمه، ثم خطب له في سنة ثمان وخمسين بقومس وبسطام ودامغان[١] وذلك أن المؤيد صاحب نيسابور فتح هذه الجهات وخطب بها لأرسلان شاه فأرسل إليه الخلع فلبسها المؤيد؛ ودام ملك أرسلان شاه إلى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، فتوفي ولم أقف من أخباره على شيء فأذكره. وذلك أن الدولة السلجقية كانت قد ضعفت وبقي ملوكها يقتصرون على حفظ ما بأيديهم دون التطلع إلى ما سواه. ولما مات أرسلان شاه خطب بعده لولده طغرل.

ذكر أخبار السلطان طغرل بن أرسلان شاه[٢] ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان

خطب له بالسلطنة ببلاد الجبل بعد وفاة أبيه أرسلان شاه في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، ونحن نذكر ما ظفرنا به من أخباره على سبيل التلخيص والاختصار.

ذكر الحرب بين طُغرل وجيوش الخليفة الناصر لدين الله[٣] وظفره بهم

وفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة جهز الخليفة الناصر لدين الله عسكرًا كثيفًا؛ وجعل المقدم على الجيش وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس، وسيرهم لمساعدة قزل على كف السلطان طغرل عن البلاد. فسار العسكر في ثالث صفر إلى أن قارب

---

(١) قومس بالضم ثم السكون وكسر الميم: كورة كبيرة تحتوي على مدن وقرى وهي واقعة في ذيل جبال طبرستان. وتشمل قومس بلدتان كبيرتان هما بسطام ودامغان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤، ص٤١٤.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ج١١، ص٤٤٢.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير ج١١، حوادث سنة ٥٨٤هـ.

همذان، وخرج طغرل إليهم، والتقوا واقتتلوا في ثامن شهر ربيع الأول عند همذان، فانهزمت عساكر بغداد ولم تثبت، وأخذ أصحابه ما كان مع الوزير من خزانة وغيرها وعاد إلى همذان.

ذكر اعتقال طغرل وخلاصه وما كان من أمره[(١)] إلى أن قتل، وانقراض الدولة السلجقية

قال: واتفق أن قزل أرسلان بن أيلدكز ظفر بالسلطان طغرل، واعتقله، ولم أظفر بتاريخ اعتقاله[(٢)] ولا كيفيته[(٣)] فأذكره، إلا أنه لم يزل في اعتقاله إلى أن مات قزل أرسلان في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، فخرج طغرل من حبسه بعد قزل واجتمع عليه جماعة والتقى هو وقتلغ اينانج[(٤)] بن البهلوان بن ايلدكز، فانهزم اينانج إلى الري، وملك طغرل همذان وغيرها؛ فأرسل قتلغ اينانج إلى علاء الدين خوارزم شاه تكش يستنجده، فسار إليه فلما تقاربا ندم قتلغ اينانج على استدعائه خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى بين يديه؛ وتحصن في قلعة له، فوصل خوارزم شاه إلى الري وملكها، وفتح قلعة طبرك[(٥)] فراسله طغرل واصطلحا.

ذكر مقتل السلطان طغرل وانقراض الدولة السلجقية[(٦)]

كان مقتله في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة؛ وسبب ذلك أنه قصد الري فأغار على من به من أصحاب خوارزم شاه تكش وفر منه

---

(١) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٥٨.

(٢) ورد في راحة الصدور وآية السرور للراوندي، ص٥٠٠، حاشية (٣) إن هذا التاريخ هو رمضان سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م.

(٣) كان أسر السلطان طغرل في قلعة دزمار وقيل أيضًا في كهران: انظر الراوندي: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) في الأصل «فبلغ بن إيناتج» والتصحيح من الكامل لابن الأثير ج١٢، ص١٠٦.

(٥) طبرك: بفتح أوله وثانيه والراء قلعة على رأس جبيل تقع بالقرب من مدينة الري. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤، ص١٦.

(٦) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ج٤، ص٥٨، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص٣٠١، والكامل لابن الأثير، ج١٢، ص١٠٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص١٢١.

قتلغ اينانج بن البهلوان[١]، فراسل خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور بإقطاعه البلاد. فسار خوارزم شاه لقتاله. فلما سمع طغرل بذلك كانت عساكره متفرقة فما أمهل حتى يجمعها، بل سار فيمن معه وكان يدل بشجاعته؛ فالتقى العسكران بالقرب من الري؛ فحمل طغرل بنفسه في وسط عسكر خوارزم شاه، فأحاطوا به وألقوه عن فرسه[٢]، وقتلوه وحملوا رأسه إلى خوارزم شاه، فأنفذ الرأس إلى بغداد فنصبها بباب النوبى. وملك خوارزم شاه جميع تلك البلاد وانقرضت الدولة السلجقية من العراق والجبال وخراسان، ولم يبق من البيت السلجقي إلا من هو ببلاد الروم، على ما نذكره بعد ذكر الملوك السلجقية بالشام إن شاء الله.

وكانت مدة هذه الدولة منذ خطب لداود في شهر رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة؛ مائة سنة وإحدى وستين سنة وثمانية أشهر وأيامًا. ومدتها بالعراق منذ خطب للسلطان طغرل بك ببغداد في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وإلى أن قطعت عند إخراج مسعود البلالي الشحنة من بغداد في شهور سنة تسع وأربعين وخمسمائة؛ مائة سنة وستين. فلنذكر أخبار الملوك السلجقية بالشام.

ذكر أخبار الملوك السلجقية بالشام وحلب[٣]

وأول من ملك منهم السلطان تاج الدولة تُتُش[٤] بن ألب أرسلان محمد بن جغربيك داود بن ميكائيل بن سلجق وهو أخو ملكشاه وكان السلطان ملكشاه قد أقطعه الشام وما يفتحه من تلك النواحي في سنة سبعين وأربعمائة، فجاء إلى حلب وحصرها ولحق أهلها مجاعة شديدة. وكان معه جماعة كثيرة من التركمان فأنفذ إليه

---

(١) البهلوان: هو محمد بن إلدكز شمس الدين صاحب بلاد الجبل والري وأصفهان وأذربيجان. ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص١٠٧.

(٢) «جاءته نشابة في عينه فضربه مملوك له بالسيف فقتله وقطع رأسه» ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج٤، ص٣٠١.

(٣) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٨٨.

(٤) ولد تتش سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م وقتل سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، ابن خلكان وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٥، رقم ١٢٢.
أخباره في: الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص١١١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص١٣٥، وص١٥٣، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٣، ص٣٨٤، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص١١٦، ١٢٠، ١٢٥ لصدر الدين الحسيني ص٧٥ ـ ٧٨.

الأقسيس[١] صاحب دمشق يستنجده على العساكر المصرية، لأنها كانت قد حاصرته بدمشق من قبل أمير الجيوش بدر الجمالي، فسار إلى نصرة الأقسيس. فلما سمع العسكر المصري بقربه فارقوا البلد وعادوا إلى مصر، وخرج الأقسيس يلتقيه عند سور دمشق، فاغتاظ منه تُتُش كونه لم يتقدم في تلقيه، وعاتبه، فاعتذر بأمور لم يقبلها منه، فقبض عليه تُتُش في الوقت وقتله، وملك دمشق وأحسن السيرة في أهلها، وعدل فيهم، وذلك في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقيل في سنة اثنتين وسبعين.

وفي سنة أربع وسبعين افتتح تاج الدولة تُتُش انطرطوس بعض الحصون الساحلية وعاد إلى دمشق. وفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة كانت الحرب بينه وبين سليمان بن قتلمش السلجقي صاحب الروم وأنطاكية، فهزم عسكره وقتله على ما نذكره إن شاء الله في أخبار سليمان. وملك تُتُش مدينة حلب خلا القلعة. فكتب العتابي إلى السلطان ملكشاه يستدعيه، فوصل إليها وفارقها تُتُش كما قدمنا ذكره.

ذكر استيلائه على حمص وغيرها من ساحل الشام[٢]

كان تاج الدولة تتش قد توجه إلى أخيه السلطان ملكشاه إلى بغداد في سنة أربع وثمانين، وجاء إليه أيضًا زعماء الأطراف، فلما أذن لهم في العود أمر ملكشاه آقسنقر صاحب حلب، وتوران صاحب الرها، أن يسيرا في خدمة أخيه تتش بعساكرهما إلى أن يستولي على ما هو للمستنصر العلوي صاحب مصر بساحل الشام من البلاد؛ ويتوجها معه إلى مصر ليملكها.

فساروا في سنة خمس وثمانين، ونزل تتش على حمص وحصرها وبها صاحبها ملاعب[٣]، وكان الضرر به وبأولاده عظيمًا على المسلمين، فحصروا البلد وضيّقوا على من به وملكه تتش، وأخذ ملاعب[٤] وولديه. ثم سار إلى قلعة عرقة[٥]، وهي

(١) هو أحد القادة الأتراك من أتباع ألب أرسلان إتسز بن أبق. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٨٩ ـ ١١٢.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٠٢.

(٣) «ابن ملاعب» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٠٢ وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص١٣٠.

(٤) «ابن ملاعب» وهو حسين بن ملاعب قتل سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م انظر النجوم الزاهرة ج٥، ص١٦٧.

(٥) عِرقة: بكسر أوله. شرقي طرابلس. وهي آخر عمل دمشق. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤، ص١٠٩.

بالقرب من طرابلس فملكها وملك أفامية[1]، ثم نازل طرابلس وبها جلال الملك بن عمّار، فراسل [ابن عمّار] آقسنقر وحمل إليه ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم إلى النواب بتلك البلاد بمساعدته، والتحذير من محاربته فقال اقسنقر لتتش: «أنا لا أقاتل من هذه المناشير بيده» ورحل من الغد، فرحل تاج الدولة وعاد بوزان إلى بلاده، والله أعلم.

ذكر ما تقوله في طلب السلطنة

قال: لما بلغ تاج الدولة تتش قدوم أخيه السلطان ملك شاه إلى بغداد توجه من دمشق إلى خدمته، فلما وصل إلى هيت[2] أتاه الخبر بموته، فاستولى على هيت وعاد إلى دمشق. فتجهز لطلب السلطنة، وجمع العساكر وأخرج الأموال وسار إلى حلب وبها قسيم الدولة اقسنقر، فصالحه قسيم الدولة وأتبعه لما علم من اختلاف أولاد صاحبه، وأرسل إلى ياغي سيان صاحب أنطاكية وإلى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تاج الدولة، حتى يروا ما يكون من أولاد ملكشاه، ففعلوا ذلك وصاروا معه وخطبوا له في بلادهم.

وقصد تُتُش الرحبة فملكها في المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة، ثم سار إلى نصيبين ففتحها عنوة وقتل من أهلها خلقًا كثيرًا ونهب الأموال وفعل الأفعال القبيحة، ثم سلمها إلى الأمير محمد بن شرف الدولة العقيلي. وسار يريد الموصل، وأتاه الكافي بن فخر الدولة بن جهير وكان بجزيرة ابن عُمَر[3] فاستوزره، والتقى بإبراهيم بن قريش بن بدران أمير بني عُقَيل[4] في شهر ربيع الأول. وكان إبراهيم في ثلاثين ألفًا وتُتُش في عشرة آلاف، فاقتتلوا فانهزم إبراهيم والعرب، ثم أُخذ أسيرًا وجماعة من العرب فقتلوا صبرًا، ونهبت أموالهم وما معهم من الخيل والإبل والأغنام وغيرها وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفًا من السبي والفضيحة، وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها، واستناب بها علي بن شرف الدولة مسلم وهو ابن صفية عمة تتش.

---

(١) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٢٧.

(٢) هيت: سميت هيت لأنها في هوة من الأرض، هي مدينة على جانب الفرات الغربي. لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص٩٠. انظر أيضًا معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٥، ص٤٢٠.

(٣) جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل، محاطة بدجلة إلا من جهة واحدة وأنشىء خندق أجري فيه الماء ونُصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع الجهات. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٨.

(٤) بنو عقيل: قبيلة من القبائل العربية سيطرت على الموصل سنة ٩٩٦. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦٩.

ذكر ملكه ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام[١]

قال: ثم سار تاج الدولة تُتُش في شهر ربيع الآخر فملك ميافارقين[٢] وسائر ديار بكر من ابن مروان، وسار منها إلى أذربيجان. وانتهى خبره إلى ابن أخيه بركياروق وكان قد استولى على كثير من البلاد، فسار في عسكره ليتبع عمه، فلما تقارب العسكران اجتمع قسيم الدولة وبوزان وقالا: «نحن إنما أطعنا هذا حتى ننظر ما يكون من ابن صاحبنا وقد ظهر أمره» ففارقاه والتحقا ببركياروق فعاد تُتُش إلى الشام.

ذكر عود تتش إلى البلاد وملكه همذان وغيرها[٣]

قال: ولما عاد إلى الشام أخذ في جمع العساكر فكثرت جموعه وعظم جنده. فسار في سنة سبع وثمانين وأربعمائة عن دمشق نحو حلب لطلب السلطنة، فاجتمع قسيم الدولة اقسنقر وبوزان وأمدهما السلطان ركن الدولة بركياروق بالأمير كربوقا. فالتقوا بالقرب من تل السلطان[٤] قريب حلب واقتتلوا واشتد القتال فانهزموا، وثبت قسيم الدولة فأخذ أسيرًا وجيء به إلى تاج الدولة فقال له: «ما كنت تصنع بي لو ظفرت» قال: «كنت أقتلك» قال: «فأنا أحكم عليك بحكمك» فقتله صبرًا. وسار نحو حلب، ودخلها وأسر بوقا وبوزان وتسلم الرها وحران. وسار إلى بلاد الجزيرة فملكها جميعها، وملك ديار بكر وخلاط. وسار إلى أذربيجان فملك جميع بلادها، ثم منها إلى همذان فملكها، واستوزر فخر الملك بن نظام الملك[٥].

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٢٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٥، ص١٢٣ و١٣٥.

(٢) ميافارقين: بفتح أوله وتشديد ثانيه: أشهر مدينة بديار بكر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٥.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٣٢.

(٤) تل السلطان: موضع قريب من حلب، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٢.

(٥) نظام الملك: هو الوزير الذي كان ساعد ملكشاه الأيمن ومستشاره الأمين. وكان هو وأولاده الاثني عشر يقبضون على زمام الأمور. توفي في العاشر من شهر رمضان سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م بعد أن تقلد الوزارة لألب أرسلان وملكشاه نحوًا من ثلاثين سنة. أخباره في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٠٤، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٣٠ ـ ٣٣، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص١٣٣.

ذكر انهزام بركياروق منه(١)

قال: ولما سار تتش إلى أذربيجان كان بركياروق(٢) بنصيبين فبلغه الخبر. فسار إلى قتاله ولم يكن معه غير ألف رجل، وعمه في خمسين ألفًا. فجهز إليه عمه بعض الأمراء فكبسه وهزمه ونهب سواده، فسار إلى أصفهان على ما ذكرناه في أخباره وخطب للسلطان تاج الدولة ببغداد.

ذكر قتل تاج الدولة تُتُش(٣)

قال: ولما هزم بركياروق سار من موضع الوقعة إلى همذان، ثم سار إلى الري وكاتب الأمراء الذين بأصفهان يدعوهم إلى طاعته، ويبذل لهم الأموال الكثيرة. وكان بركياروق مريضًا بالجدري، فأجابوه يعدونه أنهم ينحازون إليه، وهم ينتظرون ما يكون من صاحبهم. فلما عوفي بركياروق أرسلوا إلى تُتُش أنه ليس لك عندنا إلا السيف، وخرجوا له والتقوا بموضع قريب من الري، وقد كثرت جموع بركياروق، فانهزم أصحاب تتش وثبت هو في القلب فقتله أصحاب قسيم الدولة بثأر صاحبهم، والله أعلم.

ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق(٤) بعد قتل أبيهما تتش

قال: كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان. وكتب

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٩٦.

(٢) بركياروق: هو السلطان ركن الدولة بركياروق ابن السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب بن داود بن سلجوق بن دقماق السلجوقي أبو المظفر. مات في شهر ربيع الأول من السنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م وهو ابن أربع وعشرين سنة ومدة سلطنته ١٢ سنة. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٥، ص١٨٨. انظر أيضًا الصفحة ٤٩١ ـ ٤٩٥ أخباره في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٦٥، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٨٠، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٣٨ ـ ٤٣.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٢٩، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٣، ص٣٨٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج١، ص٢٩٥ ـ ٢٩٧.

(٤) ورد في أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني ص١ ـ ٢ أن جد السلاجقة يقال له: بقاق، وتقاق، ودقاق، ودقاق بن تتش في معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمباور. يقول ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج٥، ص١٨٦: «توفي دقماق بن تُتُش الأمير أبو نصر شمس الملوك السلجوقي صاحب دمشق سنة ٤٩٧هـ وسمّاه الذهبي وصاحب مرآة الزمان دقاقًا بلا ميم ولعل الذي قلناه هو الصواب، فإننا لم نسمع باسم قبل ذلك يقال له دقاق وأيضًا فإن جد السلجوقيين الأعلى اسمه دقماق».

إليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره بالمسير إلى بغداد، وأن يقيم بدار المملكة. فسار في عدد كثير منهم إيلغازي بن أرتق[١]، والأمير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما. فلما قارب هيت جاءه الخبر بقتل أبيه، فعاد إلى حلب ومعه والدته فملكها، وكان بها أبو القاسم بن علي الخوارزمي قد سلمها تتش إليه، وحكّمه فيها وفي القلعة. ولحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن إيتكين، وكان مع تتش فسلم من المعركة. وكان مع رضوان أيضًا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام فكانوا كلهم مع أبي القاسم كالأضياف لتحكمه في البلد؛ فاستمال جناح الدولة المغاربة، وكانوا أكثر أجناد القلعة. فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان، واحتاطوا على أبي القاسم، وأرسل إليه الملك رضوان يطيّب قلبه، فاعتذر فقبل عذره، وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها، وكانت الخطبة[٢] قد دامت باسم أبيه بعد قتله نحو شهرين.

وسار جناح الدولة في تدبير الدولة أحسن سيرة، وخالف عليهم الأمير ياغي سيان[٣] بن محمد بن ألب التركماني صاحب أنطاكية ثم صالحهم، وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها. فساروا جميعًا وقدم عليهم من بالأطراف الذين كان تتش قد رتبهم فيها، وقصد واسروج، فسبقهم إليها الأمير سقمان بن أرتق فأخذها ومنعهم منها، وأمر أهل البلد فخرجوا إلى رضوان وتظلموا من عساكره وما يفسدونه من غلاتهم، ويسألونه الرحيل. فرحل عنهم إلى الرها، وكان بها رجل يقال له الفارقليط ـ كان يضمن البلد من بوزان ـ فقاتل قتالاً شديدًا ثم ملكها. وطلب ياغي سيان القلعة من رضوان فوهبها له، فتسلمها وحصنها، فهرب رجالها وأرسل إليهم أهل حران يطلبونهم ليسلموا إليهم البلد، فسمع ذلك قراجا فصلب ابن الفتى وغيره ممن اتهمهم وجاء الخبر إلى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وياغي سيان وأضمر كل منهما لصاحبه الغدر، فهرب جناح الدولة إلى حلب فدخلها، واجتمع بزوجته أم الملك رضوان. وسار رضوان وياغي إلى حلب، فسمع بدخول جناح الدولة إليها، ففارق ياغي سيان الملك رضوان وسار إلى أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي ودخل رضوان حلب.

---

(١) هو نجم الدين ايلغازي بن أرتق. النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢١٨.
(٢) انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ص٢٣٢، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج٥، ص١٦٥.
(٣) «باغيسيان» في الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٤٨٨هـ.

هذا ما كان من أمر رضوان، وأما الملك دقاق بن تتش، فإنه كان قد حضر المصاف مع أبيه، فلما قتل أبوه أخذه إيتكين الحلبي - وهو من غلمان أبيه - وسار به إلى حلب، فأقام عند أخيه الملك رضوان. ثم راسله الأمير ساوتكين الخادم - متولي دمشق - سرًا يدعوه ليملكه دمشق؛ فهرب من حلب. فأرسل أخوه رضوان في طلبه عدة من الخدام فلم يدركوه، وسار حتى وصل إلى دمشق ففرح به ساوتكين الخادم وأظهر البشر لوروده. فلما صار بدمشق أرسل إليه ياغي سيان يشير عليه أن ينفرد بملك دمشق عن أخيه رضوان. واتفق وصول معتمد الدولة طغتكين إلى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد سلموا من الوقعة وكان طغتكين قد أسر ثم خلص فلما وصل إلى دمشق لقيه الملك دقاق وأرباب الدولة وبالغوا في تعظيمه وإكرامه. وكان طغتكين زوج والدة دقاق، فمال إليه لذلك ووثق به وحكمه في بلاده. ثم اتفقا على قتل ساوتكين الخادم فقتلاه. وسار إليه ياغي سيان من أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فجعله وزيرًا لدقاق، وحكمه في دولته. فصارت دمشق لدقاق وحلب لرضوان.

ذكر الحرب بين الملكين رضوان[١] وأخيه دقاق

وفي سنة تسعين وأربعمائة سار الملك رضوان من حلب إلى دمشق يريد الاستيلاء عليها وانتزاعها من أخيه دقاق. فلما قاربها رأى حصانتها وامتناعها، فعلم عجزه عنها. فسار إلى نابلس وإلى القدس ليأخذه، فلم يمكنه ذلك وانقطعت العساكر عنه فعاد إلى حلب ومعه ياغي سيان صاحب أنطاكية وجناح الدولة وكانا قد التحقا به. ثم فارقه ياغي سيان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب. فجمع دقاق عساكره وسار ومعه ياغي سيان، فأرسل رضوان إلى سقمان بن أرتق وهو بسَرُوج[٢] يستنجده، فأتاه في خلق كثير من التركمان. فسار بهم رضوان نحو دقاق والتقيا بقِنّسرين[٣]، واقتتلا فانهزم دُقاق وعسكره ونُهبت خيامهم وأموالهم وعاد رضوان إلى حلب. ثم اتفقا على أن يخطب لرضوان بدمشق وأنطاكية قبل أخيه دقاق، وقيل كان ذلك في سنة تسع وثمانين.

---

(١) توفي رضوان ابن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص١٦.

(٢) سروج: بفتح أوله وهي بلدة قريبة من حرّان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣، ص٢١٦.

(٣) قنسرين: بكسر أوله وفتح ثانيه: مدينة قريبة من حلب. وكانت حمص وقنسرين شيئًا واحدًا، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٠٣.

وفي سنة تسعين وأربعمائة خطب الملك رضوان في أكثر ولايته للمستعلي بأمر الله صاحب مصر[١]. وسبب ذلك أن جناح الدولة كان قد فارق رضوان لتغير رآه منه، وجاء إلى حمص وكانت له، فلما رأى ياغي سيان بعده عن رضوان صالحه، وجاء إلى حلب، ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أبو سعد يميل إليه، فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذهب العلويين. وأتته رسل المستعلي تدعوه إلى طاعته ويبذل له المال وإنفاذ الجيوش لأخذ دمشق، فخطب له بشيزر[٢] وجميع أعمال ولايته سوى أنطاكية، وقلعة حلب، والمعرّة[٣]، وكانت الخطبة أربع جمع. ثم حضر إليه سُقمان بن أُرتُق وياغي سيان فأنكرا ذلك واستعظماه فأعاد الخطبة العباسية. وسار ياغي سيان إلى أنطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة أيام حتى وصل الفرنج إليها وحصروها وملكوها في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار المستعلي صاحب مصر.

ذكر ملك دقاق مدينة الرَّحبة[٤]

وفي شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة ملك الملك دقاق مدينة الرحبة؛ وكانت بيد قايماز أحد مماليك السلطان ألب أرسلان، استولى عليها لما قتل كربوقا، فسار دقاق وطغتكين أتابكه إليه وحصراه، ثم رحلا عنه. فاتفقت وفاته في صفر من هذه السنة، وقام مقامه غلام تركي اسمه حسن، وخطب لنفسه وخاف من الملك دقاق، فاستظهر لنفسه وأخذ جماعة من أعيان البلد وصادرهم وحبس آخرين، فسار دقاق إليه وحاصره، سلم العامة البلد واعتصم هو بالقلعة فأمنه دقاق وسلمها له فتسلمها وأقطعه إقطاعًا كثيرًا بالشام، وقرر الرحبة وجعل فيها من يحفظها وعاد إلى دمشق.

ذكر وفاة الملك دقاق وملك ولده ثم أخيه

كانت وفاته في شهر رمضان سبع وتسعين وأربعمائة. ولما توفي خطب أتابكه

(١) في سنة ٤٨٩هـ ورد كتاب صاحب مصر إلى رضوان بن تتش بالدخول في الطاعة، فأجاب وخطب للمستعلي في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٥، ص١٥٦.

(٢) شيزر: بفتح أوله، قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣، ص٣٨٣.

(٣) المعرة: هي معرّة النعمان، مدينة كبيرة قديمة، من أعمال حمص بين حلب وحماه. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥، ص١٥٦.

(٤) الرّحبة: قرية من قرى دمشق، ياقوت الحموي: المصدر نفسه ج٣، ص٣٣.

طغرتكين لولد له صغير عمره سنة واحدة، ثم قطع خطبته وخطب لبلتاش[١] بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة. ثم أشار عليه طغرتكين بقصد الحربة فخرج إليها وملكها، وعاد فمنعه من دخول البلد، فمضى إلى حصون له. وأعاد طغرتكين خطبة الطفل ولد دقاق، وقيل إن والدة بلتاش خوّفته من طغرتكين وقالت له: إنه زوج أم دقاق، وهي لا تتركه حتى يقتلك ويستقيم الملك لولد ابنها، فخاف. ثم حسن له من [كان][٢] يحسد طغرتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج، والعود إلى دمشق وأخذها من طغرتكين فخرج من دمشق سرًا في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة مع صغر سنه. ولحقه الأمير إيتكين الحلبي وهو صاحب بصرى، فعاثا في ناحية حوران ولحق بهما من كان يريد الفساد، وراسلا بغدوين ملك الفرنج[٣] يستنجدانه، فأجابهما إلى ذلك. فسارا إليه واجتمعا به، وقررا معه القواعد، وأقاما عنده، فلم يريا منه إلا التحريض على الإفساد في أعمال دمشق وتخريبها. فلما يئسا من نصرته فارقاه وتوجها في البرية إلى الرحبة فملكها بلتاش وعاد عنها، واستقام أمر طغرتكين بدمشق، واستبد بالأمر وأحسن إلى الناس ونشر فيهم العدل.

هذا ما كان من أمر ملوك دمشق ثم انتقل ملكها إلى طغرتكين[٤] وأولاده من بعده على ما نذكره إن شاء الله تعالى بعد ذكرنا لملوك حلب السلجقية ومن ملكها بعدهم إلى أن ملكها أتابك زنكي بن أقسنقر.

ذكر أخبار ملوك حلب

قد قدمنا أن حلب كانت بيد الملك رضوان بن تتش، فلم تزل بيده إلى أن توفي في سنة سبع وخمسمائة. وكانت أموره غير مشكورة فإنه قتل أخويه أبا طالب وبهران وكان يستعين في كثير من أموره بالباطنية لقلة تدبيره. فلما مات ملك بعده ابنه تاج الملوك ألب أرسلان الأخرس، وعمره ست عشرة سنة. ولم يكن أخرس، وإنما كان في لسانه حبسة وتمتمة وأمه بنت ياغي سيان الذي كان صاحب أنطاكية.

---

(١) «وخطب لبكتاش بن تُتُش» في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٣٧٦.

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٣٧٥.

(٣) هو بلدوين وفي الأول.

(٤) هو تزوج والدة دقاق أو دُقماق. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٥، ص١٨٦.

قال: ولما ملك تاج الملوك سلك سنّة أبيه في قتل إخوته فقتل أخوين له وهما شقيقه ملكشاه، ومبارك لأبيه، واستولى على أمور دولته لؤلؤ الخادم، فلم يكن لتاج الملوك معه في السلطنة غير اسمها، ومعناها للؤلؤ. ولم تطل مدته في الملك، فإن غلمانه قتلوه في سنة ثمان وخمسمائة، وأقاموا بعده أخاه السلطان شاه بن رضوان، فكان مع لؤلؤ كعادة أخيه. فلما كان في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ـ وقيل سنة عشر ـ قتل لؤلؤ المستولي على الأمر. وكان سبب قتله أنه أراد قتل سلطان شاه كما فعل بأخيه، ففطن غلمان سلطان شاه لذلك، فبادروه بالقتل. وولي أتابكة سلطان شاه بعد شمس الخواص يارقتاش، فبقي شهرًا وعزلوه، وولي بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه. فخاف أهل حلب من الفرنج فسلموا البلد إلى الأمير نجم الدين إيلغازي بن أرتق وانقرضت الدولة السلجقية من حلب، والله أعلم.

ذكر أخبار من ملك حلب بعد انقراض الدولة[1] السلجقية منها

ملكها الأمير نجم الدين إيلغازي بن أرتق باتفاق أهلها في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، فتسلمها. وكان له مع الفرنج وقائع كثيرة وحروب يطول شرحها. واستناب بحلب ولده سليمان، فخالفه وعصى عليه. في سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان عمره إذ ذاك عشر سنين، فبلغ والده الخبر، فسار مجدًا فلم يشعر إلا وقد هجم البلد وقبض على من كان حسّن لابنه العصيان، وقتلهم. وكان منهم إنسان من أهل حماة من بيت قرناص، كان إيلغازي قد قدمه على أهل حلب وجعل إليه الرئاسة فجازاه بذلك، فقطع يديه ورجليه وسمله فمات. وأراد قتل ولده فمنعته رقة الوالد، واستناب بحلب سليمان شاه ابن أخيه عبد الجبار بن أرتق، ولقبه بدر الدولة، وعاد إلى ماردين؛ فلم تزل حلب بيده، إلى أن توفي في سنة ست عشرة وخمسمائة بميافارقين. وبقي سليمان بحلب إلى أن استولى عليها، ابن عمه بلك بن بهرام بن أرتق؛ وبقيت بيد بلك إلى أن قتل في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وهو يحاصر منبج[2]، وكان قد قبض على صاحبها حسان البعلبكي، وملك المدينة وحاصر القلعة، فأتاه سهم فقتله وكان حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي مع عمه بلك، فحمله مقتولاً إلى ظاهر حلب، فتسلمها في العشرين من شهر ربيع الأول سنة ثماني عشرة،

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٣١.

(٢) منبج: بالفتح ثم السكون: مدينة كبيرة غربي الفرات. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥، ص٢٠٥.

واستولى عليها، وجعل فيها نائبًا يثق به، وعاد إلى ماردين. وكان يحب الدعة والرفاهية، فلما عاد إلى ماردين ملك حلب اقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمكاتبة من أهلها، لأن الفرنج كانوا حاصروهم وضيّقوا عليهم، فكتبوا إليه يستنجدونه، فحضر بعساكره، فرحل الفرنج عنها، وملكها في ذي الحجة سنة ثماني عشرة، فكانت بيده إلى أن قتل في سنة عشرين وخمسمائة على يد الباطنية.

وملك بعده ابنه عز الدين مسعود إلى أن توفي في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، فبقيت بيد نائبه قومان، ثم استناب بعده بها قتلغ، فوصل إليها بعد وفاة مسعود، وتسلمها في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، فظهر منه بعد أيام جور عظيم وظلم شديد، ومدّ يده إلى أموال الناس. وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق ـ الذي كان صاحبها قديمًا ـ فأطاعه أهلها، وقبضوا على أصحاب قتلغ الذين بالمدينة في شوال من السنة، وحاصروه في القلعة. فسمع الفرنج بذلك فتقدموا إلى المدينة، فصولحوا بمال حتى رحلوا عنها. وداموا على حصار قتلغ بالقلعة إلى منتصف ذي الحجة، ثم ملكها عماد الدين زنكي بن اقسنقر، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة الأتابكية. هذا ما كان من أمر حلب، فلنذكر أخبار دمشق.

ذكر أخبار من ملك دمشق بعد انقراض السلجقية منها إلى أن ملكها نور الدين محمود بن زنكي

أول من ملكها معتمد الدولة ظهير الدين طغرتكين[1]، وقيل فيه طغركين وطغدكين. استولى على دمشق كما قدمناه في سنة سبع وتسعين وأربعمائة، واستقل بالأمر منذ فارقها الملك بلتاش بن تتش وكان لطغرتكين مع الفرنج وقائع كثيرة في سنين عديدة يطول شرحها، أضربنا عن ذكرها لأنها لم تسفر عن فتح بلد ولا أسر ملك وملك طغرتكين بصرى في سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وكانت بيد إيتكين

---

(١) هو ظهير الدين أبو المنصور طغتكين بن عبد الله الأتابك صاحب الشام مملوك تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان السلجوقي كان طغتكين مقدمًا عند أستاذه تُتُش المذكور. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٢٧.

أخباره في: النجوم الزاهرة ج٥، ص١٧٩، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٩، ٢٠٣، ٥٠٨، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٤، ص٦٦، الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٣٩٩، تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٦٣.

الحلبي، فلما صار مع السلطان الملك بلتاش كما ذكرنا سلمها أهلها لطغرتكين، فتسلمها وأحسن إليهم؛ واستمر في ملك دمشق إلى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، فتوفي في ثامن عشر صفر منها، وكان عاقلاً خيِّرًا، كثير الغزو والجهاد للفرنج، حسن السيرة في رعيته، مؤثرًا للعدل فيهم. ولما توفي ملك بعده ابنه والله أعلم.

ذكر أخبار تاج الملوك بوري بن أتابك طغرتكين

ملك دمشق بعد وفاة أبيه في ثامن عشر صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بوصية من أبيه له بالملك. وكان أكبر أولاده، فلما ملك أقر وزير والده ـ وهو أبو علي طاهر بن سعيد المزدغاني ـ على وزارته.

ذكر أخبار الإسماعيلية وقتل الوزير المزدغاني

كان بهرام مقدم الإسماعيلية قد هرب قديمًا من بغداد إلى الشام بعد قتل أخيه إبراهيم الإسدابادي، وملك قلعة بانياس، وجعل خليفته بها يدعو الناس إلى مذهبه، فكثروا وانتشروا؛ وملك عدة حصون منها القدموس وغيره، وهي الآن تعرف بقلاع الإسماعيلية، من الأعمال المضافة إلى المملكة الطرابلسية.

وكان بوادي (التيم) من أعمال بعلبك أرباب مذاهب مختلفة منهم النصيرية الدرزية والمجوس وغيرهم، وأميرهم اسمه الضحاك، فسار إليهم بهرام في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وقاتلهم، فخرج إليه الضحاك في ألف رجل، وكبس عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة، وقتل بهرام فيمن قتل، وانهزم من بقي وأتوا بانياس على أقبح صورة. وكان بهرام قد استخلف على بانياس رجلاً من أعيان أصحابه اسمه إسماعيل، فقام مقامه، وجمع شمل من سلم من أصحابه، وبثّ دعاته في البلاد، وساعده الوزير المزدغاني وعاضده وأقام المزدغاني بدمشق عوض بهرام إنسانًا اسمه أبو الوفا، فقوي أمره على شأنه، وكثر أتباعه حتى صار هو المستولي على دمشق، وحكم أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك. ثم إن المزدغاني راسل الفرنج ليسلم إليهم مدينة دمشق ويسلموا إليه مدينة صور، واستقر الأمر بينهم على ذلك، وتقرر الميعاد في يوم جمعة عينوه، وقرر المزدغاني مع الإسماعيلية أن يحتاطوا على أبواب الجامع في ذلك اليوم، فلا يمكنوا أحدًا من الخروج منه، لتجيء الفرنج ويملكوا البلد. فاتصل الخبر بتاج الملوك. فاستدعى الوزير المزدغاني فحضر إليه فلما خلا به قتله وعلّق رأسه على

باب القلعة، ونادى في الناس[1] بقتل الباطنية، فقتل منهم ستة آلاف؛ وذلك في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة فخاف إسماعيل متولي بانياس عند ذلك من الناس أن يثوروا به وبأصحابه، فسلّم بانياس إلى الفرنج، وانتقل إليهم هو ومن معه، فلقوا شدة عظيمة وهوانًا، ومات إسماعيل في أوائل سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

ذكر حصار الفرنج دمشق وانهزامهم[2]

قال: ولما بلغ الفرنج ما كان من قتل المزدغاني[3] عظمت المصيبة عليهم، واجتمعوا بجملتهم، صاحب القدس وصاحب أنطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من ملوك الفرنج وقمامصتهم ومن وصل إليهم في البحر فكانوا في ألفي فارس، وأما الراجل فلا يحصى كثرة، وساروا إلى دمشق لمحاصرتها، فبلغ ذلك تاج الملوك، فجمع العرب والتركمان فاجتمع معه ثمانية آلاف فارس، ووصل الفرنج إلى دمشق في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فنازلوها، وأرسلوا سراياهم إلى أعمالها لجمع الميرة والإغارة. فبلغ تاج الملوك أنهم ساروا إلى حوران، فسيّر أميرًا من أمرائه اسمه شمس الخواص في جمع من المسلمين، فلقوا الفرنج وقاتلوهم قتالاً شديدًا، كان الظفر للمسلمين وقتل الفرنج فلم يفلت منهم غير مقدمهم في أربعين رجلًا، وأخذوا أخذ المسلمون ما معهم وكان عشرة آلاف دابة موقرة، وثلاثمائة أسير، وعادوا إلى دمشق بالظفر والغنيمة. فألقى الله الرعب في قلوب الفرنج فرحلوا شبه المنهزمين، وأحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وغيره، وتبعهم المسلمون يقتلون من تخلف منهم. وكان نزولهم ورحيلهم في ذي الحجة. وفي سنة أربع وعشرين استوزر تاج الملوك الرئيس أبا الذوّاد المفرج بن الحسن بن الصوفي.

---

(١) في الأصل «ونادى في البلد» والتصحيح يقتضيه السياق.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٥٧.

(٣) «المزدقاني» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٥٧ هو كمال الدين طاهر بن سعد، الصاحب الوزير أبو علي المزدقاني كان شجاعًا جوادًا، بنى المسجد على الشرق شمالي دمشق ويسمى مسجد الوزير، ويقال له شرف البعل وهو بالشام. وقيل جبل في طريق الحاج من الشام. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٢٨، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج٤، ص٦٦.

وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

ثار الباطنية بتاج الملوك، فجرحوه جرحين فبرأ أحدهما وبقي الآخر، فاشتد عليه في شهر رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة فأضعفه وأسقط قوته فمات[١]، في الحادي والعشرين من الشهر. وكانت مدة إمارته أربع سنين[٢] وخمسة أشهر وأيامًا، وكان كثير الجهاد مقدامًا فأقام في حروبه مقام أبيه وفاق عليه ولما مات قام بعده ولده إسماعيل بوصية منه.

ذكر أخبار شمس الملوك إسماعيل ابن تاج الملوك بوري بن طغرتكين[٣]

ملك دمشق بعد وفاة أبيه في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة. وكان والده قد أوصى له بالملك ولولده الآخر شمس الدولة محمد بمدينة بعلبك وأعمالها. فنفذت وصيته وقام بتدبير الأمر بين يدي شمس الملوك الحاجب فيروز شحنة دمشق ـ وهو صاحب أبيه ـ واعتمد عليه، وابتدأ أمره بالرفق بالرعية، والإحسان إليهم.

قال: وبلغ شمس الملوك أن أخاه شمس الدولة صاحب بعلبك استولى على حصني اللبوة والراس واستمال من بهما وتسلمهما، وجعل فيهما من الجند من يحفظهما. فراسله في ذلك وتلطف معه وقبح عليه فعله، وطلب إعادتهما إليه، فامتنع. فتجهز بعساكره في آخر ذي الحجة[٤] من السنة وقصد جهة الشمال، ثم عطف مغربًا، فلم يشعر من بحصن اللبوة إلا وقد نزل عليهم، وزحف لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره، فراسلوه في طلب الأمان، فأمنهم وتسلم الحصن من يومه. وسار إلى حصن الراس وفعل به كذلك، وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما. ثم رحل إلى بعلبك وحصرها وبها شمس الدولة وقد استعد، فوالى الزحف حتى ملك البلد بعد قتال شديد. وتحصن شمس الدولة فنازله فراسله في طلب الأمان وأن يقره على ما أوصى له به والده، فأجابه إلى ذلك وعاد إلى دمشق.

---

(١) «مات في شهر رجب بعد سنين» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٤٣.
«جرح وتعلل أشهرًا ومات في رجب» في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص٧٨.

(٢) «وكانت ولاية بوري على دمشق ثلاث سنين وشهورًا» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٤٣.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٨٠.

(٤) «آخر ذي القعدة» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٨١.

ذكر ملكه قلعة بانياس[١]

وفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة ملك شمس الملوك قلعة بانياس من الفرنج. وسبب ذلك أن الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه. وكانت قد تقررت بينهم هدنة، فقصدوا نقضها، ومدوا أيديهم إلى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت، فشكا التجار ذلك إلى شمس الملوك، فراسل الفرنج في إعادة ما أخذوه، فلم يردوا شيئًا. فجمع العساكر وتأهب ولم يعلم أحدًا بمقصده. ثم سار في آخر المحرم من السنة ونزل على بانياس في صفر[٢]، وزحف زحفًا متتابعًا. وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه، وتبعه الناس فوصلوا إلى السور ونقبوه، ودخلوا البلد عنوة، والتجأ من كان فيه من جند الفرنج إلى الحصن، فقتل كثير من الفرنج بالبلد وقاتل من بالقلعة قتالاً شديدًا، ثم ملك القلعة بالأمان في رابع صفر وعاد إلى دمشق [فوصلها سادسه][٣].

ذكر ملكه مدينة حماة[٤]

وفي شوال سنة سبع وعشرين وخمسمائة ملك شمس الملوك مدنية حماة وهي لأتابك زنكي بن اقسنقر، وذلك أنه لما ملك قلعة بانياس أقام بدمشق إلى شهر رمضان، وسار إلى حماة في العشر الآخر منه. وكان قد بلغه أن الخليفة المسترشد بالله قد حضر إلى الموصل، فطمع في البلاد لتغير الخليفة على زنكي، فحصر حماة وقاتل من بها يوم العيد، وملك البلد في اليوم الثاني قهرًا، وطلب من به الأمان فأمنهم، وحصر القلعة، واستولى عليها وعلى ما بها من الذخائر، وسار منها إلى قلعة شيزر، وبها صاحبها ابن منقذ، فحصرها ونهب بلدها. فراسله صاحبها وسار معه بمال، فعاد إلى دمشق في ذي القعدة من السنة.

وفي تاسع شهر ربيع الآخر وثب على شمس الملوك بعض[٥] مماليك جده طغرتكين [يعرف بايلبا][٦]، فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئًا، وتكاثر عليه مماليك شمس الدولة فمسكوه، فقرره ما الذي حمله على ما فعل، فقال: «أردت راحة

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٨٤، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٤٤.
(٢) «في أول صفر» في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٦٨٤.
(٣) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٨٥.
(٤) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦.
(٥) «أحد» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٥، ص٢٤٦.
(٦) ما بين حاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٥، ص٢٤٦.

المسلمين من شرّك وظلمك» فلم يزل يضرب حتى أقر على جماعة أنهم وضعوه على ذلك، فقتلهم من غير تحقيق، وقتل أخاه سونج، فعظم ذلك على الناس، ونفروا عنه وأنفوه[١].

ذكر ملكه شقيف تيرون ونهبه بلد الفرنج[٢]

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة سار إلى شقيف تيرون[٣] وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا، وكان في يد الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به واحتمى على المسلمين والفرنج. فسار إليه شمس الملوك وملكه في المحرم من هذه السنة؛ فعظم أخذه على الفرنج، لأن الضحاك كان لا يتعرض إلى شيء من بلادهم المجاورة له، فجمع الفرنج جموعهم فساروا إلى بلد حوران يخربون أمهات الضياع. فسار إليهم [شمس الملوك] ونزل بإزائهم وجرت بينهم مناوشة عدة أيام، ثم نهض ببعض عسكره وجعل بقيتهم قبالة الفرنج. وسار وقصد بلاد طبرية والناصرة وعكا وما جاورها من البلاد، والفرنج لا يشعرون به، فقتل وخرب وأحرق وسبى وامتلأت أيدي المسلمين من الغنائم، فبلغ الفرنج خبره، فرجعوا إلى بلادهم، وعاد هو على غير الطريق الذي سلكه، فوصل سالمًا وراسله الفرنج في تجديد الهدنة.

ذكر مقتل شمس الملوك وملك أخيه شهاب الدين محمود

وفي شهر ربيع الأول[٤] سنة تسع وعشرين وخمسمائة، قتل شمس الملوك إسماعيل[٥]. وسبب ذلك أنه كان قد ركب طريقًا شنيعًا من الظلم ومصادرات العمال

---

(١) وردت هذه الحادثة في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي في سنة ٥٢٨هـ، ج٥، ص٢٤٦.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١١.

(٣) حصن بالقرب من صور، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٦.

(٤) «رابع عشر ربيع الآخر» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٢٠ «وزاد ظلمه من كتب أهل دمشق إلى زنكي بن آق سنقر بالمسير إليهم. فقيل: إنه مات قبل وصول زنكي إلى الشام، واستراح أهل دمشق منه» ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٤٩.
انظر أيضًا شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص٩٠، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٦٣.

(٥) عن قتله: «رتبت أمه زمرد خاتون من وثب عليه من قلعة دمشق فقتله» ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص٩٠.

وغيرهم من أهل البلد وأعيانه، وبالغ في العقوبات، وظهر منه بخل زائد ودناءة نفس. ثم ظهر عنه أنه كاتب عماد الدين زنكي ليسلم إليه دمشق ويحثه على سرعة الوصول، وأخلى المدينة من الذخائر والأموال، ونقل ذلك إلى صرخد[١] وتابع الرسل إلى زنكي يحثه على الوصول ويقول: إن أهملت المجيء سلمت البلد إلى الفرنج. فامتغص أصحاب أبيه وجده منه، وذكروا الحال لوالدته فساءها وأشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الأمر. ثم ارتقب غفلة غلمانه وأمرت غلمانها بقتله فقتلوه. وأمرت بإلقائه في موضع من الدار ليشاهده غلمانه، فلما رأوه سرُّوا بمقتله. وأمه زمرد[٢] خاتون ابنة جاولي، وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على وادي الشقراء، ونهر بردى. هذا أحد ما قيل في قتله. وقيل كان سبب مقتله أن والده كان له صاحب اسمه يوسف بن فيروز، وكان متمكنًا منه حاكمًا في دولته ثم في دولة ولده هذا، فاتهم بأم شمس الملوك. وبلغه الخبر فهمّ بقتل يوسف فهرب منه إلى تدمر، وتحصن بها وأظهر الطاعة لشمس الملوك. وأراد [شمس الملوك] قتل أمه، فبلغها الخبر فقتلته خوفًا على نفسها، والله أعلم. وكان مولده في سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة، فتكون مدة حياته اثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر، ومدة ملكه سنتين وتسعة أشهر وأيامًا.

ذكر أخبار شهاب الدين محمود ابن تاج الملوك بوري بن طغرتكين

ملك دمشق بعد مقتل أخيه شمس الملوك في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وحلف له الناس واستقر له الأمر ثم وصل أتابك زنكي إلى دمشق ونازلها في أول جمادى الأولى من السنة، فبينما هو يحاصر دمشق إذ ورد عليه رسول الخليفة المسترشد بالله بالخلع ويأمره بصلح صاحب دمشق والرحيل عنها، فصالحه، وخطب له بدمشق مع صاحبها، وفارق البلد لليلتين بقيتا من الشهر.

---

(١) صرخد: بالفتح ثم السكون: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٠١.

(٢) هي زمرد خاتون أخت الملك دقاق لأمه وزوجه تاج الملك بوري، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج٤، ص١٧٨.

ذكر ملكه مدينة حمص[١]

وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمسمائة، تسلم شهاب الدين محمود مدينة حمص وقلعتها. وذلك أن أصحابها أولاد الأمير خرخان بن قراجا[٢] الوالي عليها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عسكر زنكي إليها وإلى أعمالها، وتضييقهم على من بها، فراسلوا شهاب الدين في تسليمها، فأجابهم، وسار إليها وتسلمها، وسلم إليهم تدمر، وأقطع حمص لمملوك جده معين الدين أنر[٣] وجعل فيها نائبًا عنه ممن يثق به من أعيان أصحابه، وعاد إلى دمشق ثم ملكها أتابك زنكي في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وتزوج زمرد خاتون والدة شهاب الدين لتحكمها بدمشق، وظن أنه تملك البلد باتصاله بها، فلم يتهيأ له ملكها.

قال: واستمر ملك شهاب الدين محمود إلى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، فقتل[٤] على فراشه في شوال منها، قتله ثلاثة من خواصه كانوا يبيتون عنده فقتلوه ليلًا، وخرجوا من القلعة فنجا أحدهما وقتل الآخران.

ذكر ملك جمال الدين محمد ابن تاج الملوك بوري بن طغرتكين

ملك دمشق بعد مقتل أخيه شهاب الدين محمود في شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. وذلك أن محمود لما قتل، كتب معين الدين أنر إلى جمال الدين صاحب بعلبك بالخبر، واستدعاه ليملكه البلد، فجاء مسرعًا وجلس لعزاء أخيه، وخلف الجند وفوّض أمر دولته إلى معين الدين أنر، وزاده في علو مرتبته، وأقطعه بعلبك، وزوجه بأمه.

قال: ولما اتصل بزمرد خاتون قتل ابنها محمود كتبت إلى زوجها أتابك زنكي وهو بالجزيرة أن ينهض في طلب ثار ابنها، فسار مسرعًا وملك بعلبك عنوة في

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٣٨.

(٢) هو صمصام الدين خير خان بن قراجا. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١١ - ٢١٢.

(٣) «أنز» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٣٨ وفي المراجع التاريخية المختلفة اتسز. ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١، ص٩٦، والكامل لابن الأثير سنة ٥٣٤هـ.

(٤) «استوحش منه جماعة من أمرائه واتفقوا على قتله مع يوسف الخادم والبقش الأرمني. وكانا ينامان حول سريره وساعدهما عنبر الفرّاش الخركاوي على ذلك، فلما كان ليلة الجمعة ثالث عشرين شوّال ذبحوه على فراشه وخرجوا هاربين فظفروا بهم وأخذوا يوسف وعنبرًا فصُلبا، وهرب البُقش». ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٥٧.

ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين، وحصر دمشق في سنة أربع وثلاثين، وبذل لمعين الدين حمص وبعلبك وغير ذلك على أن يسلم إليه دمشق فلم يوافق، فجدّ في الحصار. فبينما هو يحاصرها مرض جمال الدين محمد ومات في ثامن شعبان منها، فطمع زنكي حينئذ في البلد ووالى الزحف والقتال. قال: ولما مات جمال الدين ولي بعده ولده.

ذكر أخبار مجير الدين أبق[١] بن جمال الدين محمد بن بوري ابن طغرتكين

ملك دمشق بعد وفاة أبيه في ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وهي إذ ذاك محاصرة، فقام بتدبير دولته معين الدين مدبر دولة أبيه. وداوم زنكي الحصار وضيّق على أهل البلد، فعند ذلك راسل أنر الفرنج واستدعاهم لنصرته، وإعانته على حرب زنكي، وبذل لهم بذولاً من جملتها أن يحاصر بانياس ويسلمها إليهم. وخوفهم أن زنكي إن ملك دمشق قصدهم وغزاهم. فاجتمعوا وعزموا على المسير إلى دمشق، فاتصل ذلك بزنكي فتوجه إلى حوران وقصد غزو الفرنج وذلك في منتصف شهر رمضان. فبلغ خبره الفرنج فأقاموا ببلادهم، فعاد إلى حصار دمشق ثم نزل بعذرا[٢] في سادس شوال، وأحرق عدة ضياع من المرج والغوطة، وعاد إلى بلاده.

ووصل الفرنج إلى دمشق في ميعاد أنر، بعد رحيل زنكي فسار معهم إلى بانياس وحصرها وأخذها وسلمها للفرنج. ولما فعل ذلك عاد زنكي لمحاصرة دمشق فقاتله أهلها، فرحل عنهم. ثم اتفق قتال عماد الدين زنكي في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، فسار مجير الدين أبق إلى بعلبك وحصرها وبها نجم الدين أيوب، فخاف أن أولاد زنكي لا يمكنهم إنجاده في عاجل الحال، فصالحه وسلم القلعة إليه، وأخذ منه إقطاعًا ومالاً، وملكه عدة قرى من بلد دمشق. وانتقل نجم الدين أيوب إلى دمشق وسكنها، وأقام بها، واستمرت دمشق بيد مجير الدين إلى أن ملكها نور الدين محمود بن زنكي في سنة تسع وأربعين وخمسمائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره.

---

(١) هو مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن طغتكين: و«بن محمد» زيادة عن زامباور. تُوفي سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٦١، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٦٣.

(٢) عذراء: قرية بغوطة دمشق: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٩١.

ولما ملكها نور الدين تحصن مجير الدين بالقلعة، فراسله في تسليمها وبذل له إقطاعًا من جملته مدينة حمص، فأجاب إلى ذلك، وسلّم القلعة وتسلم الإقطاع، وسار إلى حمص. ثم راسل أهل دمشق بعد ذلك على أن يسلموها إليه. فعلم نور الدين به، وأخذ منه حمص وعوضه عنها بالِس[(١)] فلم يرضَ بها، وسار إلى بغداد وابتنى بها دارًا بالقرب من النظامية. وتوفي بها.

هذا ما كان من أخبار ملوك دمشق[(٢)] على سبيل الاختصار، وإنما أوردنا أخبارهم في هذا الموضع على سبيل الاستطراد، ولئن تكون أخبارهم متتابعة. فلنرجع إلى أخبار الملوك السلجقية، ولنذكر ملوك الروم منهم.

ذكر أخبار الملوك السلجقية أصحاب قوينة[(٣)] وأقصرا وملطية ودقوقا من الروم

أول من ملك منهم شهاب الدولة قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجق. وكان ابتداء أمره أنه عصى على السلطان طغرل بك في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، وملك قلعة كرْدكوه وامتنع بها، وأخذ أموالاً كانت حملت من خوارزم إلى السلطان، فسيّر إليه طغرلبك جيشًا فهزمه مرة بعد أخرى. فلما مات طغرلبك[(٤)] أظهر شهاب الدين قتلمش[(٥)] العصيان على ألب أرسلان بن جغر بيك[(٦)] داود، وجمع

---

(١) بالِس: بلدة بالشام بين حلب والرقة، وكانت على ضفة الفرات الغربية، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٢٨.

(٢) استمرت أتابكية دمشق تحت نفوذ أسرة طغتكين حتى آل حكمها إلى أسرة زنكي سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م باستيلاء نور الدين محمود بن زنكي عليها لتقوية جيوشه للوقوف في وجه الصليبيين ثم انتقل هذا النفوذ إلى الأيوبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي الذي قلد أمورها إلى الأفضل ثم انتقل هذا الحكم إلى العادل بعد وفاة أخيه صلاح الدين. انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٦٣، والباهر لابن الأثير ص١٨٨ ـ ١٩١.

(٣) هي قونية كما وردت في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٣٦ وقونية: بالضم ثم السكون من أعظم مدن الإسلام وبها وبأقصرى سكنى ملوكها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٥. والأقصر: اسم مدينة على شاطىء شرقي النيل، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٣٧.

(٤) توفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م وكان عمره سبعون سنة تقريبًا وكان عقيمًا، لم ينجب ولدًا. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٧٤.

(٥) أخباره في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٣٦.

(٦) «جغري بك» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٩.

جموعًا كثيرة، وقصد الري ليستولي عليها عندما بلغه وفاة طغرلبك، فسار إليه السلطان ألب أرسلان والتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر قتلمش، وفرّ هو لقصد كردكوه، فوجد ميتًا غير مقتول، كما ذكرنا ذلك في أخبار ألب أرسلان في سنة ست وخمسين وأربعمائة، ولما مات ملك بعده ابنه سليمان.

ذكر أخبار الملك سليمان[١] ابن شهاب الدولة قُتلمش

وهو الثاني من الملوك السلجقية بالروم، ملك ما كان بيد أبيه بعد وفاته في سنة ست وخمسين وأربعمائة.

ذكر فتح مدينة أنطاكية

وفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة سار سليمان من بلاده، وقصد الشام وملك مدينة أنطاكية، وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. وكان سبب ملكه إياها أن صاحبها الفزدرؤس الرومي[٢] كان قد سار عنها إلى بلاد الروم، ورتب في أنطاكية شحنة وكان الفزدرؤس كثير الإساءة إلى أهل البلد وإلى جنده، حتى أنه حبس ابنه، فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد إلى سليمان، فكاتبوه يستدعونه فركب في البحر ومعه ثلاثمائة فرس وكثير من الرجالة، وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل إليها في وقت الموعد، فنصب السلاليم وصعد باتفاق من الشحنة وابن صاحبها، فملكها في شعبان من السنة. وقاتله أهل البلد فهزمهم مرة بعد أخرى، وقتل كثيرًا منهم، ثم عفا عنهم، وتسلم القلعة وأخذ من الأموال ما لا يحصى كثرة، وأحسن إلى الرعية وعدل فيهم، وأرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره بالفتح فأظهر الفرح بذلك وهنأ الناس.

قال: ولما فتحها أرسل إليه شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب حلب يطلب منه حمل ما كان صاحب أنطاكية يحمله إليه، ويخوفه معصية السلطان. فأجابه أن صاحب أنطاكية كان كافرًا يحمل الجزية عن رأسه وأصحابه، وأنا مسلم والخطبة والسكة في بلادي للسلطان، وهذا الفتح إنما فتحته بسعادته وكاتبته به. فنهب شرف الدولة بلد أنطاكية، ونهب سليمان بلد حلب، فلقيه أهل السواد، فشكوا إليه من نهب عسكره. فقال لهم: «أنا كنت أشد كراهة لما جرى، ولكن صاحبكم

(١) انظر أخباره في الكامل لابن الأثير ج١٠، ص١٣٨.

(٢) هكذا في الأصل. و«الفردوس الرومي» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص١٣٨.

أحوجني إلى ما فعلت، فلم تجرِ عادتي بنهب مال مسلم، ولا أخذ ما حرمته الشريعة» وأمر أصحابه بإعادة ما نهب على أصحابه، فأعادوه. ثم جمع شرف الدولة الجموع وسار لقتال سليمان، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم عسكر شرف الدولة وقتل هو؛ وذلك في يوم الجمعة لست بقين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

ذكر قتل الملك سليمان قُتُلمِش[(١)]

قال: ولما قتل سليمان بن شرف الدولة، أرسل إلى مقدم حلب يطلب تسليمها له، فأنفذ إليه مالاً، واستمهله إلى أن يكاتب السلطان ملكشاه. وأرسل المقدم إلى تُتُش صاحب دمشق يعده بتسليمها إليه، فسار تُتُش إلى حلب. فعلم سليمان بذلك، فسار نحوه والتقوا وقاتلوا، فانهزم أصحاب سليمان وثبت هو في القلب. فلما عاين الهلكة. قتل نفسه بسكين، وقيل بل قتل في المعركة[(٢)]، واستولى تُتُش على معسكره، وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة. وكان سليمان قد أرسل جثة شرف الدولة مسلم في صفر سنة ثمان وسبعين على بغل، ملفوفة في إزار إلى حلب، وطلب من أهلها تسليمها إليه، فأرسل تُتُش جثة سليمان في صفر من السنة التي تليها على تلك الهيئة، وطلب منهم تسليمها. ولما قتل ملك بعده ببلاد الروم ولده والله أعلم.

ذكر أخبار قلج[(٣)] أرسلان بن سليمان وهو الثالث من الملوك السلجقية بالروم

ملك بعد قتل أبيه في صفر سنة تسع وسبعين وأربعمائة، واستمر في المملكة الرومية وملك الموصل في سنة خمسمائة. وذلك أن صاحبها جكرمش كان قد حاصره جاولي سقاووا[(٤)]، وأسره ومات في أسره. فكتب أصحاب جكرمش إلى الأمير

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص١٤٧.

(٢) ذكر ابن تغري بردي أن سليمان بن قُتُلمِش قد جاءه سهم في وجهه فوقع عن فرسه ميتًا، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٢.

(٣) «قليج» في صبح الأعشى للقلقشندي، ج٥، ص٣٥٩، أخباره في الكامل لابن الأثير، ج١٠ ص٤٢٦.

(٤) «جاولي سقاوو»، في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥١٠ أخباره في الكامل لابن الأثير، ج١٠، صفحات متفرقة من ٤٢٨ إلى ٥٢١، حيث توفي سنة ٥١٠/ ١١١٦م انظر أيضًا المنتظم لابن الجوزي ج٩، ص١٨٥.

صدقة، وإلى قسيم الدولة اقسنقر البُرسقي، وإلى قلج أرسلان، يستدعون كل واحد منهم إليها، ليسلموا إليه الموصل، فامتنع صدقة، وسار قلج أرسلان. فلما وصل إلى نصيبين رحل جاولي عن الموصل، واتفق وصول البُرسقي وهو شحنة بغداد إلى الموصل، ونزل بالجانب الشرقي بعد رحيل جاولي وفي ظنه أنه يملك البلد، فلم يخرج إليه أحد من أهلها ولا راسلوه بكلمة واحدة، فعاد في بقية يومه. وأرسل أصحاب جكرمش وأهل الموصل إلى قلج أرسلان واستحلفوه لهم، فحلف، وحلفهم على الطاعة له والمناصحة، وسار إلى الموصل وملكها لخمس بقين من شهر رجب سنة خمسمائة، وأسقط خطبة السلطان وخطب لنفسه بعد الخليفة، وأحسن إلى العسكر وخلع على ولد جكرمش وأخذ القلعة، من غُزغلي مملوك جكرمش وجعل عليها دزدارًا، ودفع الرسوم المحدثة في الظلم، ونشر العدل وتألف الناس، وقال: «من سعى إليّ بأحد قتلته فلم يسع إليه أحد بأحد».

ذكر قتل الملك قلج أرسلان[1] وملك ولده الملك مسعود

كان مقتله في العشرين من ذي القعدة من سنة خمسمائة. وذلك أنه لما فارق جاولي الموصل سار إلى الرحبة وملكها بعد حصار وقتال، فلما أحكم الملك قلج أمر الموصل، وسار عنها لقتال جاولي، وجعل ابنه ملكشاه في دار الإمارة بالموصل، وسنّه إحدى عشرة سنة، وجعل معه أميرًا يدبره وجماعة من العسكر. وكانت عدة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدد الكاملة والخيل الجيدة. فسمع عسكره بقوة جاولي وكثرة أتباعه وجنده، فاختلفوا، فكان أول من خالف عليه إبراهيم بن ينال صاحب آمُد[2]، وكان معه لما فتح الموصل. ففارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور[3] إلى بلده ثم فارقه غيره. فعمل قلج في المطاولة لما بلغه من قوة جاولي وكثر جموعه، وأرسل في طلب عساكره من الروم. وكان في جملة عسكر جاولي الملك رضوان صاحب حلب، فاغتنم جاولي قلة أصحاب قلج فقاتله قبل وصول عسكره، واقتتلوا قتالاً شديدًا، فحمل قلج بنفسه وانهزم أصحابه. فلما رأى قلج انهزام عسكره ألقى

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٤٢٨.

(٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرًا وأشهرها ذكرًا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٦.

(٣) الخابور: بلد من أعمال الموصل يقع شرقي دجلة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣٤.

نفسه في الخابور، وحمى نفسه بالنشاب، فانحدر به الفرس إلى ماء عميق، وغرق[١]، فظهر بعد أيام، فدفن بالسليمانية وهي قرية من قرى الخابور. وسار جاولي ودخل الموصل وأرسل ملكشاه بن قلج إلى السلطان محمد.

قال: وملك بعده ولده الملك مسعود بن قلج، وأقام في الملك إلى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، فتوفي فيها. ولم أقف من أخباره على شيء أورده له، وملك بعده ولده.

ذكر أخبار الملك عز الدين قلج أرسلان بن مسعود

ابن قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجق وهو الخامس من الملوك السلجقية ببلاد الروم.

ملك بعد وفاة والده في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. وكان ذا سياسة، وعدل وافر، وهيبة عظيمة، وله غزوات كثيرة إلى بلاد الروم. وكان له من بلاد الروم قونية وأعمالها وأقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك. وكان له عدة أولاد، فلما كبرت سنه فرق بلاده على أولاده في حياته، وملك نحو تسع وعشرين سنة[٢].

ذكر تسليمه البلاد لبنيه وبني أخيه وما جعل لكل منهم

قال المؤرخ: لما ضعف الملك عز الدين قلج أرسلان هذا عن القيام بوظائف الملك لكبر سنه، أفرد البلاد لأولاده وأولاد أخيه وسلم لكل واحد منهم جهة، فسلم إلى ابنه ركن الدين سليمان دوقاط، وإلى ابنه غياث الدين كيخسرو قونية، ولولده محيي الدين أنقِرة - وتسمى أنكورية - ولولده معز الدين قيصر شاه ملطية، ولولده مغيث الدين طغرل شاه أبلستين، ولولده نور الدين محمود قيسارية، ولولده قطب الدين سيواس وأقصرا، ولولد أخيه نكسار، ولولد أخيه أماسيا. هذه أمهات البلاد، ويضاف إلى كل جهة ما تجاورها. ثم ندم على ذلك وأراد أن يجمع جميع المملكة لولده الأكبر قطب الدين، وخطب له ابنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب مصر ليتقوى به، فلما اتصل ذلك ببقية أولاده امتنعوا من طاعته، وأزالوا حكمه عنهم، فكان يتردد بينهم على سبيل الزيارة، ثم توجه إلى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب قونية. فخرج إليه وقبّل الأرض بين يديه واستبشر بقدومه، وأتمر بأمره، فقال له:

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٤٣٠، وشذرات الذهب لابن تغري بردي، ج٣، ص٤١٠.

(٢) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٨٩.

«أريد أن أسير إلى ولدي محمود صاحب قيسارية، وآخذها منه» فسار هو وولده كيخسرو، وحصرا محمود، فمرض قلج أرسلان، وتوفي في منتصف شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة فعاد كيخسرو إلى بلده، واستقر كل واحد منهم على ما بيده من البلاد.

ذكر قتل نور الدين محمود واستيلاء قطب الدين على قَيْسارية[1] ووفاته واستيلاء ركن الدين سليمان على سائر المملكة

قال: كان قطب الدين صاحب أقصرا وسيواس إذا توجه من أحدهما إلى الأخرى يجعل طريقه على قيسارية، ويجتمع بأخيه نور الدين محمود صاحبها، ويظهر له المودة. فاطمأن له محمود. وكان الأمير اختيار الدين حسن أحد أمراء والده يحذره عاقبة طمأنينته لأخيه، فنزل قطب الدين في بعض الأحيان بظاهر قيسارية وجاء نور الدين إليه فقتله، ورمى برأسه إلى أصحابه، وتسلم البلد بعد أن امتنع من بها عليه، ثم قتل الأمير اختيار الدين حسن وكان من أكابر الأمراء الديانين، وألقاه في الطريق، فجاء كلب ليأكل من لحمه، فثار الناس وقالوا: «لا سمعًا ولا طاعة هذا أمير كبير في الإسلام، وبنى مدرسة للعلم، وله صدقات دارة، ولا نتركه تأكله الكلاب» فأمر عند ذلك بدفنه، فدفن في مدرسته. ثم مرض قطب الدين ومات، فسار أخوه ركن الدين سليمان صاحب دوقاط إلى سيواس، وهي تجاوره، فملكها ثم ملك قيسارية أقصرا. ثم سار بعد ذلك إلى قونية، وبها أخوه غياث الدين فحصره بها. وملكها، ففارقها غياث الدين إلى الشام. ثم عاد إلى الروم وسار إلى القسطنطينية، ثم ملك البلاد على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وسار ركن الدين بعد ذلك إلى نكسار وأماسيا فملكها من ابني عمه، وملك ملطية في شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وفارقها أخوه معز الدين قيصر شاه، وسار إلى الملك العادل أبي بكر، وكان زوّجه ابنته. فاجتمع لركن الدين سليمان ملك جميع البلاد التي كانت بيد إخوته وأولاد عمه إلا أنقره، فإنها امتنعت عليه لحصانتها، فجعل عليها من عسكره من يحصرها، فحوصرت ثلاث سنين كوامل

---

(١) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام وهي مدينة كبيرة في بلاد الروم، وهي كرسي ملك بني سلجوق، ملوك الروم، أولاد قليج أرسلان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٠.

وتسلمها في سنة ستمائة، وعوض أخاه محيي الدين عنها قلعة في أطراف بلاده، وحلف له عليها، فسار محيي الدين إليها فجهز في إثره من قتله.

ذكر وفاة ركن الدين سليمان(١) وملك ولده قلج أرسلان

قال: ولما غدر بأخيه محيي الدين صاحب أنكورية [وتُسمى أيضًا أنقِرة](٢) وقتله، لم يمهله الله عزّ وجل، فمرض بالقولنج، بعد قتله لخمسة أيام، ومات في سبعة أيام، وكانت وفاته في سادس ذي القعدة سنة ستمائة.

وكان قيمًا بأمر الملك، شديدًا على الأعداء، إلا أن الناس كانوا ينسبونه إلى فساد في اعتقاده، وأنه يقول بقول الفلاسفة. وكان كل من رمى بهذا المذهب يأوي إليه، لكنه كان يستر ذلك عن الناس، ولا يتظاهر به.

قال: ولما مات اجتمع الناس بعده على ولده قلج أرسلان، وملكوه عليهم وكان صغير السن، فبقي إلى بعض سنة إحدى وستمائة.

ذكر ملك غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجق، بلاد الروم من ابن أخيه، وهو الثاني من ملوك السلجقية بالروم(٣)

ملك المملكة الرومية في شهر رجب، سنة إحدى وستمائة. وذلك أن ركن الدين سليمان لما أخذ منه قونية، كما قدمناه، قصد الشام إلى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب، فلم يجد عنده قبولاً، فسار من عنده وتنقل في البلاد إلى أن سار إلى القسطنطينية، فأحسن إليه ملك الروم وأكرمه وأقطعه إقطاعًا، فأقام عنده وتزوج بابنة بعض البطارقة الأكابر. وكان للبطريق قلعة من قلاع القسطنطينية،

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص١٩٥.

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص١٩٦ وأنقِره: بالفتح ثم السكون وكسر القاف، اسم للمدينة المسماة أنكورية كان المعتصم قد فتحها في طريقه إلى عمورية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٧١.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢٠٠.

فلما ملك الفرنج قسطنطينية، هرب غياث الدين إلى حميه، بالقلعة، فنزل عنده وقاسمه فيما هو فيه وقنعا بها فلما مات أخوه في سنة ستمائة كما ذكرناه، وملك ولده قلج أرسلان، فخالف عليه بعض الأمراء الأكابر وكان من الترك، فأنف أن يملك صغيرًا، فراسل غياث الدين فحضر إليه في جمادى الأولى، واجتمع معه بعض العسكر وتوجه إلى قونية وبها قلج أرسلان ابن أخيه، فخرج له بعض عسكرها فهزموه وبقي حيران ولا يدري ما يصنع، ولا أين يتوجه. فقصد بلدة صغيرة من بلاد قونية يقال لها أوكرم، فقدر الله أن أهل مدينة أقصرا وثبوا على واليها، فأخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين. فلما وصل الخبر أهل قونية قال أهلها: «نحن أولى بذلك منهم، لأنه كان حسن السيرة فينا» فنادوا باسمه، وأخرجوا من عندهم، واستدعوه، فملك المدينة وقبض على ابن أخيه، وملك البلاد أجمع في ساعة واحدة، فسبحان من إذا أراد أمرًا هيأ أسبابه. وحضر إليه أخوه قيصر شاه الذي كان صاحب ملطية، فلم يجد عنده قبولاً، فأعطاه شيئًا وأمره بمفارقة البلاد، فعاد إلى الرها، واستتب الملك لكيخسرو وأعظم شأنه. والله أعلم.

ذكر ملكه مدينة أنطاكية(١)

وفي ثالث شعبان سنة ثلاث وستمائة ملك الملك غياث الدين كيخسرو، [صاحب قونية وبلد الروم](٢)، مدينة أنطاكية بالأمان، وكانت للروم [على ساحل البحر](٣) وكان قد حصرها قبل هذا التاريخ وهدم عدة أبرجة من سورها، وأشرف على فتحها عنوة، فاستنجد من بها من الروم بفرنج جزيرة قبرص، فوصل إليها جماعة منهم فيئس منها وفارقها وترك طائفة من أصحابه بالقرب منها في الجبال التي بينها وبين بلاده، وأمرهم بقطع الميرة عنها. فضاق أهلها فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مضايقتهم، فظنوا أنهم يريدون إخراجهم من المدينة. فوقع الخلف بينهم، فاقتتلوا فأرسل الروم إلى المسلمين يطلبونهم ليتسلموا البلد، فوصلوا إليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج، فانهزم الفرنج منهم واعتصموا بالحصن. فأرسل المسلمون يطلبون كيخسرو، فجاء من قونية وحصر الفرنج وتسلم الحصن. واستمر غياث الدين كيخسرو في الملك إلى أن توفي سنة سبع وستمائة وملك بعده ولده

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢٥٢.
(٢) ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح من الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢٥٢.
(٣) ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح من الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢٥٢.

الملك الغالب عز الدين كيكاوش[١] بن كيخسرو، وملك كيكاوش هذا بعض بلاد حلب، وانتزعت منه، واستمر في المملكة الرومية إلى سنة ست عشرة وستمائة، فتوفي ولم يكن له ولد فملك بعده أخوه.

ذكر ملك علاء الدين كَيْقُباذ[٢] بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان ابن سليمان بن قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجق وهو العاشر من ملوك السلجقية بالروم

ملك بعد وفاة أخيه في سنة ست عشرة وستمائة، وكان أخوه كيكاوش قد اعتقله لما ملك، وأشار عليه أصحابه بقتله فلم يفعل. فلما مات كيكاوش أخرج الجند كيقباذ وملكوه عليهم. وقيل إنه لما اشتدت علة كيكاوش أخرجه من الاعتقال، وحلف له العساكر.

قال: ولما ملك كيقباذ خالف عمه مغيث الدين طغرل شاه بن قلج أرسلان صاحب أرزن الروم؛ ومغيث الدين هذا هو الذي أمر ولده أن ينتصر وزوجه ملكة الكرج، وأقام معها مدة، فهويت غيره من مماليكها فرآه معها، فأنكر ذلك عليها، فاعتقلته. ومات مغيث الدين هذا في سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وملك بعده ابنه.

قال: ولما ملك كيقباذ خاف من الروم المجاورين لبلاده، فأرسل إلى الملك الأشرف صاحب دمشق وصالحه، وتعاهد على المصافاة والتعاضد، والله أعلم.

وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة في شعبان سار كيقباذ إلى بلاد الملك

---

(١) هكذا في الأصل و«كيكاوس» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣١٤، وزامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص٢١٥، وصبح الأعشى للقلقشندي، ج٥، ص٣٦٠. أخباره في: الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣١٤، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٤.

(٢) أخباره في: الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٥٤، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٧٨ ـ ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٥، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٦٣٤، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص١٦٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج٥، ص٨٣، ٣٣٢.

المسعود صاحب آمِد، وملك عدة من حصونه. وكان صاحب آمد قد اتفق مع السلطان جلال الدين خوارزم شاه على مخالفة الأشرف صاحب دمشق، فأرسل الأشرف إلى كيقباذ بقصد آمِد، فسار وفتح حصن منصور[١] وحصن سمسنكاذا وغيرهما. فلما رأى صاحب آمد ذلك راسل الملك الأشرف، وعاد إلى موافقته. فأرسل الأشرف إلى كيقباذ يعرفه الصلح وأن يعيد إلى صاحب آمد ما أخذه، فامتنع وقال: «ما أنا نائب الأشرف يأمرني وينهاني» فأمر الأشرف عساكره بمساعدة صاحب آمِد إن أصر ملك الروم على قصد محاصرته[٢]. فاجتمع العسكر الأشرفي مع صاحب آمد وساروا إلى كيقباذ وهو يحاصر قلعة الكختا، فالتقوا في شوال فانهزم صاحب آمِد ومن معه هزيمة عظيمة، وأسر كثير من أصحابه، وجرح، وملك كيقباذ قلعة الكختا.

وفي سنة خمس وعشرين وستمائة ملك كيقباذ أرزنكان[٣] وكان صاحبها بهرام شاه قد طال ملكه بها، وجاوز ستين سنة، ولم يزل في طاعة السلجقية ملوك الروم. فلما توفي ملك بعده ولده علاء الدين داود شاه، فأرسل إليه كيقباذ يطلبه بعسكره يسير معه إلى مدينة: أرزن[٤] الروم ليحاصرها. فحضر إليه فقبض عليه وأخذ مدينته، ثم ملك حصن كماخ[٥]، وكان من أمنع الحصون. وقصد أرزن الروم ليأخذها من ابن عمه طغرل شاه، فاستنجد صاحبها بالأمير حسام الدين على نائب الأشرف بخلاط، وأظهر طاعة الأشرف، فسار إليه بمن عنده من العسكر خوفًا أن كيقباذ إذا ملك أرزن الروم قصد خلاط وغيرها، فعاد ولم يقدم على قصدها، وتوجه إلى مدينة أنطاكية ليشتو بها والله أعلم.

---

(١) حصن منصور: من أعمال ديار مُضر، لكنه في غربي الفرات بالقرب من سميساط.
«حصن شمكازاد» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص١٨٩، «حصن قريب من حصن منصور» ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص٢٦٥.

(٢) «إن أصر ملك الروم على قصده» في الأصل.

(٣) أرزنكان أو أرزنجان: بالفتح ثم السكون وفتح الزاي وسكون النون وجيم وألف ونون وأهلها يقولون أرزنكان بالكاف، وهي بلدة طيبة من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٥٠.

(٤) أرزن: مدينة مشهورة قرب خلاط. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١، ص١٥٠.

(٥) «كماج» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص١٩٨.

ذكر اجتماع كيقباذ والأشرف على حرب جلال الدين[١] خوارزم شاه وانهزامه منهما

كان سبب ذلك أن جلال الدين خوارزم شاه لما حاصر خلاط حضر إليه صاحب أرزن الروم، وهو طغرل شاه السلجقي ابن عم كيقباذ، وأطاعه وأعانه على الحصار. وكان بينه وبين ابن عمه عداوة مستحكمة فخاف كيقباذ أن السلطان جلال الدين يتوصل إلى ملك بلاده، فراسل الملك الكامل صاحب مصر[٢] وهو إذ ذاك بحران، وسأله أن يستدعي الملك الأشرف من دمشق، فأحضر الملك الكامل أخاه الأشرف[٣] واجتمع هو وكيقباذ، واتفقا على حرب جلال الدين. وكان عسكر كيقباذ عشرين ألف فارس وعسكر الأشرف خمسة آلاف فارس، إلا أنهم كانوا من الشجعان الذين لا يقوم أحد بحربهم. فسار جلال الدين لقتالهم والتقوا يوم السبت الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة بمكان من أعمال أرزنجان، فانهزم جلال الدين وعاد إلى خلاط، فأخذ من كان بها من أصحابه وفارقها، وأسر في هذه الوقعة جماعة من أصحاب السلطان. فأمر كيقباذ بضرب أعناقهم، وأسر ابن عمه صاحب أرزن الروم، وقصد به بلده، فتسلم أرزن الروم وما معها من القلاع، وما بها من الخزائن وغيرها. فكان طغرل شاه كما قيل: «خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين»؛ وكان هذا قد عاهد جلال الدين على أنه يملكه

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٥٥.

(٢) الملك الكامل هو: أبو المعالي محمد ابن الملك العادل الملقب ناصر الدين. توفي يوم الأربعاء ودفن بالقلعة بمدينة دمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٠٠.

أخباره في: الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٦١٥هـ إلى سنة ٦٢٨هـ، وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٥، ص٧٩، والسلوك للمقريزي، ج١، ص٢٣٠، والخطط المقريزية ج٢، ص٢٣٥، وذيل الروضتين لأبي شامة، ص١٦٦، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص١٧٢، بدائع الزهور لابن إياس، ج١، ص٢٥٨، شفاء القلوب لابن إبراهيم الحنبلي ص٢٩٩، الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي، ج٢، ص٢١٣، مفرج الكروب لابن واصل، ج٣، ص٢٧٤.

(٣) الملك الأشرف: هو مظفر الدين موسى بن العادل توفي سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م في المحرم وله تسع وخمسون سنة. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٦، ص٢٦٨، أخباره في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج١، ص٢٨٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٥، ص١٧٢ ـ ١٧٣.

بعض بلاد كيقباذ، فأخذ ما بيده. واستمر كيقباذ في الملك إلى أن توفي، وكانت وفاته في سنة أربع وثلاثين وستمائة[(١)]، وملك بعده ولده.

ذكر ملك غياث الدين كيخسرو[(٢)] ابن الملك علاء الدين كيقباذ غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجق، وهو الحادي عشر من الملوك السلجقية، بالروم

ملك المملكة الرومية بعد وفاة أبيه الملك كيقباذ في سنة أربع وثلاثين وستمائة. وجلس على تخت السلطنة بمدينة قونية وراسله الملوك في الموافقة، وهي السنة التي وصل التتار فيها إلى الروم. وفي سنة خمس وثلاثين أرسل غياث الدين إلى والدة الملك العزيز يخطب بنت ابنها العزيز لنفسه، وأن يتزوج الملك الناصر صاحب حلب أخت السلطان غياث الدين. فاستقر بينهما الأمر، وعقد السلطان على غازية خاتون ابنة الملك العزيز على خمسين ألف دينار. ووصل الصاحب كمال الدين بن العديم من حلب إلى السلطان. فزوج أخته من الملك الناصر على نظير هذا الصداق. فحصل الاتفاق بينهما، ثم أرسل السلطان غياث الدين إلى حلب يطلب أن تقام له الخطبة بها وتضرب السكة باسمه. فتوقفت الصاحبة والدة العزيز في ذلك، فأشير عليها بالموافقة فأجابت إلى ذلك، وخطب له بحلب. وفي سنة إحدى وأربعين وستمائة، دخل بيجو مقدم التتار إلى بلاد الروم، والتقى هو والسلطان غياث الدين فكسرهم كيخسرو، ثم عاودوا القتال فهزموه، وقتل جماعة من أصحابه، والتجأ إلى بعض المعاقل؛ ثم حصلت المهادنة على أتاوة يؤديها غياث الدين للتتار في كل سنة.

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة وصل التتار إلى بلاد الروم صحبة جرماغون وبيجو من قبل منكوفان الملك، فخرج السلطان غياث الدين لقتالهم بجميع عساكره، واستصحب حريمه ليقاتل قتال الحريم. واستشار أصحابه فيما يفعل، فكان منهم من هوّل عليه أمر التتار. وكان غياث الدين قد زوّجه والده بكرجى خاتون ابنة ملك

---

(١) توفي في سابع شوال سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص١٦٨.

(٢) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٨٩.

الكرج. فلما أفضت السلطنة إليه جعل أخاها مقدمًا على الجيش، وكان نصرانيًا، لم ينتقل عن ملته، فكرهه الأمراء وكرهوا السلطان بسببه. فلما كان في هذا الوقت قال للسلطان غياث الدين: «ضم إلى من في عسكرك من الكرج والفرنج، وأنا ألقى التتار بهم». فغاظ الأمراء كلامه، وتقدم أحد أعيانهم فحلف أنه لا بد أن يلقى التتار بنفسه، ومن صحبه، وركب في نحو عشرين ألف فارس، وتقدم إلى التتار وهم بصحراء اقشهر زنجان، وكان غياث الدين على الجبل الأقرع(١) واسمه كوسا داغ، وهو مشرف على الوطأة التي نزل بها التتار. وسار الأمير فيمن معه، وتبعه السلطان ببقية الجيش فوجد المقدم أمامه وادٍ قطعه السيل، فلم يستطع قطعه إلى جهة التتار، فسار مع لحف الجبل، يطلب طريقًا يمكنه التوصل منه إلى التتار. فركب التتار وقصدوه ودنوا منه وراسلوه بالسهام، فأهلكوا أكثر الخيل التي معه، فكان السهم لا يقع إلا في فرس أو فارس، فتفرقوا عند ذلك، وطلبوا النجاة لأنفسهم. وعاد السلطان غياث الدين إلى المخيم، وجهز حريمه إلى قونية، وهي دار المملكة، ومسافتها من المكان الذي هو فيه نحو شهر، فسرن صحبة أمير، ولم يحملن معهن إلا ما خف، ورجع السلطان وترك الوطاق والدهاليز والخيام منصوبة، وبها الأثقال والخزائن والذخائر. وأقام التتار ثلاثة أيام لم يقدموا على دخول الوطاق ظنًا منهم أنها مكيدة، ثم عبروا الوطاق واستولوا على ما فيه، ورجعوا.

وتوفي غياث الدين في هذه السنة، وخلف ثلاثة أولاد: عز الدين كيكاوش، وركن الدين قلج أرسلان وعلاء الدين كيقباذ.

ذكر أحوال أولاد السلطان غياث الدين كيخسرو بعد وفاة أبيهم

قال: لما توفي غياث الدين استقر أولاده الثلاثة في السلطنة، ولم ينفرد بها أحد عن الآخر، وضربت السكة باسمهم جميعًا، وخطب لهم وكان والدهم قد جعل ولاية عهده لولده علاء الدين كيقباذ بن كرجى خاتون، فاتفقوا على أن يتوجه إلى منكوقان يطلب منه الصلح والهدنة، ويقرر له أتاوة. هذا بعد أن استولى بيجو على قيسارية وأعمالها وما حولها، وصار بيده من المملكة الرومية مسافة شهر.

---

(١) الأقرع: جبل بين مكة والمدينة بالقرب منه جبل يقال له الأشقر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٣٦.

قال: فتوجه علاء الدين كيقباذ إلى منكوقان ملك التتار ومعه الهدايا والتحف، وذلك في سنة خمس وخمسين وستمائة[١]. وقصد الأرد[٢] ومعه الأمير سيف الدين طرنطاي، وهو من أكابر الأمراء وشجاع الدين ملك السواحل. وأقام أخواه بقونية فاختلفت آراؤهما وآل أمرهما إلى القتال. فانتصر عز الدين كيكاوش واستقر بقونية بمفرده، واعتقل ركن الدين قلج أرسلان، كل ذلك وبيجو بالروم.

قال: ولما اعتقل قلج أرسلان، ضاق أصحابه ومنهم الصاحب شمس الدين الطغراي والأمير سيف الدين جاليش وغيرهم، ففكروا فيما يفعلون فزوّروا كتابًا عن السلطان عز الدين كيكاوش إلى سيف الدين طرنطاي ورفيقه، أن يسلما إليهم السلطان علاء الدين كيقباذ، وما معهما من الهدايا والتحف، ليتوجه الصاحب بذلك إلى منكوقان، ويعود طرنطاي ورفيقه إلى قونية. وساروا بهذه الكتب الموضوعة في إثر السلطان كيقباذ، فلحقوه وقد وصل إلى أردوباطو. فدخلوا على باطو وقالوا: «إن السلطان عز الدين كان قد أرسل أخاه ليتوجه إلى القان وأرسل معه هذين - يعنون طرنطاي ورفيقه - ثم اتضح له أنهما قد أضمرا السوء، وأن طرنطاي ضربته صاعقة فيما مضى من الزمان، فلا يصلح أن يدخل بين يدي القان[٣]. ورفيقه شجاع الدين طبيب ساحر، وقد أخذ صحبته شيئًا من السم القاتل ليغتال به منكوقان. فأرسلنا عوضًا عنهما وأمر بردهما» فلما سمع باطو ما قاله الصاحب، أمر بإحضار طرنطاي ورفيقه وفتش ما معهما من القماش والأصناف، فكان فيه براني أشربة وعقاقير، من جملتها السقمونيا، فأمره أن يأكل من ذلك فأكل وامتنع من السقمونيا. فظنها باطوسمّا، واستدعى الأطباء فقالوا إنها من الأدوية وآخر الأمر أن باطو خيّر الصاحب ورفقته بين أن يستصحبوا الهدايا إلى القان، ويكون السلطان صحبة طرنطاي ورفيقه أو العكس. فاختار الصاحب أن يكون السلطان معه والهدايا مع طرنطاي، وافترقا على ذلك. وتوجه السلطان كيقباذ والصاحب إلى القان وتوجه طرنطاي ورفيقه بالهدايا إليه، وافترقوا في الطريق، فكل قصد جهة. واتفقت وفاة السلطان في طريقه، وجرت لهم

---

(١) انظر عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني، ج١، ص١٤٤.

(٢) الأرد: هي من قرى فارس: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١، ص١٤٥.

(٣) لقب خان: أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءًا من الأمبراطورية المغولية. ولفظ خاقان لقب أطلقه المغول على الرئيس الأعلى لدولتهم. ومعناه رئيس الرؤساء أو أعظم الحكام. وقد استعمل المغول لقب «خان» أيضًا بمعنى «خاقان». محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص١١٥.

خطوب يطول شرحها، آخرها أنهم وصلوا إلى القان بالأردو وتنافسوا الرياسة في مجلسه، ثم اتفق الحال أن تكون مملكة الروم مقسومة بين الأخوين، فجعل لعز الدين كيكاوش من نهر سيواس إلى حد بلاد أشكري[١]، ولركن الدين قلج أرسلان من نهر سيواس إلى تخوم أرزن الروم من الجهة الشمالية المتصلة ببلاد التتار. واستقر عليهما إتاوة يحملونها إلى الأرد وعاد الصاحب شمس الدين وطرنطاي ورفقتهما من عنده، فما وصلوا إلى الروم حتى دخله التتار، وكان بينهم وبين السلطان عز الدين ما نذكره إن شاء الله في أخبار التتار.

قال: ووصل الصاحب ورفقته إلى الروم

في سنة سبع وخمسين وستمائة، واستقرت القسمة بين الأخوين على ما قرره منكوقان، وانفرد كل منهما بما استقر له، وانضم إليه جماعة من الأمراء. ثم قدم هولاكو وملك بغداد، فاستدعاهما فسار إليه، وحضرا معه أخذ حلب، ثم عادا إلى بلادهما على القسمة التي قسمها منكوقان. فلما كان في سنة ستين وستمائة بعث هولاكو يستدعي شمس الدين يوتاش نائب السلطان عز الدين، فأرسله إليه فوصل إلى أرزنكان صحبة رسل هولاكو. فوافق وصولهم إليها عند غطاس النصارى، فخرجوا إلى الفرات بجمع كثير، ومعهم الجاثليق وقد رفعوا الصلبان على الرماح، وأعلنوا بالنواقيس والصياح، فأنكر عليهم شمس الدين، وقصد منعهم، فمنعه رسل هولاكو، وقالوا: «هذه بلاد السلطان ركن الدين فلا يحدث فيها» وسألوا الجاثليق: «كيف كان عادتكم في أيام السلطان غياث الدين؟» فقال: «كنا نحمل له ثلاثة آلاف درهم، ونعمل ما نختار» فأخذوا منه ثلاثة آلاف درهم ومكنوه من عمل العيد كما أراد. فلما جرت هذه المفاوضة بين رسل هولاكو وشمس الدين، عاد مغضبًا ورجع إلى السلطان عز الدين، وحمله على المخالفة والعصيان، فوافقه على ذلك واستولى على أكثر بلاد أخيه ركن الدين. فتوجه ركن الدين إلى هولاكو واستنصر به، فبعث معه تومانا[٢] من

(١) أطلق المسلمون لقب أشكري على أمبراطور الروم. والمقصود هنا الأمبراطورية البيزنطية. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٨ ص٤٥.

(٢) التومان: الفرقة من الجيش التي يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص٤٢٤.

Quatrimère: Hist des Sultans Mamlouks, II,2, P.152.

التتار، فكسرهم عز الدين. ثم استمدوا هولاكو، فأمدهم بتومان آخر فهرب عز الدين وفارق البلاد ودخل إلى الأشكري بالقسطنطينية، وصحبته أخواله، وهما على دين النصرانية، وثلاثة نفر من أمرائه. واستولى ركن الدين على جميع البلاد واستقل بملكها.

وأما عز الدين فإنه لما وصل إلى الأشكري أكرمه وأحسن إليه، فأقام عنده إلى سنة اثنتين وستين وستمائة، فقصد الأمراء الذين كانوا معه وهم عز الدين أمير آخر، وعلي بهادر، وأمير مجلس، أن يثبوا على الأشكري فيقتلوه، وأعلموا صاحبهم عز الدين بذلك. وقالوا له: «اكتمه عن خاليك» فلم يكتمه عنهما، وأعلمهما به، وأمرهما أن يعرفا الأشكري بذلك، وأنه لا يركب في اليوم الذي قصد الأمراء الفتك به فيه. فعرفاه، فقبض على الأمراء وكحلهم، وقبض على السلطان عز الدين واعتقله بقلعة من القلاع الغربية، فأقام بها إلى سنة ثمان وستين وستمائة. وجمع الأشكري أصحاب الأمراء وأتباعهم، وعرض عليهم الدخول في دينه. فمن وافق تركه، ومن أبى كحله. فمنهم من وافق وتنصّر، ومنهم من امتنع فكحل، وعرض على رجل منهم أن يتنصر فصاح وقال: «الجنة معدة للإسلام، والنار معدة لكم» فقال: هذا رجل ثابت على دينه وأطلقه، وكتب له ورقة للطريق.

وفي سنة ثمان وستين وستمائة خلص السلطان عز الدين وأهله من الاعتقال، وسبب ذلك أن منكوتمر بن طغان جهز عسكر إلى أسطنبول، فأغاروا عليها، وأخذوا عز الدين من القلعة التي كان بها، وأحضروه إلى منكوتمر، فأكرمه وأحسن إليه وأقام ببلاده قرم، وتزوج بها، واستمر إلى أن توفي في سنة سبع وسبعين وستمائة.

ذكر قتل السلطان ركن الدين قلج أرسلان ‏ وولاية ابنه غياث الدين كيخسرو

وفي سنة ست وستين وستمائة دبر البرواناه على السلطان ركن الدين، واتفق مع التتار الذين عنده على قتله ليتمكن من البلاد. فعمل وليمة واجتمع فيها التتار، واستدعوا السلطان فحضر إليهم وأكل وشرب، فقاموا إليه وخنقوه بوتر، فمات، واستقر في الملك بعده ولده السلطان غياث الدين كيخسرو، وله من العمر أربع سنين، واستولى البرواناه على الحكم في المملكة الرومية، والله أعلم.

ذكر خبر البرواناه معين الدين سليمان[١] وأصله وتنقله

أما أصله فمن الديلم[٢]. وكان والده مهذب الدين علي. حضر وهو شاب في أيام السلطان علاء الدين كيقباذ إلى سعد الدين المستوفي بالروم، وهو إذ ذاك نافذ الحكم، فسأله أن يجري عليه جاريًا في بعض المدارس، يكون درهمًا في اليوم، يقتات به. وكان شابًا جميلاً وسيمًا من طلبة العلم، فمال إليه المستوفي فقال: «أريد أن أتخذك ولدًا» وأخذه وقرّبه وأدناه وأحسن إليه، وزوّجه بابنته. ثم اتفقت وفاة المستوفي، فوصف مهذب الدين للسلطان علاء الدين بالكفاية والمعرفة والفضيلة، فقرّبه منه، وترشح للوزارة واستوزره وألقى إليه مقاليد الدولة، ورزق مهذب الدين ولده معين الدين سليمان المسمى بالبرواناه.

وتقدم معين الدين في الدولة السلجقية إلى أن استولى على الحل والعقد. ولم يكن للسلطان غياث الدين كيخسرو هذا معه في السلطنة غير الاسم. ومعين الدين هذا هو والد الأمير علاء الدين علي بن البرواناه، أحد أمراء الدولة الناصرية. وولي القاهرة، ثم ولي نيابة دار العدل الشريف، وتقدم على الجيوش. قال: واستمر غياث الدين كيخسرو في اسم السلطنة بالروم إلى أيام السلطان أحمد[٣] في سنة إحدى

---

(١) هو سليمان بن علي الصاحب معين الدين، البرواناه كان أبوه مهذب الدين علي بن محمد أعجميًا سكن الروم. قتل سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ج٢، ص٧١. أخباره في: السلوك للمقريزي ج١، ص٦٢١، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٥، ص٣١٢، وصبح الأعشى للقلقشندي، ج٥، ص٣٦١.

(٢) الديلم: جيل سموا باسم أرضهم، والديلم في الإقليم الرابع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٤٤.

(٣) هو تكودار بن هولاكوخان. تولى عرش المغول في إيران سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م أعلن إسلامه بعد اتصاله بالمسلمين وكان مسيحيًا. ولقب بالسلطان أحمد بعد إسلامه فكان بذلك أول ايلخاني المغول الذين اعتنقوا الدين الإسلامي في إيران وقد ترتب على إسلام تكوداران خلا الديوان المغولي من المسيحيين واليهود وحولت المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد، وأجبر كثير من المسيحيين على اعتناق الإسلام. وقام جماعة من المتمسكين بدينهم المسيحي وناصبوه العداء وجهروا بالثورة عليه ومنهم أرغون.

ونشبت الحرب بينهم وبين السلطان وانتهت بهزيمة تكودار وقتله في ليلة الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، وبموته عادت قوانين جنكزخان وتقاليد المغول لتحل محل الشريعة الإسلامية. رشيد الدين الهمذاني: مؤرخ المغول ص٦٠ ـ ٦١.

وثمانين وستمائة، فاستدعاه إلى الأرد، وعزله عن السلطنة، ورسم له بالإقامة بأرزنكان، فأقام بها إلى سنة اثنين وثمانين وستمائة. فدسّ عليه أرغون بن أبغا من خنقه بوتر فمات.

ولما عزل غياث الدين فوّض السلطان أحمد السلطنة في الروم إلى السلطان مسعود ابن السلطان غياث الدين كيكاوش ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء الدين كيقباذ ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان عز الدين قلج أرسلان ابن الملك مسعود ابن الملك قلج أرسلان ابن الملك سليمان ابن الملك شهاب الدولة قتلمش بن رسلان بيغو بن سلجق ملك المملكة الرومية، بعد عزل غياث الدين كيخسرو ابن ركن الدين قلج أرسلان في أيام السلطان أحمد في سنة إحدى وثمانين وستمائة، فاستمر وليس له من الأمر شيء إلا اسم السلطنة خاصة، والحكم في المملكة الرومية للتتار وشحانهم (جمع شحنة).

هذا آخر ما اتصل إلينا من أخبارهم إلى حين وضعنا هذا التأليف في سنة أربع عشرة وسبعمائة. فلنذكر أخبار الدولة الأتابكية، لأنها من فروع الدولة السلجقية، وبتمامها يتم هذا الباب إن شاء الله تعالى.

ذكر أخبار الدولة الأتابكية(١)

وهذه الدولة من فروع الدولة السلجقية كان ابتداؤها أولاً بحلب في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، ثم انقطعت بقتل أقسنقر مدة ثم قامت بالموصل وحلب والشام وبمصر خطبة. وقاعدة هذه الدولة وعمادها المشار إليه من ملوكها نور الدين محمود بن زنكي. ونحن نذكر أصل هذا البيت الأتابكي وننقله إلى أن ملك نور الدين الشهيد وما انتهى إليه حال هذه الدولة إلى حين انقراضها، فنقول أصل البيت الأتابكي أقسنقر التركي.

---

(١) وتسمى هذه الأتابكية أيضًا: دولة بني زنكي، وحكم الأسرة الأتابكية بدأ في سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م لأن عماد الدين زنكي تقلد في هذه السنة حكم بعض البلاد ومنها الموصل والجزيرة ونصيبين واعتبر زامباور (ص٢٢٦) سنة ٥١٦هـ بداية حكم هذه الأسرة حتى تولى عماد الدين زنكي حكم مدينة واسط. الدكتور حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام ج٤، ص٦٦.

ذكر أخبار قسيم الدولة أقسنقر التركي[١]

كان تركيًا من أصحاب السلطان ركن الدولة ملكشاه[٢] السلجقي، وتربى معه من صغره وهو من أترابه، واستمر في صحبته حتى أفضت إليه السلطنة، فكان من أعيان أمرائه، واعتمد عليه في مهماته وزاد في علو مرتبته، فصار الوزير نظام الملك مع عظم شأنه وجلالة قدره، يتقيه ويداريه. ومما يدل على مكانته وعلو شأنه كونه لقب قسيم الدولة مع صون الألقاب والمشاححة فيها في ذلك الوقت.

ولما ملك السلطان ملكشاه مدينة حلب كما ذكرناه في أخباره سلمها لقسيم الدولة في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وقيل في سنة ثمانين، فعمرها وأحسن السيرة فيها فمال الناس إليه وأحبوه، ثم تسلم من الأمير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر، اللاذقية وأفامية[٣] وكفر طاب[٤]، فأشار الوزير نظام الملك على السلطان ملكشاه أن يسلم ذلك إلى قسيم الدولة مع حماه ومنبج، فأقطعه السلطان جميع ذلك، فعظمت هيبته، وظهرت كفايته، وقمع أهل الفساد والبغي. ثم استدعاه السلطان إلى العراق فقدم متجملًا بعسكر عظيم، فاستحسن ذلك منه وعظمه وأعاده إلى أعماله. وفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة قصد أقسنقر شيزر ونهبها وعاد إلى

(١) هو أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله الملقب قسيم الدولة المعروف بالحاجب، وهو والد عماد الدين زنكي. وهو جد البيت الأتابكي أصحاب الموصل. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤١، رقم ١٠٢.
أخباره في: التاريخ الباهر لابن الأثير، ص٤ ـ ١٥، والكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٣٢، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٦٧، وزبدة الحلب لابن العديم، ج٢، ص١٠٣.
في زبدة الحلب، ج٢، ص١٠٣ اسم أبيه النعمان، وفي الحاشية رقم (٤) آل ترعان وأنه من قبيلة ساب يو. في ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤١، كان مملوكًا للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان. في ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١١، إن قسيم الدولة كان مملوكًا للسلطان ألب أرسلان السلجوقي فربي مع ولده السلطان ملكشاه.

(٢) لم يلقب أحد من المؤرخين السلطان ملكشاه بلقب ركن الدين سوى ابن الأثير وإنما لقبه جلال الدين، والسلطان السلجوقي الملقب بركن الدين هو بركياروق بن ملكشاه. انظر تاريخ دولة آل سلجوق لزامباور ص٥٢ ـ ٧٤، والتاريخ الباهر لابن الأثير ص٦.

(٣) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص ويسميها البعض فامية بغير همزة وقيل: اللاذقية وسلوقية وأفامية وبارّوا وهي حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٢٧.

(٤) كفرطاب: بلدة بين المعرّة ومدينة حلب، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٠.

حلب. وفي سنة ثلاث وثمانين حاصر مدينة حمص وملكها، فسار صاحبها ملاعب إلى الديار المصرية.

وفي سنة أربع وثمانين ملك حصن أفامية والرحبة. واستمر قسيم الدولة كذلك إلى أن مات السلطان ملكشاه في سنة خمس وثمانين، فجهز عند ذلك جيشًا إلى تكريت فملكها. واتفق أن تاج الدولة تتش صاحب دمشق طمع بعد وفاة أخيه السلطان ملكشاه في السلطنة، فسار من دمشق إلى حلب، فلم يمكن قسيم الدولة إلا موافقته والدخول في طاعته. وكان من أمر تتش ما قدمناه في أخباره، وفارقه قسيم الدولة والتحق بالسلطان بركياروق ولد صاحبه السلطان ملك شاه كما قدمنا ذكر ذلك مبينًا.

ذكر قتل قسيم الدولة[(١)]

قال: ولما فارق قسيم الدولة تتش واستمر في خدمة السلطان بركياروق وعاد تتش إلى الشام، أمر بركياروق قسيم الدولة وبوزان[(٢)] صاحب حوران بالعود إلى بلادهما ليمنعا تتش من التغلب عليها، فعادا، وجمع تتش العساكر وسار نحو حلب، فاجتمع قسيم الدولة وبوزان، وأمدهما السلطان بركياروق بالأمير كربوقا[(٣)] صاحب الموصل. فالتقوا مع تُتُش بالقرب من تل السلطان على ستة فراسخ من مدينة حلب. فانهزم جيش قسيم الدولة وأخذ أسيرًا، فقتله تُتُش صبرًا، ودخل بوزان وكربوقا حلب، فحصرهما تاج الدولة تتش وفتحها وأخذهما، فقتل بوزان واعتقل كربوقا، فلم يزل إلى أن خلص في أيام الملك رضوان بعد قتل تتش. وكان مقتل قسيم الدولة في[(٤)] سنة سبع وثمانين وأربعمائة. وكان رحمه الله حسن السيرة والسياسة كثير الإحسان إلى رعيته فكانوا في أيامه بين عدل غامر ورخص شامل وأمن واسع، رحمه الله تعالى.

---

(١) «دفنه ولده أتابك زنكي بالمدرسة الزجاجية داخل حلب» ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص٣٨٠ «توفي الأمير آق سنقر ولم يكن له ولد غير زنكي» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص١٣٨.

(٢) صلة قسيم الدولة ببوزان صلة قديمة، فقد كان كل منهما من مماليك السلطان ملكشاه، ابن خلكان، ج١، ص٢٤١. ولقب بوزان عند ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١٩، مجاهد الدولة.

(٣) كربوقا: جاء رسمه كربوغا في التاريخ الباهر لابن الأثير ص١٥، والرسمان كربوقا وكربوغا مستعملان عند المؤرخين القدامى.

(٤) «في جمادى الأولى» في وفيات الأعيان لابن خلكان، ج١، ص٢٤١.

ذكر أخبار عماد الدين[١] أتابك زنكي ابن قسيم الدولة أقسنقر[٢]

قال المؤرخون: لما قتل قسيم الدولة كان عُمْر ولده زنكي نحو عشر سنين، ولم يخلف من الذرية غيره، فاجتمع مماليك والده عليه وأصحابه. فلما خلص قوام الدين كربوقا من السجن، بعد قتل تتش في سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وملك حران ونصيبين والموصل[٣] وماردين، وعظم شأنه وهو في طاعة السلطان بركياروق، أحضر مماليك قسيم الدولة، وأمرهم بإحضار عماد الدين زنكي، وقال: «هو ابن أخي، وأنا أولى الناس بتربيته» فأحضروه إليه، وأقطعهم كربوقا الإقطاعات السنية واستعان بهم في حروبه، وسار بهم إلى آمد وصاحبها من أمراء التركمان، والتقوا فهزمهم كربوقا. وهو أول مصاف حضره زنكي بعد قتل والده. ولم يزل عند كربوقا إلى أن توفي كربوقا[٤] في سنة أربع وتسعين وأربعمائة. وملك بعده موسى التركماني[٥]، فقتل ولم تطل مدته. ثم ملك الموصل شمس الدولة جكرمش[٦]، وهو من مماليك السلطان ملكشاه، فاتخذ عماد الدين زنكي كالولد، فكان عنده إلى أن قتل في سنة خمسمائة. ثم ملك الموصل بعده جاولي سقاور[٧]، فاتصل به عماد الدين، وقد كبر وظهرت شهامته. ولم يزل معه حتى عصى على السلطان غياث الدين

---

(١) بالأصل «ذكر حال ولده عماد الدين» وقد حذف المحقق اللفظ «ولده» لعدم ضرورته في العنوان. ابن الأثير: الباهر، ص١٥.

(٢) أخبار عماد الدين زنكي في: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٢، ص٣٢٧ رقم ٢٤٥، والكامل لابن الأثير، ج١٠ (صفحات متفرقة) ٦٤٩، ٦٥٨، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٧٨، ١١٠، تاريخ الإسلام: د. حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٦٨ ـ ٧٦، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ١٥ ـ ٤٩، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٧٠، والأعلام للزركلي، ج٣، ص٥٠.

(٣) في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٥٨ أن كربوقا ملكها في ذي القعدة سنة ٤٨٩هـ.

(٤) في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٣٤١ أن كربوقا توفي في ذي القعدة سنة ٤٩٥هـ.

(٥) كان موسى التركماني نائبًا عن كربوقا بحصن كيفا، فلما مات كربوقا كاتبه أعيان الموصل ليسلموا البلد، فسار إليها وقتل سنقرجة الذي عهد إليه كربوقا عند وفاته، وتسلم البلد. وقد قُتل موسى في السنة نفسها أي ٤٩٥هـ. ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٣٤١.

(٦) بالأصل الجكرمش. انظر الباهر لابن الأثير ص١٦.
كان جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فقاتل موسى التركماني وهزمه واستولى على الموصل بعد أن قتل موسى بيد بعض الغلمان القوامية. ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٣٤٢.

(٧) ملك جاولي الموصل من سنة ٥٠٠ إلى ٥٠٢هـ. ابن الأثير التاريخ الباهر، ص١٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٧٠، والأعلام للزركلي، ج٣، ص٥٠.

محمد بن ملكشاه، فأرسل السلطان الأمير مودود إلى الموصل، في سنة اثنتين وخمسمائة، وأقطعه إياها، ففارقه عماد الدين وغيره من الأمراء، والتحقوا بمودود، فأكرم زنكي وشهد حروبه. ثم سار مودود إلى الشام ففتح في طريقه قلاعًا كانت للفرنج، ثم حضر عند أتابك طغرلتكين [طغتكين][1] صاحب دمشق وسار إلى طبرية وحاصرها، وقاتلوا قتالاً شديدًا، فظهر من عماد الدين زنكي شجاعة عظيمة، منها أنه كان في نفر وخرج الفرنج من البلد، فحمل عليهم هو ومن معه فهزمهم، واستمر في حملته وهو يظن أن أصحابه يتبعونه، فتخلفوا عنه وتقدم وحده إلى أن وصل إلى باب المدينة، وأثر رمحه فيه. وقاتل الفرنج عليه وحمى نفسه، وعاد سالمًا، فعجب الناس من إقدامه وسلامته. ثم عاد إلى دمشق صحبة الأمير مودود، فخرج مودود لصلاة الجمعة، فلما صلّى وانصرف، فبينما هو في صحن الجامع ويده بيد طغرلتكين وثب عليه إنسان فضربه بسكين، فحمل إلى بيت طغرلتكين فمات في بقية يومه[2]، وكان صائمًا ولم يفطر، وقتل قاتله. قال: ولما قتل كتب ملك الفرنج إلى طغرلتكين يقول:

«إن أمة قتلت عميدها، في يوم عيدها، في بيت معبودها، حقيق على الله أن يبيدها» ثم أقطع السلطان الموصل وغيرها بعد قتل مودود للأمير جيوش بك، وسيّر معه ولده الملك مسعود، كما ذكرناه. ثم جهز السلطان أقسنقر البرسقي في العساكر لقتال الفرنج، وكتب إلى عساكر الموصل وغيرها يأمرهم بالمسير معه، فساروا وفيهم عماد الدين زنكي. وكان يعرف في عساكر العجم زنكي الشامي[3]، فسار أقسنقر إلى الرها[4] وإلى سُمَيْساط[5] وبلد سَرُوج، وقاتل الفرنج وأبلى زنكي في هذه المواقف بلاءً حسنًا. فعادت العساكر تتحدث بما فعله، وعاد البرسقي وأقام زنكي بالموصل مع

---

(١) هو ظهير الدين طغدكين كان من أمراء تاج الدين تُتُش السلجوقي صاحب دمشق وزوّجهُ تتش بأم ولده دقاق ثم صار أتابكًا لدقاق ولما مرض دقاق أوصى بولاية طغدكين على دمشق وحضانة ابنه الصغير تتش الثاني، وتوفي طغدكين سنة ٥٢٢هـ. انظر مرآة الزمان لابن الجوزي ج٨، ص١١، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٤، ص٦٥، ويرسم ابن الأثير طغتكين، الكامل ج١٠، ص٣٩٩، والرسم طغدكين مستعمل أيضًا في الباهر، ص١٧.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٤٩٧.

(٣) عرف عماد الدين زنكي بذلك تمييزًا له عن زنكي بن برسق صاحب همذان. انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٥٠١.

(٤) فسار آقسنقر إلى الرها في خمسة عشر ألف فارس فحصرها وقاتل من بها من الفرنج والأرمن فرحل إلى سُمَيْساط. ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٥٠١، وابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص١٩.

(٥) سُمَيْساط: بضم أوله وفتح ثانيه: مدينة على الشاطىء الغربي للفرات في طرف بلاد الروم، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٨.

الملك مسعود، والأمير جيوش بك، إلى أن أظهر العصيان على السلطان في سنة أربع عشرة وخمسمائة، ثم استأمن الملك مسعود لأخيه السلطان على ما قدمنا ذكر ذلك في أخبار الدولة السلجقية.

ذكر ابتداء حال عماد الدين زنكي وترقِّيه وتنقله في الولايات

كان ابتداء ولايته في سنة ست عشرة وخمسمائة، وذلك أن السلطان محمود أقطع الأمير أقسنقر البرسقي مدينة واسط وأعمالها، مضافًا إلى ما بيده من ولاية الموصل وشحنكية العراق وغير ذلك. فسيّر البرسقي إليها عماد الدين زنكي وأمره بحمايتها، فسار إليها في شعبان وقام بحمايتها أحسن قيام، وحضر مع الخليفة المسترشد بالله قتال دُبَيْس بن صدقة أمير الحلة. وكان لعماد الدين في ذلك آثار حسنة، وأقام إلى أن عزل أقسنقر البرسقي عن شحنكية العراق ورجع إلى الموصل في سنة ثماني عشرة وخمسمائة. وكان عماد الدين إذ ذاك بالبصرة قد سيّره البرسقي لحمايتها، فلما توجه البرسقي إلى الموصل أرسل إليه يأمره باللحاق به، فقال لأصحابه: «قد ضجرنا مما نحن فيه بالموصل، في كل يوم أمير جديد، ونحتاج نخدمه، وقد رأيت أن أسير إلى السلطان محمود فأكون معه»؛ فأشاروا عليه بذلك. فسار إلى السلطان محمود فقدم عليه وهو بأصفهان، فأكرمه. وكان يقف عن يمين تخت السلطان إلى جانبه لا يتقدم عليه غيره، وهي منزلة والده من قبله.

ثم بلغ السلطان محمود أن العرب تجمعت ونهبت البصرة، فأقطعها لعماد الدين زنكي، وأعاده إليها، وهذه الولاية هي أول ولاياته من قبل السلطان، فضبط عماد الدين زنكي البصرة وأعمالها وقام فيها أحسن قيام، وكفّ الأيدي عنها.

فلما وقع الاختلاف بين السلطان محمود والخليفة المسترشد بالله، وحضر السلطان إلى بغداد وحصرها كما قدمنا ذكر ذلك، أرسل إلى عماد الدين زنكي وهو بواسط يأمره بالحضور بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب. ففعل عماد الدين زنكي ذلك وجاء في موكب عظيم في البر والبحر، فركب السلطان للقائه، ورأى الناس من ذلك ما هالهم، وعظم عماد الدين في أعينهم. ثم حصل الاتفاق بعد ذلك بين السلطان والخليفة كما ذكرنا.

ذكر ولاية عماد الدين زنكي شحنكية العراق(١)

وفي شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وخمسمائة أسند السلطان محمود شحنكية العراق إلى الأمير عماد الدين زنكي. وسبب ذلك أن السلطان لما عزم على المسير عن بغداد إلى همذان، نظر فيمن يصلح لشحنكية العراق ممن يأمن جانبه مع الخليفة. واعتبر أعيان دولته، فلم يرَ فيهم من يقوم بأعباء هذا الأمر مقامه، فاستشار أصحابه في ذلك فكل أشار عليه به [عماد الدين] وقالوا: «لا يقدر على سد هذا الخرق، وإعادة ناموس هذه الولاية، ولا يقوى نفس حد على ركوب هذا الخطر، غير عماد الدين زنكي، ففوض إليه ولايتها، مضافًا إلى ما بيده من الإقطاع. وكانت شحنكية العراق من أعظم الولايات. وسار السلطان عن بغداد وقد اطمأن من جهة العراق. ولم يطل مقام زنكي ببغداد حتى انتقل إلى ولاية الموصل.

ذكر ولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها(٢)

كانت ولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة. وسبب ذلك أن أقسنقر البرسقي لما قتل على ما ذكرناه، وولي بعده ابنه مسعود في ثامن ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة، فمات مسعود في سنة إحدى وعشرين وهو يحاصر الرحبة. فلما مات قام بعده أخ له صغير، واستولى على البلاد جاولي مملوك أبيه، ودبر أمر الصبي وأرسل إلى السلطان يطلب تقرير أعمال الموصل على الصغير ولد أقسنقر البرسقي، وبذل الأموال الكثيرة على ذلك. وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد [الياغيسياني](٣) أمير حاجب البُرسقي، فسارا حتى حضرا دركاة السلطان ليخاطباه في ذلك. كانا يكرهان جاولي ويخافانه، ولا يرضيان بطاعته، فاجتمع صلاح الدين مع نصير الدين جغر(٤) الذي صار ينوب عن عماد الدين. فذكر له صلاح الدين ما ورد فيه، وكان بينهما صهارة. فخوّفه نصير الدين من جاولي، وقبّح عنده طاعته، وقرر في نفسه أن جاولي إنما أبقاه لحاجته إليه وأنه متى أجيب إلى مطلوبه لا يبقى على

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤١.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٣.

(٣) «الياغيثاني» في الأصل والتصحيح من الكامل لابن الأثير ج١٠، ص٦٥٠.

(٤) هكذا في الأصل: وفي الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٣، وعن مقتل جفر، انظر دولة آل سلجوق للبنداري ص١٨٧.

أحد منهم، وحسّن له المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي، وضمن له الولايات والإقطاعات الكبيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين، فقاما وركبا إلى دار الوزير شرف الدين أنو شروان بن خالد، واجتمعا به وقالا له: «قد علمتَ وعلم السلطان أن ديار الجزيرة والشام قد تمكّن الفرنج منهما، وقويت شوكتهم بها، واستولوا على أكثرها، وقد أصبحت ولايتهم من حدود ماردين إلى عريش مصر، ما عدا البلاد الباقية للمسلمين. وكان البرسقي بشجاعته وانقياد العساكر إليه، يكف بعض عاديتهم وشرهم، وقد زاد طمعهم منذ قتل، وولده هذا طفل صغير(١)، ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة، يذبّ عنها، ويحمي حوزتها. وقد أنهينا الحال لئلا يجري خلل أو وهن على الإسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال: لمَ لا أنهيتم إلينا جلية الحال»، فرفع الوزير قولهما إلى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه، وأحضرهُما واستشارهما فيمن يصلح للولاية، فذكرا جماعة فيهم عماد الدين زنكي، وبذلا عنه تقربًا إلى خزانة السلطان مالاً جليلاً، فأجاب السلطان إلى ولايته، فأحضره وولاه جميع تلك البلاد(٢)، وكتب منشورة(٣) بها، وسار عماد الدين زنكي إليها فبدأ بالبوازيج(٤) ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره، لأنه خاف من جاولي أنه ربما يصده عن البلاد. ثم سار عن البوازيج إلى الموصل، فلما سمع جاولي بقربه خرج إلى لقائه ومعه سائر العسكر، وترجل عند مقابلته، وقبّل الأرض بين يديه(٥)، وعاد في خدمته إلى الموصل، فدخلها في شهر رمضان من السنة. وأقطع جاولي الرحبة وسيّره إليها، وولى نصير الدين دزداريّة قلعة الموصل وجعل إليه سائر دزدارية القلاع(٦)، وجعل صلاح الدين محمد أمير حاجب، وبهاء الدين علي الشهرزوري قاضي القضاة بجميع بلاده، وزاده إقطاعًا وأملاكًا، وكان لا يصدر إلا عن رأيه.

فلما فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جزيرة ابن عمرو(٧) بها مماليك

---

(١) انظر ذيل تاريخ دمشق للقلانسي ص٢٣٠ ـ ٢٣٣.

(٢) في ابن واصل مفرج الكروب ج١ ص٣٣ أن السلطان محمدًا عهد إلى عماد الدين بتربية ابنه الملك ألب أرسلان المعروف بالخفاجي فأخذه عماد الدين معه إلى الموصل ولقد أشار ابن الأثير في الكامل إلى ذلك في خبر مقتل نصير الدين جفر سنة ٥٣٩هـ.

(٣) انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج٢، ص٣٢٧. ترجمة عماد الدين زنكي والمنشور كل ما يصدر عن السلطان من مكاتبات لا يحتاج إلى ختم: أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية، ص٣٨٤.

(٤) البوازيج: بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١، ص٥٠٣.

(٥) الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٥.

(٦) انظر الباهر لابن الأثير ص٣٥.

(٧) في الأصل جزيرة عمر بن الخطاب، الباهر ص٣٦.

البرسقي، فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم، وبذل لهم البذول الكثيرة على التسليم، فلم يجيبوه إلى ذلك فجدّ في قتالهم[١] وكان بينه وبين البلد دجلة، فأمر الناس بإلقاء أنفسهم في الماء، ففعلوا وعبروا سباحة وعبر بعضهم في السفن والأكلاك، وتكاثروا على أهل الجزيرة. وكانوا قد خرجوا إلى أرض بين الجزيرة ودجلة، تعرف بالزلاقة، ليمنعوا عسكر عماد الدين، فلما رأوه قد عبر دجلة انهزموا ودخلوا البلد، وأرسلوا في طلب الأمان، فأمنهم ودخل البلد بعسكره[٢]. ثم زادت دجلة في تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد، وصارت الزلاقة مملوءة بالماء، فلو أقام بها عماد الدين تلك الليلة هلك هو وعسكره ولم يسلم منهم أحد، فأيقن الناس بسعادته.

ثم سار عن الجزيرة إلى نصيبين، وكانت لحسام الدين تمرتاش بن إيلغازي صاحب ماردين، فلما نازلها سار حسام الدين إلى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا[٣] فاستنجده على أتابك زنكي، فوعده النجدة بنفسه وجميع عسكره. وعاد تمرتاش إلى ماردين، وأرسل رقعة على جناح طائر إلى نصيبين، يعرف من بها من العسكر أنه وابن عمه واصلانِ إليهم بالعسكر الكثير لدفع زنكي عنهم، ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام. فبينما أتابك زنكي في خيمته وإذا بطائر سقط على الخيمة وهو ينظر إليه، فأمر بمسكه فمسك، فرأى فيه الرقعة فقرأها، وأمر بكتب غيرها يقول: «إنني مضيت إلى ركن الدولة وقد وعدني النصرة بجميع العساكر وما نتأخر عن الوصول أكثر من عشرين يومًا» وأمرهم بحفظ البلد هذه المدة، إلى أن يصلوا وجعلها على الطائر، وأرسله. فوصل إلى نصيبين فلما قرأ من بها الرقعة، سقط في أيديهم، وعلموا عجزهم عن حفظ البلد هذه المدة، فأرسلوا إلى زنكي وصالحوه وسلّموا إليه البلد، فبطل على داود وتمرتاش ما كانا عزما عليه [وهذا من غريب ما يُسمع][٤].

ولما ملك نصيبين سار عنها إلى سنجار، فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموها إليه، وسيّر منها الشحن إلى الخابور فملكه جميعه. ثم سار إلى حران وهي

---

(١) في الأصل «فلم يجيبوا إلى ذلك جد في قتالهم» والتصحيح من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٥.

(٢) انظر تاريخ دولة آل سلجوق للبنداري ص١٨٧.

(٣) كيفا في ياقوت ويقال كيبا وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. معجم البلدان ج٢ ص٢٦٥. انظر الباهر لابن الأثير ص٣٥.

(٤) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٦.

للمسلمين. وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحي جميعها للفرنج، وأهل حران معهم في ضر عظيم، وضيق شديد، لخلو تلك البلاد من حامٍ يذب عنها [وسلطان يمنعها][١] فلما قاربها خرج أهل البلد إلى لقائه، وسلموها إليه، فأرسل إلى خوستكين[٢] صاحب الرها، وتلك البلاد وهادنه مدة يسيرة، وكان غرضه أن يتفرغ لإصلاح البلد، ويحشد، ويملك حلب والشام، ثم يقاتل الفرنج.

ذكر ملك عماد الدين حلب[٣]

وفي [أول][٤] المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، ملك عماد الدين زنكي حلب[٥] وقلعتها. وسبب ذلك أنها كانت بيد قرمان[٦] نيابة عن عز الدين مسعود بن أقسنقر البرسقي. ثم استناب بعده قتلغ فوصل إليها بعد وفاة مسعود، وتسلمها. ثم ثار به أهل المدينة وسلموها إلى سليمان بن عبد الجبار. فسيّر عماد الدين إليها الأمير سنقردار والأمير حسن قراقوش في عسكر قوي، ومعهما التوقيع من السلطان لعماد الدين بالموصل والجزيرة والشام. فوصلا إلى حلب وسيرا قتلغ وابن عبد الجبار إلى عماد الدين بالموصل، فسار إليه وأقام حسن قراقوش بحلب واليًا عليها. فلما وصل بدر الدولة [سليمان] بن عبد الجبار وقتلغ إلى عماد الدين أصلح بينهما، ولم يردهما إلى حلب، وسيّر حاجبه صلاح الدين محمد الياغيسياني في عسكر إلى حلب، فصعد إلى قلعتها ورتب الأمور، وجعل فيها واليًا. وسار عماد الدين إلى الشام في جيوشه، فملك في طريقه مدينة منبج[٧] وبزاعة[٨]، ووصل إلى حلب، فتلقاه أهلها، فدخلها ورتب أحوالها، وجعل رئاستها لأبي الحسن علي بن عبد الرزاق.

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٧.
(٢) هو «جوسلين» ابن الأثير: الكامل ج١٠، ص٦٤٧.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٤٩.
(٤) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٩.
(٥) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٧٠.
(٦) في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٤٩ «قومان».
(٧) «منبج» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٥٠.
(٨) بزاعة: بلدة من أعمال حلب في وادي بُطنان بين منبج وحلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٠٩.

ذكر ملكه مدينة حماه[(١)]

وفي سنة ثلاث وعشرين ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة. وسبب ذلك أنه أظهر أنه يريد جهاد الفرنج، وأرسل إليه تاج الملوك بوري بن أتابك طغرتكين صاحب دمشق يستنجده، ويطلب منه معونته على جهاد الفرنج، وكانوا قد حصروا دمشق. فأجاب إلى ذلك وجرّد تاج الملوك عسكرًا من دمشق، وأرسل إلى ابنه سونج وهو بمدينة حماه يأمره بالنزول إلى العسكر والمسير به إلى زنكي. ففعل وساروا جميعهم فوصلوا إليه، فأكرمهم وأحسن لقاءهم، وتركهم أيامًا، ثم قبض على سونج بن تاج الملوك، وعلى جماعة من الأمراء والمقدمين، ونهب خيامهم وما فيها واعتقلهم بحلب. وسار من يومه إلى حماة، فوصل إليها وهي خالية من الجند فاستولى عليها، ورحل عنها إلى حمص. وكان صاحبها خيرخان بن قراجا في عسكر عماد الدين، وهو الذي أشار عليه بالقبض على تاج الملوك، فقبض عليه أيضًا. ونزل على حمص، وطلب منه أن يأمر أصحابه وولده بحمص بتسليمها، فأرسل إليهم فلم يفعلوا، فحصرها مدة طويلة، ثم رحل عنها وعاد إلى الموصل.

ذكر ملكه حصن الأثارب وهزيمة الفرنج[(٢)]

قال: ولما فرغ عماد الدين من أمر البلاد الشامية [حلب وأعمالها][(٣)] رجع إلى الموصل فأراح واستراح، وأمر أصحابه بالاستعداد فاستعدوا. ورجع إلى حلب وعزم على قصد حصن الأثارب وهو فيما بين حلب وأنطاكية على ثلاثة فراسخ من حلب. وكان من به من الفرنج يقاسمون أهل حلب على جميع أعمالها الغربية حتى على رحى لأهل حلب بظاهر باب الجنان، بينها وبين البلد عرض الطريق. فلما علم الفرنج بقصده جمعوا فارسهم وراجلهم واستعدوا وساروا نحوه، فتقدم إليهم والتقوا واقتتلوا واشتد القتال، فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة، وأسر كثير من فرسانهم، وقتل كثير، وتقدم إلى الحصن فنازله وفتحه عنوة، وعمّ من فيه بالقتل والأسر وأخربه، وجعله دكًا. ثم سار إلى قلعة حارم وهي بالقرب من أنطاكية فحصرها، فبذل الفرنج نصف دخل بلد حارم وهادنوه فأجابهم إلى ذلك، وعاد عنهم وقد اشتد أزر المسلمين وصار قصار الفرنج حفظ ما بأيديهم، وذلك في سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٥٨، والباهر لابن الأثير، ص٣٨.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٦٢.

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٦٦٢.

ولما عاد إلى ديار الجزيرة ملك سرجا[١] ودارا[٢] وهما من أعمال ركن الدولة صاحب حصن كيفا[٣].

وفي سنة ست وعشرين سار عماد الدين بالعساكر من الموصل إلى العراق لنصرة السلطان مسعود بعد وفاة السلطان محمود. وكان مسعود قد كاتبه واستنجد به، فسار إليه ومعه الأمير دُبَيْس بن صدقة فسار حتى نزل إلى البادية. وخرج الخليفة المسترشد بالله[٤] لحربه ـ وذلك في سابع عشرين شهر رجب من السنة ـ والتقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا، فحمل عماد الدين على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة إقبال فهزمها، فحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دُبَيْس، وأراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم، وقتل من العسكر جماعة.

ثم سار المسترشد وحاصر الموصل كما ذكرناه في أخباره. وأن سبب ذلك أن الخليفة أرسل الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الإسفرايني الواعظ إلى عماد الدين برسالة فيها خشونة، زادها الشيخ [أبو الفتوح] زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة، فقبض عليه عماد الدين وأهانه ولقبه بما يكره. فسار الخليفة في النصف من شعبان سنة سبع وعشرين ونازل الموصل، ففارقها زنكي ببعض العسكر، وترك بعضه مع نائبه نصير الدين جقز دزدار القلعة. ووصل عماد الدين إلى سنجار وقطع الميرة عن عسكر الخليفة وتخطف من ظفر به من العسكر. وقام الحصار ثلاثة أشهر، ثم رحل الخليفة عنها ولم يظفر منها بشيء.

وفي مدة الحصار ملك شمس الملوك إسماعيل ابن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة.

ذكر حصره مدينة آمد وملكه قلعة الصور[٥]

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة اجتمع عماد الدين أتابك زنكي

---

(١) سرجة: حصن قرب دارا. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣، ص٢٠.

(٢) دارا: هي بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردي. ياقوت الحموي: المصدر السابق ج٢، ص٤١٨.

(٣) كيفا: هي بلدة مشرفة على دجلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٥.

(٤) هو الفضل المسترشد بالله بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدي عبد الله بن محمد الهاشمي العباسي أبو منصور من خلفاء الدولة العباسية. توفي سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٥٠.

(٥) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣، والباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص٤٨.

وتمرتاش صاحب ماردين، وحصرا مدينة آمد. فأرسل صاحبها إلى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده، فجمع عساكره وغيرها وسار نحو آمِد ليُرَحِّلَهُما عنها، فالتقوا على بابها، واقتتلوا في جمادى الآخرة. فانهزم داود وقتل جماعة من عسكره. ولم يبلغ عماد الدين من آمد غرضًا، فقصد قلعة الصور[١] من ديار بكر، وحصرها وضايقها، فملكها في شهر رجب[٢] واتصل به ضياء الدين أبو سعيد الكفرتوثي[٣] فاستوزره، وكان حسن السيرة عظيم الرياسة والكفاية، والله أعلم.

ذكر ملكه قلاع الأكراد الحميدية[٤]

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة أيضًا استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الأكراد الحميدية منها قلعة العقر وقلعة شوش[٥] وغيرهما. وكان لما ملك الموصل أقرّ صاحبها الأمير عيسى الحميدي على ولايتها وأعمالها، فلما حضر المسترشد الموصل حضر عيسى إليه وجميع الأكراد معه. فلما رحل المسترشد أمر عماد الدين بحصر قلاع الأكراد فحصرت مدة طويلة، وقوتل من بها إلى أن ملكت في هذه السنة، فاطمأن حينئذ أهل السواد المجاورين لهذه القلاع، لأنهم كانوا مع الأكراد في ضيق عظيم من نهب أموالهم.

وفيها صلح أمر زنكي مع الخليفة.

---

(١) الصور: بفتح الصاد وسكون الواو، قلعة حصينة على رأس جبل قرب ماردين. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣، ص٤٣٤.

(٢) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣، إن حصار آمد كان في جمادى الآخرة من السنة. وفي الباهر لابن الأثير: «ولما عجز عماد الدين عنها استولى على قلعة صور» ص٤٨.

(٣) نسبة إلى كفرتوثا، وهي في ياقوت قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بينها وبين دارا خمسة فراسخ. معجم البلدان، ج٤، ص٤٦٨.

(٤) انظر التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص٤٨.

(٥) العقر: بفتح العين وسكون القاف، قلعة حصينة في جبال الموصل أهلها أكراد، وهي في شرقي الموصل وتعرف بعقر الحميدية، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٣٦.

الشوش: قلعة عظيمة عالية جدًا قرب عقر الحميدية من أعمال الموصل، قيل هي أعلى من العقر وأكبر ولكنها في القدر دونها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٢.

ذكر حصره مدينة دمشق[١]

وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة نازل عماد الدين أتابك زنكي مدينة دمشق[٢]، وحصرها في جمادى الأولى. وكان سبب ذلك أن صاحبها شمس الملوك[٣] كان قد كتب إليه يستدعيه ليسلم إليه البلد، فسار إليها، فقتل شمس الملوك قبل وصوله وملك أخوه شهاب الدين محمود كما ذكرناه. فاستمر في مسيره فحاصرها. فأتاه وهو في الحصار رسول الخليفة بالخلع، ويأمره بمصالحة صاحب دمشق والرحيل عنها فصالحهم، وخطب له بدمشق ورحل عنها لليلتين بقيتا من جمادى الأولى من السنة.

وفي سنة ثلاثين وخمسمائة استنصر الخليفة الراشد بالله بعماد الدين على السلطان مسعود كما ذكرناه في أخبار الدولة العباسية فجاء إليه هو وأصحاب الأطراف إلى بغداد. وكان بين الخليفة والسلطان ما ذكرناه من غلبة السلطان مسعود ومسير الخليفة إلى الموصل مع عماد الدين، وقد شرحنا ذلك مبينًا في أخبار الدولة العباسية، فلا فائدة في إعادته، وإنما نبهنا عليه في هذا الموضع جريًا على القاعدة.

ولما خلع الراشد وبويع للمقتفي[٤] لأمر الله، أرسل إليه عماد الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري، فحضر إلى الديوان، فأمر الخليفة أن يعطي أتابك زنكي صريفين[٥] ودرب هارون وجَرّى ملكًا، وهي من خاص الخليفة، وزاد في ألقابه

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٢١.

(٢) في المنتظم ج١٠، ص٤٣، إنه لما حاصر عماد الدين دمشق بعث أصحابها إلى الخليفة حملاً كثيرًا وخطا بخمسين ألف دينار وقالوا: ادفع عنا زنكي ونحن نحمل هذا في كل عام، فبعث إليه: تنحّ عنهم واخطب للصبي (أي للملك ألب أرسلان الذي يشرف عماد الدين على تربيته) وتعال معه إلى العراق حتى أخطب له ونتساعد على مسعود، فقال: السمع والطاعة، وخطب للصبي. ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص٤٨.

(٣) «توفي شمس الملوك إسماعيل ابن تاج الملوك بوري ابن الأتابك ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق. كانت ساءت سيرته وصادر الناس وأخذ أموالهم وسفك الدماء وظهر منه شح زائد». ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٤٩. انظر أيضًا شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٤، ص٩٠.

(٤) في الأصل «للمتقي لأمر الله» والصواب المقتفي لأمر الله. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص٤.

(٥) صريفون أو صريفين: بفتح أوله وكسر ثانيه: اسم لأكثر من قرية بالعراق أشهرها على ضفة نهر دجيل قرب عكبراء، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٠٢.

وقال: «هذه قاعدة لم يسمح بها لأحد من زعماء الأطراف أن يكون لهم نصيب من خاص الخليفة» فعظم بذلك شأنه، وبايع للمقتفي لأمر الله وخطب له بالموصل.

ذكر غزاة العسكر الأتابكي إلى بلاد الفرنج[١]

وفي شعبان سنة ثلاثين وخمسمائة جهز عماد الدين أتابك زنكي عساكره مع الأمير أسوار نائبه بحلب، فقصدوا بلد الفرنج على حين غفلة منهم، وساروا نحو جهة اللاذقية، فنهبوا منها شيئًا كثيرًا، وقتلوا وأسروا سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبي، وغنموا مائة ألف رأس من الدواب، ما بين فرس وحمار وبقر وغنم، وغنموا غير ذلك من الأقمشة والعين والحلي ما لا يدخل تحت الإحصاء وخربوا بلاد اللاذقية وما جاورها، ورجعوا بالظفر والغنيمة، والله أعلم.

ذكر ملكه قلعة بعرين وهزيمة الفرنج

وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة حصر عماد الدين زنكي حمص، وهي لصاحب دمشق، فلم ينل منها غرضًا. فرحل عنها إلى بعرين[٢] وهي للفرنج، فحاصرها في شوال، وهي من أمنع الحصون وأحصنها، وزحف عليها، فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا بملوكهم وقمامصتهم وكنودهم[٣] ليرحلوه عنها. فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال، فأجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج، وأخذتهم سيوف المسلمين من كل ناحية، فاحتمى ملوكهم وفرسانهم بحصن بعرين لقربه، فحصرهم. فدخل القسوس والرهبان إلى بلاد الفرنج والروم وما ولاها من بلاد النصرانية مستنفرين على المسلمين، وقالوا: «إن المسلمين ليس لهم همة إلا قصد البيت المقدس» فاجتمعت ملوك النصرانية وصاروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام، وجدّ عماد الدين في الحصار، فقلّت الأقوات عندهم، فسألوا الأمان على أن يتركهم يتوجهوا إلى بلادهم. فلم يجب إلى ذلك، إلى أن بلغه أن ملك الروم قد أقبل بجموع الفرنج والنصرانية، فآمنهم على تسليم الحصن وخمسين ألف دينار. ففعلوا ذلك. فلما فارقوا الحصن

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٤٠.

(٢) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٥١ وابن القلانسي ص٢٥٩ أن استيلاء عماد الدين على بعرين كان سنة ٥٣١هـ. وبعرين في ياقوت الحموي: بليد بين حمص والساحل هكذا تتلفظ به العامة، وهو خطأ وإنما هو بارين. معجم البلدان، ج١، ص٤٥٢.

(٣) كنود: جمع كوند وهو الكونت أي أمير. انظر ابن منظور لسان العرب، مادة كند ج٣، ص٣٨٢.

بلغهم اجتماع الروم والفرنج بسببهم، فندموا على تسليمه وفتح عماد الدين في مقامه المعرة وكفرطاب من الفرنج.

ولما فتح المعرة حضر إليه أهلها أرباب الأملاك، وطلبوا أملاكهم فطلب منهم كتبها فاعتذروا أنها عدمت عندما ملكها الفرنج، فأمر بإحضار دفاتر الديوان بحلب، وكشف منها فمن وجد باسمه خراج فيها عن ملك سلمه إليه أو لعقبه إن كان قد مات. وأعاد الأملاك بهذه الطريق. وهذه غاية في الإحسان وفي تسهيل البر والخير ونهاية في العدل.

وفيها سار [عماد الدين] إلى دقوقا وملكها بعد قتال شديد.

ذكر ملكه مدينة حمص وغيرها من أعمال دمشق(١)

وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وصل زنكي إلى حماة، وسار منها إلى بقاع بعلبك، فملك حصن المجدل(٢) وسار إلى حمص وحصرها وملكها وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه وكان لصاحب دمشق، وبعث إلى شهاب الدين محمود صاحب دمشق يخطب أمه زمرد خاتون ابنة جاولي، فتزوجها وحملت إليه.

ذكر وصول ملك الروم إلى الشام وملكه بُزاعة(٣) وما فعله بالمسلمين(٤)

كان ملك الروم صاحب القسطنطينية قد دخل إلى البلاد في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وخرج على أنطاكية وسار إلى أذنة والمصيصة(٥)، وهما بيد ابن لاون

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٥٥.

(٢) المقصود هنا مجدليابة، وهي قرية الرملة فيها حصن محكم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٥٧.

(٣) بُزاعة: بين منبج وحلب، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٠٨.

(٤) في ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٦ «وصل ملك الروم إلى الشام وخافه الناس خوفًا عظيمًا».

(٥) أذنة: بلد من الثغور قرب المصيصة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٣٣.
والمصيصة: بالفتح ثم الكسر، مدينة على شاطىء جيحان بين أنطاكية وبلاد الروم، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٤٤.

الأرمني[(١)] صاحب الدروب[(٢)] فحصرها وملكها ورحل إلى عين زَربة[(٣)] فملكها عنوة، وملك تل حمدون وحمل أهله إلى جزيرة قبرص، وعمر ميناء إسكندرونة ثم خرج إلى الشام فحصر مدينة أنطاكية في ذي القعدة فصالحه صاحبها ريمند الفرنجي[(٤)]، فرحل عنها إلى بَغْراس[(٥)] ودخل ابن ليون في طاعته.

ثم سار إلى الشام في سنة اثنتين وثلاثين وقصد بزاعة فحصرها وهي مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب، فملكها بالأمان في الخامس والعشرين من رجب، ثم غدر بأهلها فقتل منهم وسبى فتنصر قاضيها وجماعة من أهلها وأعيانها نحو من أربعمائة نفس. وأقام الروم عشرة أيام يطلبون من اختفى، ودخنوا على من دخل المغاير، فهلكوا. ثم رحل [ملك الروم] إلى حلب ونزل على قُوَيق[(٦)] ومعه الفرنج الذين بساحل الشام، وكان عماد الدين يحاصر حمص فلما بلغه خبرهم، سيّر طائفة من العسكر ليحفظوا حلب منهم، فلما نزلوا على حلب خرج إليهم أحداث البلد وقاتلوهم قتالاً شديدًا، فقتل كثير من الروم وجرح كثير، وقتل بطريق عظيم القدر عندهم. فأقاموا ثلاثة أيام ورحلوا إلى قلعة الأثارِب[(٧)]، فخاف من بها من المسلمين فهربوا عنها في تاسع شعبان، فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعة والأسرى، ومعهم جمع كثير من الروم يحفظونهم، وساروا. فلما سمع الأمير سوار نائب عماد الدين بحلب بذلك، سار بمن عنده من العسكر إلى الأثارب فأوقع بالروم وقتلهم وخلّص الأسرى وعاد إلى حلب.

---

(١) المقصود الأمبراطور حنا الثاني كومين أمبراطور الدولة البيزنطية. واسم ابن لاون لقب اعتاد المؤرخون المسلمون إطلاقه على أمراء أرمينيا الصغرى وملوكها. والمراد الأمير ليون الأول الأرمني. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ص٥٨٣.

(٢) الدروب: جمع الدرب. وهو الطريق الذي يسلك. وهنا الموضع الواقع في جنوب شرقي آسيا الصغرى وبه ممرات ومسالك تؤدي إلى بلاد الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٤٧.

(٣) عين زربى أو زربة: بفتح الزاي وسكون الراء وباء موحدة وألف مقصورة، وهو بلد من نواحي المصيصة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٧٧.

(٤) هو ريموند دي بواتيه. انظر الحركة الصليبية لسعيد عبد الفتاح عاشور ص٥٨٣.

(٥) مدينة قريبة من أنطاكية تبعد عنها مسافة أربعة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٦٧.

(٦) قُويق: بضم أوله وفتح ثانيه، نهر مدينة حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٧.

(٧) الأثارب: وهي قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٨٩.

وأما عماد الدين فإنه فارق حمص وسار إلى سلمية[١] فنزلها، وعبر ثقله الفرات إلى الرقة، وأقام جريدة. وقصد الروم شيزر، وهي من أمنع الحصون وكانت للأمير أبي المعالي سلطان بن علي بن منقذ الكناني، فنازلوها وحاصروها ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقًا فأرسل صاحبها إلى عماد الدين يستنجده، فسار إليه ونزل على نهر العاصي بينها وبين حماه، فكان يركب بعسكره إلى شيزر ويقفون حيث يراهم الروم، ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم. ثم أرسل إلى ملك الروم يقول: «إنكم قد تحصنتم مني بهذه الجبال، فانزلوا عنها إلى الصحراء حتى نلتقي، فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وإن ظفرتم بي استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها». ولم تكن له بهم قوة، وإنما كان يرهبهم بهذا القول وأشباهه، فأشار فرنج الشام على ملك الروم بقتاله وهوّنوا عليه أمره، فلم يفعل، وقال: «أتظنون أن ليس لهم من العسكر إلا ما ترون، إنما هو يريد أن تلقوه فيأتيه من نجدات المسلمين ما لا يحد»[٢] وكان عماد الدين يرسل إلى ملك الروم يقول إن فرنج الشام خائفون منه، ولو فارق مكانه لتخلفوا عنه. ويرسل إلى الفرنج فيقول: «إن ملَكَ الروم من الشام حصنًا واحدًا ملك بلادكم جميعها»[٣]. فاستشعرت كل طائفة من الأخرى. فرحل ملك الروم من شيزر في شهر رمضان وكان مقامه عليها أربعة وعشرين يومًا وترك المجانيق وآلات الحصار كما هي، فسار عماد الدين يتبع ساقة العسكر، فظفر بكثير منهم ممن تخلف.

ذكر ملك عماد الدين بعلبك[٤]

وفي ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ملك عماد الدين زنكي مدينة بعلبك وهي لصاحب دمشق. وسبب ذلك أن شهاب الدين محمود صاحب دمشق قتله غلمانه في هذه السنة كما ذكرنا، وملك بعده أخوه جمال الدين محمد. وكانت والدة محمود زوجة عماد الدين بحلب، فوجدت لذلك وجدًا عظيمًا وحزنت حزنًا شديدًا وكتبت إلى أتابك زنكي وهو بالجزيرة تعرفه بالحادثة وتطلب أن يقصد دمشق ويطلب ثأر ولدها. فبادر إلى ذلك ولم يتوقف وعبر الفرات عزمًا على قصد دمشق. فبلغ ذلك صاحبها فاحتاط واستعد، وسار عماد الدين إلى بعلبك فوصل إليها في العشرين

(١) سلمية: بفتح أوله وثانيه وسكون الميم: بليدة من أعمال حماه، كانت تعد من أعمال حمص. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٠.
(٢) الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٥٧.
(٣) انظر تفاصيل ذلك في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٥٨.
(٤) الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٦٨.

من ذي القعدة، وضيّق على أهلها ونصب عليها أربعة عشر منجنيقًا ترمي ليلًا ونهارًا. فأشرف أهلها على الهلاك، فطلبوا الأمان فأمّنهم وتسلّم المدينة. وبقيت القلعة وبها جماعة من شجعان الأتراك، فلما أيسوا من نصرة معين الدين أتابك صاحب دمشق ـ وكانت بعلبك له ـ فطلبوا الأمان، فأمّنهم وتسلم القلعة منهم. ثم غدر بهم وصلبهم ولم ينج منهم إلا القليل. فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وحذروه ونفروا منه.

قال: ولما فتح بعلبك كان لمعين الدين بها جارية وكان يهواها، فأخذها زنكي وسيّرها إلى حلب، فلم تزل بها إلى أن قتل زنكي، فسيّرها نور الدين إلى معين الدين، فكانت أعظم أسباب المودة بينهما. قال:

ولما فرغ عماد الدين من بعلبك سار إلى دمشق في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ونزل على داريا[1]، فقاتله أهل دمشق فكسرهم وتقدم إلى المصلى[2] فقاتلوه مرة بعد أخرى. كل ذلك والظفر له عليهم. وأرسل إلى صاحب دمشق يبذل له بعلبك وحمص وغيرها مما يختاره من البلاد، فمال إلى تسليمها، فحذره أصحابه وخوّفوه عاقبة غدره، فامتنع من الإجابة فعاد عماد الدين القتال والزحف. واتفقت وفاة جمال الدين صاحب دمشق في ثامن شعبان، وولي بعده ابنه مجير الدين أبق، فاشتد طمع عماد الدين وزحف زحفًا شديدًا، فلما رأى أتابك أنر أن عماد الدين لا يندفع عنهم، راسل الفرنج واستنصر بهم، فاجتمعت الفرنج وعزموا على المسير لدفعه عن دمشق، فعلم عماد الدين بذلك فتوجه إلى حوران في خامس[3] عشر رمضان عازمًا على لقاء الفرنج قبل أن يجتمعوا مع الدماشقة. فلما بلغ الفرنج خبره لم يتحركوا من بلادهم، فعاد إلى حصار دمشق ونزل بعذرا[4] شماليها في سادس شوال، وأحرق عدة من قرى المرج والغوطة، ورحل إلى بلاده.

ثم وصل الفرنج إلى دمشق، وكان معين الدين قد بذل لهم أنه يحاصر بانياس ويسلمها إليهم، وكانت في طاعة زنكي. ففعل معين الدين ذلك وسلمها للفرنج. فلما

---

(١) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٣١.
في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٧٣ «فنزل على داريا ثالث عشر ربيع الأول».

(٢) ربما كان المقصود من المصلى: موضع للصلاة.

(٣) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٧٤ «سار إلى حوران خامس رمضان».

(٤) عذراء: بالفتح ثم السكون قرية بغوطة دمشق، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٩١.

بلغ عماد الدين ذلك رجع إلى بعلبك وفرق عساكره للإغارة على بلد حوران وأعمال دمشق. وسار جريدة، فنزل على دمشق بخواصه في آخر الليل، ولم يعلم به أحد من أهلها. فلما أصبح الناس ورأوا عسكره ارتج البلد، واجتمع العسكر والعامة على السور، وخرجوا إليه فقاتلوه، فلم يمكنه الإقدام على القتال لتفرق عساكره، فأحجم عنهم وعاد إلى مرج راهط، وأقام ينتظر عود عسكره، فعادوا إليه وقد ملأُوا أيديهم من الغنائم فلما اجتمعوا رحلوا إلى بلاده.

ذكر مُلكه شهرزور وأعمالها[(١)]

وفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ملك [عماد الدين زنكي] شَهْرَزُور[(٢)] وأعمالها وما يجاورها من الحصون، وكانت بيد قفجاق بن أرسلان تاش التركماني. وكان حكمه نافذًا على سائر التركمان، قاصيهم ودانيهم، وكلمته لا تخالف، يرون طاعته فرضًا؛ وتحاماه الملوك، وأتاه التركمان من كل فج عميق. فلما كان في هذه السنة سيّر أتابك عماد الدين عسكرًا، فجمع قفجاق أصحابه ولقيهم، واقتتلوا فانهزم قفجاق واستبيح عسكره، وسار الجيش الأتابكي في أعقابهم فحصروا الحصون والقلاع وبذلوا الأمان لقفجاق فسار إليهم، وانخرط في سلك العسكر وسار في الخدمة هو وابنه من بعده.

وفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة كان بين أتابك زنكي وبين داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا حرب شديدة انهزم فيها داود، وملك زنكي من بلاده قلعة بهمود[(٣)]، وأدركه الشتاء فعاد إلى الموصل.

---

(١) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٧٥ أن استيلاء عماد الدين على شهرزور كان بعد حصاره دمشق.

لم يذكر ابن الأثير في الكامل سببًا واضحًا لقصد عماد الدين صاحب شهرزور وإنما ذكر أن قفجاق عظم شأنه وازداد جمعه وأتاه التركمان من كل فج عميق. ولعل عماد الدين خاف من عظم شأن قفجاق وهو مجاور له بالموصل فعاجله بالحرب قبل أن يستفحل أمره. انظر الباهر لابن الأثير، ص٥٧.

(٢) شهرزور: بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة بعدها زاي وواو ساكنة، وراء، كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٥.

(٣) «قلعة بهمرد» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٧٩، وفي مفرج الكروب لابن واصل، ج١، ص٨٩. «نهمرد» في الأصل.

وفيها خطب له بمدينة آمد وصار صاحبها في طاعته، وكان قبل ذلك موافقًا لداود على قتال زنكي فلما رأى قوة زنكي سار معه.

وفيها أغار العسكر الأتابكي من حلب على بلد الفرنج، فأخربوا ونهبوا وظفروا بسرية للفرنج، فقتلوا منهم وكان عدة من قتل سبعمائة رجل.

توفي ضياء الدين أبو سعيد الكفرتوثي وزير عماد الدين أتابك زنكي، وكان رحمه الله حسن السيرة كريمًا رئيسًا.

ذكر مُلك عماد الدين زنكي قلعة آشب وغيرها من بلاد الهكارية[١]

وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة أرسل عماد الدين جيشًا إلى قلعة آشب[٢]، وكانت أعظم حصون الأكراد الهكارية وأمنعها، وبها أموالهم وأهلوهم[٣]. فحصرها الجيش الأتابكي وضيّق على من بها وملكها، فأمر عماد الدين بهدمها، وبنى القلعة العمادية[٤] وكانت العمادية حصنًا عظيمًا من حصونهم فخرّبوه لكبره، لأنه كبير جدًا، فعجزوا عن حفظه فخربت الآن آشب وعمرت العمادية. والعمادية نسبة إلى عماد الدين زنكي. وكان نصير الدين جقر نائب عماد الدين بالموصل قد فتح أكثر القلاع الجبلية.

(١) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٦، أن استيلاء عماد الدين على قلاع الأكراد الهكارية ومنها الشعباني كان سنة ٥٢٨هـ ويصرح ابن الأثير بأنه يروي هذا الخبر عن بعض العلماء الأكراد وأنه لا يعلم بالضبط تاريخ فتح هذه القلاع.

والهكارية عشيرة من أكبر عشائر الأكراد. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٤٠٨.

(٢) هناك اختلاف عند ابن الأثير في اسم القلعة التي أقام عماد الدين على أنقاضها قلعة العمادية. فهو في التاريخ الباهر ص٦٤ يذكر أن القلعة هي قلعة الشعباني، بينما في الكامل ج١١ ص١٦ هي آشب.

(٣) في الأصل «وأهليهم».

(٤) وذكر ابن الأثير خبر استيلاء عماد الدين على آشب وأنه أخربها وأقام على أنقاضها قلعة العمادية وعلى هذا الخبر اعتمد ياقوت في وصفه لقلعة العمادية فقال عنها إنها قلعة حصينة في شمالي الموصل ومن أعمالها، عمرها عماد الدين زنكي بن آقسنقر سنة ٥٣٧هـ وكان قبلها حصنًا للأكراد فأكبره وخربوه، فأعاده زنكي وسماه باسمه نسبة إليه. انظر التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص٦٤.

ذكر صلحه والسلطان مسعود[١]

وفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وصل السلطان مسعود إلى بغداد على عادته، وجمع العساكر وتجهز لقصد بلاد زنكي، وكان قد حقد عليه واتهمه أنه أفسد عليه أصحاب الأطراف وحرضهم على الخروج على السلطان. فلما بلغ زنكي ذلك أرسل إلى السلطان يستعطفه ويستميله، وأرسل إليه السلطان أبا عبد الله بن الأنباري في تقرير القواعد، فاستقرت القاعدة على مائة ألف دينار، يحملها عماد الدين إلى السلطان ليعود عنه، فحمل منها عشرين ألف دينار أكثرها عروضًا. ثم تنقلت الأحوال بالسلطان حتى احتاج إلى مدارة زنكي، فأطلق له ما بقي. ومن جيد الرأي ما فعله عماد الدين زنكي في هذه الحادثة، فإن ولده الأكبر سيف الدين غازي كان لا يزال عند السلطان - سفرًا وحضرًا - بأمر والده، فأرسل إليه الآن يأمره بالهرب من عند السلطان إلى الموصل، وأرسل إلى نائبه بالموصل أن يمنع ابنه المذكور من الدخول. فلما هرب غازي أرسل إليه يأمره بالعود إلى السلطان، ولم يجتمع به، وأرسل معه رسولاً إلى السلطان يقول: «إنّ ولدي هرب خوفًا لما رأى تغير السلطان علي، وقد أعدته، ولم أجتمع به فإنه مملوكك والبلاد لك» فوقع ذلك من السلطان بموقع عظيم، ومال إلى زنكي.

ذكر مُلكه بعض ديار بكر[٢]

وفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة سار عماد الدين زنكي إلى ديار بكر، فملك بها عدة حصون منها مدينة طنزة[٣] ومدينة أسعرد[٤] ومدينة المعدن[٥] التي يعمل بها

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٩٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٩٤.

(٣) طنزة: بفتح أوله وسكون ثانيه، بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٣.

(٤) أسعرد: لم يذكرها ياقوت وفي تاريخ الفارقي ص٥٩ حاشية ٥ نقلًا عن تقويم البلدان: بكسر الهمزة والسين وكسر العين، وسكون الراء المهملات ثم دال يقال لها «سعرت» على جبيل بالقرب من شط دجلة وهي عن ميافارقين على مسيرة يوم ونصف في حين ذكرها ياقوت. أسعرت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣١.

(٥) المعدن في ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٥٤ بكسر الدال وآخره نون: قرية من قرى زوزن من نواحي نيسابور، وفي السلوك للمقريزي، ج١، ص٦٩٠ حاشية ٤ بلدة بأرمينية قرب منبع نهر دجلة، وسميت بهذا الاسم لوجود مناجم لمعدني النحاس والحديد بقربها.

النحاس، ومدينة جِيزان[١] وحصن الرونق[٢]، وحصن قطليس[٣]، وحصن باناسا[٤]، وحصن ذي القرنين وغير ذلك. وأخذ من بلاد ماردين مما هو بيد الفرنج حملين والموزر[٥] وتل موزر[٦] وغيرها من حصون شبختان[٧]، ورتب أمور الجميع وجعل فيها من يحفظها. وقصد مدينة آمد وحاني[٨] فحصرهما وأقام بتلك الناحية. وفيها سيّر عسكرًا إلى مدينة عانة من أعمال الفرات فملكها.

ذكر فتح الرها وغيرها من بلاد الجزيرة مما هو بيد الفرنج[٩]

وفي سادس جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة فتح عماد الدين أتابك زنكي مدينة الرها من حصون الفرنج الجزيرية. وكان ضررهم قد عمّ بلاد الجزيرة، ووصلت غاراتهم إلى أدانيها وأقاصيها، وبلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكانت مملكة الفرنج بهذه الديار من قريب ماردين إلى الفرات مثل الرها وسروج والبيرة[١٠] وسن بن عُطَير[١١] وحملين والموزر والقراديّ[١٢] وغير ذلك. وكانت هذه الأعمال

---

(١) حيزان: في ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣١ بكسر أوله وسكون ثانيه وزاي وألف ونون بلد فيه شجر وبساتين كثيرة ومياه غزرة، قرب إسعرت من ديار بكر.

(٢) «الروق» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٩٤. وفي الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير «الزوق» ص٦٦.

(٣) «فطليس» في الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص٦٦.

(٤) «باتاسا» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٩٤، والباهر ص٦٦.

(٥) موزر: بضم الميم وتشديد الزاي. كورة بالجزيرة منها نصيبين الروم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٢١.

(٦) «تل موزن» في مفرج الكروب لابن واصل، ج١، ص٩٢.

(٧) «من حصون جوسلين» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٩٤.

(٨) حاني: اسم مدينة معروفة بديار بكر فيها معدن الحديد، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٨.

(٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٩٨.

(١٠) البيرة: بلد قرب سميساط. ابن الأثير، الباهر، ص٦٦.

(١١) سن بن عطير: لم يرد لها تعريف في ياقوت، وفي الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٩٨: قلعة ابن عطير وتقع عند الرها.

(١٢) القراديّ: لم يرد لها تعريف في معجم البلدان لياقوت الحموي، وردت في مفرج الكروب لابن واصل، ج٣، ص١٤٠ أنها ضيعة من أعمال شبختان. وفي ص١٩٥ من المصدر نفسه أنها ضيعة من عمل ماردين.

وغيرها مما هو غرب الفرات لجوسلين الفرنجي، وكان صاحب رأي الفرنج والمقدم على عساكرهم، لما فيه من الشجاعة والمكر. وكان عماد الدين يعلم أنه متى قصد حصرها اجتمع من الفرنج بها من يمنعها ويتعذر عليه ملكها لما هي عليه من الحصانة، فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج أنه غير متفرغ إلى قصد بلادهم. فاطمأنوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفرات إلى بلاده الغربية. فبلغ أتابك زنكي ذلك فنادى في العسكر بالرحيل إلى الرها وجمع الأمراء عنده وقدم الطعام وقال: «لا يأكل معي على مائدتي هذه إلا من يطعن معي غدًا في باب الرها» فلم يتقدم غير أمير واحد وصبي لا يُعرف، لما يعلمون من إقدام زنكي وشجاعته، وأن أحدًا لا يقدر على مساواته في الحرب. فقال الأمير لذلك الصبي: «ما أنت في هذا المقام» فقال أتابك زنكي: «دعه فوالله إني أرى وجهه لا يتخلف عني».

وسار والعسكر معه فوصل إلى الرها، فكان عماد الدين أول من حمل على الفرنج والصبي معه، وحمل فارس من الفرنج على زنكي عرضًا فاعترضه ذلك الأمير فطعنه فقتله، وسلم زنكي. ونازل البلد وقاتل عليه ثمانية وعشرين يومًا وملكه عنوة، وملك القلعة، ونهب الناس الأموال، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء.

فلما رأى عماد الدين البلد أعجبه ورأى أن تخريب مثله لا يجوز في السياسة، فنودي بالعسكر بردّ ما أخذوه من الرجال والنساء والأطفال إلى بيوتهم، ورد ما غنموه من أثاثهم وأمتعتهم، فردوا ذلك وعاد البلد إلى حالته الأولى، وجعل فيه عسكرًا يحفظه وتسلم مدينة سَروج وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات ما عدا البيرة لحصانتها.

وحكى ابن الأثير رحمه الله في تاريخه الكامل قال: «حكى لي بعض العلماء بالأنساب والتواريخ، قال: كان صاحب صقلية قد أرسل سريّة إلى طرابلس الغرب وتلك الأعمال فنهبوا وقتلوا. وكان عند صاحب صقلية رجل مسلم كان يكرمه ويحترمه، ويرجع إلى قوله، ويقدمه على من عنده من القسوس والرهبان، حتى كان أهل ولايته يقولون إنه مسلم بهذا السبب. ففي بعض الأيام كان جالسًا في منظرة يشرف على البحر، وإذا بموكب لطيف قد أقبل وأخبر من فيه أن عسكره دخلوا بلاد الإسلام وظفروا وغنموا وقتلوا. وكان المسلم إلى جانبه، وقد أغفي فقال له الملك: «يا فلان ألا تسمع إلى ما يقولون» قال: «لا» قال: «إنهم يخبرون بكذا وكذا، أين كان محمد عن تلك البلاد وأهلها» قال: «كان قد غاب عنهم وشهد فتح الرها، فقد فتحها المسلمون الآن» فضحك من هناك من الفرنج فقال الملك: «لا تضحكوا فما

يقول والله إلا الحق» فوصل بعد أيام الخبر من فرنج الشام بفتحها. قال ابن الأثير: وحكى لي جماعة من أهل الدين والصلاح أن إنسانًا صالحًا رأى الشهيد زنكي في منامه فقال له: «ما فعل الله بك» قال: «غفر لي بفتح الرها».

ذكر مقتل نصير الدين جقر، وولاية زين الدين علي كورجك[١]

كان مقتله في ذي القعدة تسع وثلاثين وخمسمائة. وسبب[٢] ذلك أنه كان ينوب عن عماد الدين أتابك زنكي بالموصل وسائر الأعمال التي شرقي الفرات. وكان الملك ألب أرسلان المعروف بالخفاجي[٣] ولد السلطان محمود عند زنكي. وكان يظهر للخلفاء والسلطان مسعود وأصحاب الأطراف أن هذه البلاد لهذا الملك. وكان ألب أرسلان في هذه السنة بالموصل، ونصير الدين يحضر إلى خدمته في كل يوم، فحسن له بعض المفسدين طلب الملك وقالوا له: «إن قتلت نصير الدين ملكت الموصل وغيرها، ولا يبقى مع أتابك زنكي فارس واحد» فمال إلى ذلك. فلما دخل نصير الدين إليه وثب إليه من عنده فقتلوه[٤]، وألقوا رأسه إلى أصحابه، ظنًّا منهم أنهم يتفرقون ويخرج الملك ويملك البلاد، فلما رأى أصحابه الرأس قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير، فدخل القاضي تاج الدين يحيى بن الشهرزوري إلى الملك ألب أرسلان وخدعه، وكان فيما قاله حين رآه منزعجًا: «يا

---

(١) «علي كوجك» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٠٠.

(٢) عن سبب قتله ورد في تاريخ دولة آل سلجوق للبنداري أن نصير الدين جقر كان سيىء السيرة، وأن عماد الدين لم يكن راضيًا عنه وأن هذا الأخير قد استصفى أمواله بعد قتله واستخرج ذخائره، واستنظف أوله وآخره وصادر أهله وأقاربه وأهل نوابه، وسلبهم القوة والقوت، ونوع عليهم جوره الممقوت ص١٨٧ ـ ١٨٨.

(٣) يختلف صاحب تاريخ دولة آل سلجوق عن النويري وابن الأثير في لقب الملك أرسلان، أنه ليس هو المعروف بالخفاجي، وإنما المعروف بهذا اللقب هو أخوه فرخشاه فقال في مقتل نصير الدين والملك الذي قتله: «وكان مع زنكي ملكان من أولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه أحدهما يسمى ألب أرسلان، وهو في معقل من معاقل سنجار، والآخر يسمى فرخشاه، ويعرف بالملك الخفاجي وهو بالموصل، وكان هذا الملك مسلمًا إلى الأمير دُبَيْس بن صدقة، فانتزعه منه زكي في حرب».
البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٧.

(٤) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٠٠ إن الذين قتلوا نصير الدين هم من كان عند الملك من أجناد عماد الدين ومماليكه.

مولانا لَمَ تحرد من هذا الكلب؟ هو وأستاذه[١] مماليكك، الحمد لله الذي أراحنا منه ومن صاحبه على يديك» ثم قال له: «وما الذي يقعدك في هذه الدار؟ قم لتصعد إلى القلعة وتأخذ الأموال والسلاح وتملك البلد وتجمع الجند وليس دون البلاد بعد الموصل مانع» فقام معه وركب وأصعده إلى القلعة، فلما قاربها أراد من بها من النقيب والأجناد القتال، فتقدم إليهم القاضي تاج الدين فقال: «افتحوا الباب وتسلموه وافعلوا ما أردتم» ففتحوا الباب ودخل الملك والقاضي إلى القلعة ومعهما من أعان على قتل نصير الدين. فلما صاروا بالقلعة سجنوا كلهم إلا القاضي.

وبلغ الخبر عماد الدين وهو يحاصر قلعة البيرة، وقد أشرف على فتحها، فخاف أن تختلف البلاد الشرقية بعد قتل نصير الدين، ففارق البيرة وأرسل زين الدين علي بن بُكتكين[٢] إلى قلعة الموصل واليًا على ما كان نصير الدين يتولاه. وسار عماد الدين عن البيرة، فخاف من بها من الفرنج أن يعود إليهم، فسلموها[٣] لصاحب ماردين. وملكها المسلمون. فإن لم يكن عماد الدين زنكي فتحها فهو سبب فتحها.

ذكر مقتل عماد الدين زنكي

كان مقتله رحمه الله لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة[٤]. وذلك أنه كان يحاصر قلعة جعبر[٥]، وكانت بيد سالم بن مالك العقيلي منذ سلمها السلطان ملكشاه إلى أبيه، عوضًا عن قلعة حلب كما تقدم في أخبار السلجقية. فحاصرها عماد الدين الآن وأقام عليها إلى هذا التاريخ، فدخل عليه

---

(١) في الأصل «هذا وأستاذه مماليكك» والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل، ج١، ص٩٥.

(٢) في الأصل «بكتن». وفي الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٠٢، ومفرج الكروب لابن واصل، ج١، ص٩٦ «بكتكين» وفي تاريخ دولة آل سلجوق للبنداري ص١٨٨ «زين الدين علي بن بكتكين المعروف بعلي كوجك».

(٣) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٠٢، أن أهل البيرة هم الذين استدعوا نجم الدين صاحب ماردين ليسلموا إليه البلد خوفًا من أن يعود إليهم عماد الدين.

(٤) عن مقتله انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج١١، ص١١٠ والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص٧٤، وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي، ج٤، ص١٢٨، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٧٠.

(٥) قلعة جعبر: هي قلعة على الفرات في سوريا بين بالس والرقة قرب صفين وكانت قديمًا تسمى دوسر وكان يملكها رجل أعمى يقال له جعبر بن مالك فسميت به. مراصد الاطلاع للبغدادي ٣/١١١٨، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ج٢، ص١٤١.

نفر من مماليكه فقتلوه غيلة[١]، وهربوا إلى القلعة ولم يشعر أصحابه. فلما صعد أولئك النفر إلى القلعة صاح من بها بالعسكر، وأعلموهم بقتل صاحبهم، فبادر أصحابه إليه فأدركوه وبه رمق. ثم مات رحمه الله تعالى وكان عمره نحوًا من أربع وستين سنة، ومدة ملكه منذ ولي الموصل وإلى أن قتل عشرين سنة.

وكان حسن الصورة أسمر اللون، وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته[٢]، عظيم السياسة لا يقدر القوي معه على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل أن يملكها خرابًا من الظلم، وتنقل الولاة، ومجاورة الفرنج، فعمرها وامتلأت بأهلها وغير أهلها. وكان ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك ويقول: «مهما كانت البلاد لنا فأي حاجة لكم إلى أملاك؟ فإن خرجت عن أيدينا فالأملاك تذهب معها، ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية، وتعدوا عليهم، وغصبوهم أملاكهم، والإقطاعات تغني أصحاب السلطان عنها»[٣].

وخلف من الأولاد سيف الدين غازي وهو أكبر أولاده ونور الدين محمود وهو الملك العادل، وقطب الدين مودود، وهو أبو الملوك بالموصل، ونصير الدين أمير أميران. فانقرض عقب سيف الدين من الذكور والإناث، ونور الدين من الذكور، وبقي في عقب قطب الدين على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

قال: ولما قتل أتابك زنكي كان ولده نور الدين محمود معه، فأخذ خاتمه من يده وسار إلى حلب فملكها. وسنذكر أخباره مفصلة بعد سيف الدين غازي، والله أعلم.

ذكر ملك سيف الدين غازي ابن الشهيد عماد الدين أتابك زنكي[٤]

قال: لما قتل أتابك زنكي كان الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمود معه،

---

(١) في تاريخ دولة آل سلجوق للبنداري، ص١٨٩، أن سبب قتله أنه نام يومًا وهو مخمور وكان بعض مماليكه يلعبون ويضربون فهددهم فقتلوه خوفًا منه.

(٢) عن سيرة الملك الشهيد وأصدقائه. انظر التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص٧٦ ـ ٨٤.

(٣) في ابن واصل «مهما كانت البلاد لنا فأي حاجة لكم إلى الأملاك! فإن الإقطاعات تغني عنها، وإن خرجت البلاد عن أيدينا فإن الأملاك تذهب معها» مفرج الكروب ج١، ص١٠١.

(٤) ولد سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م وتوفي سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١١٢.
ترجمته وأخباره في: اللمعات البرقية في النكت التاريخية لابن طولون ص١٢، ومفرج الكروب لابن واصل ج١، ص١١٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٧٦، ومرآة الزمان لابن الجوزي، ج٨، ص٢٠٣ وفيه ولد سنة ٤٩٠ وقيل سنة ٥٠٠هـ، والكامل لابن الأثير ج١١، ص١١٣ وما بعدها، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص٨٧ ـ ٩٤.

فاجتمعت العساكر عليه وكان الحاكم على دولة زنكي والمدبر لها من أرباب الأقلام جمال الدين محمد بن علي بن منصور الأصفهاني شبه الوزير، ومعه الحاجب صلاح الدين محمد بن أيوب الباغسياني[١] فاتفقا على حفظ الملك لأولاد صاحبهم عماد الدين وتحالفا على ذلك، وركبا إلى خدمة الملك ألب أرسلان، وخدماه، وضمنا له فتح البلاد، وقالا له: «إن أتابك زنكي إنما كان الناس يطيعونه لأنه كان نائبك» فقبل منهما ذلك وظن صدقهما ومناصحتهما وقربهما، وأرسلا إلى زين الدين علي بن مظفر الدين صاحب إربل بالموصل يعرفانه[٢] بوفاة الشهيد ويأمرانه[٣] أن يرسل إلى ابنه سيف الدين غازي ليحضر إلى الموصل، وكان بشهرزور وهي إقطاعه من قبل أبيه، ففعل ذلك ووصل إلى الموصل. وأشار جمال الدين على الملك بإرسال الحاجب صلاح الدين إلى حلب ليدبر أمر نور الدين فأمره بالمسير إليها فسار، وكانت حماه إقطاعه، وانفرد جمال الدين بالملك ألب أرسلان فقصد به الرقة، واشتغل بالشرب واللهو واستمال جمال الدين العسكر، وحلفهم لسيف الدين غازي، وصار يأمر من تخلف بالمسير إلى الموصل هاربًا من الملك، وبقي جمال الدين يسير بالملك من الرقة إلى سنجار، ويخذله ويطعمه، وما زال حتى انتهى به إلى الموصل. وأرسل الأمير عز الدين الدبيسي إلى الملك في عسكر، والملك في نفر يسير، فأخذه وأدخله الموصل، فكان آخر العهد به. فاستقر أمر سيف الدين بالموصل واستوزر جمال الدين وأرسل إلى السلطان مسعود في إمرة الموصل فأمّره على البلاد، وأرسل له الخلع. وكان سيف الدين قد تقدمت له خدمة على السلطان مسعود ولازمه سفرًا وحضرًا في أيام زنكي.

قال: ولما استتب الأمر لسيف الدين غازي بالموصل عبر إلى الشام لينظر في أمور البلاد، ويقرر قاعدة بينه وبين أخيه نور الدين، ولما عبر الفرات لم يحضر نور الدين إليه وخافه فراسله واستماله بحسن سياسته، فاستقرت الحال بينهما أن يجتمعا خارج العسكر السيفي، وكل منهما في خمسمائة فارس. فسار نور الدين يوم الميعاد من حلب بهذه العدة، وسار سيف الدين من معسكره في خمسة فوارس، فلما

(١) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١١٣ «الباغيسياني».

(٢) في الأصل: «يعرفاه» والتصحيح يقتضيه السياق.

(٣) في الأصل: «يأمراه» والتصحيح يقتضيه السياق.

رآه نور الدين ترجل وقبّل الأرض، وأعاد أصحابه فاجتمعا[١] وتحالفا واتفقا أحسن اتفاق، واستقر نور الدين بحلب وما معها، وسيف الدولة[٢] بالموصل وما معها.

ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعله سيف الدين غازي[٣]

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وصل ملك الألمان[٤] في جمع كثير من الفرنج وعزم على ملك الشام، وظن أنه يملكه لا محالة لكثرة أصحابه، واجتمع عليه من بالشام والسواحل من الفرنج. ووصل إلى دمشق وحاصرها، ونزل الميدان الأخضر، فأيقن أهلها بخروجها عن الإسلام. وكان ملكها يوم ذاك مجير الدين أبق بن محمد بن بوري[٥] بن طغرتكين، وليس له من الأمر شيء والحكم في البلد لأتابكه معين الدين [أنر] مملوك جد أبيه، فأرسل إلى سيف الدين غازي يستنجده، فجمع عساكره والعساكر الحلبية، وسار إلى دمشق، فخافه الفرنج. ثم راسل فرنج الساحل وأوعدهم بحصر بانياس، فاجتمعوا بملك الألمان وقالوا له: «إن هذا ملك بلاد المشرق قد قدم» وخوّفوه عاقبة أمره، فرحل ملك الألمان إلى بلاده، وتسلم الفرنج بانياس، كما وقع الاتفاق عليه، وعاد سيف الدين إلى الموصل.

ذكر وفاة سيف الدين غازي ابن عماد الدين زنكي

كانت وفاته في أواخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالموصل

---

(١) لم يذكر النويري خبر الاجتماع بين الأخوين ولا ابن الأثير في الكامل ولا سبب الخلاف بينهما. وإنما ورد في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص٨٧ حاشية ٥ أن سبب الخلاف يعود إلى أن نور الدين خرق التقاليد القبلية والزنكيون من القبائل التركية التي تنص على أن تكون زعامة البيت للأرشد من أبنائه، فنافس نور الدين أخاه الأكبر في الملك، فاستولى على حلب والرها الأمر الذي أزعج سيف الدين فأخذ يعمل على التوفيق بينه وبين أخيه.

(٢) «سيف الدين» حسب السياق.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٢٩.

(٤) هو «كونراد الثالث» أمبراطور ألمانيا، وقد اشترك معه في قيادة هذه الحملة (وهي الحملة الصليبية الثانية) لويس السابع ملك فرنسا. ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١١٢، حاشية ٣.

(٥) في الأصل «نوري» والتصحيح من الباهر لابن الأثير ص٨٨.

لمرض حاد[1]، ودفن بمدرسته التي بناها بالموصل. فكانت ولايته ثلاث سنين وشهرًا وعشرين يومًا، وعمره نحوًا من أربع[2] وأربعين سنة. وخلف ولدًا ذكرًا رباه عمه نور الدين محمود أحسن تربية، وزوّجه بابنة عمه قطب الدين، ولم تطل مدته، ومات في عنفوان شبابه، وانقرض عقب غازي بوفاته.

قال: وكان سيف الدين غازي يمد لعسكره في كل يوم سماطًا كبيرًا، طرفي النهار يكون في سماطه للغذاء مائة رأس من الغنم، وأمر الأجناد أن يركبوا بالسيوف والدبابيس، فاقتدى به أصحاب الأطواف وهو أول من حمل على رأسه السنجق[3] من عمال الأطراف، وبنى المدرسة الأتابكية العتيقة بالموصل، ووقفها على طائفتي الشافعية والحنفية، وبنى رباط الصوفية بالموصل. ولم تطل أيامه حتى يفعل ما في نفسه من وجوه البر، رحمه الله. وسنذكر إن شاء الله تعالى من ملك الموصل بعده إذا انقضت أخبار الشهيد نور الدين وولده.

ذكر أخبار الملك العادل نور الدين[4] أبي القاسم محمود ابن أتابك عماد الدين أبي سعيد زنكي بن أقسنقر

قد ذكرنا أنه لما مات والده رحمه الله في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، توجه بخاتمه إلى حلب وملكها، وذكرنا أيضًا ما كان بينه وبين أخيه سيف الدين غازي رحمه الله، وما اتفقا عليه، فلنذكر من أخباره خلاف ذلك. ولنبدأ بغزواته وفتوحاته؛ ثم نذكر ما استولى عليه من الممالك وغير ذلك.

(١) «كان مرضه حمة حادة» في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص٩٢.
(٢) في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص٩٢ «وكان عمره نحو أربعين سنة».
(٣) «السنجق» لفظ تركي معناه الرمح. والمراد هنا العلم الذي هو الراية، إلا أنه كانت الراية تجعل في أعلى الرمح، عبر بالرمح نفسه عنها. والسنجقدار هو حامل السنجق. انظر صبح الأعشى للقلقشندي ج٥، ص٤٥٨.
(٤) ترجمته وأخباره في: «كتاب الروضتين لأبي شامة، ج١، ص٢٢٧ ـ ٢٢٩، والكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٥١، وابن خلدون ج٥، ص٢٥٣، وابن خلكان ج٢، ص٨٧، ومرآة الزمان لابن الجوزي ج٨، ص٣٠٥، مفرج الكروب لابن واصل ج١، ص١٠٩، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٦، ص٦٥، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص٩٥ ـ ١١١ و١١٦ ـ ١١٧ و١١٩ ـ ١٢٦، والكامل لابن الأثير، ج١١، ص١١٢، ١٢٢، والأعلام للزركلي ج٧، ص١٧٠.

ذكر الغزوات والفتوحات النورية وما استنقذه من أيدي الفرنج

ذكر عصيان مدينة الرها وفتحها الفتح الثاني ونهبها

قال: لما قتل أتابك زنكي كان جوسكين الفرنجي صاحب الرها في ولايته وهي تل باشر، فراسل عامة أهل الرها من الأرمن وحملهم على العصيان والامتناع على المسلمين، فأجابوه إلى ذلك. فسار في عساكره إلى الرها وملك البلد، وامتنعت عليه القلعة بمن فيها. فسار نور الدين، وجدّ السير إليها، فلما قاربها هرب جوسكين عنها، وعاد إلى بلده، ودخل نور الدين البلد، ونهب المدينة، وسبى أهلها، فخلت منهم ولم يبق بها إلا القليل، وذلك في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، فتح نور الدين مدينة أرتاح[1] بالسيف، ونهبها وحصر مايوله[2] وبصرفوث[3] وكفرلاثا[4]، وكان الفرنج بعد قتل أتابك زنكي قد طمعوا وظنوا أنهم يستردون ما أخذ منهم فخاب ظنهم.

ذكر فتح حصن العريمة[5]

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فتح حصن العريمة، وهو من أعمال طرابلس. وكان ملك الألمان لما سار عن دمشق وجّه إلى العريمة ولد ألفتش[6] صاحب طليطة، وهو من أولاد أكابر ملوك الفرنج. وكان جده هو الذي فتح طرابلس، فملك العريمة، وأظهر أنه يريد أخذ طرابلس من القمص، فأرسل القمص إلى نور الدين، وإلى معين الدين صاحب دمشق أن يقصدا حصن العريمة ويملكاه. فسار نور الدين من حلب ومعين الدين من دمشق واستمدا سيف الدين غازي، فأمدهما بعسكر كثيف مع الأمير عز الدين الدبيسي صاحب جزيرة ابن عمر، فنازلوا الحصن، وحصروه وبه ولد ألفتش، فاستسلم من به بعد امتناع، وملكه المسلمون،

---

(١) أرتاح: بالفتح ثم السكون اسم حصن منيع كان من أعمال حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٤٠.

(٢) هكذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير، ج١١، ١٢٢.

(٣) بسرفوث أو بصرفوث: حصن من أعمال حلب، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٢٠.

(٤) كفرلاثا: بلدة من نواحي حلب، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٣١.

(٦) في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣١ «ألفُنش».

وأخذوا كل من فيه من فارس وراجل وصبي وامرأة. وكان ولد ألفتش ممن أسر وأخربوا الحصن ثم عادوا.

ذكر انهزام الفرنج بيغرا[١]

وفي سنة ثلاث وأربعين أيضًا، اجتمع الفرنج لقصد حلب، فسار إليهم الملك العادل نور الدين بعسكره، فالتقوا بيغرى، واقتتلوا قتالاً شديدًا، أجلت الحروب عن ظفر الملك العادل، وانهزام الفرنج وأسر جماعة من مقدميهم. ولم ينج من ذلك الجمع إلا اليسير. وأرسل نور الدين من الغنيمة والأسارى إلى أخيه سيف الدين وإلى الخليفة ببغداد وإلى السلطان مسعود وغيرهم. وفي هذه الوقعة يقول ابن القيسرانيّ من قصيدة أولها: [من السريع]

يـا لَـيـتَ أنّ الـصّـدّ مـصْـدُودُ ... أوْ لا، فـلَـيـتَ الـنّـوْمُ مَـرْدُودُ

جاء منها:

وكيفَ لا يثنى[٢] على عَيشِنا المحمـ ... ـودِ والسّـلـطـانُ مَـحـمـودُ

وصَـارِمُ الإسـلام لا يَـنْـثَـنـي ... إلاّ وَشِـلْـوُ الـكُـفْـرِ مَـقْـدُودُ

مَـكـارِمُ لـم تَـكُ[٣] مَـوْجـودَةً ... إلا ونُـورُ الـدّيـنِ مَـوْجـودُ

وكَـمْ لَـهُ مـن وقـعـةٍ يـوْمُـهـا ... عـنـدَ مـلـوكِ[٤] الـكُـفـرِ[٥] مَـشْـهُـودُ

ذكر قتل البرنس صاحب أنطاكية[٦]

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة، غزا نور الدين بلاد الفرنج، من ناحية أنطاكية وقصد حصن حارم[٧] وهو للفرنج، وحصره وخرب ربضه، ونهب سواده ثم

---

(١) رسمه ابن الأثير في الكامل ج١١، ص١٣٤ «يغري» بالياء، وهي بلدة من دربساك في أرض الشام.

(٢) «وكيف لا نُثني» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣٤، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٧٥.

(٣) في الأصل «لم تكن» والتصحيح من الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣٤.

(٤) «الملوك» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣٤.

(٥) «الشِّرك» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٢٧٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص١٤٤.

(٧) حارم بكسر الراء وحصن حصين من أعمال حلب تجاه أنطاكية، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥.

رحل إلى حصن إنب[(١)] فحصره، فاجتمعت الفرنج لقتاله مع البرنس، واقتتلوا قتالاً شديدًا، فانهزم الفرنج وقتل البرنس[(٢)] وجماعة كثيرة من أصحابه، وأسر خلق كثير. وكان البرنس من عتاة الفرنج. ولما قتل ملك بعده أنطاكية ابنه بيمند[(٣)]، ثم غزاهم نور الدين غزوة ثانية[(٤)]، فقتل وأسر، وكان ممن أسر[(٥)] البرنس الثاني زوج أم بيمند صاحب أنطاكية. وكان قتل البرنس [ريموند] عظيمًا عند الطائفتين وأكثر الشعراء مدح نور الدين بهذا الظفر[(٦)]، فكان ممن قال فيه ابن القيسراني الكاتب قصيدته المشهورة وهي: [من البسيط]

هذي العزائِمُ لا ما تَدّعي القُضُبُ ... وذي المكارمُ لا ما قالَتِ الكُتُبُ

وهَذه الهِمَمُ اللائي متى خُطبَتْ ... تَعَثَّرتْ خلفَها الأشعارُ والخُطَبُ

صَافَحتَ يا بنَ عمادِ الدين ذِرْوَتها ... براحةٍ للمساعي دونَها تَعَبُ

ما زال جَدُّكَ يَبني كُلَّ شاهِقةٍ ... حتى بنى قُبّةً أوتادُها الشُّهُبُ

أغرَت سيوفُكَ بالإفرَنج[(٧)] راجفةً ... فؤادُ رُوميّةَ الكُبرَى لها يَجِبُ

ضربتَ كبشَهُم منها بقاصِمةٍ ... أودَى بها[(٨)] الصلبُ وانحطتْ لها الصُّلُبُ

طهّرتَ أرضَ الأعادي من دمائهم ... طهارةً كلُّ سيفٍ عندها جُنُبُ

ذكر فتح حصن أفامية[(٩)]

وفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة فتح الملك العادل نور الدين حصن أفامية من الفرنج، وهو مجاور شيزر وحماة، وهو من أحصن القلاع وأمنعها، فاجتمع

---

(١) إنب: بكسرتين وتشديد النون والباء الموحدة حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٥٨.

(٢) المقصود بالبرنس ريموند دي بواتيه.

(٣) بوهيموند الثالث وكان قاصرًا عند مقتل أبيه ريموند.

(٤) كان نور الدين في نحو الخامسة والثلاثين من عمره فقد كان مولده سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص٩٩ حاشية ٤.

(٥) في التاريخ الباهر لابن الأثير ص٩٩ «وفيمن قتل البرنس صاحب أنطاكية».

(٦) في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص٣٠٥، حاشية ٥ إن الموقعة كانت يوم الأربعاء الحادي والعشرين من صفر من السنة.

(٧) هكذا في الأصل، وفي مفرج الكروب لابن واصل، ج١، ص١٢١ «في الإفرنج».

(٨) هكذا في الأصل، وفي مفرج الكروب لابن واصل، ج١، ص١٢١ «لها».

(٩) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٤٩.

الفرنج من الساحل وساروا نحوه ليرحلوه، فلم يصلوا إلا وقد ملكه وملأه من الذخائر والسلاح وشحنه بالرجال. وسار عنه في طلب الفرنج، فعدلوا عن طريقه وسألوه الهدنة، وعاد مظفرًا منصورًا.

ذكر أسر جوستكين وفتح بلاده

كان نور الدين قد جمع عساكره في سنة ست وأربعين وخمسمائة وسار إلى بلاد جوستكين(١) الفرنجي وهي شمالي حلب، وعزم على محاصرتها. وكان جوستكين فارس الفرنج وطاغيتهم، صاحب رأي وشجاعة، فجمع وأكثر، وسار نحو نور الدين والتقوا واقتتلوا، فكانت الهزيمة على المسلمين، وقتل كثير منهم. وأسر سلحدار(٢) نور الدين فيمن أسر، فأخذ جوستكين سلاحه، وأرسله إلى الملك مسعود قلج صاحب الروم، وقال: «هذا سلاح زوج ابنتك وسآتيك بعده بما هو أعظم منه» فأهم نور الدين ذلك وعظم عليه، وعلم أنه لا يتمكن من جوستكين في حرب، لأنه إما أن يحارب أو يحتمي بحصونه. فجعل عليه العيون من التركمان، ووعدهم إن أسروه وأتوا به أو برأسه بمواعيد كثيرة. فرصدوه إلى أن خرج إلى الصيد، وأسروه فصالحهم على مال يؤديه إليهم، فسيّر في إحضار المال إليهم فجاء بعضهم إلى أبي بكر بن الداية، نائب نور الدين بحلب، وأخبره بالقضية. فسيّر عسكرًا مع من حضر إليه بالخبر، وكبس التركمان وأخذوا جوستكين أسيرًا. وكان من أعظم الفتوحات، وأصيبت النصرانية كافة بأسرها.

ولما أسر سار نور الدين إلى قلاعه فملكها، وهي تل باشر وعين تاب وإعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البادة وكفر سو، وكفر لاثا، ودلوك، ومرعش، ونهر الجوز، وغير ذلك من أعماله في مدة يسيرة. واجتمع الفرنج في سنة سبع وأربعين، وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو بدلوك، فلما قربوا منه رجع إليهم واقتتلوا قتالاً شديدًا كان الظفر له وقتل وأسر منهم. وعاد

---

(١) في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص١٠١ «جوسلين» وهذه القلاع الواقعة شمالي حلب تشمل تل باشر وعين ناب وعزاز.

(٢) «السلاح دار» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٥٤. والسلاح دار: هو المنوط بحمل سلاح السلطان أو الأمير الذي هو في خدمته ومن وظيفته أيضًا الإشراف على السلاح خاناه وما هو من توابع ذلك ولفظ السلاح دار مركب من كلمتين أولاهما عربية ومعناها آلة القتال، والثانية فارسية ومعناها ممسك، ويكون المعنى ممسك السلاح. المقريزي: السلوك ج١، ص٦٥ حاشية ٣.

إلى دلوك فملكها. وكان نور الدين إذا فتح حصنًا من هذه الحصون شحنه بما يحتاج إليه من الرجال والسلاح والذخائر وغيرها.

ذكر حصر قلعة حارم وفتحها[١]

وفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة[٢] حصر نور الدين قلعة حارم وشدد الحصار، فصالحه الفرنج على نصف أعمال حارم، وصالحهم ورحل عنهم ثم فتحها في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

ذكر ملكه بانياس وما قرره على طبرية وأعمالها[٣]

وفي سنة تسع وخمسين ملك حصن بانياس[٤]، وكان بيد الفرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، كما قدمنا. فنازله، فجمع الفرنج لقصده، فلم يكمل جمعه إلا وقد ملك الحصن وشحنه بالرجال والذخائر، ثم شاطر الفرنج على أعمال طبرية، وقرروا له على الأعمال التي لم يشاطرهم عليها في كل سنة ما لا يحملونه إليه، والله أعلم.

ذكر فتح المنيطرة[٥]

والمنيطرة فيما بين طرابلس وبعلبك وهي الآن من الأعمال المضافة إلى المملكة الطرابلسية. فلما كان في سنة إحدى وستين وخمسمائة، سار نور الدين إليها جريدة، وملكها وأعجل الفرنج عن الاجتماع لرده، وسبى وغنم، فجاء الفرنج بعد أن ملكها فأيسوا منها، ورجعوا عنها، والله أعلم.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٢٠٨.

(٢) في التاريخ الباهر لابن الأثير، ص١١٦، «حصر نور الدين قلعة حارم سنة ٥٥٧هـ» انظر تفاصيل حرب حارم في الباهر لابن الأثير ص١٢٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٣٠٤.

(٤) «في سنة ستين وخمسمائة فتح نور الدين قلعة بانياس» في التاريخ الباهر لابن الأثير ص١٣٠.
«في ذي الحجة من هذه السنة (أي سنة ٥٥٩هـ) فتح نور الدين محمود قلعة بانياس» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٣٠٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٢٢.

ذكر فتح صافيثا وعريمة[(١)]

وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة جمع نور الدين العساكر وسار إليه أخوه قطب الدين من الموصل واجتمعا على حمص، فدخل بالعساكر إلى بلاد الفرنج بالساحل واجتاز على حصن الأكراد[(٢)]، فأغاروا ونهبوا وسبوا. وقصدوا عَرْقَة[(٣)] فنازلوها وحصروها، وحصروا حلبة وأخذوها وخربوها. وسارت عساكر المسلمين في بلادهم يمينًا وشمالاً تغير وتخرب، وفتحوا العريمة، وصافيثا، وعادوا إلى حمص فصاموا بها شهر رمضان، وكان الفرنج في سنة ثمان وأربعين قد كبسوا عسكر نور الدين بالبقيعة على حين غفلة من العسكر، فنالوا من المسلمين منالاً عظيمًا، فجعل نور الدين في مقابلة ذلك فتح حارم وبانياس والمنيطرة وصافيثا وعريمة وتخريب بلادهم، وأدرك ثأره عن غير بعد.

ثم سار بعد شهر رمضان إلى بانياس، وقصد العبور إلى بيروت، فجرى بين العسكر اختلاف أوجب رجوعه. وأعطى قطب الدين في هذه السنة الرقة، وأعادهُ إلى بلده. هذا ما فتحه رحمه الله من بلاد الفرنج، فلنذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية.

ذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية[(٤)]

في سنة أربع وأربعين وخمسمائة، استولى الملك العادل نور الدين على سنجار، وكانت بيد أخيه قطب الدين، ملكها بعد وفاة سيف الدين غازي، ثم حصل الاتفاق بينهما على أن يكون نور الدين صاحب حلب وحمص والرّحبة والشام؛ وقطب الدين بالموصل وديار الجزيرة، وسلم سنجار لأخيه قطب الدين، وأخذ نور الدين ما كان من الذخائر بسِنجار، وكانت كثيرة جدًا، وعاد إلى حلب وقد حصل الاتفاق بينه وبين أخيه.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٢٧.

(٢) حصن الأكراد: حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب وكان هذا الحصن مركزًا مهمًا لهيئة فرسان الاستبارية على عصر الحروب الصليبية. القلقشندي صبح الأعشى ج٤، ص٧٤، ٨٥، ١٤٤.

(٣) عرقة: بكسر أوله وسكون ثانيه بلدة في شرقي طرابلس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١١٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٣٩.

ذكر ملكه مدينة دمشق[١]

وفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة ملك دمشق من مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغرلتكين. وسبب قصده لها أن الفرنج ملكوا في السنة التي قبل هذه السنة مدينة عسقلان[٢]، واستولوا على تلك النواحي، فلم يتمكن نور الدين من غزوهم ودفعهم، لأن دمشق تحول بينه وبينهم. ولم تمكنه مفاجأة صاحبها لعلمه أنه إن سار إليها راسل صاحب دمشق الفرنج واستنجد بهم. وكان قد استقر لهم ضريبة على دمشق تحمل إليهم في كل سنة، ويحضر رسلهم لقبضها، فزاد استيلاؤهم إلى أن أخذوا كل من فيها من الغلمان والجواري، بحيث إنهم يطلبون الغلام أو الجارية ويخيروه، فإن اختار الرجوع إليهم أخذوه، اختار مولاه أو امتنع؛ وإن اختار المقام عند مواليه تركوه. فأهم ذلك نور الدين، وخاف أن الفرنج متى استولت على دمشق ملكوا الشام أجمع، فأخذ في إعمال الحيلة وراسل مجير الدين صاحبها وهاداه وداهنه واستماله. وبقي يوقع بينه وبين أمرائه، فكتب إليه يقول: «إن فلانًا الأمير قد كاتبني في تسليم دمشق» فقبض عليه مجير الدين حتى اختل أمر عسكره وضعف. ثم راسل نور الدين الأحداث من الأمراء بدمشق، ووعدهم الجميل فمالوا إليه ووعدوه بتسليمها له، فسار إليها. فلما نازلها كاتب مجير الدين الفرنج وبذل لهم بعلبك ليمنعوا نور الدين عنه، فحشدوا فارسهم وراجلهم، فلم يتكامل جمعهم إلا وقد ملك نور الدين دمشق، سلمها له الأمراء، ودخلها من الباب الشرقي. وتحصن صاحبها بالقلعة، فبذل له نور الدين حمص، فرضي وسلّم القلعة وسار إلى حمص، ثم عوّضه عن حمص مدينة بالس فامتنع، وتوجه إلى بغداد ومات بها.

وفي سنة اثنتين وخمسين، ملك نور الدين حصن شيْزر من آل منقذ وكانت الزلزلة قد هدمت أسواره فعمرها والله أعلم.

ذكر ملكه بعلبك[٣]

وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ملك بعلبك وقلعتها. وكانت بيد إنسان

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٩٧.

(٢) عسقلان: بفتح أوله وسكون ثانيه، ثم قاف وآخره نون، هي مدينة في الشام على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين. ويقال لها عروس الشام، وكذلك يقال لدمشق أيضًا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٢٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٢٢٧.

يقال له ضحّاك البقاعي، منسوب إلى البقاع البعلبكي، كان صاحب دمشق قد ولاه إياها، فلما ملك نور الدين دمشق لم تمكنه مشاححته لقربه من الفرنج، فطاوله إلى الآن وملكها منه.

ذكر ملكه قلعة جَعْبَر[١]

وفي سنة أربع وستين وخمسمائة ملك [نور الدين] قلعة جَعْبَر من صاحبها شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي وكانت بيده وبيد آبائه كما تقدم. وكان السبب في ملكه لها أن صاحبها سار إلى الصيد، فأسره بنو كلاب[٢] وجاؤوا به إلى نور الدين في شهر رجب سنة ثلاث وستين، فاعتقله نور الدين وأكرمه في اعتقاله. وأخذ في طلبها باللين، فلم يوافق على إعطائها ثم أخذه بالشدة فلم يوافق، فسيّر الجيوش لحصرها، فحوصرت مدة فلم يظفر منها بطائل، فعاود صاحبها بالملاطفة، وعوضه عنها سروج وأعمالها والملاحة التي من بلد حلب وباب بزاعة، وعشرين ألف دينار معجلة. فقبل العوض وسلّم القلعة. وهذه القلعة في عصرنا هذا إلى سنة أربع عشرة وسبعمائة خرابًا لا باب عليها والله أعلم.

ذكر ملكه الديار المصرية[٣]

وفي سنة أربع وستين وخمسمائة ملك أسد الدين شيركوه الديار المصرية بجيوش الملك العادل نور الدين، وهي السفرة الثالثة له إليها من قبل نور الدين ونذكر ذلك مفصلاً في أخبار الدولة الأيوبية، ودامت الخطبة بها للملك العادل مدة حياته، وصدرًا من أيام ولده الملك الصالح إسماعيل.

ذكر ملكه الموصل[٤]

وفي سنة ست وستين وخمسمائة ملك الموصل بعد وفاة أخيه قطب الدين، وأقر عليها سيف الدين غازي بن قطب الدين، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٣٤.
(٢) بنو كلاب: قبيلة من عرب الشمال أو القيسيين سيطرت في ذلك الوقت على جهات من شمال الشام والجزيرة. القلقشندي: صبح الأعشى ج١، ص٣٤٠.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٤٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٦٢.

أخبار غازي. وأطلق نور الدين سائر المكوس بالموصل وبسائر البلاد. وجاءته الخلع من الخليفة المستنصر بالله، فلبسها، ثم خلعها على سيف الدين غازي ابن أخيه. وأمر ببناء الجامع النوري بالموصل، فبنى وأقام بالموصل عشرين يومًا وعاد إلى الشام.

ذكر وفاته رحمه الله وشيء من أخباره وسيرته[(١)]

كانت وفاة الملك[(٢)] العادل نور الدين محمود في حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة، بعلة الخوانيق، ولقب بعد موته بالشهيد. ومولده في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، فيكون عمره نحوًا من ثمانٍ[(٣)] وخمسين سنة، وتكون مدة ملكه منذ وفاة أبيه ثمانيًا وعشرين سنة وستة أشهر وستة أيام. ومن العجب أنه ركب إلى الميدان الأخضر بدمشق في ثاني شوال، ونصب فيه قبقًا[(٤)]، فسايره الأمير همّام الدين مودود، وقال له: «أترى هل نكون ههنا في مثل هذا اليوم من العام المقبل؟» فقال له نور الدين: «لا تقل هكذا، قل هل نكون ههنا بعد شهر؟ فإن السنة بعيدة» ورجع إلى القلعة، وختن ابنه وأصابته العلة، فمات بعد عشرة أيام. ومات الأمير همام الدين قبل استكمال الحول. ودفن نور الدين بقلعة دمشق، ثم نقل إلى مدرسته التي بناها بجوار سوق الخواصين بدمشق وقبره هناك مشهور.

وأما سيرته وأفعاله رحمه الله تعالى فإنه أفرغ وسعه في الجهاد، واستنقذ من أيدي الفرنج ما ذكرناه. وكان ثابتًا في حروبه، وبنى المدارس والمساجد والربط والبيمارستان[(٥)] والخانات والطرق والجسور، وجدد القنا وأصلحها، وأوقف الوقوف على معلمي الخط لتعليم الأيتام، وعلى سكان الحرمين الشريفين، وأقطع أمراء العرب

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٠٢.
(٢) عن وفاته انظر الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٠٢ وفي التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير كما في الكامل أنه توفي يوم الأربعاء حادي عشر شوال من السنة ٥٦٩هـ. ودفن بقلعة دمشق ونقل منها إلى المدرسة التي أنشأها بدمشق عند سوق الخوّاصين، تاريخ الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٦١.
(٣) في الأصل ثمانية، والتصحيح يقتضيه السياق.
(٤) القبق: لعبة رياضية، توضع خشبة عالية في باحة اللعب وفي أعلاها دائرة ترمى بالسهام للوصول إلى الهدف. وهذه الدائرة اسمها بالتركية القبق. المقريزي: السلوك ج١، ص٥١٨، حاشية ٦.
(٥) البيمارستان: المستشفى، انظر كتاب الدولة المملوكية لأنطوان ضومط، ص٣٨٣.

الإقطاعات حتى كفوا عن التعرض إلى الحاج. وبنى أسوار المدن والحصون التي هدمتها الزلزلة التي ذكرناها في أخبار الدولة العباسية. وكان رحمه الله مواظبًا على الصلاة في الجماعة، حريصًا على فعل الخير، عفيف البطن والفرج، مقتصدًا في الإنفاق والمطاعم والملابس، لم تسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في سخطه وعاقب على شرب الخمر.

قال الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير رحمه الله: «قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكًا أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحريًا للعدل والإنصاف منه» قال: وكان رحمه الله لا يفعل فعلاً إلا بنيّة حسنة. كان بالجزيرة رجل من الصالحين العباد، وكان نور الدين يكاتبه ويراسله فيرجع إلى قوله، فبلغه أن نور الدين يُدْمِنُ اللعب بالأكرة[1] فكتب إليه يقول: «ما كنت أظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة» فكتب إليه نور الدين بخطه يقول: «والله ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر، إنما نحن في ثغر، العدو قريب منا، وبينما نحن جلوس إذ يقع الصوت فنركب في الطلب ولا يمكننا أيضًا ملازمة الجهاد ليلاً ونهارًا شتاءً وصيفًا. إذ لا بد من الراحة للجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت حمامًا لا قدرة لها على إدمان السير في الطلب، ولا معرفة لها بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب، فيذهب حمامها، وتتعود سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب. فهذا والله الذي بعثني على اللعب بالكرة».

قال: وحكي عنه أنه حمل إليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة، فلم يحضرها عنده، فوصفت له، فلم يلتفت إليها، فبينما هم معه في حديثها إذ جاءه رجل صوفي فأمر له بها. فقيل له إنها لا تصلح لهذا الرجل، ولو أعطي غيرها كان أنفع له. فقال: «أعطوها له، فإني أرجو أن أعوض عنها في الآخرة» فسلمت إليه. قيل والذي أعطيها شيخ الصوفية عماد الدين بن حمويه، فبعثها إلى همذان، فبيعت بألف دينار.

---

(١) لعب الكرة أو الأكرة أو الجوكان. وهي اللعبة المعروفة باسم بولو، يركب اللاعبون الخيل ويحاولون اجتذاب الكرة بعصا طويلة. المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٤٤ حاشية ١.

قالوا: وكان عارفًا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث وأسمعه، وكان يعظم الشريعة المطهرة، ويقف عند أحكامها، فمن ذلك أنه كان يلعب بالكرة عند دمشق، فرأى إنسانًا يحدث آخر ويومىء إليه بيده، فأرسل يسأله عن حاله، فقال: «لي مع الملك العادل حكومة، وهذا غلام القاضي ليحضره إلى مجلس الحكم يحاكمني على الملك الفلاني» فلما قيل ذلك له ألقى الجوكات من يده وخرج من الميدان وتوجه إلى القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وأرسل إليه يقول: «إني قد جئت في محاكمة فاسلك معي ما تسلكه مع غيري» فلما حضرا، ساوى خصمه وحاكمه، فلم يثبت قبله حق، وثبت الحق لنور الدين. فعند ذلك أشهد على نفسه أنه وهب الملك للذي حاكمه، وقال: «كنت أعلم أن لا حق له عندي، وإنما حضرت معه لئلا يظن بي أني ظلمته، فحيث ظهر أن الحق لي، وهبته له».

قال: وهو أول من بنى دار الكشف وسماها دار العدل. وكان يجلس فيها في الأسبوع يومين، وعنده القاضي والفقهاء لفصل الحكومات بين القوي والضعيف. وكان شجاعًا حسن الرأي والمكيدة في الحرب، عارفًا بأمور الأجناد. وكان إذا حضر الحرب أخذ قوسين. وتركشين[(١)]، وباشر القتال بنفسه. وكان يقول: «طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها».

قال: ومن أحسن الآراء ما كان يفعله مع أجناده. كان إذا توفي أحدهم وخلف ولدًا، أقر الإقطاع عليه. فإن كان كبيرًا استبد بتدبير نفسه، وإن كان صغيرًا رتب معه رجلًا عاقلًا يثق إليه يتولى أمره إلى أن يكبر. فكان الأجناد يقولون هذه أملاكنا يرثها الولد عن الوالد، فنحن نقاتل عليها، وكان ذلك سببًا عظيمًا للنصر في المشاهد والحروب. قال: وبنى أسوار مدن الشام وقلاعها، فمنها حلب وحماه وحمص ودمشق وبارين وشيزر ومنبج، وغيرها من القلاع والحصون، وأخرج عليها الأموال الكثيرة التي لا تسمح النفوس بمثلها. وبنى المدارس بحلب وحماه ودمشق وغيرها. وبنى الجوامع في كثير من البلاد، فمنها جامعه بالموصل، إليه النهاية في الحسن والإتقان وفوض عمارته والخرج عليه للشيخ عمر الملا، وكان من الصالحين. فقيل له إنه لا يصلح لمثل هذا العمل، فقال: «إذا وليت بعض أصحابي من الأجناد والكتاب، اعلم أنه يظلم في بعض الأوقات، فلا يقي عمارة الجامع بظلم رجل مسلم، وإذا

---

(١) التركاش أو التركش، الكنانة أو الجعبة التي توضع فيها النشاب. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص٣٠٩ وانظر Dozy.

وليت هذا الشيخ غلب على ظني أنه لا يظلم، فإن ظلم كان الإثم عليه لا علي» وبنى أيضًا بمدينة حماه جامعًا على نهر العاصي من أحسن الجوامع وأنزهها، وجدد في غيرها من عمارة الجوامع ما كان قد تهدم بسبب زلزلة وغيرها. وبنى البيمارستانات في البلاد، ومن أعظمها وأشهرها البيمارستان الذي بناه بدمشق، وقفه على كافة المسلمين من غني وفقير، وبنى الربط والخانقاهات[1] للصوفية، ووقف عليها الوقوف الكثيرة، وأدرّ عليهم الإدرارات الصالحة.

قال: وكان قد ضبط ناموس الملك إلى غاية لا مزيد عليها، فكان يلزم الأجناد بوظائف الخدمة، ولا يجلس عنده أمير من غير أن يأمره بالجلوس، إلا نجم الدين أيوب، وأما من عداه كأسد الدين شيركوه وغيره، فإنهم كانوا يقفون حتى يأمرهم بالجلوس. وكان مع ذلك إذا دخل عليه الفقير والصوفي والفقيه يقوم له ويجلسه إلى جانبه. وكان إذا أعطى أحدهم شيئًا يقول إن هؤلاء لهم في بيت المال حق، فإذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنّة علينا.

ولم يزل الناس معه في غاية الأمن والخير والبركة والنمو والإحسان والعدل والبر وإظهار السنة وقمع البدعة إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى.

ذكر أخبار الملك الصالح[2]
إسماعيل ابن الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين أتابك زنكي بن أقسنقر

ملك بعد وفاة والده في حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة. وحلف له الأمراء وأطاعه الناس في سائر البلاد وخطب له الملك الناصر صلاح الدين يوسف بالديار المصرية. ولم يكن الملك الصالح إذ ذاك قد بلغ الحلم[3]. وتولى تربيته

---

(١) الخانقاهات: الخانقاه: فارسية معناها بيت وأصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك. البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص١١٥.

(٢) ترجمته وأخباره في: تاريخ ابن خلدون ج٥، ص٢٥٣ ـ ٢٥٨ ومرآة الزمان لابن الجوزي، ج٨، ص٣٦٦، الأعلام للزركلي، ج١، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٠٥، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص١٦٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٨٢، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص٢٥٨.

(٣) «كان عمره إحدى عشرة سنة» في الباهر لابن الأثير ص١٦٢، والكامل لابن الأثير ج١١، ص٤٠٥.

الأمير شمس الدين محمد بن المقدم. قال العماد الأصفهاني الكاتب: وورد كتاب صلاح الدين بالمثال الفاضلي معزيًا للملك الصالح وفي آخره:

«وأما العدو خذله الله تعالى فوراءه من الخادم من يطلبه طلب ليل لنهاره، وسيل لقراره، إلى أن يزعجه من مجاثمه، ويستوقفه عن مواقف مغانمه، وذلك من أقل فروض البيت الكريم، وأيسر لوازمه. أصدر هذه الخدمة يوم الجمعة رابع عشر ذي القعدة وهو اليوم الذي أُقيمت فيه الخطبة بالاسم الكريم، وصرح فيه بذكره في الموقف العظيم، والجمع الذي لا لغو فيه ولا تأثيم، وأشبه يوم الخادم أمسه في الخدمة، وفيما لزمه من حقوق النعمة، وجمع كلمة الإسلام عالمًا أن الجماعة رحمة».

قال: ولما بلغ سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود وفاة عمه، استبشر لذلك، ونادى بالموصل بالفسحة في الشرب واللهو. وكان الخبر قد أتاه وهو سائر إلى خدمة عمه نور الدين، فإنه كان قد استدعاه بالجيوش، فعاد وهرب سعد الدين كمشتكين، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار سيف الدين غازي مبينًا. قال: ولما اتفق ذلك منه لم يكتب الجماعة الذين في خدمة الملك الصالح إلى صلاح الدين يوسف بالخبر، خوفًا أنه إذا بلغه ذلك أقصدهم، واستولى على الملك الصالح وأبعدهم، فشقّ ذلك عليه وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

قال: وأقام الملك الصالح بدمشق وجماعة الأمراء عنده لم يمكنوه من المسير إلى حلب، لئلا يغلبهم عليه شمس الدين بن الداية، ويختص بخدمته، فإنه كان من أكبر الأمراء النورية. ولما وصل كمشتكين من الموصل إلى حلب أحسن إليه الأمير شمس الدين بن الداية، وأكرمه، وجهزه إلى دمشق لإحضار الملك الصالح منها إلى حلب، وجهز معه العساكر. فلما قارب دمشق سيّر الأمير شمس الدين محمد بن المقدم عسكرًا إليه، فهزموه. ونهبوا ما معه، فعاد إلى حلب منهزمًا، فأخلف عليه ابن الداية عوض ما أخذ منه ثم نظر أمراء دمشق المصلحة، فعلموا أن مسيره إلى حلب أجود من مقامه بدمشق. فأرسلوا إلى ابن الداية يطلبون سعد الدين كمشتكين ليأخذ الملك الصالح، فجهزه إليهم، فسار إلى دمشق في المحرم سنة سبعين وخمسمائة، فأخذ الملك الصالح وعاد به إلى حلب. فلما وصل إليها، قبض سعد الدين على ابن الداية وإخوته، وعلى الرئيس ابن الخشاب رئيس حلب، ومقدم الأحداث بها.

واستبد سعد الدين بتربية الملك الصالح، فخاف ابن المقدم وغيره من الأمراء بدمشق أن سعد الدين يسير إليهم ويفعل بهم كما فعل بابن الداية، فراسل سيف الدين

غازي بن مودود في الحضور من الموصل ليتسلم دمشق فخشي غازي أن تكون مكيدة فلم يحضر، فراسله سعد الدين، واتفق الحال على أن يستقر بيده ما استولى عليه من الأعمال الجزيرية. فقال أمراء دمشق: حيث صالح سيف الدين، لم يبق له مانع من المسير إلى دمشق. فراسلوا الملك الناصر صلاح الدين في الحضور من مصر ليتسلمها. فوصل إليها، وتسلمها، وملك حمص وحماه وبعلبك. ولم يقطع خطبة الملك الصالح، وأظهر أنه إنما حضر لخدمته، واسترجاع ما استولى عليه سيف الدين غازي وغيره من الأعمال الجزيرية. ثم كان بينه وبين العسكر الحلبي من الحروب ما نذكره في أخبار الدولة الأيوبية، إلى أن أحوجوه إلى الاستقلال بالأمر والخطبة لنفسه وملك البلاد.

ذكر مقتل سعد الدين كُمُشتِكِين وحصر الفرنج حَارِم[١]

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة قبض الملك الصالح على سعد الدين[٢]، وهو المتولي على أمر دولته، والحاكم فيها. وسبب ذلك أن أبا صالح بن العجمي كان من أكابر حلب، وكان مقدمًا عند نور الدين، وتقدم عند ولده[٣] وأطاعه الناس، وكثرت أتباعه، فوثبت عليه بعض الباطنية بالجامع فقتله[٤]، فنسب ذلك لسعد الدين فوشوا به عند الملك الصالح، فقبض عليه. وكانت حارم إقطاعه، فامتنع من بها من تسليمها فسيّره الملك الصالح تحت الاستظهار ليأمر أصحابه بتسليمها؛ فأمرهم فلم يرجعوا إلى قوله، وعذب وهم ينظرون إليه إلى أن مات تحت العقوبة. فبلغ الفرنج ذلك، فنازلوا قلعة حارم ونصبوا عليها المجانيق، فصالحهم الملك الصالح على مال ففارقوها، وتسلمها بعد حصار ثان، ورتب فيها من المماليك النورية من يحفظها.

---

(١) حارم: بكسر الراء حصن حصين وكورة قرب أنطاكية من أعمال حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥.

(٢) سعد الدين كُمُشتكين خادم السلطان نور الدين الشهيد وكان من أكابر خدامه، وكان ولاه الموصل نيابة عنه فلما مات نور الدين هرب إلى حلب، ثم جاء إلى الملك الصالح فأعطاه حارم ثم غضب عليه وطلب منه قلعة حارم.

(٣) «الملك الصالح» ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٤٤٥.

(٤) «علّقه الملك الصالح منكّسًا، ودخّن تحت أنفه حتى مات» ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٧٤.

ذكر وفاة الملك الصالح إسماعيل[١]

كانت وفاته لخمس بقين من رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة. وابتدأت علته في تاسع الشهر، وكان مرضه القولنج ومات وله من العمر تسع عشرة سنة. وقيل في سبب وفاته إن علم الدين سليمان بن جندر سقاه في عنقود عنب وهو في الصيد؛ وقيل بل سقاه ياقوت الأسدي في شراب، فعظم موته على سائر الناس، وحزنوا لفقده حزنًا شديدًا.

قال ابن الأثير: ولما اشتد مرضه وصف له الأطباء شرب الخمر للتداوي، فاستفتى الفقيه علاء الدين الكاشاني وأفتاه بجواز شربها، فقال: «إن كان الله قد قرب أجلي أيؤخره شرب الخمر» فقال: لا والله فقال: «والله لا لقيت الله تعالى وقد استعملت ما حرمه علي» ومات رحمه الله ولم يشربها[٢].

ولما أيس من نفسه أحضر الأمراء والأجناد في الثالث والعشرين من شهر رجب وأوصاهم بتسليم البلد لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل، واستحلفهم على ذلك. فقال بعض أصحابه إن عز الدين ملك الموصل وله ما يكفيه، ولو أوصيت بها لابن عمك عماد الدين زنكي فإنه تربية والدك، وزوج أختك، وليس له غير سنجار. فقال: «إن هذا لم يغب عني، ولكن قد علمتم أن صلاح الدين قد تمكن وتغلب على عامة البلاد الشامية، ومتى كانت حلب لعماد الدين عجز عن حفظها وعز الدين يحفظها، وإن ملكها صلاح الدين لم يبق لأهلنا معه مقام فاستحسن الناس ذلك منه، وعجبوا من جودة رأيه مع صغر سنه، وأن مرضه لم يشغله عن حسن اختياره. ثم مات رحمه الله.

وكان عفيف اليد والفرج واللسان، لا يعرف له شيء مما يتعاطاه الملوك والشباب، حسن السيرة، عادلاً في رعيته. وبوفاته انقرض عقب نور الدين المذكور.

ولنرجع إلى ذكر ملوك الموصل الذين ملكوا بعد وفاة سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٨١.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٧٣.

ذكر أخبار قطب الدين مودود[١] بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر

ملك الموصل بعد وفاة أخيه سيف الدين غازي في أواخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وذلك أنه لما مات سيف الدين غازي اجتمعت كلمة الوزير جمال الدين الأصفهاني وزين الدين على أمير الجيش على تولية قطب الدين طلبًا للسلامة، فاستحلفوه وحلفوا له وركبوه إلى دار السلطان، وأطاعه سائر البلاد التي كانت تحت يد أخيه. وتزوج الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين. وكان سيف الدين غازي قد تزوجها ولم يدخل بها، فتزوجها قطب الدين وهي أم أولاده الملوك.

قال: ولما ملك قطب الدين كان نور الدين بحلب، وهو أكبر منه، فكاتبه بعض الأمراء وطلبوه، فسار إليهم، وقصد انتزاع الملك من أخيه قطب الدين، ثم اتفقا وعاد نور الدين إلى حلب، وشهد قطب الدين بعض الحروب مع أخيه نور الدين؛ كما ذكرناه في أخبار نور الدين.

ذكر القبض على الوزير جمال الدين محمد بن علي ابن منصور الأصفهاني ووفاته وشيء من أخباره وسيرته[٢]

وفي سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة قبض قطب الدين على الوزير جمال الدين واعتقله، فتوفي في اعتقاله في شعبان سنة تسع وخمسين ولعمري ما كان يستحق أن يعتقل، وهو الذي عمل على إثبات الملك في البيت الأتابكي بعد قتل الشهيد أتابك زنكي، على ما قدمنا في أخبار سيف الدين غازي.

قال ابن الأثير الجزري رحمه الله في تاريخه الكامل: حكى لي إنسانٌ صوفيّ يقال له أبو القاسم؛ كان مختصًا بخدمته في الحبس، قال: «لم يزل مشغولاً في محبسه بأمر آخرته، وكان يقول: كنت أخشى أن أُنقل من الدست إلى القبر، فلمّا

---

(١) ترجمته وأخباره في: الأعلام للزركلي، ج٧، ص٣١٨ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٥، ص٣٦٣، ومفرج الكروب لابن واصل ج١، ص١١٧، ١٨٨ ـ ١٩٠، والكامل لابن الأثير، ج١١، ص١٣٨، ٣٣١، ٣٥٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج٥، ص٣٠٢، رقم ٧٤٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٠٦.

مرض قال لي في بعض الأيّام: يا أبا القاسم إذا جاء طائر أبيض إلى الدار فعرّفني» قال: «فقلت في نفسي قد اختلط عقله» فلما كان الغد أكثر السؤال عنه، وإذ طائر أبيض لم أرَ مثله قد سقط، فقلت: «قد جاء الطائر» فاستبشر ثمّ قال: «جاء الحقّ» وأقبل على الشهادة، وذكر الله تعالى إلى أن توفّي. فلمّا توفي طار ذاك الطائر، فعلمتُ أنّه رأى شيئًا في معناه».

ودُفن بالموصل عند فتح الكرامي رحمة الله عليهما نحو سنة، ثم نقل إلى المدينة، فدفن بالقرب من حرم النبي ﷺ في رباط بناه لنفسه. وقال لأبي القاسم: «بيني وبين أسد الدين شيركوه عهد من مات منا قبل صاحبه حمله إلى المدينة فدفنه بها في التربة التي عملها، فإذا أنا مِت فامض إليه وذكره». فلما توفي سار أبو القاسم إلى شيركوه في المعنى، فقال له شيركوه: «كم تريد» فقال «أريد أجرة جمل يحمله، وجمل يحملني وزادي» فانتهره وقال: «مثل جمال الدين يحمل هكذا إلى مكة» وأعطاه مالاً صالحًا ليحمل معه جماعة يحجون عن جمال الدين، وجماعة يقرؤون بين يدي تابوته إذا حمل وإذا أنزل عن الجمل. فإذا وصل إلى مدينة يدخل أولئك القرّاؤون ينادون للصلاة عليه، فيصلى عليه في كل بلد يجتاز بها، وأعطاه أيضًا مالاً للصدقة فصلّى عليه في تكريت وبغداد والحلة فَيْد[1] ومكة والمدينة، وكان يجتمع له في كل بلد من الخلق ما لا يحصى، ولما أراد الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وأنشد بأعلى صوته: [من الطويل]

سرى نعشه[2] فوق الرقابِ وطالما سرى جودُه فوق الركابِ ونائِله
يمر على الوادي فتنثني[3] رمالُه عليه وبالنادي فتثني[4] أرامله

فلم يرَ باكيًا أكثر من ذلك اليوم، وطافوا به حول الكعبة، وصلّوا عليه بالحرم الشريف، وبين قبره وقبر النبي ﷺ خمسة عشر ذراعًا.

وأما سيرته رحمه الله فكان [الوزير جمال الدين محمد بن علي] أسخى الناس وأكثرهم بذلاً للمال، رحيمًا بالخلق متعطفًا عليهم عادلاً فيهم، فمن أعماله الحسنة أنه

---

(١) فيد: بالفتح ثم السكون: بلد في منتصف الطريق بين مكة والكوفة يمر بها الحجاج، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢.
(٢) «سرى نعشه على الرقاب» في البداية والنهاية لابن كثير، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨، ج١٢، ص٢٤٩.
(٣) «فتثني» في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٢٧.
(٤) «فتبكي» في الروضتين لأبي شامة، ج١، ص١٣٧.

جدد بناء مسجد الخيف[١] بمنى وغرم عليه أموالاً كثيرة، وبنى الحجر بجانب الكعبة، وزخرف الكعبة وأذهبها وعملها بالرخام. ولما أراد ذلك أرسل إلى المتقي لأمر الله هدية جليلة، وطلب منه ذلك، وأرسل إلى الأمير عيسى أمير مكة هدية كبيرة، وخلعا ثنية، منها عمامة شراها بثلاثمائة دينار، حتى مكنه من ذلك. وعمر أيضًا المسجد الذي على جبل عرفات، والدرج الذي يصعد فيها إليه، وكان الناس يلقون شدة في صعودهم. وعمل بعرفات أيضًا مصانع للماء، وأجرى الماء إليها من نعمان[٢] في طرق معمولة تحت الأرض[٣]. وأخرج على ذلك مالاً كثيرًا وكان يجري الماء في المصانع في كل سنة أيام الحج. وبنى سورًا على مدينة النبي ﷺ. وعلى فيْد.

وكان يخرج على باب داره في كل يوم للصعالك والفقراء مائة دينار أميري؛ هذا سوى الإدرارات والتعهدات للأئمة والصالحين وأرباب البيوت. ومن أبنيته العجيبة التي لم يرَ الناس مثلها الجسر الذي بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلز[٤] فقبض قبل أن تكمل عمارته وبنى أيضًا جسرًا كذلك على النهر المعروف بالأرفاد[٥]، وبنى الربط [بالموصل، وسنجار، ونصيبين][٦]. وقصده الناس من أقطار الأرض. وكانت صدقاته وصلاته من أقاصي خراسان إلى حدود اليمن، وكان يشتري الأسرى في كل سنة بعشرة آلاف دينار، هذا من الشام حسب، سوى ما يشتري من الكرج.

وقال ابن الأثير: أيضًا حكى لي والدي عنه قال: «كثيرًا ما كنت أرى جمال الدين إذا قُدّم إليه الطعام يأخذ منه ومن الحلوى ويتركه في خبز بين يديه. فكنت أنا ومن يراه نظن أنه يحمله إلى أم ولده عليّ. فاتّفق أنه في بعض السنين جاء إلى الجزيرة مع قطب الدين، وكنت أتولى ديوانها، وحمل جاريته أم ولده إلى داري لتدخل الحمام، فبقيت في الدار أيّامًا. فبينما أنا عنده في الخيام، وقد أكل الطعام

---

(١) «بنى مسجد الخيف ودرجه وعملها بالرخام، وبنى على المدينة النبوية سورًا» في البداية والنهاية لابن كثير، ج١٢، ص٢٤٨. الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه مسجد الخيف من منى. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤١٢.

(٢) نعمان: بالفتح ثم السكون وآخره نون: وادٍ بين مكة والطائف، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٩٣.

(٣) «تحت الجبل مبنية بالكلس» في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص١٢٨.

(٤) «الكلس» في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص١٢٩.

(٥) «نهر الأريار عند الجزيرة» في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٢٩.

(٦) ما بين حاصرتين إضافة من التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٢٩.

فعل كما كان يفعل. ثم تفرّق الناس فقمتُ فقال: «اقعد» فقعدتُ. فلما خلا المكان قال لي: «قد آثرتك اليوم على نفسي، فإنني في الخيام ما يمكنني أن أفعل ما كنت أفعله. خذ هذا الخبر واحمله أنت في كمّك في هذا المنديل، واترك الحماقة من رأسك، وعد إلى بيتك، فإذا رأيت في طريقك فقيرًا يقع في نفسك أنه مستحقّ، فاقعد أنت بنفسك وأطعمه هذا الطعام» قال: ففعلت ذلك، وكان معي جمع كثير ففرقتهم في الطريق لئلا يروني أفعل ذلك، وبقيت في غلماني، فرأيتُ في موضع إنسانًا أعمى وعنده أولاد له وزوجته، وهم من الفقر على حال شديد، فنزلت عن دابتي إليهم وأخرجت الطعام وأطعمتهم إياه. وقلت للرجل تجيء غدًا بكرة إلى دار فلان، أعني داري - ولم أعرفه نفسي - فإنني آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئًا. ثم ركبت إليه العصر، فلما رآني قال: «ما الذي فعلت في الذي قلت لك» فأخذت أذكر له شيئًا يتعلق بدولتهم فقال: «ليس عن هذا أسألك، إنما أسألك عن الطعام الذي سلمته إليك» فذكرت له الحال ففرح، ثم قال: «بقي أنك قلت للرجل يجيءُ إليك هو وأهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجري لهم كل شهر دنانير» قال: فقلت له: «قد قلت للرجل يجيء إلي» فازداد فرحًا وفعل للرجل ما قال. ولم يزل يصل إليه رسمه حتى قبض. وقال: وله من هذا كثير. فمن ذلك أنه تصدق بثيابه من على بدنه في بعض السنين التي تعذرت فيها الأقوات.

ولما وقفت على ترجمته لهجت بالترحم عليه، وقرأت ختمة شريفة في شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبعمائة وسألت الله تعالى أن يسطر ثوابها في صحيفة حسناته، وقررت ذلك على نفسي في كل سنة في شهر رمضان وأرجو أن لا أقطعها ما لم أنسَ ذلك، رحمه الله تعالى[١].

ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكم قطب الدين[٢]

وفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة فارق زين الدين علي بن بكتكين النائب عن قطب الدين خدمته، وسار إلى إربل. وكان هو الحاكم في الدولة وأكثر البلاد بيده، ومنها إربل وبها أهله وأولاده وخزانته، وشهرزور وجميع القلاع التي معها، وجميع بلاد الهكارية وبلد الحمدية، وتكريت وسنجار، وحران، وقلعة الموصل هو بها. وكان قد أصابه طرش ثم عمي، فما عزم على مفارقة الموصل إلى بيته بإربل، سلم جميع ما كان بيده من البلاد إلى قطب الدين، وبقي معه إربل خاصة. وكان شجاعًا

(١) عن سيرته وأخباره انظر التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٢٨ - ١٣٠.
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٣١.

عاقلاً حسن السيرة سليم القلب ميمون النقيبة، وما انهزم من حرب قط. وكان كريمًا كثير العطاء للجند وغيرهم، فمن عطاياه أن الحيص بيص الشاعر قد امتدحه بقصيدة، فلما أراد إنشادها قال له: «أنا لا أعرف ما تقول ولكني أعلم ما تريد» وأمر له بخمسمائة دينار وخلعة وفرس فكان مجموع ذلك بألف دينار. ولم يزل بأربل إلى أن مات بها في هذه السنة[١].

ولما فارق زين الدين قلعة الموصل سلمها قطب الدين إلى فخر الدين عبد المسيح وحكمه في البلاد، فعمر القلعة وكانت خرابًا لأن زين الدين كان قليل الالتفات إلى العمارة. وسار عبد المسيح سيرة شديدة وسياسة عظيمة وكان خصيًا أبيض من مماليك أتابك زنكي.

ذكر وفاة قطب الدين مودود وملك ولده سيف الدين غازي[٢]

كانت وفاة قطب الدين مودود بن زنكي بالموصل في ذي الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة، وقيل في شوال منها[٣]. وكان مرضه حمى حادة فكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وشهورًا[٤]. وكان من أحسن الملوك سيرة، وأعفهم عن أموال الرعية، كثير الإنعام والإحسان إليهم، محبوبًا إلى كبيرهم، وصغيرهم عطوفًا على شريفهم ووضيعهم، كريم الأخلاق. ولما مات رحمه الله تعالى ملك بعده ولده سيف الدين غازي.

ذكر أخبار سيف الدين غازي[٥] بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي

ملك الموصل وما كان بيد والده قطب الدين بعد وفاته في ذي الحجة أو شوال

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص١٣٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٥٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢١٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٦٣.

(٣) في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص٢١٦.

(٤) «توفي عن نيف وأربعين سنة وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة» في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٤، ص٢١٦ «وكان عمره نحوًا من أربعين سنة ومدة ملكه الموصل إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر» في كنز الدرر للدواداري ج٧، ص٤٤ ـ ٤٥.

(٥) ترجمته وأخباره في: ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص١٧٥ ـ ١٧٦، الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١١٣.

سنة خمس وستين وخمسمائة؛ بوصية من أبيه. وكان والده قد أوصى بالملك بعده لولده الأكبر عماد الدين زنكي، فعرف عبد المسيح رأيه عنه. فلما كان في اليوم الثاني استخلف سيف الدين غازي، فاستقر في الملك بعد وفاة أبيه، واستولى عبد المسيح على المملكة. ولم يكن لغازي معه غير الاسم، فاتصل ذلك بنور الدين محمود، فأزعجه وأنف منه وكبر لديه، فسار إلى الموصل سنة ست وستين ودخلها من غير قتال. وكان الجند والعوام قد كاتبوه في تسليم البلد إليه. فلما علم بذلك عبد المسيح كاتبه أيضًا وسأله الأمان، فأمنه وقال: «لا سبيل أن يكون بالموصل»؛ ونقله إلى الشام ودخل نور الدين الموصل في ثالث عشر جمادى الأولى، وأقر سيف الدين غازي على الموصل، وولي القلعة خادمًا يقال له سعد الدين كمشتكين، وجعله دزدارًا ثم عاد إلى الشام رحمه الله.

ذكر مُلك سيف الدين غازي البلاد الجزيرية[(١)]

كان سبب ذلك أن عمه الملك العادل نور الدين قد استدعاه بعساكر الموصل وديار الجزيرة وغيرها لقصد الغزاة. فسار سيف الدين غازي وجعل على مقدمته سعد الدين كمشتكين[(٢)]. فلما كانوا ببعض الطريق، وافاهم الخبر بوفاة نور الدين، فهرب سعد الدين جريدة، واستولى غازي على بركه وثقله وموجوده. وعاد إلى نصيبين فملكها، وأرسل الشحن إلى الخابور، واستولى عليه وأقطعه. وسار إلى حرّان فحصرها عدة أيام، وبها قايماز الحرّاني مملوك نور الدين، فأطاعه بعد امتناع على أن تكون حران له. فلما نزل إليه، قبض عليه سيف الدين غازي [وأخذ حرّان منه][(٣)]، وسار إلى الرها فحصرها وملكها، وبها خادم خصي أسود لنور الدين، فسلّمها وطلب عوضها قلعة الزعفران من أعمال جزيرة ابن عمر، فأُعطيها ثمّ أخذت منه، ثمّ انتهى حاله إلى أن استعطى ما يقوم به.

وسيّر سيف الدين إلى الرّقّة، فملكها وملك سروج وجميع بلاد الجزيرة، إلا قلعة جَعْبر لحصانتها، ورأس عين لأنها كانت لقطب الدين[(٤)] صاحب ماردين. وعاد عبد المسيح إلى خدمة سيف الدين من سيواس، وحسن لسيف الدين العبور إلى الشام

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٠٦.
(٢) «سعد الدين كمشتكين الذي كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين» ابن الأثير: الكامل ج١١، ص٤٠٦.
(٣) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٤٠٧.
(٤) «وهو ابن خال سيف الدين» في ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٤٠٧.

ليملكه، فأشار عليه عز الدين محمود ـ وهو من أكابر الأمراء ـ أن يقتصر على ما بيده، فرجع إليه وعاد إلى الموصل، وذلك في سنة تسع وستين وخمسمائة.

ذكر حصره أخاه زنكي بسنجار[١]

وفي سنة سبعين وخمسمائة في شهر رمضان حصر سيف الدين غازي أخاه عماد الدين زنكي بسنجار. وكان سبب ذلك أن الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين كتب إلى ابن عمه سيف الدين [غازي][٢] يستحثه على الوصول إليه ليدفع الملك الناصر صلاح الدين يوسف عن حلب، فجمع سيف الدين غازي العساكر، وكاتب أخاه عماد الدين في اللحاق به. وكان صلاح الدين قد كاتبه وأطمعه في الملك، فامتنع عماد الدين بسبب ذلك. فجهز سيف الدين العساكر مع أخيه عز الدين مسعود إلى الشام. وتوجه هو سيف الدين لحصار أخيه بسنجار، فحصرها، وبينما هو كذلك، إذ أتاه الخبر بانهزام أخيه مسعود من صلاح الدين، فراسل حينئذ أخاه عماد الدين وصالحه على ما بيده، ورحل إلى الموصل. ثم كان بين سيف الدين وبين الملك الناصر صلاح الدين ما نذكره في أخبار الملك الناصر من هزيمة غازي في سنة إحدى وسبعين.

ورجع سيف الدين إلى الموصل. وعزل عز الدين زلفندار[٣] واستعمل مكانه في إمارة الجيش مجاهد الدين قايماز.

وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة عصى شهاب الدين محمد بن مروان[٤] صاحب شهرزور على سيف الدين غازي وكان قبل ذلك في طاعته، فراسله في معاودة الطاعة. فعاد وحضر إلى الخدمة.

ذكر وفاة سيف الدين غازي[٥]

كانت وفاته في ثالث صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة وكان مرضه السل،

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٢٠.

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٤٢٠.

(٣) «اسمه عز الدين محمود» ويلقب أيضًا زلفندار، في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٤٢٠.

(٤) «شهاب الدين محمد بن بزان» في مفرج الكروب لابن واصل، ج٢، ص٥٨.

(٥) الدواداري: كنز الدرر، ج٧، ص٦٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٢٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٨٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٥٦.

فطال به، ثم أدركه سرنيام[١] فمات، وعمره نحوًا من ثلاثين سنة، وكانت مدة ولايته عشر سنين وشهورًا وكان حسن الصورة تام القامة أبيض اللون. وكان عاقلاً وقورًا قليل الالتفات إذا ركب وإذا جلس ولم يذكر عنه في نفسه ما ينافي العفاف. وكان شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدام الصغار فإذا كبر أحدهم منعه. وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الأموال على شحه وجبنه.

ولما اشتد مرضه أوصى بالملك لولده معز الدين سنجر شاه، وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة[٢] سنة، فخاف على الدولة من ذلك، لتمكن صلاح الدين يوسف بالشام، وامتنع عز الدين مسعود من الموافقة والأيمان. فأشار الأمراء أن يكون الملك بعده لعز الدين مسعود أخيه. ففعل، وجعل لولده سنجر شاه جزيرة ابن عمر وقلاعها، وجعل قلعة الحميدية لولده الصغير ناصر الدين كسك[٣].

ذكر ملك عز الدين[٤] مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي

ملك الموصل بعد وفاة أخيه سيف الدين غازي في ثالث صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة، وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايماز. وفي سنة سبع وسبعين كانت وفاة الملك الصالح إسماعيل، وأوصى بحلب لعز الدين مسعود كما ذكرناه في أخباره. فكاتبه الأمراء بذلك واستدعوه لتسليمها. فسار إليها ومعه مجاهد الدين قايماز، فدخلها في العشرين من شعبان منها وأقام بحلب عدة شهور ثم سار إلى الرقّة.

ذكر تسليم حلب إلى عماد الدين زنكي وأخذ سنجار عوضًا عنها

قال: ولما فارق عز الدين مسعود حلب ووصل إلى الرقة، جاءته رسل أخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجار يطلب منه أن يسلم إليه مدينة حلب ويأخذ سنجار،

---

(١) «ثم أدركه في آخره سرسام ومات» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٤٦٢.

(٢) في الأصل «اثني عشر».

(٣) في الأصل «كتبك» والتصحيح من الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٤٦٣.

(٤) أخباره في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٤٧٢، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص١٨١.

فلم يجب إلى ذلك، فراسله مرة أخرى وألحّ في طلبها، وقال متى لم تسلم إلى حلب وإلا سلمت أنا سنجار إلى صلاح الدين، فأشار الأمراء بتسليمها إليه فسلمها له، وتسلم سنجار، وعاد إلى الموصل.

ذكر القبض على مجاهد الدين قايماز[(١)]

وفي جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وخمسمائة قبض عز الدين مسعود على نائبه مجاهد الدين قايماز. ولما قصد القبض عليه لم يقدم عليه مفاجأة لقوة مجاهد الدين، فأظهر المرض وانقطع عن الركوب فدخل إليه مجاهد الدين وحده، وكان خصيصًا به لا يمنع من الدخول على النساء. فقبض عليه وركب لوقته إلى القلعة. واحتوى على أموال قايماز وخزائنه، وولى زلفندار[(٢)] قلعة الموصل وجعل شرف الدين[(٣)] أحمد بن أبي الخير ـ وهو ابن أمير حاجب العراق ـ أمير حاجب، وحكمه في دولته. وكانت إربل[(٤)] وأعمالها تحت حكم مجاهد الدين، ومعه فيها زين الدين يوسف بن زين الدين علي، وهو صبي صغير. وتحت حكمه أيضًا جزيرة ابن عمر وهي لمعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي، وهو صبي أيضًا؛ وبيده شهرزور وأعمالها ونوابه بها، ودقوقا[(٥)]، وقلعة عُقر الحميدية ونائبه بها. ولم يكن مع عز الدين إلا الموصل خاصة وقلعتها لمجاهد الدين[(٦)]. فلما قبض امتنع صاحب إربل عن الطاعة، واستبد صاحب الجزيرة وأرسل الخليفة من حصر دقوقا وأخذها، ولم يحصل لعز الدين غير شهرزور والعُقر، وصارت إربل والجزيرة أضر شيء عليه وأرسل صاحب إربل إلى الملك الناصر صلاح الدين بالطاعة له، وقوي طمع الملك الناصر في الموصل لما قبض على مجاهد الدين، فلما رأى عز الدين ما حصل من

(١) أخباره في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٤٩٩، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٨٣.

(٢) هو عز الدين محمود زلفدار، ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص١٨٣.

(٣) «الذي كان أبوه صاحب بلد الغرّاف، وهما أي (زلفدار وشرف الدين) من أكابر الأمراء» ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص١٨٣.

(٤) إربل: بالكسر ثم الكسون وباء موحدة مكسورة ولام، هي قلعة حصينة ومدينة كبيرة شبيهة بقلعة حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٣٨.

(٥) دقوقاء: بفتح أوله، وضم ثانيه، وبعد الواو قاف أخرى، وألف ممدودة ومقصورة، مدينة بين إربل وبغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٩.

(٦) «وقلعتها بيد مجاهد الدين، وهو على الحقيقة الملك واسمه عز الدين» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٥٠٠.

الضرر والفساد بسبب قبض مجاهد الدين، قبض على شرف الدين أحمد الحاجب وزلفندار، عقوبة لهما كونهما حسنا له القبض على قايماز.

ذكر إطلاق مجاهد الدين قايماز وما كان من العجم وانهزامهم[(١)]

قال: وفي المحرم سنة ثمانين وخمسمائة أطلق عز الدين مسعود مجاهد الدين قايماز، وذلك بشفاعة شمس الدين بن البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل. ولما أطلقه سيّره إلى ابن البهلوان[(٢)] وإلى أخيه قزل يستنجدهما على صلاح الدين. فبدأ في مسيره بقزل وهو صاحب أذربيجان، فلم يمكنه من المضي إلى شمس الدين، وقال: «مهما يختار أنا أفعله» وجهز معه ثلاثة آلاف فارس، وساروا نحو إربل ليحصروها. فلما قاربوها أفسدوا في البلاد وخربوها، وسبوا وأخذوا النساء قهرًا، ولم يقدر مجاهد الدين على منعهم. وسار إليهم زين الدين يوسف صاحب إربل في عسكره، فلقيهم وهم قد تفرّقوا للنهب، فانتهز الفرصة وقاتل من لقي منهم، فهزمهم وتمّت الهزيمة على العجم، وغنم الإربليون أموالهم ودوابهم وسلاحهم، وعاد العجم إلى بلادهم، وعاد مجاهد الدين إلى الموصل، وكان يقول: «ما زلنا ننتظر العقوبة من الله عزّ وجل على سوء فعل العجم»[(٣)].

ذكر وفاة عز الدين مسعود[(٤)]

كانت وفاته في التاسع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة. ودفن بالمدرسة التي أنشأها بالموصل مقابل دار المملكة وبقي في مرضه ما يزيد على عشرة أيام لا ينطق إلا بالشهادتين وتلاوة القرآن والاستغفار. وكانت مدة ملكه ثلاثًا وعشرين سنة وسبعة[(٥)] أشهر إلا أيامًا. وكان خيّر الطبع كثير الخير والإحسان وزيارة الصلحاء وبرهم. وكان حليمًا قليل المعاقبة كثير الحياء لا يكلم جلساءه إلا وهو مطرق. وما

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٥٠٤.

(٢) «سيره إلى البهلوان» في الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٥٠٤.

(٣) تتمة ما قاله مجاهد الدين: «فإنني رأيت منهم ما لم أكن أظنه يفعله مسلم بمسلم، وكنت أنهاهم فلا يسمعون، حتى كان من الهزيمة ما كان» ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٥٠٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص١٠١.

(٥) «وستة أشهر» في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٨٦.

قال في شيء سُئِله «لا» ولبس خرقة التصوف بمكة، وكان يلبسها في كل ليلة، ويخرج إلى مسجد بناه في داره فيصلي فيه نحو ثلث الليل، رحمه الله[١].

وملك بعده ولده نور الدين[٢] أرسلان شاه بن مسعود، وقام بتدبير دولته في ابتدائها مجاهد الدين قايماز مدبر دولة والده، واستمر نور الدين أرسلان شاه في الملك إلى سنة سبع وستمائة، فتوفي في أوائل شهر ربيع منها، ودفن في مدرسته التي أنشأها مقابل داره بالموصل. وكانت علته قد طالت، وكانت مدة ملكه سبع عشرة[٣] سنة وأحد عشر شهرًا. وكان بينه وبين الملك العادل بن أيوب مخالفة، ثم اتفاق ومصاهرة. وكان شهمًا شجاعًا ذا سياسة للرعايا شديدًا على أصحابه مانعًا من تعدي بعضهم على بعض.

ولما مات ملك بعدَه ولدُه الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي[٤]. وكان والده قد حلّف له العساكر وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكي قلعة عقر الحميدية[٥] وقلعة سوس[٦] وأمر أن يتولى تدبير دولة القاهر فتاه بدر الدين لؤلؤ، فقام بتدبير الدولة والنظر في مصالحهما. واستمر الملك القاهر في الملك إلى سنة خمس عشرة وستمائة، فتوفي في ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الأول منها، فكانت ولايته سبع سنين وتسعة أشهر. وكان كريمًا قليل الطمع في أموال رعيته مقبلاً على أمرائه. وملك بعده ولده نور الدين أرسلان شاه ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه ملك الموصل، بوصية من أبيه. وكان عمره يوم ذاك عشر سنين. وجعل الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤ فقام أحسن قيام وراسل الملوك أصحاب الأطراف المجاورين له، وطلب منهم تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التي كانت اتفقت بينهم وبين أبيه، فوافقوه. وكتب إلى الديوان العزيز، فجاءته الخلع والتقليد من الخليفة بولاية نور الدين. ونظر بدر الدين في أمور الدولة فلم يلبث نور الدين إلى أن توفي في هذه السنة.

---

(١) عن سيرته وأخباره انظر التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٨٥.

(٢) أخباره: في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ص١٨٩ ـ ١٩٠.

(٣) في الأصل «سبعة عشر».

(٤) «هو أبو الفتح» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٦١٥.

(٥) عقر الحميدية: أو العقر: قلعة حصينة في جبال الموصل أهلها أكراد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٣٦.

(٦) قلعة سوس: بضم أوله وسكون ثانيه، وبلدة السوس واقعة ما وراء النهر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٠.

ولما مات استحلف بدر الدين لؤلؤ العساكر لأخيه ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه، وله من العمر ثلاث سنين. واستمر بدر الدين لؤلؤ في تدبير الدولة، فتجدد طمع عز الدين زنكي بن مسعود ومظفر الدين عمّيه في ملك الموصل لصغر سنه، فجمعا الرجال وتجهزا للحركة، وقصدا أطراف الموصل بالنهب والفساد، فخرج إليهم بدر الدين لؤلؤ بعساكر الموصل، والتقوا، فكانت الهزيمة على العسكر البدري، وعاد إلى الموصل وتبعه مظفر الدين، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك واستقر كل واحد على ما بيده. ثم ملك عماد الدين قلعة كواشي[1] وهي من أحسن قلاع الموصل.

ثم مات ناصر الدين محمود بعد مدة يسيرة، واستقر بدر الدين لؤلؤ بملك الموصل، وتلقب بالملك الرحيم ودامت أيامه إلى أن توفي في سنة سبع وخمسين وستمائة، فكانت مدة ملكه نحو أربعين سنة، وملك بعده أولاده، فكان الذي استقل بملك الموصل من أولاده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل، قتله التتار في سنة تسع وخمسين وستمائة، وملك ولده الملك المجاهد سيف الدين إسحاق بلاد الجزيرة؛ وملك الملك المظفر علاء الدين على سنجار. ولما استولى التتار على هذه الممالك وصل هؤلاء إلى الديار المصرية المحروسة في أيام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، وجهزهم صحبة الخليفة المستنصر بالله؛ فكان من أمره وأمرهم ما ذكرناه ونذكره إن شاء الله تعالى؛ فلنرجع إلى ذكر أخبار عماد الدين زنكي بن مودود.

ذكر أخبار عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر

استقر ملكه بسنجار بعد وفاة أبيه واستقلال أخويه سيف الدين غازي ثم عز الدين مسعود بملك الموصل، ثم تعوض عماد الدين بحلب عن سنجار كما قدمنا ذكره في أخبار عز الدين مسعود. ثم أخذ الملك الناصر يوسف[2] منه حلب، وعوضه عنها بسنجار وربض الخابور والرقة، على ما نبينه إن شاء الله في أخبار الملك الناصر فاستقر ملكه أخيرًا بسنجار وما معها في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ولم يزل بها إلى

---

(١) قلعة كواشي: بالفتح: قلعة حصينة في الجبال الواقعة شرقي الموصل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٦.

(٢) ترجمته وأخباره في: الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج١١ و١٢ في صفحات متفرقة حسب تسلسل الأحداث. وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٣ ـ ١٠٦، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج٧، ص١٣٩، رقم ٨٤٦.

أن توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكان عادلاً حسن السيرة في رعيته عفيفًا عن أموالهم، كثير التواضع، يحب أهل العلم والدين، ويجلس معهم، ويرجع إلى آرائهم إلا أنه كان شديد البخل.

ولما مات ملك بعده ولده قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي. وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مملوك أبيه، وكان دينًا خيّرًا عادلاً حسن السيرة[١]. واستمر ملك قطب الدين بسنجار إلى سنة ست عشرة وستمائة، فتوفي في ثامن صفر منها. وكان كريمًا حسن السيرة في رعيته كثير الإحسان إليهم. وكان قد سلّم الأمور إلى نوابه.

ولما مات ملك بعده ابنه عماد الدين شاهان شاه بن محمد. ولما ملك سار بعد شهور إلى تلعفر[٢]، وهي في مملكته فدخل عليه أخوه عمر بن محمد في جماعة فقتلوه.

وملك عمر بن محمد - وهو فروخ شاه - فبقي بسنجار إلى أن أخذها الملك الأشرف في سنة سبع عشرة وستمائة، وعوضه عنها الرقة. وهو آخر من ملك سنجار من البيت الأتابكي، فكانت مدة ملكهم لها أربعًا وتسعين سنة. وتوفي بعد أخذها منه بقليل. فلنذكر أخبار أولاد غازي.

ذكر أخبار معز الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي[٣]

ملك جزيرة ابن عمر بعد وفاة والده في صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة. وكان كثير الأذى لعمه عز الدين مسعود، فحاصر مسعود في سنة سبع وثمانين أربعة أشهر[٤]، واستقرت القاعدة بينهما[٥] على أن يكون لكل منهما نصف أعمال الجزيرة، وتكون الجزيرة بيد سنجر شاه في جملة النصف. ودام ملكه بالجزيرة إلى أن قتل.

---

(١) عن حسن سيرته انظر التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، ص١٩١ - ١٩٢.

(٢) هكذا في الأصل. و«تل أعفر» في الكامل لابن الأثير، ج١٢ ص٣٥٥.
تل أعفر: هو اسم قلعة حصينة بين سنجار والموصل، العامة تقول تل أعفر، أما الخاصة فتقول تل يعفر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٦٠ - ٦٢.

(٤) «أربعة أشهر وأيامًا آخرها شعبان» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٦٢.

(٥) أي «بين عز الدين وسنجر شاه على يد رسول صلاح الدين» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٦٢.

ذكر مقتله وملك ولده معز الدين محمود[١]

كان قتله في سنة خمس وستمائة على يد ولده غازي[٢]. وسبب ذلك أن سنجر شاه كان سيىء السيرة في رعيته وأولاده وجنده وغيرهم، فكان من جملة ما اعتمده مع أولاده أنه بعث ابنيه[٣] محمودًا ومودودًا إلى قلعة فرح[٤] من بلد الزَّوَزان[٥] وأخرج ابنه غازي إلى دار بالمدينة أسكنه بها ووكل به من يمنعه من التصرف وكانت الدار إلى جانب بستان لبعض الرعية فكان يدخل إليها من البستان الحيات والعقارب وغير ذلك من الحشرات، فاصطاد غازي حية وسيّرها إلى أبيه لعله يرقّ له ويعطف عليه، فلم يزده إلا تماديًا وإصرارًا. فعندها أيس من خيره وأعمل الحيلة حتى نزل من الدار، ووضع إنسانًا كان يخدمه أظهر أنه غازي، وخرج من بلاد الجزيرة وقصد الموصل. فشاع الخبر أن غازي قد توجه إلى الموصل وهو مختلف بالجزيرة ما خرج منها، ثم أعمل الحيلة وتسلق فنزل إلى دار أبيه، فستر عليه سراري والده لبغضهم في أبيه. ثم اتفق أن والده شرب في بعض الأيام وسكر ودخل الخلاء، فضربه ابنه غازي هذا بسكين فقتله[٦]، ثم ذبحه وتركه ملقى وقعد يلعب مع الجواري. فخرج بعض الخدم الصغار إلى باب الدار وأعلم أستاذ الدار بالخبر فأحضر أعيان الدولة، وعرّفهم الأمر وأغلق الأبواب على غازي واستحلف الناس لمحمود بن سنجر شاه ودخل على غازي فمانع عن نفسه ثم قتلوه ورمي على باب الدار، وأكلت الكلاب بعضه ودفن باقيه.

ووصل محمود إلى البلد وملكه ولُقّب معزّ الدين لقب أبيه. وغرّق الجواري[٧] اللواتي اتفقن مع غازي على قتل أبيه في دجلة. ثم قتل محمود أخاه مودودًا بعد مدة يسيرة.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٢٧٩.

(٢) «ولقد سلك ابنه في قتله طريقًا عجيبًا يدل على مكر ودهاء» ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٢٨٠.

(٣) في الأصل «ابناه».

(٤) لم ترد في معجم البلدان لياقوت الحموي. وإنما ورد: قلعة برخ ضمن قلاع كورة زوزان.

(٥) زوزان: بفتح أوله وثانيه: كورة حسنة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان، وديار بكر والموصل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٨.

(٦) «فضربه بالسكين أربع عشرة ضربة ثم ذبحه» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢٨١.

(٧) قال ابن الأثير: «ولقد حدّثني صديق لنا أنه رأى بدجلة في مقدار غلوة سهم سبع جواري مغرّقات، منهن ثلاث قد أحرقت وجوههن بالنار، فلم أعلم سبب ذلك الحريق حتى حدّثتني جارية اشتريتها بالموصل من جواريه أن محمودًا كان يأخذ الجارية فيجعل وجهها في النار، فإذا احترقت ألقاها في دجلة، وباع من لم يغرّقه منهنّ» الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٢٨١.

ثم استقرت هذه الممالك الجزيرية وغيرها في يد بدر الدين لؤلؤ وهو الملقب بالملك الرحيم، وملك أولاده من بعده إلى أن استولى عليها التتار في سنة سبع وخمسين وستمائة. هذا ملخص ما وصل إلينا من أخبار هذه الدولة فلنذكر ما عداها.

الباب الحادي عشر
من القسم الخامس من الفن الخامس
في أخبار الدولة الخوارزمية
والدولة الجنكزخانية

الدولة الخوارزمية هي من أعظم الدول الإسلامية والدولة الجنكزخانية هي دولة التتار وإنما جمعناهما في باب واحد لتعلق كل دولة منهما بالأخرى، ولأن الدولة الخوارزمية انقرضت عند قيام الجنكزخانية، وغلبة جنكزخان التمرجي على البلاد على ما نشرح ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعه.

ذكر أخبار الدولة الخوارزمية وابتداء أمر ملوكها وظهورهم وما استولوا عليه من البلاد والأقاليم وما كان بينهم وبين الملوك من الحروب والوقائع

وهذه الدولة هي من جملة فروع الدولة السلجقية[١] لأن أصل البيت الخوارزمي من مماليك أحد أمراء الدولة السلجقية، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى. ولنبدأ بذكر ابتداء أمر ملوكها. وأول من نبغ منهم وترشح للولايات وما وليه وكيف تنقلت بهم الحال إلى أن ملكوا أقاصي البلاد وأدانيها وما آل إليه أمرهم إلى حين انقراض دولتهم، فنقول:

أول من نبغ منهم خوارزم شاه محمد بن أنوشتكين[٢] ولي خوارزم من قبل أمير

---

(١) انظر معجم الأنساب لزمباور، ج٢، ص٣١٦، والسلاجقة في التاريخ والحضارة للدكتور أحمد كمال الدين حلمي، ص١١٣.

(٢) «نوشتكين» في كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص٣٤ و«أنوشتكين غرشحة» في الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج١٠، ص٢٦٧، «أتستكين» في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٣، ص٣٩٤.

داذ[١] حبشي متولي خراسان في شهر رجب سنة تسعين وأربعمائة وأبوه أنوشتكين مملوك الأمير تلكاتك[٢] أحد أمراء السلجقية، اشتراه من رجل من غَرْشِستان[٣] وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف فكبر وعلا محله، ولد له محمد هذا، فانتشأ أحسن نشأة، وتعلّم وتدرّب، وتقدم بنفسه كما قيل: نفس عصام سودت عصامًا. ولحظته العناية الأزلية لظهور ما هو كامن في الغيب.

وكان سبب ولايته خُوارِزم أنه لما ولي أمير داذ حبشي خراسان كان خوارزم شاه البلخي قد قُتل[٤] فنظر الأمير حبشي فيمن يوليه خوارزم، فوقع اختياره على محمد[٥] هذا، فولاه خوارزم، ولقبه خوارزم شاه[٦] على عادة ولاة خوارزم فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها، وقرب أهل العلم والدين، فازداد ذكره حسنًا وظهر اسمه، وعلا محله فلما ملك السلطان سَنْجر شاه السلجقي خراسان أقر محمد على ولاية خُوارِزم وظهرت كفايته فعظم محله عند السلطان سَنْجر، واصطلى حرب الأتراك بنفسه، وهزمهم ودام في ولاية خُوارِزم إلى أن توفي في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة وولي بعده ولده إتسز[٧] بن محمد.

---

(١) في الأصل «دار» والتصحيح من الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٦٧.

(٢) اسمه «بلكباك» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٦٧.

(٣) غرشستان: بالفتح ثم السكون: ولاية تقع هراة في غربيها والغور في شرقيها ومرو في شمالها. غزنة في جنوبها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٩٣.

(٤) «خوارزم شاه أكنجي» في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٦٧.

(٥) بدأ أبوه أنوشتكين ملكه سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م وتوفي تاركًا تسعة أولاد وأحفاد حكموا مدة ١٣٨ عامًا. انظر السلاجقة في التاريخ والحضارة للدكتور أحمد كمال الدين حلمي ص١١٤ حاشية ١، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٩٥، وفيه أن أنوشتكين كان يشغل وظيفة «الساقي» في بلاط ملكشاه السلجوقي. وكانت هذه الوظيفة من أهم وظائف البلاط. فهو الذي يشرف على الأسمطة التي تقام في الأعياد والمواسم وعند استقبال سفراء الملوك كما يشرف على تقطيع اللحوم وتقديم الماء والمشروبات أثناء الطعام وبعده. وانظر في هذا «صبح الأعشى للقلقشندي» ج٥، ص٤٦٩.

(٦) محمد بن نوشتكين هو المؤسس الحقيقي للدولة الخوارزمية وليس نوشتكين. انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ أحمد حمدي، ص١٩، حاشية ٥.

(٧) يرسمه ابن الأثير إتسز، الكامل، ج١٠، ص٢٦٨ أخبار إتسز في الكامل لابن الأثير، ج١٠، ص٢٦٧، ج١١، ص٨٧ تاريخ دولة آل سلجوق للبنداري ص٢٥٧، الدولة الخوارزمية والمغول الحافظ حمدي ص٢٠.

ذكر أخبار خُوارِزم شاه إتسِز بن محمد

ولي خُوارِزم من قبل السلطان سَنجر بعد وفاة أبيه. وكان قد انتشأ في حياة أبيه، وقاد الجيوش، وقصد بلاد الأعداء وقاتلهم وملك مدينة منقشلاغ[١]. فلما مات أبوه ولاه السلطان بعده، فأفاض العدل، وأمن البلاد، فأحبه السلطان سَنْجر وقربه وأدناه وعظمه واعتضد به، واستصحبه معه في أسفاره وحروبه؛ فظهرت كفايته فزاده تقدمًا وتقريبًا. ولم يزل عنده في هذه المنزلة إلى أن فسد ما بينهما واقتتلوا على ما نذكره.

ذكر الحرب[٢] بين خوارزم شاه إتسِز والسلطان سنجر السلجقي. واستيلاء سنجر على خوارزم، وما كان من أمر إتسِز إلى أن استقر الصلح بينه وبين السلطان سَنْجر

وكانت الحرب بينهما في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. وسبب ذلك أن السلطان بلغه أن خُوارِزم شاه إتسِز قد عزم على الخروج من طاعته والامتناع عليه، فقصد خُوارزم بعساكره فلما قاربها جمع أتسز عساكره وخرج لقتاله. والتقوا، فلم يكن له قبل بعساكر سنجر لكثرتها، فانهزم هو ومن معه وقتل من أصحابه خلق كثير، وقتل له ولد، فوجد إتسز عليه وجدًا عظيمًا.

ولما انهزم السلطان إتسز ملك سنجر خوارزم وأقطعها لابن أخيه سليمان شاه بن محمد على ما قدمناه في أخبار الدولة السلجقية، ثم عاد السلطان إلى مرو فجمع خوارزم شاه أصحابه ورجع إلى خوارزم فأعانه أهلها على ملكها، ففارقها سليمان شاه ومن معه، ورجع إلى عمه السلطان سنجر، واستحكمت العداوة بين السلطان سنجر وأتسز، وعلم أتسز أنه لا قبل له به، فكاتب ملك الخطا[٣] بما وراء النهر، وحثه على

---

(١) مدينة منقشلاغ: بالفتح ثم السكون ثم فتح القاف «قلعة حصينة في آخر حدود خوارزم» ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢١٥.

(٢) لم يقتصر تراشق هاتين القوتين على السهام والنبال بل تعداها إلى ميدان الشعر والأدب، فكان لكل فريق شاعره الخاص اختص بمديح صاحبه وهجو عدة فكان شاعر إتسز رشيد الدين وطواط. والأنوري شاعر السلطان سنجر. حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول ٢١.

(٣) الخطا: قبائل من الأتراك استقروا غرب إقليم التركستان حيث كوّنوا دولة هي مملكة الخطا وذلك في أوائل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وأطلق عليهم المغول اسم القرا خطائين. وقره لفظ تركي معناه أسود. المغول في التاريخ: فؤاد عبد المعطي الصياد القاهرة ١٩٦٠، ص٢٩.

المسير لقتال السلطان سنجر وأطمعه في ملك بلاده. فسار ملك الخطا في ثلاثمائة ألف فارس، وكان من انهزام سنجر، ومُلك الخطا ما وراء النهر ما قدمنا ذكره في أخبار سنجر[(١)]، وذلك في سنة ست وثلاثين وخمسمائة.

ولما تمت الهزيمة على سنجر استولى خوارزم شاه أتسز على البلاد وقصد خراسان فوصل إلى سرخس[(٢)] في شهر ربيع الأول من السنة ورحل منها إلى مرو الشاهجان[(٣)]، فنزل بظاهر البلد واستدعى الفقهاء والأعيان، فثار عامة مرو، وقتلوا بعض أصحاب خوارزم شاه وأخرجوهم من البلد، وأغلقوا أبوابه واستعدوا للامتناع، فقاتلهم، ودخل البلد في سابع عشر الشهر، وقتل جماعة كثيرة من أعيان البلد، وعامتهم واستصحب جماعة من فقهائها معه، وسار في شوال إلى نيسابور فخرج إليه جماعة من العلماء والفقهاء والزهّاد، وسألوه أن لا يفعل بأهل نيسابور ما فعل بأهل مرو. فأجابهم إلى ذلك، وأخذ أموال أصحاب السلطان جميعها، وقطع خطبة سنجر وخطب لنفسه، وسيّر جيشًا إلى أعمال بيهق[(٤)] فقاتلوا أهلها خمسة أيام ثم ساروا ينهبون البلاد.

واستمرت حال خوارزم شاه أتسز إلى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة فجمع السلطان عساكره وسار إلى خوارزم، فتحصن إتسز بها، وجمع عساكره ولم يخرج من المدينة. وكان القتال[(٥)] يقع بينهما من وراء السور. ثم راسل السلطان فعفا عنه وبذل له الأموال فأجابه إلى ذلك على قاعدة استقرت بينهما وعاد سنجر إلى مرو[(٦)].

واستقر خوارزم شاه بخوارزم، إلى أن مات وكانت وفاته في تاسع جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة[(٧)]. وكان قد أصابه فالج فعالجه الأطباء منه فلم يبرأ فاستعمل أدوية شديدة الحرارة بغير رأي الأطباء، فاشتد مرضه وضعفت قوته

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٨١.

(٢) سرخس: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم فتح الخاء، مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

(٣) مرو الشاهجان: مرو العظمى، أشهر مدن خراسان، ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج٥، ص١١٢.

(٤) بيهق: بالفتح، ناحية كبيرة كثيرة البلدان، من نواحي نيسابور، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٣٧.

(٥) عن القتال بين سنجر وأتسز انظر: الدولة السلجوقية والمغول لحافظ حمدي ص٢٠ ـ ٢٣، وتاريخ دولة آل سلجوق للبنداري ص٢٥٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٩٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٢٠٩.

فمات. ولهج عند موته بقوله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] وكان حسن السيرة، كافًا عن أموال رعيته، محبوبًا إليهم.

ولما توفي ملك بعده أحد أولاده[١]، فقتل نفرًا من أعمامه وسمل أخًا له، فمات بعد ثلاثة أيام، وقيل بل قتل نفسه. وملك بعده أيل[٢] أرسلان بن أتسز بن محمد، وأرسل إلى السلطان سنجر، وبذل له الطاعة والانقياد لأمره. فكتب له منشورًا بولاية خوارزم، وسيّر إليه الخلع في شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وذلك بعد هرب سنجر من أسر الغزو، وعوده إلى مرو واستقرار ملكه. فأمن أيل أرسلان بهذه الولاية واستمر إلى سنة ثمان وستين وخمسمائة فتوفي بعد عوده من قتال الخطا[٣]. ولما مات ملك بعده ولده السلطان شاه.

ذكر ملك سلطان شاه محمود بن أيل أرسلان ابن إتسز بن محمد، وإخراجه من الملك، وملك أخيه علاء الدين تكش

لما مات أيل أرسلان ملك بعده ولده سلطان شاه محمود، ودبرت والدته المملكة والعساكر. وكان ابنه الأكبر علاء الدين تكش مقيمًا بجند[٤] وكان والده أقطعها له، فأنف من تولية أخيه الصغير وتقديمه عليه، وقصد ملك الخطا بما وراء النهر، واستمده على أخيه، وأطمعه في الأموال والذخائر، فجهز معه جيشًا كثيفًا. فلما قارب خوارزم، خرج منها سلطان شاه وأمه، وسارا إلى المؤيد صاحب نيسابور واستنجداه. ودخل علاء الدين تكش خوارزم وملكها بغير قتال.

ولما اجتمع السلطان شاه وأمه بالمؤيد أهديا له هدايا جليلة، وأطمعاه في الذخائر والأموال، فجمع جيوشه وسار حتى بقي من خوارزم على عشرين فرسخًا، فتقدم إليهم تكش بعساكره، فانهزم المؤيد، ثم أخذ أسيرًا وجيء به إلى خوارزم شاه

(١) «ابنه أرسلان» ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١١، ص٢٠٩.
(٢) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٣٧٧. أيل أرسلان بن أتسز بن محمد: يعتبره بعض المؤرخين أولى سلاطين الخوارزميين المستقلين، حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول ص٢٢.
(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١١، ص٣٧٧.
(٤) جند: اسم مدينة في بلاد تركستان بينها وبين خوارزم عشرة أيام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٨.

تكش، فقتل بين يديه صبرًا. وهرب سلطان شاه إلى دهستان[١]. فقصده تكش، وافتتح المدينة عنوة، وهرب سلطان شاه منها، وأخذت أمه فقتلها تكش، وعاد إلى خوارزم وتوجه سلطان شاه إلى غياث الدين ملك الغز فأكرمه وعظّمه.

قال: ولما ثبت قدم علاء الدين في الملك ترادفت عليه رسل ملك الخطا بالتحكم في بلاده، وطلب الأموال والمقترحات، لأنهم رأوا أنهم هم الذين ملكوه، فأنفت نفسه من ذلك، وداخلته حمية الإسلام والملك، فقتل أحد أقارب ملك الخطا، وأمر وجوه أهل خوارزم أن يقتل كل رجل منهم واحدًا من الخطا ففعلوا. ونبذ عهد ملك الخطا فبلغ ذلك سلطان شاه، فسار إلى ملك الخطا، واستنجده على أخيه[٢] وزعم أن أهل خوارزم معه، وأنه إذا وصل إليهم سلموا إليه البلد، فجهز معه جيشًا كثيفًا من الخطا، فسار بهم وحصر خوارزم، فأمر تكش بإجراء ماء جيحون عليهم، فكادوا يغرقون، فرحلوا عن البلد ولم يبلغوا منها غرضًا، وندموا على قصدهم خوارزم.

ولم يزل سلطان شاه مشردًا في البلاد، تارة عند الخطا، وتارة عند غياث الدين، وكرة ينار بالخطا على مرو وسرخس إلى أن مات في شهر رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة[٣].

ذكر ملك تكش مدينة بخارى من ملك الخطا[٤]

وفي سنة أربع وتسعين وخمسمائة جهز ملك الخطا جيشًا كثيفًا لحصر خوارزم، فحصروها: فكان خوارزم شاه يخرج إليهم في كل ليلة ويقتل منهم خلقًا كثيرًا، حتى أتى على أكثرهم، فدخل من بقي منهم إلى بلادهم. ورحل تكش في آثارهم، وقصد مدينة بخارى فنازلها، فقاتله أهلها مع الخطا. وانتهى حالهم في نكايته أنهم أخذوا كلبًا أعور وألبسوه قباء وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه وكان تكش أعور - وطافوا بالكلب على السور، ثم رموه بالمنجنيق، وقالوا للعسكر هذا ملككم. ثم ملك تكش البلد عنوة بعد أيام يسيرة وعفا عن أهله، وأحسن إليهم وفرق فيهم مالاً كثيرًا. وأقام بها مدة ثم عاد إلى خوارزم.

---

(١) دهستان: بكسر أوله وثانيه، بلد مشهور قرب خوارزم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٢.

(٢) «علاء الدين أتكش» ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٣٧٨.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج١٢، ص١٠٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص١٣٧.

وفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة وصلت الخلع من جهة الخليفة إلى خوارزم شاه تكش ولولده قطب الدين محمد وتقليد بما بيده من البلاد، فلبسا الخلع، واشتغل تكش بقتال الملاحدة(١) فافتتح قلعة على باب قزوين تسمى أرسلان كشاي وانتقل إلى حصار الموت. ثم عاد إلى خوارزم، وأمر ولده قطب الدين بحصار قلعة ترشيش(٢) من حصون الملاحدة فحصرها فأذعنوا له بالطاعة وصالحوه على مائة ألف دينار ففارقها، وأجابهم إلى الصلح لما بلغه من مرض أبيه. ورحل عنها وعاد إلى خوارزم فمات والده قبل وصوله إليه.

ذكر وفاة خوارزم شاه تكش(٣)

كانت وفاته في العشرين من شهر رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة بشهرستانة(٤) بين نيسابور وخوارزم. وكان قد سار من خوارزم لقصد خراسان وبه مرض الخوانيق، فاشتد مرضه ومات. ولما اشتد به المرض أرسل من معه إلى ولده قطب الدين يستدعونه، فوصل بعد وفاة أبيه، وتولى الملك، ولقب بلقب أبيه علاء الدين خوارزم شاه، وأمر بحمل أبيه إلى خوارزم، فحمل إليها ودفن في تربة كان قد عملها في المدرسة التي بناها، وكان عادلاً حسن السيرة وله معرفة وعلم. وكان حنفي المذهب ويعرف الأصول رحمه الله تعالى.

ذكر أخبار السلطان علاء الدين أبي الفتح محمد ابن علاء الدين تكش بن ألب أرسلان بن أتسز ابن محمد بن أنوشتكين(٥)

وهو الذي عظم من ملوك هذه الدولة شأنه، وكثرت جيوشه وأعوانه، وشاع بين

---

(١) هم الإسماعيلية الباطنية سموا بالباطنية لأنهم يظهرون غير ما يبطنون. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص٣٠٩.

(٢) في الأصل برشيش. وترشيش: بضم التاء، وسكون الراء، ناحية من أعمال نيسابور وتكتب أيضًا ترثيث. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٢.

(٣) انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج١٢، ص١٥٧.

(٥) هو خوارزمشاه علاء الدين محمد تولى الحكم من ٥٩٦ إلى ٦١٧هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢٢٠م، ملك من حد العراق إلى تركستان. انظر ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٣٧١، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٩٨ ـ ٩٩.

الملوك ذكره، وعمّ الممالك نهيه وأمره، واجتمع في ملكه ما افترق لغيره من الممالك، وتسهل لديه ما شسع على من سواه من المسالك، ودان لطاعته ملوك الأقطار، فتساوى عنده الآمر والمأمور، والمملوك والمالك.

قال شهاب الدين محمد بن أحمد بن علي المنشي النسوي[(١)] في تاريخه، أنه ضم إلى ما ورثه من أبيه من ملك خراسان وخوارزم والعراق ومازندران[(٢)]؛ وضم إلى هذه الواسطة كرمان ومكران وكيش وسجستان وبلاد الغور وغزنة وباميان[(٣)] إلى ما يليها من الهند بأغوارها وأنجادها، والسيوف مهملة في أغمادها، والعواتق معطلة في نجادها، ملكها بالهيبة عفوًا صفوًا، وملك عن الخطاية[(٤)] وغيرهم من ملوك الترك، وقروم[(٥)] ما وراء النهر ما يقارب أربعمائة مدينة. وخطب له على منابر فارس وأران[(٦)] وأذربيجان إلى ما يلي دربند شروان.

قال: واشتملت جريد ديوان الجيش على ما يقارب أربعمائة ألف فارس، فلما عظم شأنه وتمكن سلطانه تطاول إلى طلب ملك آل سلجوق والحكم ببغداد، وتكررت مراسلاته إلى الخليفة فلم يجب إلى ذلك، فاحتفل بهذا الأمر، فكان من جملة ذلك أن بطل النوب الخمس التي كانت تضرب على أبواب الملوك في أوقات الصلوات الخمس على عادة من تقدمه[(٧)]، وجعلها إلى أولاد السلاطين يضربونها في الأقاليم التي سماها لهم على أبواب دور السلطنة واختص هو بضرب نوبة الإسكندر ذي القرنين ـ وهي عند طلوع الشمس وعند غروبها ـ واستعمل بهذه النوبة سبعًا

---

(١) هو محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي النسوي صاحب كتاب سيرة جلال الدين منكبرتي.

(٢) مازندران: بفتح الميم والزاي وسكون النون اسم لولاية طبرستان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤١.

(٣) باميان: بلدة بين بلخ وغزنة وبها قلعة حصينة ومنها أبو بكر محمد بن علي بن أحمد البامياني المشهور من أهل العلم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩.

(٤) كتبها النسوي الخطابية. انظر سيرة جلال الدين منكبرتي ص٣.

(٥) قروم: جمع قرم وهو السيد العظيم في قومه. ابن منظور: لسان العرب (قرم).

(٦) أران: بالفتح وتشديد الراء ولاية كبيرة بينها وبين أذربيجان نهر الرس. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، ج١، ص١٣٦.

(٧) تقوم فرقة موسيقية للسلطان بدق نوبات من الطبول في أوقات معينة على أبواب السلاطين وتدق الطبلخانة (وهي عبارة عن طبول متعددة معها أبواق وزمر) في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب. أما نوبة ذي القرنين فتدق في وقتي الشروق والغروب. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص٨ و٩.

وعشرين دبدبة من الذهب ورصعها بأنواع الجواهر؛ وكذلك جمع ما يحتاج إليه من الآلات ونص في أول يوم اختاره لضربها على سبعة وعشرين ملكًا من أكابر الملوك وأولاد السلاطين ليسمع بذلك. وكان منهم ابن طغرل السلجقي. وأولاد غياث الدين صاحب الغور وغزنة والهند والملك علاء الدين صاحب باميان والملك تاج الدين صاحب بلخ[١]، وولده الملك الأعظم صاحب ترمذ[٢]، والملك سنجر صاحب بخارى وأشباه هؤلاء وأعوزه لتمام سبعة وعشرين ملكًا فكملهم بابن أخيه أذبزخان[٣] ووزير الدولة نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح، فهؤلاء الذين ضربوها في اليوم الذي اختير لضربها فشغله عن ملك بغداد حادثة التتار، وهي الداهية العظمى؛ على ذكره إن شاء الله تعالى. وها نحن نذكر سياقة أخباره وابتداء سلطنته فنقول:

كان ابتداء ملكه بعد وفاة أبيه[٤] في العشر الآخر من شهر رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة. ولما ملك استدعى أخاه علي شاه بن تكش بن أصفهان، فسار إليه فنهب أهل أصفهان خزانته. فلما وصل إلى أخيه ولاه حرب خراسان وتقدم على جندها وسلم إليه نيسابور. قال: وكان هندوخان ابن أخيه ملكشاه بن تكش، فخاف عمه محمد فهرب منه بعد أن نهب كثيرًا من خزائن جده تكش عند وفاته، فإنه كان معه وسار إلى مرو وجمع جموعًا كثيرة، فسيّر إليه عمه جيشًا مقدمه جقر التركي، فهرب هندوخان عن خراسان، وسار إلى غياث الدين ملك غزنة يستنجده على عمه. فأكرمه وأحسن إليه وأقطعه أقطاعًا، وأوعده النصرة، ودخل جقر مدينة مرو وبها والده هندوخان وأولاده، فأرسلهم إلى خوارزم مكرمين، ثم راسل جقر غياث الدين صاحب غزنة في الانضمام إليه ومفارقة الخوارزمية، فأطمعه ذلك في البلاد، وجهز أخاه شهاب الدين لقصد خراسان، والاستيلاء على ما بها من بلاد خوارزم شاه. فسار في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين، وملك مرو وسلمها غياث الدين إلى هندوخان بن ملكشاه، وملك سرخس، وملك طوس، وملك نيسابور وبها علي شاه أخوه السلطان خوارزم شاه، فسلمه إلى أخيه شهاب الدين على ما قدمناه في أخبار الدولة الغورية.

---

(١) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٧٩.

(٢) ترمذ: بفتح التاء وكسر الميم مدينة مشهورة على الجانب الشرقي لنهر جيحون. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦.

(٣) ادبزخان: هكذا في الأصل، يرسمها النسوي أربزخان. انظر سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٦٦.

(٤) ملك دولة واسعة تضم خوارزم وبعض البلاد الخراسانية والري وغيرها من بلاد العراق العجمي. انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٥ اتخذ لنفسه لقب أبيه وتسمى علاء الدين محمد. ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص٩٦.

ذكر ملك خوارزم شاه
وما كان الغورية قد ملكوه من بلاده[١]

كان سبب ذلك أن شهاب الدين الغوري[٢] بعد أن ملك ما ملك من بلاد خوارزم شاه، توجه إلى الهند، بعد أن رتب في كل بلد من نوابه من يحفظه ويقوم بمصالحه. فلما توجه إلى الهند راسل خوارزم شاه غياث الدين وعاتبه، وقال في جملة رسالته: إنني كنت أظن أنك تنصرني على من يقصد التطرق إلى بلادي من ملوك الخطا وغيرهم، فحيث لم تفعل فلا أقل أن لا تؤذيني في ملكي. وطلب منه إعادة ما أخذه من بلاده. وقال: ومتى لم تفعل انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك، إن عجزت عن استرجاع بلادي[٣]، إلى غير ذلك من الكلام فأخذ غياث الدين يغالطه في الجواب ويكرر الرسائل، وهو ينتظر خروج شهاب الدين من الهند، فإن غياث الدين كان يعجز عن ملاقاته لما به من النقرس، فجمع علاء الدين العساكر وسار في منتصف ذي الحجة سنة سبع وتسعين وتوجه إلى مرو، فلما قاربها هرب منها ابن أخيه هندوخان بن ملكشاه وتوجه إلى غياث الدين، وملكها خوارزم شاه، وسار إلى نيسابور وبها علاء الدين محمد الغوري صهر غياث الدين، وهو الذي كان يلقب ضياء الدين، فقاتله قتالاً شديدًا. وطال مقام خوارزم شاه، فراسله غير مرة في تسليم البلد وهو لا يجيب، رجاء أن يصله المدد من غياث الدين فلما طال عليه الحصار وأيس من وصول الإمداد إليه، راسل في طلب الأمان لنفسه ولمن معه من الغورية، فأجابه إلى ذلك وتسلم البلد، وأحسن إلى علاء الدين ومن معه.

ثم سار خوارزم شاه إلى سَرَخس[٤] وبها الأمير زنكي فحصره أربعين يومًا، فضاقت الميرة على أهل البلد، فراسله زنكي أن يتأخر عن باب البلد ليفارقها هو ومن

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص١٧٣.

(٢) هو أبو المظفر محمد بن سام الغوري توفي عام ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٧٠ وانظر «ذكر قتل شهاب الدين الغوري» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢١٢.

(٣) وهذه تتمة الرسالة: «إن عجزت عن أخذ بلادي فإنني إنما شغلني عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدي وتقرير أمر بلادي، وإلا فما أنا بعاجز عنكم وعن أخذ بلادك خراسان، وغيرها» ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص١٧٣.

(٤) سَرَخَس: بفتح أوله وسكون ثانيه، مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

معه، واعتذر أنه لا يمكنه الاجتماع به لقرب نسبه من غياث الدين، فتأخر خوارزم شاه عن المدينة وأبعد. فخرج زنكي، وأخذ من الغلات والأقوات والأحطاب التي كانت في العسكر ما يحتاج إليه، وعاد إلى البلد وأخرج منه من كان ضاق به الأمر، فقدم خوارزم شاه على موافقته، ورحل عن البلد، وترك عليه جماعة من أمرائه يحاصرونه. فلما سار خوارزم شاه عن سرخس قصد نائب الغورية بالطالقان[١] أن يكبس العسكر الخوارزمي المحاصر لسرخس. وكتب بذلك إلى زنكي؛ فشعر الخوارزميون بذلك ففارقوا سرخس، فأدركهم نائب الطالقان، وأوقع بهم، وقتل أمير علمهم، وكسر كوساتهم[٢]، فانقطع صوتها عن العسكر، ولم يروا الأعلام، فانهزموا، ونال الغورية منهم منالاً عظيمًا قتلاً وأسرًا.

فلما اتصل هذا الخبر بخوارزم شاه، عاد إلى خوارزم، وكتب إلى غياث الدين وراسله في الصلح، فأجابه عن رسالته مع أمير كبير من الغورية يقال له الحسن بن محمد المرغني، ومرغن من قرى الغور[٣]، فقبض عليه خوارزم شاه، وكان أخوه عمر بن محمد المرغني نائب الغورية بهراة. وسار خوارزم شاه إلى هراة بمكاتبة بعض أمرائها، فنما خبر من كاتبه إلى المرغني، فأمسكهم، وأقام خوارزم شاه يحاصر المدينة أربعين يومًا، ثم رجع عنها لما بلغه عود شهاب الدين الغوري من الهند وذلك بعد مصالحة أميرها المرغني على مال حمله إليه.

ولما عاد شهاب الدين من الهند بلغه ما فعله خوارزم شاه في غيبته، وما ملكه من بلاد خراسان، فسار إلى خراسان، فانتهى إلى بلخ ثم إلى باميان وإلى مرو، عازمًا على حربه. فالتقت أوائل عسكريهما، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وتوجه خوارزم شاه شبه المنهزم، وتوجه شهاب الدين إلى طوس فشتا[٤] بها وهو على عزم المسير لمحاصرة خوارزم، فأتاه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين، فعاد إلى هراة وجلس للعزاء.

---

(١) الطالقان: اسم لبلدتين كبيرتين. إحداهما بخراسان بين مرو وبلخ، والثانية بلدة بين قزوين وأبهر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٦.

(٢) الكوسة: وجمعها كوسات. هي صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير ويدق بأحدهما على الآخر، وكان الضرب بالكوسات من شعائر الملك في العصور الوسطى. القلقشندي، صبح الأعشى ج٤، ص٩، ١٣.

(٣) غور: بضم أوله وسكون ثانيه، وآخره راء جبال وولاية بين هراة وغزنة، وهي بلاد واسعة موحشة وأكبر ما فيها قلعة يقال لها فيروزكوه يسكن الملوك فيها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢١٨.

(٤) في الأصل: فشتى.

واستخلف بطوس محمد بن جريك[١]، فجهز خوارزم شاه من عساكره من حصر طوس[٢] فجرى بينهم وبين النائب بها حروب كثيرة، آخرها أن النائب بها سأل الأمان لنفسه فأمنه منغور[٣] التركي ـ وهو مقدم العسكر الخوارزمي ـ فلما خرج إلى العسكر قتلوه، وأخذوا ما معه، وملكوا طوس. واتصل هذا الخبر بشهاب الدين الغوري فعظم عليه، وترددت الرسائل بينه وبين خوارزم شاه، فلم يحصل بينهما اتفاق.

ثم قصد شهاب الدين غزو الهند على عادته، فاستعمل على هراة ابن أخيه ألب غازي، وقلد الملك علاء الدين محمد بن علي الغوري بمدينة فيروزكوه[٤] وبلد الغور، وولاه حرب خراسان. وتوجه إلى الهند، فقصد خوارزم شاه مدينة هراة وحاصرها، وذلك في شهر رجب سنة ستمائة. واستمر إلى سلخ شعبان، وكثرت القتلى بين العسكرين، فراسل خوارزم شاه ألب غازي أن يخرج إليه ويخدمه خدمة سلطانية ليرحل عنه، فلم يجبه إلى ذلك ثم اتفق مرض ألب غازي، واشتد به فخاف أن يشتغل بمرضه، فيملك البلد فأجاب إلى ذلك، واستحلفه على الصلح، وأهدى له هدية جليلة، وخرج من البلد ليخدمه، فسقط إلى الأرض، فمات ولم يشعر به أحد. وارتحل خوارزم شاه إلى سرخس فأقام بها.

قال: ولما اتصل الخبر بشهاب الدين عاد من الهند، وقصد خوارزم، فراسله خوارزم شاه في العود، وتهدده إن لم يعد بحرب هراة، ومنها إلى غزنة، فعاد عليه جوابه أن خوارزم تجمعنا. وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس إلى مرو، ونزل بظاهرها، فلما أتاه جواب شهاب الدين فرق عساكره وأحرق جميع ما معه من العلوفات ورحل يسابق شهاب الدين إلى خوارزم فسبقه إليها، وقطع الطريق التي تسلكها الغورية بإجراء المياه فيها، فتعذر على شهاب الدين سلوكها، وأقام في إصلاحها أربعين يومًا حتى أمكنه الوصول إلى خوارزم. والتقى العسكران بسوقرا،

(١) في ابن الأثير: ابن جربك. الكامل في التاريخ. حوادث سنة ٥٩٨هـ جزء ١٢ ص١٨٠.
(٢) طوس: هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٩.
(٣) «برفور التركي» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص١٨٠.
(٤) فيروزكوه: هي قاعدة الغور في البلاد الخراسانية، كان تملكها خوارزم شاه وقتل غياث الدين بن غياث الدين بن سام صاحبها ثم تملك الباميان وقتل صاحبها علي بن سام. الحميري الروض المعطار ص٤٤٤.

ومعناه الماء الأسود، وجرى بينهم قتال شديد، كثرت فيه القتلى من الطائفتين، فأرسل خوارزم شاه إلى الأتراك الخطا يستنجدهم على الغورية، وهم حينئذ ملوك ما وراء النهر، فاستعدوا وساروا إلى بلاد الغورية، فبلغ شهاب الدين خبر مسيرهم، فعاد عن خوارزم.

وكان من أمره مع الخطا وقتالهم وهزيمته منهم ما قدمناه في أخباره وذلك في صفر سنة إحدى وستمائة، فلا فائدة في إعادته في هذا الموضع. ولم تطل مدة شهاب الدين بعد ذلك فإنه قتل في أوائل شعبان سنة اثنتين وستمائة، فاستولى خوارزم شاه حينئذ على ما نذكره بخراسان وغيرها.

ذكر استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان(١)

كان سبب ذلك أن شهاب الدين الغوري لما قتل كما ذكرنا استقر الملك بعده لغياث الدين بن غياث الدين أخيه ووقع من الاختلاف بين الغورية وافتراقهم ما ذكرناه في أخبارهم، واتفق أن الحسين بن خرميل(٢) والي هراة كاتب خوارزم شاه في الانتماء إليه والخروج عن طاعة الغورية. وشرع يغالط في الخطبة بهراة لغياث الدين وهو ينتظر وصول العسكر الخوارزمي إليه، فراسله غياث الدين في الخطبة له، وجهز إليه الخلع فلبسها ابن خرميل وأصحابه ووعد بالخطبة له في يوم الجمعة. فلما كان في يوم الجمعة قرب العسكر الخوارزمي من هراة فطالبه رسل غياث الدين بالخطبة، فقال نحن في أشغل من ذلك بقرب هذا العدو.

ولما وصل العسكر الخوارزمي تلقاهم ابن خرميل وأنزلهم بظاهر هراة، وجهز إليهم الإقامات، فقالوا قد رسم لنا خوارزم شاه أن نطيعك ولا نخالف أمرك، فشكرهم على ذلك. ثم بلغه أن خوارزم شاه نزل على بلخ وحاصرها، وأن صاحبها قاتله بظاهر البلد، وأنه نزل على أربعة فراسخ منها، فاستدل ابن خرميل بذلك على عجزه، وندم على مراسلته، وقال للعسكر إن خوارزم شاه قد صالح غياث الدين والمصلحة أن ترجعوا، فرجعوا. واتفق أن غياث الدين بلغه ما فعله ابن خرميل، فاحتاط على اقطاعه وقبض على من يلوذ به، فوصل الخبر إليه بذلك فأعاد العسكر الخوارزمي بعد رحيله بيومين وسلم لهم البلد، وأخرج من كان بها من الغورية، ومن

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٢٢٦.

(٢) في الأصل: «الحسين بن جرميل» والتصحيح من الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢٢٦.

يميل إليهم، ثم ملك خوارزم شاه مدينة بلخ في سلخ ربيع الأول سنة ثلاث وستمائة صلحًا، بعد حروب كثيرة بينه وبين عماد الدين. وخلع خوارزم شاه عليه، وأقره بالبلد ثم سار عنها إلى جرزبان[١]، وبها علي بن أبي علي، فراسله وآيسه من نجدة غياث الدين، فنزل عنها وسلمها له، وتوجه إلى غياث الدين وسلّم خوارزم شاه جرزبان إلى ابن خرميل فإنها كانت إقطاعه، ثم قبض على عماد الدين صاحب بلخ وسيّره إلى خوارزم، واستناب ببلخ جقر التركي.

ذكر مُلكه ترمذ وتسليمها للخطا[٢]

قال: ثم سار خوارزم شاه[٣] من مدينة بلخ إلى ترمذ مجدًا، وبها ولد عماد الدين صاحب بلخ، فراسله في تسليمها، ووعده الخير، واعتذر من إرسال أبيه إلى خوارزم أنه أنكر منه حاله، وأنه سيّره مكرمًا، فرأى ابن عماد الدين أن خوارزم شاه قد حاصره من جانب والخطا حاصروه من جانب، فضعفت نفسه وسلم البلد، بعد أن استحلف خوارزم شاه على الوفاء له. ولما تسلم خوارم شاه البلد، سلمها للخطا خديعة منه ليتمكن من ملك خراسان.

وفي سنة اثنتين وستمائة، سار من عسكر خوارزم شاه عشرة آلاف فارس إلى بلد الجبل، فوصلوا أرزنكان، وكان صاحبها أيتغمش قد اشتغل بحرب صاحب أربل ومراغة، فاغتنموا خلو البلاد وأفسدوا وقتلوا ونهبوا، ثم عاد أيتغمش فأوقع بهم، فانهزم الخوارزميون، وأخذهم السيف من كل جانب.

ذكر ملكه الطالقان

قال: ولما سلم خوارزم شاه ترمذ إلى الخطا سار إلى اندخوي[٤] وكان النائب بها عن غياث الدين سونج أمير شكار، فاستماله خوارزم شاه، فأبى إلا القتال، وبرز لقتاله فالتقوا بالقرب من الطالقان. فلما تقابل العسكران حمل سونج بمفرده حتى

---

(١) جرزبان: بضم الجيم وسكون الراء وضم الزاي بلدة في الجبل قرب الطالقان، جبلها متصل بجبل الغور. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٢٣١.

(٣) أرسل خوارزم شاه محمد بن علي بن بشير إلى ابن عماد الدين يقول له: «إن أباك قد صار من أخص أصحابي وأكابر أمراء دولتي وقد سلم إلي بلخ وإنما ظهر لي منه ما أنكرته، فسيرته إلى خوارزم مكرمًا محترمًا وأمّا أنت فتكون عندي أخًا» ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٢٣١.

(٤) في الأصل اندجوى، والتصحيح من الكامل لابن الأثير، ج١٢.

قارب عسكر خوارزم شاه، وألقى نفسه إلى الأرض، ورمى سلاحه، وقبّل الأرض، وسأل العفو عنه. فذمه خوارزم شاه وسبّه، وأخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودواب، وأنفذه إلى غياث الدين مع رسول، وأراد بذلك التقرب إليه وملاطفته. واستناب بالطالقان بعض أصحابه، ووصل رسول غياث الدين إلى خوارزم شاه بالهدايا.

قال: وتوجه ابن خرميل نائب خوارزم شاه بهراة إلى أسفِزار[١] في صفر سنة ثلاث وستمائة. وكان صاحبها قد توجه إلى غياث الدين فحصرها وتسلمها في شهر ربيع الأول من السنة بالأمان. ولما أخذها أرسل إلى صاحب سجستان يدعوه إلى طاعة خوارزم شاه، والخطبة له ببلاده، فأجابه إلى ذلك وخطب له.

ذكر أسر خوارزم شاه وخلاصه

وفي سنة أربع وستمائة عبر السلطان علاء الدين خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا. وسبب ذلك أنهم كانت قد طالت مدتهم ببلاد تركستان وما وراء النهر، وثقلت وطأتهم على الناس. وكان لهم في كل مدينة نائب يجبي لهم الأموال وهم يسكنون الخركاهات[٢] على عادتهم قبل الملك. وكان مقامهم بنواحي أوزكند[٣] وبلاساغون[٤] وكاشغر[٥] فاتفق أن سلطان سمرقند وبخارى ويلقب قان قانان ومعناه سلطان السلاطين، وهو من أولاد الملوك الخانية عريق في الإسلام والملك، أنف من تحكم الكفار الخطا على المسلمين، فأرسل إلى خوارزم شاه يحثه على قصد الخطا وقتالهم، وأنه يكون معه عليهم، ويحمل إليه ما يحمله إليهم، ويخطب له ببلاده،

---

(١) أسفزار: بفتح الهمزة وسكون السين، والفاء تضم أو تكسر: مدينة من نواحي سجستان من جهة هراة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٧٨.

(٢) الخركاه: الجمع خركاوات: وهي كالبيت تصنع من الخشب على هيئة مخصوصة تُغشى بالجوخ ونحوه، وتحمل في السفر لتكون في الخيمة لتقي المعسكر من البرد. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٨ محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص١١٧.

(٣) أوزكند: بضم أوله، بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال له أوزجند، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٨٠.

(٤) بلاساغون: بلد عظيم وراء نهر سيحون قريب من كاشغر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٧٧.

(٥) كاشغر: مدينة وقرى ورساتيق وسط بلاد الترك، ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج٤، ص٤٣٠.

ويضرب السكة باسمه، وحلف له على ذلك، وسيّر إليه أكابر بخارى وسمرقند. فاستوثق خوارزم شاه منه وأخذ في إصلاح بلاده وتقرير النواب بها، وصالح غياث الدين محمود الغوري على ما بيده ثم جمع العساكر وسار إلى خوارزم، وتجهز منها وعبر جيحون. واجتمع بسلطان سمرقند، فاجتمع الخطا، وجاء إليه. وكان بينهم حروب كثيرة تارة له وتارة عليه، ودامت على ذلك مدة، فاقتتلوا في بعض الأيام فانهزم عسكره، وقتل منهم وأسر جماعة، فكان من أسر خوارزم شاه، أسر هو وابن شهاب الدين مسعود وهو من أكابر أمرائه، أسرهما رجل واحد. ووصلت العساكر الخوارزمية إلى خوارزم وقد فقدوا السلطان فاتصل الخبر بكزلك[1] خان والي نيسابور وكان إذ ذاك يحاصر هراة بعد قتل ابن خرميل على ما نذكره، ففارق هراة وتوجه إلى نيسابور وكان خوارزم شاه لما ملكها من الغورية خرب سورها فشرع في إصلاحه وشحنها بالجند واستكثر من الميرة وعزم على الاستيلاء على خراسان، إن صح له فقد السلطان. واتصل خبر خوارزم شاه بأخيه علي شاه وهو بطبرستان فدعا لنفسه وقطع خطبة أخيه واستعد لطلب السلطنة.

هذا ما كان من أولئك، وأما خوارزم شاه فإنه لما أسر قال له ابن شهاب الدين مسعود: «المصلحة أن تصير خادمًا لي في هذه المدة لأتحيل في خلاصك» فصار خوارزم شاه يخدمه، ويقف بين يديه، ويلبسه قماشه، ويطويه إذا قلعه، ويقدم له الطعام، ويعامله معاملة الغلمان. فقال الذي أسرهما لابن مسعود: «أرى هذا يخدمك» فقال: «هو غلامي» قال: «فمن أنت» قال: «أنا فلان» فأكرمه الخطاي وعظمه وقال له: «لولا أن القوم قد عرفوا بمكانك عندي أطلقتك» فشكره ابن مسعود وأعقله أيامًا وقال له: «إني أخاف أن يرجع المنهزمون فلا يراني أهلي معهم، فيظنون أنني قتلت، فيقتسمون مالي فأهلك، وأحب أن تقرر عليَّ ما تريد من المال، أحمله إليك، فقرر عليه مالاً وقال: «أريد أن تأمر رجلاً عاقلاً من أصحابك يذهب بكتابي إلى أهلي، ويخبرهم بعافيتي، ويحضر معه المال» ثم قال: إن أصحابك لا يعرفون أهلنا، وهذا غلامي أنا أثق به، ويصدقه أهلي بسلامتي. فأذن الخطاي في إرساله، فجهزه وأرسل معه عدة من الفرسان يحمونه، فسار حتى قارب خوارزم، وعاد الفرسان ووصل خوارزم شاه إلى خراسان، فاستبشروا به وضربت البشائر وبلغه ما فعله أخوه بطبرستان وكذلك خان بنيسابور. فأما كزلك خان فإنه لما بلغه وصوله أخذ أمواله وأهله

(١) كزلك خان: هكذا في الأصل وفي الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢٦٠ وهو من أقارب أم خوارزمشاه وأعيان دولته.

وأصحابه وهرب صوب العراق؛ وأما علي شاه فهرب إلى غياث الدين الغوري فأكرمه. ودخل خوارزم شاه إلى نيسابور، وأصلح أمرها، وجعل فيها نائبًا. وأما ابن مسعود فإن الخطاي قال له: «قد عدم خوارزم شاه فهل عندك شيء من خبره» قال: «هو أسيرك» قال: «فلمَ لا أعلمتني به حتى كنت أبالغ في خدمته وأسير بين يديه إلى ملكه؟» قال: خفت عليه منك. فسار الخطاي وابن مسعود إلى خوارزم شاه فأكرمهما إكرامًا كثيرًا وبالغ في الإحسان إليهما.

ذكر قتل الحسين بن خرميل(١) وحصر هراة(٢) وملك فيروزكوه والغور

كان سبب ذلك أن خوارزم شاه لما سار إلى بلاد الخطا ساءت سيرة من بهراة من العسكر الخوارزمي، وتعدوا على الرعية. فقبض ابن خرميل النائب بهراة عليهم وحبسهم، وكتب بذلك إلى خوارزم شاه، فعظم ذلك عليه، وما أمكنه الإنكار عليه لبعده عن البلاد، فكتب إليه يستصوب رأيه فيهم، ويأمره بإنقاذه، إليه لاحتياجه إلى الجند. وقال: «قد أمرت عز الدين جلدك بن طغرل أن يكون عندك لعقله وحسن سيرته، وأرسل إلى جلدك أن يحتال وفي القبض على ابن خرميل» فسار جلدك في ألفي فارس إلى هراة، فخرج إليه ابن خرميل، فنهاه الوزير المعروف بخواجا الصاحب، كان قد حنكته التجارب، وقال: «أخشى عليك أن تكون مكيدة» فخالفه وخرج للقاء جلدك، فلما التقيا ترجلا للسلام؛ فحال جلدك بين ابن خرميل وأصحابه وأمسكه، فانهزم أصحابه ودخلوا مدينة هراة، وأعلموا الصاحب بذلك، فأغلق الأبواب وامتنع على جلدك، فقدم ابن خرميل إلى السور، وخاطب الوزير في فتح الباب، فامتنع وأظهر شعار غياث الدين الغوري، فعندها قتل جلدك ابن خرميل، وكتب إلى خوارزم شاه يعلمه بذلك، فأنفذ خوارزم شاه إلى كزلك خان والي نيسابور، وإلى أمير الدين صاحب زوزن(٣) يأمرهما بالمسير إلى هراة وحصارها، فسارا في عشرة آلاف فارس، فعجزا عنها وقال الوزير: «ما أسلمها إلا لخوارزم شاه،

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٢٦٠.

(٢) هراة: بلد في خراسان. الحميري: الروض المعطار ص٥٩٤.

(٣) زوزن: بضم أوله وقد يفتح، كورة واسعة بين نيسابور وهراة. كانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة العلماء والفضلاء الموجودين فيها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٨.

إذ أعاد هذا كله قبل أسر خوارزم شاه». فلما أسر وشاع عدمه فارقها كزلك خان إلى نيسابور كما ذكرنا، واستمر من سواه على حصارها فلما عاد خوارزم شاه ودخل إلى نيسابور كما ذكرنا، سار منها إلى هراة، وأحسن إلى العسكر الذي استمر على حصارها وشكرهم، وطلب تسليمها فامتنع الوزير وقال: لا أسلمها إلا إلى غياث الدين. ثم اتفقت فتنة بهراة بين الوزير والجند، فكتب إلى خوارزم شاه من البلد، فزحف عليها وهدم برجين من أبراجها، وأهلها قد اشتغلوا بالفتنة الكائنة بين الوزير والجند، فملكها خوارزم شاه وقبض على الوزير وقتله وذلك في سنة خمس وستمائة. وأصلح حال البلد وسلمه إلى خاله أمير ملك، وهو من أعيان أمرائه، وأمره بالمسير إلى غياث الدين محمود الغوري بفيروزكوه، وأن يقبض عليه وعلى أخيه علي شاه بن تكش، ويأخذ فيروزكوه. فسار إلى فيروزكوه، فاتصل الخبر بصاحبها غياث الدين محمود، فبذل الطاعة وسأل الأمان، فأمنه ونزل غياث الدين إليه، فقبض أمير ملك عليه وعلى علي شاه أخي خوارزم شاه، وكتب إلى خوارزم شاه بذلك، فأمره بقتلهما فقتلا في يوم واحد، وذلك في سنة خمس وستمائة. وانقرضت الدولة الغورية بقتل غياث الدين هذا واستقامت خراسان لخوارزم شاه.

ذكر عوده إلى بلاد الخطا وظفره بهم وأسر مقدمهم وملكه ما وراء النهر[(١)]

قال: ولما استقر ملك خراسان للسلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد، جمع العساكر وعبر نهر جيحون، وجمع الخطا جمعًا عظيمًا، وكان المقدم عليهم طاينكوه، وهو شيخ دولتهم والقائم مقام الملك فيهم، وكان عمره قد تجاوز مائة سنة، وله خبرة بالحروب. فاجتمع خوارزم شاه ـ هو وصاحب سمرقند ـ والتقوا هم والخطا، وذلك في سنة ست وستمائة. فجرى بينهم حروب كان الظفر فيها لخوارزم شاه وانهزم الخطا وقتل منهم وأسر خلقًا كثيرًا. فكان ممن أسر مقدمهم طاينكوه، فأكرمه خوارزم شاه وأجلسه معه، ثم جهزه إلى خوارزم. وقصد خوارزم شاه بلاد ما وراء النهر، فملكها مدينة بعد أخرى حتى بلغ أوزكند[(٢)]، فجعل نوابه فيها على عادة الخطا

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٢٦٧.

(٢) أوزكند: بالضم بلد بما وراء النهر ويقال له أيضًا أوزجند. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٨٠.

وعاد إلى خوارزم، ومعه سلطان سمرقند. وكان من أحسن الناس صورة، فكان أهل خوارزم يتجمعون حتى ينظروا[١] إليه، فزوجه خوارزم شاه ابنته، ورده إلى سمرقند، وبعث معه شحنة يكون بها على عادة الخطا.

ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين[٢]

قال: ولما عاد صاحب سمرقند إليها ومعه الشحنة، أقام معه سنة، فرأى صاحب سمرقند من سوء سيرة الخوارزميين ما ندم بسببه على مفارقة الخطا، فأرسل إلى ملك الخطا يدعوه إلى سمرقند ليسلمها إليه، ويعود إلى طاعته، وأمر بقتل كل من بسمرقند من الخوارزمية، ممن كان بها قديمًا وحديثًا، وأخذ أصحاب خوارزم شاه، فكان يجعل الرجل منهم قطعتين ويعلقهم في الأسواق كما يعلق القصاب اللحم. ومضى إلى القلعة ليقتل زوجته ـ ابنة خوارزم شاه ـ فأغلقت الأبواب، ووقفت بجواريها، ومانعت عن نفسها، وأرسلت إليه تقول: «أنا امرأة وقتل مثلي قبيح عليك، وما فعلت معك من الإساءة ما استوجب ذلك منك، ولعل تركي أحمدُ عاقبة، فاتق الله» فتركها ووكل بها من يمنعها من التصرف في نفسها.

ووصل الخبر إلى خوارزم شاه، فعظم عليه، وأمر بقتل كل من بخوارزم من الغرباء، فمنعته أمه من ذلك، وقالت: «هذا بلد قد أتاه الناس من أقطار الأرض ولم يرض كلهم بما كان من هذا الرجل» فأمر بقتل أهل سمرقند فمنعته من ذلك أيضًا، فتركهم. وأمر عساكره بالتجهز إلى ما وراء النهر، وسيرهم أرسالاً، فعبروا جيحون، وعبر هو في آخرهم، وسار حتى نزل على سمرقند. وأنفذ إلى صاحبها يقول: قد فعلت ما لم يفعله مسلم، واستحللت من دماء المسلمين ما لم يقدم عليه غيرك من مسلم ولا كافر، والآن عفا الله عما سلف، فاخرج من البلاد وامض إلى حيث شئت. فامتنع من ذلك، فأمر خوارزم شاه بالزحف على سمرقند، فلم يكن بأسرع من أن فتح البلد، وأمر أن لا يتطرق إلى الغرباء بسوء، وأذن لأصحابه في نهب البلد، وقتل أهله، ففعلوا ذلك ثلاثة أيام. فيقال إنهم قتلوا من أهل سمرقند مائتي ألف إنسان، وسلم الدرب الذي فيه الغرباء، فلم يُعدم منهم أحد، ثم أمر بالكف عن النهب والقتل. ثم زحف إلى القلعة فرأى صاحبها ما ملأ قلبه هيبة ورعبًا، فطلب الأمان فلم يجبه خوارزم شاه إلى ذلك، وزحف على القلعة وملكها، وقتل صاحبها صبرًا. وقتل

---

(١) في الأصل: ينظرون.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٢٦٨.

معه جماعة من أقاربه، ولم يترك أحدًا ممن ينسب إلى الخانية. ورتب فيها وفي سائر البلاد نوابه ولم يبق لغيره بها حكم.

ذكر الواقعة التي أفنت الخطا[(١)]

وهذه الواقعة قد اختلف في إيرادها ابن الأثير الجزري[(٢)] في تاريخه المترجم بالكامل، وشهاب الدين محمد المنشي في التاريخ الجلالي، ونحن الآن نذكر في هذا الموضع ما نقله ابن الأثير، ونذكر في أخبار الدولة الجنكزخانية ما نقله المنشي. وإنما نبهنا على ذلك في هذا الموضع لئلا يقف عليه مُتَأمل فيرى في النقل الاختلاف فيظن أن ذلك عن سهو أو غلط أو التباس.

فأما ما حكاه ابن الأثير فإنه قال: لما فعل خوارزم شاه بالخطا ما فعل - يعني من هزيمتهم وأسر مقدمهم طاينكوه - مضى من سلم منهم إلى ملكهم، فإنه لم يكن قد شهد الحرب، فاجتمعوا عنده. وكانت طائفة عظيمة من التتار قد خرجوا من بلادهم حدود الصين ونزلوا وراء بلاد تركستان، وكان بينهم وبين الخطا حروب كثيرة وعداوة. فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بعساكر الخطا قصدوهم مع ملكهم كشليخان[(٣)] فأرسل ملك الخطا إلى خوارزم شاه يقول: «أما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فمعفو عنه، وقد أتانا من هذا العدو ما لا قيل لنا به، فإن انتصروا علينا وملكوا البلاد، فلا دافع لهم عنك، والمصلحة أن تسير إلينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم، ونحن نحلف لك أننا إذا ظفرنا بهم لا نتعرض لما بيدك من البلاد، ونقنع بما في أيدينا» وأرسل إليه كشليخان يقول: «إن هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداؤنا، فساعدنا عليهم، ونحلف لك أننا إذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك، ونقنع بالمواضع التي ينزلونها، والمراعي التي يرعونها» فأجاب كل منهما: «إنني معك على خصمك» وسار بعساكره إلى أن نزل قريبًا من الموضع الذي يتصافون[(٤)] فيه ولم يخالطهم مخالطة يعلمون بها أنه مع أحد منهم على الآخر، فكانت كل طائفة منهم تظن أنه معها.

---

(١) الخطا: بكسر الخاء وفتح الطاء: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٨، حاشية ٢ وص٤٨٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٢٦٩.

(٣) «كشلي خان» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٢٧١.

(٤) في الأصل يتصافوا.

والتقى التتار والخطا فانهزم الخطا منهم هزيمة عظيمة، فعند ذلك مال خوارزم شاه على الخطا، وجعل يقتل منهم ويأسر وينهب، فلم يسلم منهم إلا طائفة يسيرة مع ملكهم، في موضع من نواحي بلاد الترك، تحيط بها جبال يتعذر الوصول إليها إلا من جهة واحدة، فتحصنوا بها، وانضم إلى خوارزم شاه منهم طائفة. وصاروا في عسكره فأنفذ خوارزم شاه إلى كشليخان ملك التتار يمت عليه[١] بأنه ساعده، ولولا ذلك ما تمكن من الخطا. فاعترف له بذلك مدة، ثم أرسل إليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا. وقال: «كما أن نحن اتفقنا على إبادتهم ينبغي أن نقتسم بلادهم» فقال: «ليس لك عندي إلا السيف، ولستم بأقوى منه شوكة، ولا أعز ملكًا، فإن رضيت بالمسالمة وإلا سرت إليك وفعلت بك شرًا مما فعلت بهم» وتجهز كشليخان ونزل بالقرب من خوارزم شاه، فعلم خوارزم شاه أنه لا طاقة له به، فكان يراوغه. فإذا سار إلى موضع قصد خوارزم شاه أهله وأثقالهم، فينهبها، وإذا سارت طائفة منهم عن مكانهم سار فأوقع بهم. فأرسل إليه كشليخان يقول: «ليس هذا فعل الملوك وإنما هو فعل اللصوص، فإن كنت سلطانًا كما تقول فيجب أن نلتقي، فإما تهزمني وتملك البلاد التي بيدي، أو أفعل أنا بك ذلك. فكان خوارزم شاه يغالطه في الجواب، ولا يصمم على حربه، ولكنه أمر أهل الشاش[٢] وفرغانة وأسفيجاب[٣] وكاشان، وما حول ذلك من المدن التي لم يكن في الدنيا أنزه منها ولا أحسن عمارة، بالجلاء منها واللحاق ببلاد الإسلام، ثم خربها جميعًا خوفًا من التتار أن يملكوها.

ثم اتفق خروج جنكزخان التمرجي[٤] ملك التتار على كشليخان، فاشتغل بقتاله عن قتال خوارزم شاه، فخلا وجهه، وعاد من بلاد ما وراء النهر إلى خراسان.

---

(١) يمت عليهم: يتوسل: ابن منظور: لسان العرب (متت).

(٢) الشاش: بلدة بما وراء النهر وما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٨.

(٣) أسفيجاب: بالفتح ثم السكون، بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج١، ص١٧٩.

(٤) اسمه في الأصل تمرجين ولما عظم شأنه سُمي جنكزخان، والصواب في النطق به جنكص خان بالصاد بدل الزاي. انظر صبح الأعشى للقلقشندي «في التعريف باسم جنكزخان» ج٤، ص٣٠٥ كتب ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٧هـ عن ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام ما يأتي: =

ذكر ملك خوارزم شاه كرمان ومكران[(١)] من السند

قال: كان من جملة نواب خوارزم شاه تاج الدين أبو بكر نائبه بمدينة زوزن. وكان تاج الدين هذا في ابتداء أمره جمّالاً، يكري الجمال للأسفار، ثم صار على جمال خوارزم شاه، فرأى منه جلدًا وأمانة، فقدمه إلى أن صار من أعيان أمراء عسكره، ثم ولاه مدينة زوزن. وكان ذا عقل وسياسة، فقال يومًا لخوارزم شاه: «إن بلاد كرمان مجاورة لبلدي، فلو أضاف السلطان إليّ عسكرًا لملكتها في أسرع وقت»[(٢)] فسيّر معه عسكرًا فمضى إلى كرمان، فقاتل صاحبها [حرب][(٣)] بن محمد بن أبي الفضل، وملكها في أسرع وقت، وسار منها إلى نواحي مكران، فملكها إلى السند من حدود كابل، وسار إلى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران، فأطاعه صاحبها وخطب بها لخوارزم شاه، وخطب له بقلهات[(٤)] وبعض عمان، وذلك في سنة إحدى عشرة وستمائة[(٥)] أو ما يقاربها.

ذكر ملكه غزنة[(٦)] وأعمالها

قال: ولما استولى خوارزم شاه على عامة بلاد خراسان، وملك باميان[(٧)]

= «لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها كارهًا لذكرها. فأنا أقدم إليه رجلًا وأؤخّر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذلك، فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا. . .» الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٥٨.

(١) كرمان: بالفتح ثم السكون، وكرمان في الإقليم الرابع، وهي ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان، وخراسان، فشرقيها مكران وغربيها أرض فارس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٠٣.

(٣) في الأصل «حرز» والتصحيح من الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٠٣.

(٤) قلهات: بالكسر ثم السكون، مدينة بعمان على ساحل البحر، إليها ترفأ أكثر سفن الهند. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٣.

(٥) لم يستطع ابن الأثير أن يحدد السنة التي استولى فيها علاء الدين على هذه البلاد والراجح أن ذلك استغرق الفترة بين سنتي ٦١٠ و٦١٢هـ أي ١٢١٣ ـ ١٢١٥م. انظر الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٠٣.

(٦) غزنة: مدينة من مدن خوارزم، منها أبو الفضل محمد بن أبي يزيد طيفور السجاوندي الغزنوي، مصنف كتاب «عين المعاني في تفسير القرآن العظيم» الحميري، الروض المعطار ص٤٢٨.

(٧) باميان: بكسر الميم، بلدة في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة، وبها قلعة حصينة. الحميري: الروض المعطار، ص٧٤.

وغيرها، أرسلَ إلى تاج الدين الدز صاحب غزنة، وهو الذي ملكها من الغورية، وهو من مماليكهم، أن يخطب له، ويضرب السكة باسمه، ويسير إليه قبلاً، ليصالحه ويقر بيده غزنة. واستشار تاج الدين أمراءه في ذلك فأشاروا به، وكان الحاكم على دولته والمتصرف فيها خوشداشه قتلغ تكين وهو النائب عنه بغزنة، فكان ممن أشار بذلك، فخطب لخوارزم شاه بغزنة، وضرب السكة باسمه، واستقر ذلك، ثم مضى تاج الدين الدز إلى الصيد، فأرسل قتلغ تكين إلى خوارزم شاه يستدعيه ليسلم إليه غزنة، فسار مجدًا، وسبق خبره، وتسلم غزنة والقلعة من قتلغ تكين، وقتل من بها من عسكر الغورية، فوصل الخبر إلى صاحبها تاج الدين الدز فهرب هو ومن معه إلى لهاوور[1].

وأقام خوارزم شاه بغزنة، فلما تمكن أحضر قتلغ تكين، وسأله كيف كانت حاله مع الدز، فأخبره أنه كان الحاكم على دولته، والمتصرف في الحكم وغيره، وكان يعرف ذلك، وإنما أراد إقامة الحجة عليه. فلما انتهى حديثه قال خوارزم شاه له: «إذا كنت ما رعيت الحق لمن أنت وهو من بيت واحد، وقد حكمك في ملكه وصرفك فيه، فكيف تفعل مع ابني إذا تركته عندك؟» وأمر بالقبض عليه، وأخذ منه أموالاً جمة حملها على ثلاثين دابة وأربعمائة مملوك، ثم قتله. وترك ولده جلال الدين غزنة في جماعة من عساكره وأمرائه وكان ملكه لها في سنة ثنتي عشرة وستمائة، وقيل سنة ثلاث عشرة[2].

ذكر عزمه على المسير إلى العراق وقصد بغداد، ومراسلته في طلب آل سلجق ببغداد وما أجيب به

قال شهاب الدين محمد المنشي في تاريخه[3]: لما عظم أمر السلطان خوارزم شاه وتجلت له الدنيا في أرفع ملابسها وأشرقت شمس دولته من أكرم مطالعها، واستملأت جريدة ديوان الجيش على ما يقارب أربعمائة ألف فارس، سمت همته إلى طلب ما كان لبني سلجوق من الحكم والملك ببغداد، وترددت الرسل في ذلك مرارًا فلم يجبه الخليفة إلى مراده لعلمه بما بين يديه من الشواغل عما وراء النهر وبلاد الترك. قال: وحكى القاضي فخر الدين عمر بن سعد الخوارزمي ـ وكان عند

---

(١) لهاوور، ولهاور، ولوهور، أسماء لمدينة واحدة في الهند وهي مدينة مشهورة لعلها لاهور. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٦.

(٢) «وكان ملكه لها ثلاث عشرة» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣١٠.

(٣) المنشي النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص١١.

السلطان من ذوي الحظوة والاختصاص ـ وقد أرسله إلى بغداد مرارًا، قال: كان آخر رسالاتي إليها مطالبة الديوان بما ذكرناه، فأبوا ذلك وأنكروه كل الإنكار، وقالوا: إن اختلاف الدول، وتقلب الدهر، وتغلب الخارجي على بغداد، وتسحب الإمام القائم بأمر الله منها إلى مدينة عانة، وانتصاره بطغرلبك[١] بن ميكائيل هو الذي اقتضى تحكم بني سلجوق في بغداد[٢]، وإلا فليس يحسن أن يكون مع الزمان على أكتاف الخلافة محتكم يأمر فيها كيف شاء بما سر وساء، وليس فيما أنعم الله عليه به من الممالك الواسعة والأقاليم المتباعدة المتشاسعة غنية عن الطمع في ملك أمير المؤمنين، ومشاهد آبائه الراشدين، قال: وأصحب في عودة الشيخ شهاب الدين السُّهروردي[٣] رحمه الله مدافعًا، وواعظًا وازعًا، عما كان السلطان يلتمسه.

وتراجعت المراسلات في المعنى وتكررت، فكانت غير مجدية، وانضاف إلى ذلك كثرة استهانتهم بالسبيل الذي كان للسلطان في طريق مكة، حتى بلغه تقديمهم سبيل صاحب الإسماعيلية جلال الدين الحسن على سبيله.

قال المنشي: وسمعت القاضي فخر الدين المذكور يقول: إن الشيخ شهاب الدين لما دخل على السلطان، وعنده من حسن الاعتقاد برفيع منزلته، وعالي قدره، وتقدمه فضلًا على مشايخ عصره، ما أوجب تخصيصه بمزيد الإكرام عن سائر الرسل الواردة عليه من الديوان، فوقف قائمًا في صحن الدار ثم أذن له في الدخول، فلما استقر المجلس بالشيخ قال: إن من سنة الداعي للدولة القاهرة أن يقدم على أداء الرسالة حديثًا من أحاديث النبي ﷺ تيمنًا وتبركًا، فأذن له السلطان في ذلك، وجثا على

---

(١) هو السلطان أبو طالب ركن الدين محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، أول ملوك السلاجقة استهل حكمه سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م ودخل بغداد في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م بناءً على طلب الخليفة القائم بأمر الله فنصره على البساسيري وأعاد للبلاد عزها. توفي عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م وعمره سبعون عامًا. انظر الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقي، دار صادر بيروت ص٢٩٢ ـ ٢٩٣، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج٥، ص٦٣ ـ ٦٨.

(٢) عندما دخل طغرلبك السلجوقي بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج٥، ص٥٩.

(٣) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه. واسمه عبد الله البكري الملقب شهاب الدين السهروردي. ولد بسهرورد في أواخر رجب أو أوائل شعبان سنة ٥٣٩هـ/ وتوفي في مستهل المحرم سنة ٦٣٢هـ/ ببغداد. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣، ص٤٤٦، رقم ٤٩٦. ومدينة سُهرورد: بلدة بين زنجان وهمذان. الحميري: الروض المعطار ص٣٢٨. البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٦٧.

ركبتيه أدبًا عند سماع الحديث. فذكر الشيخ حديثًا معناه التحذير من أذية بني العباس، فلما فرغ من رواية الحديث قال السلطان: «أنا وإن كنت رجلاً تركيًا قليل المعرفة باللغة العربية، لكني فهمت معنى ما ذكرته من الحديث، غير أنني ما أذيت أحدًا من ولد العباس، ولا قصدتهم بسوء، وقد بلغني أن في محابس أمير المؤمنين منهم خلقًا مخلدين[١]، يتناسلون بها، ويتوالدون، فلو أعاد الشيخ الحديث بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أولى وأنفع وأجدى وأنجع» فقال الشيخ: إن الخليفة إذا بويع في مبدأ خلافته على كتاب الله وسنّة رسوله واجتهاده، فإن أفضى اجتهاده إلى حبس شرذمة لإصلاح أمة، لا يقدح[٢] ذلك في طريقته المثلى. وطال الكلام[٣]، وعاد الشيخ والوحشة قائمة على ساقها. واتفق بعد ذلك قتل الإسماعيلية أغلمش الأتابكي، وكان ينوب عن السلطان بالعراق، فركب يلتقي الحاج عند منصرفهم من الحج. قفز عليه باطني في زيّ حاج فقتله، وانقطعت حينئذ خطبة السلطان بالعراق فحركه ذلك إلى المسير لإعادتها.

ذكر مسيره إلى العراق وما اتفق له

قال: ولما قتل أغلمش، كان يقيم رسمي الخطبة والطاعة للسلطان بالعراق، طمع الأتابك أزبك[٤] بن محمد صاحب أران وأذربيجان، وسعد بن زنكي[٥] صاحب فارس فيه فنهضا إليه لعلمهما ببعد السلطان، وأنه في أعماق بلاد الترك. فرحل أزبك ودخل أصفهان بمواطأة من أهلها، وملك سعد الري وقزوين وسمنان[٦] وما تاخم ذلك وداناه. فانتهى الخبر إلى السلطان وهو بسمرقند، فاختار من العساكر مائة ألف، وترك معظم عساكره مع أمرائه بما وراء النهر وثغور الترك. فلما وصل إلى قومس اختار ممن استصحبه معه اختيارًا ثانيًا، ونهض في اثني عشر ألف فارس وسار مجدًا

---

(١) في الأصل مخلدون.

(٢) لا يقدح: لا يصيب: ابن منظور لسان العرب (قدح).

(٣) أرسل الشيخ شهاب الدين السُّهروردي رسالة إلى الملك علاء الدين خوارزم (محمد) أهانه واستدعاه وأوقفه إلى جانبه ولم يأذن له بالقعود. ووصف ابن تغري بردي المقابلة التي تمت بينهما في النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) انظر الدولة الخوارزمية لحافظ حمدي ص٤٤.

(٥) في الكامل لابن الأثير، ج١٢ ص٣٠٩ «سعد بن دكلا».

(٦) سِمنان: بكسر أوله، بلدة بين الري ودامغاد قرب قومس وتوجد بلدة بنفس الاسم أيضًا في العراق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥١.

فسبق خبره إلى جبل برزك وهي كورة من كور الري، وسعد بظاهرها. فلما رأى سعد أوائل الخيل قد أقبلت، ظن أنهم من الأزبكية[١] المنازعين له في ملك العراق، فركب بنفسه وعسكره وصدق القتال. فلما شاهد السلطان جده أمر بنشر الجتر[٢]. وكان ملفوفًا فنشر، فحين تحقق أصحاب سعد أن الجيش جيش السلطان ولوا الأدبار ونزل سعد فقبّل الأرض، فأُخذ وكُتف وأُحضر بين يدي السلطان فأمر بالاحتياط عليه، وحمله على بغل حتى وصل إلى همذان، وقضى وطره من أزبك على ما سنذكره.

وأما الأتابك أزبك صاحب أران وأذربيجان فإنه لما سمع ما حلّ بسعد من الأسر والإهانة[٣]، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولم يبقَ له هوى العود إلى ملكه، وقنع من الغنيمة بالإياب. فركب وأعد السير إلى أن قارب همذان، وهو يظن أن السلطان بالري. فلما بقي على مرحلة من همذان، بلغه أن السلطان بها، فسقط في يده، وتحير لا يعرف طريق الري. فاستشار أصحابه، فأشار بعضهم بعوده إلى أصفهان، وأشار بعضهم بالمبادرة إلى أذربيجان جريدة، وترك أثقاله. وأشار عليه وزيره ربيب الدين أبو القاسم بن علي بالتحصن بقلعة قزوين، وكانت قريبة منه، وهي من أمهات قلاع الأرض، ومشاهير حصونها، فلم يوافقه. واجتمع رأيه أن وجه أثقاله وخزائنه ومعظم حاشيته مع الملك نصرة الدين محمد بن تتشتكين[٤] صوب تبريز، واستصحب من خواصه زهاء مائتي فارس، وأخذ بهم نحو أذربيجان في المسالك الوعرة والجبال الصعبة. ووجه الوزير ربيب الدين إلى السلطان برسالة، يعتذر إليه، فوقع الأمير دكجك السلحدار على أثقاله ومن معها، فهزمهم وتبعهم إلى ميانج[٥] وهي كورة من كور أذربيجان على حافة النهر الأبيض، وأسر الملك نصرة الدين ومعظم من معه، وانتهبت الخزائن والأثقال، ووجد الوزير ربيب الدين في الطريق فساقه في جملة الأسرى إلى المخيم، فلم يصدق في رسالته، واعتقد أنه زورها عند

---

(١) نسبة إلى أوزبك بن البهلوان أتابك أذربيجان. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٦ ص١٨٨ حاشية ١ والكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٧٤.

(٢) الجتر: بجيم مكسورة قد تبدل شينًا معجمة وتاء مثناة فوق: هي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان في الأعياد. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٧ ـ ٨.

(٣) في الأصل «الاهنة».

(٤) هكذا في الأصل. وفي سيرة جلال الدين للمنشي النسوي ص١٦ «بيشتكين».

(٥) ميانج: وردت في مادة أذربيجان في معجم البلدان لياقوت الحموي، ج١، ص١٢٨ ـ ١٢٩.

أسره. قال: وبقي في كل يوم يسوق الأتابك سعد ونصرة الدين والوزير ربيب الدين إلى الميدان بهمذان فيهانون والسلطان يلعب بالأكرة إذلالاً لهم، ولم يزالوا كذلك إلى أن عاد نصير الدين دولتيار وهو متولي منصب الطغرا[1] للسلطان، وهو من المناصب الجليلة. غير أنه دون كتابة الإنشاء في بيت الخوارزمشاهية وفوقها عند السلاجقة وكان السلطان قد بعثه رسولاً إلى الأتابك أزبك، بعد هربه يأمره بإقامة رسمي الخطبة والسكة باسمه في عامة مملكته، وأن يحمل في كل سنة إلى الخزانة السلطانية أتاوة معلومة، فجعل بالسكة والخطبة، وخطب للسلطان على منابر أذربيجان وأران، إلى ما يلي دربند شروان وسيّر إلى السلطان من الهدايا والتحف والألطاف جملة طائلة، وسلم قلعة قزوين إلى نواب السلطان، واعتذر في أمر الأتاوة أن الكرج استضعفوا جانبه، واستولوا على أطراف بلاده، وهذه حاله والبلاد بما تثمر من الأموال، فكيف إذا انقسمت، وحمل منها أتاوة؟ فقبل السلطان عذره في ذلك، ورضي منه بالسكة والخطبة، وبعث إلى الكرج رسولاً من جهته يقول: إن بلاد الأتابك أزبك صارت من جملة بلادنا، وهي كأحد ممالكنا، وحذرهم من الوصول إليها وقصدها، فعاد رسول السلطان من الكرج، ومعه رسولهم مصحوبًا بالتقادم. هذا ما كان من أمر أزبك.

وأما الملك نصرة الدين فإنه كان يحضر إلى الميدان في كل يوم كما ذكرنا. فنظر السلطان إليه في بعض الأيام فإذا بأذنيه حلقتان كبيرتان مجوفتان في غلظ السوار، فسأله عن ذلك فقال: إن السلطان ألب أرسلان السلجقي لما غزا الكرج ونصره الله عليهم وأسر أمراءهم منَّ عليهم، وأطلقهم، وأمر أن يشنقوا كل واحد منهم بحلقتين، يكتب عليهما اسمه، فلما تطاولت المدة ووهت قواعد الدولة السلجقية خلع أولئك ربقة الطاعة، ما خلا جدي فإنه أسلم وسلمت بلاده وأعقابه، ببركتي الإسلام والوفاء فرقّ له السلطان، وأمر بإطلاقه، وخلع عليه، وغيّر الحلقتين، وكتب عليهما اسمه، وأمر له بتوقيع بما كان تحت يده من البلاد التي ورثها أبًا عن جد مثل مدينتي

(١) الطغرا: الطغراة: عبارة عن وصل كان يوضع في عصر المماليك البحرية في مناشير الإقطاعات بين وصل الطرة والبسملة، ورتد فيه ألقاب السلطان. وكان لها رجل مفرد بعملها وتحصيلها بالديون. فإذا كتب الكاتب منشورًا أخذ من تلك الطغراوات واحدة وألصقها فيما كتب به. والطغرى كلمة أعجمية استعملها العرب. ومتولي هذه الوظيفة هو المكلف بوضع هذه العبارات ويسمى الطغرائي. انظر صبح الأعشى «القلقشندي» ج١٣، ص١٦٢، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي ص٢٣٣.

أبهر[١] وفراوى[٢] بقلاعهما وأعمالهما وأضاف إليه مدينة سراة وهي أقرب المدن إليه مما يملكه أزبك، وخلع عليه خلعة ملوكية.

وأما الأتابك سعد الدين زنكي صاحب فارس فإن السلطان أطلقه وتسلم قلعتي إصطخر[٣] واسكناباد وسلمها السلطان إلى المؤيد الحاجب، وزوّج الأتابك سعد بامرأة من بيت والدته، وشرط عليه أن يحمل في كل سنة إلى الخزانة ثلث الخراج من بلاده، وأعاده بالخلع والتشاريف، وكان ولده نصرة الدين أبو بكر لما بلغه أسر والده انتصب مكانه واستمال قلوب الأمراء وبذلك الأموال فأطاعوه. فلما أطلق الأتابك سعد، ووصل إلى شيراز - وهي كرسي مملكته - امتنع ولده من تسليم الملك. فبينما نصرة الدين ذات يوم في داره لم يرعه إلا وقد فتح عليه الباب، ودخل حسام الدين تكين باش[٤] - وهو أكبر مماليك الأتابك والمقدم في دولته - والأتابك وراه وبيده سيف مجرد، فضرب به وجه ابنه ضربة أثرت في وجهه، وحجز بينهما اختلاط الفريقين، فأمر الأتابك بالقبض على ابنه، فقبض عليه واعتقله مدة ثم أطلقه وعظم حال حسام الدين عنده ورقاه إلى درجة الملوكية، هذا ما كان من أمره.

ذكر قصد السلطان بغداد وما رتبه من أحوال مملكته وعوده بعد مسيره

قال شهاب الدين محمد المنشي: ثم عزم السلطان على قصد بغداد، ورتب أحوال مملكته، وأظهر الناموس. فمن ذلك أنه ضرب نوبة الإسكندر على ما قدمناه، ومنها أنه سيّر الملك تاج الملك بلكان خان[٥] صاحب أترار إلى مدينة نسا[٦] ليقيم

---

(١) أبهر: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل. والعجم يسمونها أوهر. وقال بعض العجم: معنى أبهر مركب من آب وهو الماء. وهر: وهي الرحا. كأنه ماء الرحا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٨٢.

(٢) هي فراوة كما قال عنها ياقوت بأنها بلدة من أعمال نسا بينها وبين دهستان وخوارزم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٥.

(٣) اصطخر: بالكسر وسكون الخاء بلدة في فارس من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢١١.

(٤) «تكش باش» النسوي: سيرة جلال الدين، ص١٩.

(٥) يرسمها النسوي بلكاخان، سيرة جلال الدين، ص٦٦، ٨٦ نشر حافظ حمدي.

(٦) نسا: مدينة بخراسان بينها وبين مرو خمسة أيام، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٢.

بها، وسيّر إلى خوارزم برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخاري المعروف بصدر جيهان، رئيس الحنفية ببخارى وخطيبها. قال: ولعله يعد من الملوك والأكابر، وكان تحت يده ستة آلاف فقيه. ومنها أنه قسم الملك بين أولاده، وعيّن لكل واحد منهم بلادًا، ففوض خوارزم وخراسان ومازندران إلى ولي عهده قطب الدين أزلاغ شاه، واختار لتواقيعه طرة من غير تلقيب، وهي السلطان أبو المظفر ازلاغ شاه ابن السلطان محمد ناصر أمير المؤمنين. وإنما خصصه بولاية العهد دون جلال الدين اتباعًا لرأي أمه تركان خاتون. وفوّض ملك غزنة وباميان والغور وبُست[(١)] وتكياباذ وزمين[(٢)] وما يليها من الهند إلى ولده الملك جلال الدين منكبرتي، واستوزر له الصدر شمس الملك شهاب الدين الهروي، واستناب عنه كريره ملك، واستصحب جلال الدين معه، وفوّض ملك كرمان وكيش ومكران لولده غياث الدين بيرشاه[(٣)] واستوزر له الصدر تاج الدين ابن كريم الشرق النيسابوري، وسلم ملك العراق إلى ولده ركن الدين غور شايجي واستوزر له عماد الملك محمد بن الشديد الساوي واختار لتواقيعه من الطرة السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو الحارث غور شايجي ابن السلطان الأعظم محمد قسيم أمير المؤمنين.

قال: ولما رتب هذه القواعد وقرر هذا النظام عزم على قصد بغداد وسيّر أمامه من العساكر ما غصت به البيداء فضاقت برحبها، وسار وراءهم إلى أن علا عقبة سراباد. وكان قد قسم نواحي بغداد وهو بهمذان أقطاعًا وعملاً، وكتب بها توقيعات، فسقط عليه بالعقبة ثلج عظيم، فأهلك خلقًا كثيرًا من الجيش وتلفت الأثقال، فرجع السلطان منها، وتطير من قصد بغداد، وكان ذلك في سنة أربع عشرة وستمائة. قال: ولما رجع السلطان إلى نيسابور أتاه الخبر بوفاة مؤيد الملك قوام الدين والي كرمان ونائبه بها، فملّك السلطان ولده غياث الدين بيرشاه كرمان وكيش ومكران فسار إليها واستقام أمره بها.

ذكر عود السلطان إلى بلاد ما وراء النهر ووصول رسل التتار إليه وما اتفق من الحوادث

قال: ثم عاد السلطان عند منصرفه من العراق إلى ما وراء النهر ووصل إلى

---

(١) بست: مدينة بين سجستان وغزنة وهراة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤١٤.

(٢) زمين داور أو زمنداور: ولاية واسعة ذات بلدان وقرى قريبة من الغور. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٤.

(٣) في الأصل «تيزشاه».

سمرقند، فوافته بعد ذلك رسل جنكزخان ملك التتار وهم محمود الخوارزمي وعلي خواجه البخاري ويوسف بن كنكا الأتراري[(١)] مصحوبين بمجلوبات الترك من نقر المعادن ونصب الختو ونوافج المسك وأحجار اليشب والثياب التي تسمى طرقوا وتتخذ من وبر الجمال البيض يباع الثوب منها بخمسين دينارًا وأكثر. وكانت الرسالة تشتمل على طلب المسالمة والموادعة، وقالوا له: إن الخان الكبير يسلم عليك ويقول: ليس يخفى عليَّ عظم شأنك وسعة سلطانك، ولقد علمت بسطة ملكك ونفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجب، وأنت عندي مثل أعز أولادي وغير خاف عنك أيضًا أنني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد أذعنت لي قبائلهم وأنت أخبر الناس أن بلادي مثارات العساكر ومعادن الفضة وأن فيها لغنية عن طلب عيرها فإن رأيت أن تفتح للتجار في الجهتين سبيل التردد، عمت المنافع وشملت الفوائد.

قال المنشي: فلما سمع السلطان الرسالة صرف الرسل، ثم استدعى محمود الخوارزمي ليلاً بمفرده، وقال له: أنت رجل خوارزمي، ولا بد لك من موالاة فينا وسبيل إلينا، ووعده بالإحسان إن صدقه فيما يسأله عنه، وأعطاه جوهرة نفيسة من معضدته علامة للوفاء بما وعده. وشرط عليه أن يكون عينًا له على جنكزخان. فأجابه إلى ذلك رغبة أو رهبة ثم قال: «أصدقني فيما يقول جنكزخان أنه ملك الصين واستولى على مدين طوغاج[(٢)] أصادق فيما يقول أم كاذب؟» قال: «بل صادق ومثل هذا الأمر لا يخفى». ثم قال له: «أنت تعرف ممالكي وبسطتها وعساكري وكثرتها، فمن هذا اللعين حتى يخاطبني بالولد؟ وما مقدار ما معه من العساكر؟» فلما شاهد محمود الخوارزمي آثار الغيظ على وجه السلطان أعرض عن النصح، وقال: ليس عسكره بالنسبة إلى عسكرك إلا كفارس في خيل، أو دخان في جنح ليل.

ثم أجاب السلطان إلى المهادنة واستقر الحال على المسالمة إلى أن وصل من بلاد التتار تجار إلى أترار وهم عمر خواجه الأتراري، والجمال المراغي[(٣)]،

---

(١) في الأصل «يوسف بن كنكا» والنسوي يرسمه «يوسف كنكا الأتراري» سيرة جلال الدين نشر حافظ حمدي ص٨٣.

(٢) رسمها النسوي «طمغاج» سيرة جلال الدين منكبرتي ص٣٣.

(٣) انظر سيرة جلال الدين للمنشي النسوي، ص٣٤.

وفخر الدين البخاري[١] وأمين الدين الهروي وكان ينال خان[٢] ابن خال السلطان ينوب عن السلطان بأترار فشرهت نفسه في أموال أولئك التجار[٣]، فكاتب السلطان يقول: إن هؤلاء القوم قد جاؤوا إلى أترار في زي التجار وليسوا بتجار، وإنما هم أصحاب أخبار، وإنهم إذا خلوا بأحد من العوام يهددونه، ويقولون إنكم لفي غفلة عما وراءكم، وسيأتيكم ما لا قبل لكم به فأذن له السلطان في الاحتياط عليهم إلى أن يرى فيهم رأيه، فقبض ينال خان عليهم، وانقطع خبرهم، وأخذ ما كان معهم من الأموال والأمتعة ثم وردت رسل جنكزخان بن كفرج بغرا كان أبوه من أمراء السلطان تكش ومعه رجلان يقولون للسلطان: «إنك قد كتبت خطك وأمانك للتجار أن لا تتعرض إليهم، وقد غدرت ونكثت، والغدر قبيح على الملوك، فإن زعمت أن الذي ارتكبه ينال خان كان من غير أمرك فسلمه إليّ لأجازيه على فعله، وإلا فأْذن بالحرب» فلم يرسل ينال خان، وظن أنه إن لاطف جنكزخان، أطمعه، وأمر بقتل رسله، فقتلوا. فيا لها من قتلة هدرت دماء الإسلام، وأجرت بكل قطرة سيلاً من الدم الحرام. فعند ذلك تجهز جنكزخان لقصده.

ذكر ما اعتمده السلطان من سوء التدبير لما قصده التتار

كان أول ما اعتمده من سوء التدبير لنفاذ حكم العلي القدير أنه لما بلغه خبر التتار وقصدهم البلاد، عزم أن يبتني سورًا على مدينة سمرقند على كبرها ودورها، على ما قيل اثني عشر فرسخًا، ثم يشحنها بالرجال، لتكون سدًا بينه وبين الترك. ففرق عماله في سائر أقاليم مملكته، وأمرهم أن يستسلفوا خراج سنة خمس عشر وستمائة برسم عمارة السور، فجبى خراجًا كاملاً وأعجله التتار فلم يتمكن من عمارته، ثم بعث الحياة مرة ثانية إلى سائر الممالك، وأمرهم بجباية خراج ثالث في سنتهم، وهي سنة أربع عشرة وستمائة، وأن يُستخدم بذلك رجالة ورماة، يستخدم من كل بلد بقدر ما يتحصل من المال. ثم فرق عساكره بمدن ما وراء النهر وبلاد الترك

(١) «فخر الدين الدتزكي البخاري» النسوي: سيرة جلال الدين، ص٣٤.

(٢) «حاكم أترار كان خال السلطان» في تاريخ الخلفاء، للسيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٢.

(٣) هؤلاء التجار قدموا من بلاد المغول ومعهم قافلة تحمل ثروة كبيرة من الذهب والأقمشة وغيرها. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٤٠٠ ـ ٤٠١.

فترك ينال خان بأترار في عشرين ألف فارس وقتلغ خان في جماعة أخرى في عشرة آلاف فارس بشهر كنت[١]، والأمير اختيار الدين كشكي أمير آخور، واغل حاجب الملقب باينانج خان في ثلاثين ألف فارس ببخارى، وطغاينجان[٢] خاله وأمراء الغور في أربعين ألف فارس بسمرقند وفخر الدين حبش النسوي وعسكر سجستان بترمذ، وبلخمورخان بوخش[٣] وأبا محمد خال أبيه ببلخ. ولم يترك بلدًا مما وراء النهر خاليًا من عسكر كبير فكان ذلك من أعظم الأسباب التي استولى بها جنكزخان على البلاد الإسلامية، ولو جمع عساكره ولقي التتار لهزمهم.

ولما شارف جنكزخان[٤] تخوم البلاد الإسلامية تباشر صوب أترار، واستولى عليها بعد قتال، وأحضر ينال خان بين يديه، وأمر بسبك الفضة، وقلبها في أذنيه وعينيه فمات. ثم استولى جنكزخان على البلاد وتحيل حتى أوقع بين السلطان علاء الدين خوارزم شاه وبين أمه وأخواله.

ذكر ما وقع بين السلطان علاء الدين خوارزم شاه وأمه وأخواله من الاختلاف بحيلة تمت بجنكزخان عليهم وما فعلته والدته من القتل ومفارقة خوارزم وما آل إليه أمرها

كان سبب ذلك أن جنكزخان لما ملك أترار، أحضر نائب الوزارة بها، وهو بدر الدين العميد، واتفق معه على أن زوّر كتبًا على لسان الأمراء أقارب والدة السلطان إلى جنكزخان، يبذلون له الدخول في طاعته، ويقولون: «إنا تسحبنا من بلاد الترك بعشائرنا ومن يلوذ بنا إلى السلطان، رغبة في خدمة والدته، فما نصرناه على كافة ملوك الأرض، وذلت له الجبابرة وخضعت له الرقاب فها هو الآن تغيرت نيته في حق والدته، عتوًا منه وعقوقًا، وهي تأمرنا بخذلانه، فنحن على انتظار وصولك واتباع

---

(١) «شهركند» في ياقوت الحموي: بفتح أولها وسكون ثانيها وهي مدينة في طرف تركستان قريبة من خوارزم. معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٨.

(٢) «طغانخان» في سيرة السلطان منكبرتي للنسوي ص٣٦.

(٣) وخش: مدينة في نواحي بلخ على نهر جيحون. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٨، ص٤٠٤.

(٤) انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٩٥ ـ ٩٦، وصبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٣٠٥.

أمرك» وكان هذا تدبير نائب الوزارة المذكور[١]. وسلم جنكزخان الكتب إلى بعض خواصه، وأمره أن يتوجه بها إلى السلطان، ويظهر له أنه قد هرب من صاحبه إليه، ففعل ذلك. فلما وصل إلى السلطان ووقف على الكتب لم يشك في صحة ذلك، ونفر من هؤلاء الأمراء، ونأى عنهم وبدّد شملهم.

فلما فعل ذلك بأقارب والدته تركان خاتون غضبت لذلك، وكتب جنكزخان إليها على يد دانشمند الحاجب - وهو من خواصه - وهي إذ ذاك بخوارزم، يقول: «قد عرفت مقابلة ابنك حقوقك بالعقوق، وقد قصدته بمواطأة من أمرائه، ولست بمعترض إلى ما تحت يدك من البلاد، وأسلم لك خوارزم وخراسان وما يتاخمهما من قاطع جيحون. فكان جوابها عن هذه الرسالة أن خرجت عن خوارزم، واستصحبت ما أمكنها من حرم السلطان وصغار أولاده ونفائس خزائنه، وأمرت بقتل من كان بخوارزم من الملوك المعتقلين وأبناء الملوك وأكابر الصدور، فقتلت زهاء اثنين وعشرين[٢] نفسًا منهم ابنا السلطان غياث الدين الغوري وابن طغرل السلجقي وعماد الدين صاحب بلخ وابنه بهرام شاه صاحب ترمذ وعلاء الدين صاحب باميان، وجمال الدين عمر صاحب وخش وابنا صاحب سقناق من بلاد الترك، وبرهان الدين محمد وصدر جهان وأخوه افتخار جهان وابناه ملك الإسلام وعزيز الإسلام واستصحبت معها عمر خان صاحب يازر[٣] فصحبها إلى بلاده، وخدمها أتم خدمة، حتى إذا قاربت تخوم يازر خافت أن يفارقها، فأمرت بضرب عنقه فقتل صبرًا.

وسارت بمن معها إلى قلعة إيلال من قلاع مازندران، فأقامت بها وذلك في سنة خمس عشرة وستمائة؛ وأمرت بتحصين القلعة، فحصنت؛ ثم حوصرت أربعة أشهر فكان من الاتفاق العجيب أن القلعة نفذ ماؤها، وكانت العادة أن تلك القلعة دائمة الأنواء، فقدر الله عزّ وجل أن صحت السماء في زمن الحصار حتى نفذ الماء، فألجأها ذلك إلى طلب الأمان، فأجيبت إليه، ونزلت من القلعة ومعها الوزير محمد بن صالح. وذكر أنها لما نزلت من القلعة فاضت الصهاريج في هذا اليوم، حتى نزل السيل من باب القلعة وحملت تركان خاتون أسيرة إلى جنكزخان. قيل إنه انتهى حالها

---

(١) كان نائب الوزارة يحقد على السلطان لقتله أباه وعمه وجماعة من أقاربه لذلك أشار على جنكيزخان بهذه الحيلة. انظر سيرة جلال الدين منكبرتي، النسوي، ص٩٢ نشر حافظ حمدي.

(٢) في سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص٣٩ «زهاء اثني عشر نفسًا».

(٣) انظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي للمنشي النسوي ص٣٩. وفيه «عمرخان ابن صاحب يازر».

إلى أن كانت تحضر سماط جنكزخان وتحمل منه في كل وقت ما يقوتها مدة بعد أن حكمت في أكثر البلاد على ما نذكره.

وأما صغار أولاد ابنها الذين كانوا معها فقتلوا عن آخرهم إلا أصغرهم فإنه ترك عند جدته مدة ثم قتل بعد ذلك خنقًا. هذا ما كان من الذكور. وأما الإناث فزوجوا بالمرتدة إلا سلطان خان[1] ـ التي كانت امرأة صاحب سمرقند ـ أخذها دوشي خان واصطفاها لنفسه. هذا ما كان من أمرها وأمر من معها بعد وفاة ابنها، فلنذكر شيئًا من أخبارها وما كان لها من الحكم في دولة ابنها.

كانت تركان خاتون والدة السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد من قبيلة بياووت وهي فرع من فروع يمك، وهي بنت خان جنكش، ملك من ملوك الترك وتزوج بها السلطان تكش. ولما انتقل الملك إلى ابنها أتته قبائل يمك ومن يجاورها من الترك فكثر بهم، واستظهر بمكانهم وتحكمت هي بهذا السبب في الممالك، فلم يملك السلطان إقليمًا إلا وأفرد لخاصتها منه ناحية جليلة. ولقبت عند ارتفاع شأنها بخداوند جهان، معناه صاحبة العالم. وكانت ذات[2] مهابة ورأي، وإذا رفعت الظلامات إليها حكمت فيها على قانون العدل والإنصاف، غير أنها كانت جسورًا[3] على سفك الدماء، وكان لها خيرات وسبلات في البلاد. قال المنشي: وكان لها من كتاب الإنشاء سبعة من مشاهير الفضلاء وسادات الأكابر وإذا ورد عنها وعن السلطان توقيعان مختلفان في قضية واحدة لم ينظر إلا في التاريخ فيعمل بالآخر منهما في سائر الأقاليم. وكان طغرا تواقيعها عصمة الدنيا والدين ألغ تركان ملكة نساء العالمين، وعلامتها اعتصمت بالله وحده، وكانت تكتبها بقلم غليظ، وتجود الكتابة فيها بحيث يعسر أن يزوّر عنها، فلنرجع إلى أخبار السلطان.

ذكر ما اتفق للسلطان بعد أن ملك التتار البلاد إلى أن توفي

قال: لما ملك جنكزخان أترار، ملك بعدها بخارى ثم سمرقند[4]، فاتصل الخبر بالسلطان وهو مقيم بحدود كتلف وأندخوذ[5] ينتظر وصول الجموع المتفرقة إليه

---

(١) «خان سلطان» في سيرة السلطان جلال الدين للنسوي ص٤١.

(٢) في الأصل «ذا». (٣) في الأصل «جسورة».

(٤) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٢٢٠.

(٥) أندخوذ: بالفتح ثم السكون بلدة بين ملخ ومرو، ج١، ص٢٦٠.

من الجهات. فلما اتصل خبر ملك جنكزخان بخارى بالسلطان، عبر جيحون وقد أيس من بلاد ما وراء النهر، وفارقه إلى التتار من الأتراك عشيرة أخواله زهاء سبعة آلاف من الخطابية، واتصل علاء الدين صاحب قندز وغيره بجنكزخان وأخذ الناس في التخاذل والتسلل، فلما اتصلت هذه الجموع بجنكزخان عرفوه بمكان السلطان وبما هو عليه من الوجل، وبما داخله من الخوف فعند ذلك جرّد يمنويّة وسبطى بهادر في ثلاثين ألف فارس فعبروا النهر صوب خراسان ورحل السلطان من حافة جيحون إلى نيسابور، وتسلل عنه الناس فلم يقم بنيسابور إلا ساعة من نهار، ثم سار حتى أتى العراق فنزل بمرج دولت أباد، وهي من أعمال همذان وأقام أيامًا يسيرة ومعه زهاء عشرين ألف فارس فلم يرعه إلا صيحة الغارة وإحداق خيول التتار به، فغايتهم بنفسه، وشمل القتل جل أصحابه، ونجا السلطان في نفر يسير من خواصه إلى بلد الجبل ثم منها إلى الاستنداد[١] وهي أمنع ناحية من نواحي مازندران ذات دربندات ومضايق ثم منها إلى حافة البحر وأقام عند الغرضة بقرية من قراها، يحضر إلى المسجد فيصلي به إمام القرية الصلوات الخمس ويُقرأ له القرآن، وهو يبكي وينذر النذور ويعاهد الله تعالى بإقامة العدل. ولم يزل كذلك إلى أن كبسه التتار فحين هجموا الضيعة ركب السلطان المركب وخاضت خلفه طائفة منهم فلم يدركوه.

قال شهاب الدين المنشي: حدثني غير واحد ممن كان مع السلطان في المركب قال: كنا نسوق المركب بالسلطان وبه من علة ذات الجنب ما آيسه من الحياة وهو يظهر الاكتئاب، ويقول لم يبق لنا مما ملكناه من أقاليم الأرض قدر ذراعين. فلما وصل الجزيرة سُرَّ بذلك سرورًا تامًا وأقام بها فريدًا طريدًا والمرض يزداد به. وكان في أهل مازندران ناس يتقربون إليه بالمأكول والمشروب وما يشبهه، فقال في بعض الأيام: أشتهي أن يكون عندي فرس يرعى حول خيمتي هذه - وقد ضربت له خيمة صغيرة - فلما سمع تاج الدين حسن وكان من جملة سرهنكيته[٢] أهدى إليه فرسًا أصفر قال: وكانت جشارات خيله تنيف على ثلاثين ألف جشار[٣] متفرقة في ممالكه

---

(١) هكذا في الأصل ولعله استراباد: إحدى مدن جرجان قرب حدود مازيزران. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية. ص٤١٩.

(٢) سرهنك: لقب أطلقه السلاجقة على الموظف الذي ينظم الاجتماعات الرسمية السلطانية. واستعمله العثمانيون بعد ذلك وأطلقوه على شاويشية الديوان السلطاني.

Dozy supp. Dict Ar.

(٣) جشار: جشارات (الجمع) مكان ترعى به الماشية من الغنم والخيل وغيرها. ابن منظور: لسان العرب، (جشر).

ويدل على ذلك ما قاله الأمير اختيار الدين أكبر أمير أخورية السلطان؛ وكان قد ضم إليه ثلاثين ألف فارس، فكان يقول: إن المرتب معي ثلاثون ألف فارس ولو شئت جعلتها ستين ألفًا من غير أن أتكلف صرف دينار أو درهم، وذلك أنني أستدعي من كل جشار من جشارات خيل السلطان جوبانًا واحدًا فينيفوا على ثلاثين ألفًا، فانظر إلى ما بين الحالتين في الكثرة والقلة والعزة والذلة.

قال: وكان من حمل إليه شيئًا من المأكولات وغيره في تلك الأيام كتب له توقيعًا بمنصب جليل وإقطاع طائل فربما كان الرجل يتولى كتابة التوقيع لنفسه لعدم من يكتب عند السلطان. وكانت هذه التواقيع تسمى التواقيع الجزيرية، وكلها برسالة جلال الدين. فلما ظهر أمر جلال الدين أحضرت إليه التواقيع فأمضاها بكمالها ومن كان معه منديل أو سكين علامة من السلطان بإقطاع أو غيره قبلها جلال الدين وأمضى حكمها.

ذكر وفاة السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش

كانت وفاته بالجزيرة في سنة سبع عشرة وستمائة[1]. وذلك أنه لما استقر بها اشتدت به علة ذات الجنب فمات وغسله شمس الدين محمود بن يلاغ الجاوش ومقرب الدين مهتر مهتران[2] مقدم الفراشين، ولم يكن عنده ما يكفن فيه فكفنه شمس الدين محمود المذكور بقميصه، ودفن بالجزيرة فكانت مدة سلطنته إحدى

---

(١) انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٧٢ وقد وصف ابن الأثير مصير علاء الدين محمد في هذه العبارة فقال «ومن أعظم الأمور على المسلمين أن سلطانهم خوارزم شاه محمدًا قد عُدم لا يُعرف حقيقة خبره، فتارة يقال مات عند همذان وأُخفي موته، وتارة دخل أطراف بلاد فارس ومات هناك. وأُخفي موته لئلا يقصدها التتر في أثره، وتارة يقال عاد إلى طبرستان وركب البحر، فتوفي في جزيرة هناك، وبالجملة فقد عُدم ثم صح موته ببحر طبرستان (أي بحر قزوين أو بحر الخزر) الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٧٦.

(٢) المهتر، يقال الفراش خاناه: ومعناها بيت الفراش وتشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام ولها مهتار يعرف بمهتار الفراش خاناه وتحت يده جماعة من الغلمان مستكثرة مرصدون للخدمة فيها في السفر يعبر عنهم بالفراشين. انظر صبح الأعشى: القلقشندي ج٤، ص١١.
والمهتار: هو لقب واقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت كمهتار الشراب خاناه ومهتار الطست خاناه، ومهتار الركاب خاناه، ومِه بكسر الميم معناه بالفارسية الكبير وتار بمعنى أفعل التفضيل فيكون المعنى المهتار الأكبر. القلقشندي. صبح الأعشى، ج٥، ص٤٧٠.

وعشرين سنة، وكان له من الأولاد خمسة وهم: جلال الدين منكبرتي، وقطب الدين أزلاغ شاه، وآق شاه، وركن الدين غور شايجي - وكان بالعراق - وغياث الدين بير شاه وفيه يقول المنشي: [من المتقارب]

أذل(١) الملوكَ وصادَ القرومَ ... وصيَّرَ كلَّ عزيزٍ ذليلا
وحفَّ الملوكُ به خاضعينَ ... وزفّوا إليه رعيلاً رعيلا
فلمّا تمكّنَ من أمرِهِ ... وصارتْ له الأرضُ إلا قليلا
وأوهَمَهُ العزُّ أنّ الزمانَ ... إذا رامَهُ ارتدَّ عنه كليلا
أتتْهُ المنيةُ مغتاظةً ... وسلتْ عليه حُسامًا صقيلا
فلم تغنِ عنه حُماةُ الرجالِ ... ولم يجد قيلٌ عليه فتيلا(٢)
كذا يفعلُ اللّهُ بالشامتين ... ويُفنيهم الدهرُ جيلاً فجيلا

هذا ما اتفق للسلطان؛ وأما التتار الذين ساقوا خلفه فإنهم خربوا البلاد وسفكوا الدماء واستولوا على الممالك وساووا في القتل بين المملوك والممالك، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبارهم. فلنذكر الآن أخبار أولاد السلطان علاء الدين محمد وما كان من أمرهم بعد وفاة أبيهم ونورد أخبارهم في جملة أخبار أخيهم السلطان جلال الدين فإنه الملك المشار إليه منهم.

ذكر أخبار السلطان جلال الدين منكبرتي(٣)

وقيل فيه منكوبرتي ابن السلطان علاء الدين أبي الفتح محمد بن تكش بن ألب أرسلان بن أتسز بن محمد بن أنوشتكين. ملك بعد وفاة أبيه في سنة سبع عشرة وستمائة، وذلك أن والده السلطان لما اشتد مرضه بالجزيرة خلع قطب الدين أزلاغ شاه من ولاية العهد وفوضها للسلطان جلال الدين بحضور أخويه أزلاغ شاه وآق شاه. وقال: إن عرى السلطنة قد انفصمت والدولة قد وهت قواعدها وتهدمت، وهذا

---

(١) في الأصل «أزال».
(٢) «قفيلاً» في سيرة السلطان جلال الدين للنسوي ص٤٨.
(٣) ترجمته وأخباره في: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي للنسوي. والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٦ ص٢٤٦، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص١٣٠، والدولة الخوارزمية والمغول، لحافظ حمدي ص١٦٧ وما بعدها. تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٠٣. والكامل لابن الأثير، ج١٢، حوادث سنة ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨.

العدو قد تأكدت أسبابه وتشبثت بالممالك أظفاره، وتعلقت أنيابه، وليس يأخذ بثأري منه إلا ولدي منكوبرتي وها أنا موليه ولاية العهد فعليكما بطاعته والانخراط في سلك تباعته. وشدّ سيفه بيده في وسط جلال الدين ثم مات بعد ثلاثة أيام.

قال: ولما دفن السلطان بالجزيرة ركب جلال الدين البحر ومعه أخواه ومعهم زهاء سبعين نفسًا لقصد خوارزم، فلما قاربوها التقوهم منها بالدواب والأسلحة والأعلام، وتباشر الناس بمقدمهم واجتمع عنده من العساكر ممن أضمرته البوادي ونقضتهم المجالس والنوادي زهاء سبعة آلاف فارس، أكثرهم البياووتية ومقدمهم توخي بهلوان الملقب بقتلغ خان، فمالوا إلى أزلاغ شاه للقرابة التي بينهم، وعزموا على القبض على جلال الدين وقتله أو سمله. فعلم إينانج خان بما دبروه، فأعلم بذلك جلال الدين وأشار عليه بالرحيل فرحل صوب خراسان في ثلاثمائة فارس، مقدمهم دَمَر ملك[١] وقطع المفازة الحاجزة بين خوارزم وخراسان وهي ست عشرة[٢] مرحلة في أيام قلائل، وتخلص منها إلى بلد نسا[٣]. وكان جنكزخان لما بلغه عود أولاد السلطان إلى خوارزم وجه إليها عسكرًا كثيفًا وتقدم إلى من بخراسان من عساكره بالتفرق على حافات تلك البرية مترصدين فضربوا على البرية المذكورة حلقة من تخوم مرو إلى حدود شهرستان، حتى إذا همّ أولاد السلطان بالمسير إلى خراسان عند إزعاجهم من خوارزم يقبضون عليهم. وكان بحافة برية نسا منهم سبعمائة فارس فلما خرج جلال الدين من البرية صادفهم أمامه، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا كان الظفر فيه لجلال الدين[٤] عليهم، فعمهم بالقتل وغنم ما معهم، ولم يفلت منهم إلا الشارد. وهذا أول مصاف كان بين جلال الدين وبينهم فتقوى بما غنمه منهم ووصل إلى نيسابور.

وأما أخواه[٥] فإنهما أقاما بعده بخوارزم ثلاثة أيام؛ وأتاهم الخبر بحركة التتار

---

(١) المقصود به تيمور ملك الحاكم السابق لمدينة جند. ابن الأثير، الكامل حوادث سنة ٦١٧.

(٢) في الأصل «ستة عشر».

(٣) نسا: مدينة في خراسان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٢.

(٤) يقول حافظ حمدي: «حاول جلال الدين أن يكسب لنفسه ولدولته بالقوة ما لم يستطع أبوه أن يكسبه بالسياسة والقوة معًا. لذلك عادى جلال الدين كل جيرانه من مسلمين ومسيحيين بلا استثناء، وكان من أثر ذلك أنه لم يجد في النهاية من يقف إلى جانبه عندما عاد المغول فغزوا الدولة الخوارزمية من جديد. الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٦٧.

(٥) في الأصل «أخويه».

فخرجا بمن معهما مجفلين إلى صوب خراسان. فلما انتهوا إلى مرج سابغ[١] ونزلوا به، وافتهم الأخبار أن طائفة من التتار أقبلت في طلبهم، فركب أزلاغ شاه ومن معه ورحل والتتار في طلبه إلى استوى[٢] بلد خيوشان[٣] فأدركه التتار بقرية تسمى فرست[٤]، فوقف لهم واقتتلوا قتالاً شديدًا كان الظفر لأزلاغ شاه عليهم، فسروا بذلك وظنوا أنه لم يكن من التتار بتلك الناحية غير هذه الطائفة التي انهزمت، واستقروا بتلك المنزلة، فلم يرعهم إلا وخيول التتار قد أحدقت بهم إحداق الأطواق بالأعناق فثوى اليسر عسرًا وترادف النصر كسرًا، فكانوا إن شاء الله كما قيل: [من الطويل]

تردى ثياب الموتِ حمرًا فما أتى ... لها الليلُ إلا وهي من سندسٍ خضر

فاستشهد أزلاغ شاه وآق شاه ومن معهما وعاد التتار برأسيهما وقد نصبوهما على الرماح.

ذكر مسير جلال الدين من نيسابور إلى غزنة

قال: وأقام جلال الدين بنيسابور شهرًا يتابع الرسل إلى الجهات في الاحتشاد والاستمداد، إلى أن علم التتارية فأسرعوا نحوه وأعجلوه عن مراده، فخرج من نيسابور في من انضوى إليه من الخوارزمية، إلى أن وصل إلى القلعة القاهرة وهي التي بناها مؤيد الملك صاحب كرمان بزوزن، فهمّ أن يتحصن بها فبعث إليه عين الملك ختن مؤيد الملك - وهو مستحفظها - يحذره ذلك، ويقول: إن ملكًا[٥] لا يحسن به أن يتحصن بقلعة ولو بنيت على قرن الفرقد أو هامة الجوزاء بل أعلا وأبعد، وحصون الملوك متون الحصن، وما للضراغم وللمدن ولو تحصنت بالقلعة لأفنت التتار أعمارهم إلى أن ينالوا الغرض. فأمر جلال الدين بإحضار ما في القلعة من الذهب فأحضر، وفرق أكياسه على من صحبه من خواصه، وفارق القاهرة، وجدّ

(١) هكذا في الأصل. ويرسمها النسوي «سائغ ومرج» وهو من المروج المشهورة بقرب قلعة خرندز، إحدى قلاع خراسان الحصينة. انظر سيرة جلال الدين، ص٧٩، نشر حافظ حمدي.

(٢) تكتب أيضًا أستوا: بالضم ثم السكون، هي كورة من نواحي نيسابور. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٧٥.

(٣) هكذا في الأصل، ويكتبها النسوي «خوشان» سيرة جلال الدين ص١٣٠ (نشر حافظ حمدي).

(٤) هكذا في الأصل، ويرسمها النسوي «وشت» سيرة جلال الدين ص١٣٠ (نشر حافظ حمدي).

(٥) في الأصل «ملك».

السير إلى تخوم بست، فأعلم أن جنكزخان مقيم بالطّالقان[١] بجيوش عظيمة، فتحير في أمره لا يدري ما يصنع. ثم خاطر بنفسه واستمر في السير، فبلغه أن أمين ملك وهو ابن خالة متولي هراة ومقطعها بالقرب منه، وقد أخلى هراة ومعه زهاء عشرة آلاف فارس، والأتراك الذين سلموا من النكبة، فبعث جلال الدين إليه يعلمه بقربه ويحثه على سرعة الوصول إليه، فاجتمعوا واتفقا على كبس التتار المحاصرين قلعة قُنْدُهار[٢] فنهضا إليهم وأوقعا بهم فلم يسلم من التتار إلا من وصل بخبرهم إلى جنكزخان وهم نفر يسير، فأخبروه بما تم على عسكره، فغضب لذلك. وساق جلال الدين حتى أتى غزنة وكان بها كربر ملك ينوب عنه منذ جعلها والده له كما قدمناه، وقد ضبطها. فوصل إليها جلال الدين في سنة ثماني عشرة وستمائة، فسُرَّ الناس بوصوله واتصل به سيف الدين بغراق[٣] الخلجي وأعظم ملك صاحب بلخ، ومظفر ملك صاحب الأيغانية والحسن قزلق وهم في زهاء ثلاثين ألف فارس ومعه عسكره وعسكر أمين ملك مثلها.

ذكر الحرب بين جلال الدين وتولي خان بن جنكزخان وانهزام التتار وقتل تولي خان

قال المنشي: ولما بلغ جنكزخان ما حلّ بعسكره بقندهار، جرد ابنه تولي خان في عسكر كثيف، فاستقبله جلال الدين بنية في الجهاد قوية وهمة في الإسلام أبية. فلما تراءى الجمعان حمل بنفسه على قلب تولي خان، فبدد نظامه ونثر تحت قوائم الخيل أعلامه وألجأه في الانهزام وإسلام المقام، وتحكمت فيهم سيوف الانتقام وقتل تولي خان[٤] فيمن قتل، وكثر الأسر في التتار حتى كان الفراشون يحضرون أساراهم إلى بين يديه فيدقون الأوتاد في آذانهم تشفيًا بهم، وكانت شرذمة من التتار قد حاصرت قلعة ولخ وضايقتها فلما بلغهم ما حلّ بأولئك رجعوا عنها.

---

(١) الطالقان: بلدة بخراسان بين مرو الروز وبلخ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٦.

(٢) قندهار: بضم القاف وسكون النون وضم الدال، مدينة في الإقليم الثالث وهي من بلاد السند أو الهند. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٠٢.

(٣) هي موضع قرب غزنة من نواحي زابلستان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨١.

(٤) «توفي وفاة طبيعية» في جامع التواريخ لرشيد الدين ج١٠، ص٥٥٩.

ذكر الحرب بين جلال الدين وجنكزخان وانهزام جلال الدين

قال: ولما عاد من سلم من المعركة إلى جنكزخان قام بنفسه وعساكره لقصد حرب جلال الدين. واتفق أن العساكر الخلجية فارقوا جلال الدين في ذلك الوقت صحبة سيف الدين بغراق وأعظم ملك ومظفر ملك. وسبب ذلك أنهم لما كسروا التتار زاحمهم الأتراك فيما أفاء الله عليهم من الغنائم، فاتفق أن بعض الأتراك الأرمينية نازع أعظم ملك في فرس من خيل التتار. وطال بينهما التنازع فضربه التركي بمقرعة، فاشمأزت لذلك نفوسهم ونفرت قلوبهم وفارقوا جلال الدين، واجتهد على ردهم فأبوا ذلك. ولما بلغه أن جنكزخان قد قاربه بجيوشه علم أنه لا طاقة له بملاقاته بعد مفارقة هذه الجيوش له، فرأى أن يتأخر إلى حافة ماء السند ثم يستأنف مكاتبة من فارقه، فإن رجعوا إليه لقي جنكزخان بهم وبمن معه من الأتراك. فعاجله جنكزخان عن إمضاء ما دبره؛ وكان جلال الدين قد أصابه قولنج شديد عند خروجه من غزنة ولم يرَ مع ذلك الجلوس في المحفة، وركب الفرس تجلدًا، فمنّ الله عليه بالعافية، فورد عليه الخبر أن مقدمة جنكزخان نزلت بجردين فركب ليلاً وكبس المقدمة فقتلهم ولم يفته إلا من نجا به فرسه. فلما بلغ هذا الخبر هاله، وجلاء جلال الدين إلى حافّة ماء السند، وضاق عليه الوقت عما كان يثق به من جمع المراكب واسترجاع الكتائب، ووصل مركب واحد فأمر بتعبير والدته وحرمه ومن ضمته الدور وحجبته الستور، فانكسر المركب قبل عبورهم(١). ووصل جنكزخان فلقيه جلال الدين واقتتلوا قتالاً شديدًا فحمل جلال الدين بنفسه على قلب جنكزخان فمزقه، وانهزم جنكزخان وكادت الدائرة تكون عليهم، لولا أن جنكزخان كان قد كمن كمينًا فيه عشرة آلاف فارس فخرجوا على ميمنة جلال الدين ـ وفيها أمين ملك ـ فكسروها وطرحوها على القلب، فتبدد نظامه، وتزعزعت عن الثبات أقدامه، وانجلت المعركة عن قتلى مصرعين في الدماء، وغرقى غاطسين في الماء، فكان الرجل يأتي إلى الماء يهوي بنفسه في تياره وهو يعلم أنه غريق لا محالة. وأسر ولد جلال الدين وهو ابن سبع أو ثماني سنين فقتل بين يدي جنكزخان.

---

(١) ورد في كتاب تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٠٣ ما يلي: «وفي هذه الأيام الحالكة التي وقعت فيها غزوة المغول نجد أن جلال الدين خوارزم شاه بما حباه الله من شخصية لامعة يسطع حظه كالشهاب الثاقب والبرق الخاطف ثم تخمد ناره وتنطفىء أنواره دون أن ينتج أو يجدي نفعًا. ولربما خلت صفحات التاريخ من ذكر أمير مثله امتاز بجرأته وإقدامه».

قال: ولما عاد جلال الدين إلى حافة ماء السند كثيرًا رأى والدته أم ولده وجماعة من حرمه يصحن بأعلى أصواتهن: بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الأسر، فأمر بهن فغرقن(١). فهذه من عجائب البلايا ونوادر المصائب والرزايا. وأما العساكر الخلجية المفارقة لجلال الدين فاستنزلهم جنكزخان بعد فراغه من جلال الدين من عصم الجبال والحصون، وقتله أجمعين.

ذكر حال جلال الدين بعد عبوره ماء السند

قال: ولما وصل جلال الدين إلى حافة ماء السند اقتحم بفرسه ذلك الماء العظيم، فخلص إلى البر، وخلص معه أربعة آلاف رجل من عسكره حفاة عراة، وفيهم ثلاثمائة فارس كانوا قد تقدموا جلال الدين ومعهم من خواصه ثلاثة نفر وهم قلبرس بهادر وقابقح وسعد الدين على الشربْدار(٢)، ورمى بهم الماء إلى جهة بعيدة عن القوم ولم يعلموا ما كان منه، فاتصل بهم في اليوم الثاني.

قال: وكان في الزردخانا(٣) الجلالية(٤) شخص يعرف بجمال الزراد، وقد انْتَبَذ قبل الوقعة بما كان له من المال إلى بعض الجهات، فوصل إذ ذاك بمركب فيه ملبوس ومأكول، فوقع ذلك عند جلال الدين موقعًا عظيمًا وولاه أستاذ داريته(٥)، ولقبه اختيار الدين.

---

(١) ورأى جلال استحالة العبور بهن فأمر بإغراقهن. انظر: تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٠٣ حاشية ١.

(٢) الشربدار: هذه الأسماء دُقق بها: في سيرة جلال الدين منكبرتي للنسوي طبعة باريس ١٨٩١م ص٨٥.

(٣) الزردخاناه: دار السلاح، وهي كلمة فارسية مركبة، وهي تشتمل على أنواع السلاح من السيوف والقسي العربية والنشاب والرماح والدروع المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر وغير ذلك من الأخبار وسائر أنواع السلاح، وتعني أيضًا السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١١.
Dozy supp. Dict. Ar.
والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي ص١٦٩.

(٤) نسبة إلى جلال الدين منكبرتي.

(٥) الاستدارية: وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها في المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وهو الذي يمشي بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجري مجرى ذلك للمماليك وغيرهم. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠.

قال: ولما علم زانه شنزه صاحب جبل الجودي بما كان من أمر جلال الدين وانهزامه، وأنه في قلة من أصحابه، ركب في ألف فارس وخمسة آلاف راجل. فقصد جلال الدين عبور الماء إلى جهة التتار ويختفي بمن يسلم معه في الغياض ويعيشون[١] بالغارات، لعلمه أن الجنود إن ظفروا به قتلوه وقتلوا من معه. فحين تواتروا على ذلك توجهت الرجالة لهذا القصد، وتأخر عنهم جلال الدين بمن معه من أصحاب الخيل على رسم الترك، فجاء زانه شنزه، ومعه أعيان أصحابه وخيالته. فلما رأى جلال الدين حمل عليه بمن معه، فلما قاربه رماه جلال الدين بسهم في صدره فقتله وانهزم عسكره وتحمل جلال الدين فيما غنمه من خيله وعدته، وما أفاء الله عليه من أمواله وأسلحته.

قال: ولما سمع قمر الدين نائب قباجة بدبدبة وساقون، تقرب إلى جلال الدين بهدايا جليلة وألطاف، وفي جملتها الدهلين، فوقع ذلك من جلال الدين موقعًا عظيمًا[٢].

ذكر ما كان بين جلال الدين وقباجة من وفاق وخلاف

قال: ثم بلغ جلال الدين أن بنت أمين ملك سلمت من الغرق إلى أوجاهى من مدن قباجة، فراسله جلال الدين يذكر أنها تمت له بقرابة، وأن نساءه غرقن وطلبها، فتقدم قباجة بتجهيزها إليه وجهز معها هدايا تليق بجلال الدين. فقبل جلال الدين ذلك منه وانتظم بينهما الصلح وأمنت البلاد إلى أن قضت الفرقة وتأكدت أسباب الوحشة.

وسبب ذلك أن شمس الملك شهاب الدين ألب، كان السلطان علاء الدين قد استوزره لجلال الدين، فرمته الوقعة إلى قباجة، فأمنه وآواه وأحسن إليه. واعتقد قباجة أن جلال الدين قتل، فاسترسل مع شمس الملك في أمور كان الحزم يقضي إخفاءها عنه، فلما تحقق سلامة جلال الدين استوحش من شمس الملك وندم على ما كان قد أبداه له، ولما بلغ جلال الدين أن شمس الملك عنده استدعاه، فحمل قباجة التوهم منه على قتله فقتله، لما كان قد أودعه من أسرار خشي إذاعتها. ومن ذلك أن قرن خان بن أمين ملك كانت الوقعة طرحته إلى مدينة كلور من مدن قباجة، فشرهت

---

(١) في الأصل «ويعيشوا».

(٢) في الأصل «موقعًا حسنًا».

نفوس عامتها إلى سلبه، فقتل وحمل إلى قباجة من سلبه درة كانت في أذنه فأخذها، فحقد جلال الدين ذلك عليه وأسره في نفسه إلى أن اتصل بخدمته جماعة من الأمراء المفارقين لخدمة أخيه غياث الدين بمن معهم من العسكر، فقويت نفسه بهم وقصد مدينة كلور فحاصرها وداوم القتال والزحف بنفسه فأصابته نشابة في يده، ولم يفتر في القتال ليلًا ولا نهارًا حتى ملكها وملك مقاتلتها ثم رحل منها إلى قلعة برنوزج فحاصرها وباشر القتال بنفسه وأصابته هناك نشابة أخرى، فألحق برنوزج بأختها وتأكدت الوحشة بهذه الأسباب بينه وبين قباجة. ولما رأى قباجة أن بلاده تطوى شيئًا فشيئًا فزع إلى الاحتشاد، فركب في زهاء عشرة آلاف فارس، وأنجده شمس الدين ايلتتمش[١] ببعض عساكره، فعلم جلال الدين بخبره ونيته ليلًا، وأحاط بعسكره فأعجلهم عن الركوب، فانهزم قباجة بنفسه ومن نجا به فرسه، وترك العسكر شاغرًا بما فيه من الخيام والخزائن والعدد المتوفرة، فاحتوى جلال الدين على ذلك.

ذكر الحوادث بعد كسر جلال الدين قباجة وما جرى بينه وبين شمس الدين ايلتتمش

قال: لما كسر جلال الدين قباجة نزل على نهاوور[٢] وكان بها ابن لقباجة[٣] وقد عصى على والده وتغلب عليها، فأقرها جلال الدين عليه على مال يحمله في كل سنة ومال يعجله. ورحل صوب سيستان وبها فخر الدين السلاري واليًا عليها من جهة قباجة، فتلقاه بالطاعة، وسلم إليه مفاتيحها، فجبى المال ثم رحل عنها صوب أوجا فحاصرها أيامًا، وقاتله أهلها فقتل من الفريقين خلق كثير، ثم صالحوه على مال حمل إليه. ورحل صوب خانسر[٤] وكان ملكها من أتباع شمس الدين فخرج طائعًا للخدمة الجلالية. فألقى بها عصى القرار ليريح من معه، فأتاه الخبر أن إيلتتمش قاصده في ثلاثين ألف فارس ومائة ألف راجل وثلاثمائة فيل، فخرج جلال الدين نحوه مجدًا،

---

(١) كان شمس الدين ألتمش أحد أرقاء الترك في الدولة الغورية وقد سار إلى بلاد الهند بعد سقوط هذه الدولة وتمكن من تأسيس إمارة في الجزء الشمالي من هذه البلاد. حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٧٠.

(٢) المقصود هنا مدينة لاهور.

(٣) في الأصل «أينا».

(٤) اعتمد المحقق في تصحيح أسماء المدن الواردة في هذا الجزء على سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي للمنشي النسوي طبعة باريس ١٨٩١ ص٩٠، وذلك لأن معظمها لم يرد في معجم البلدان لياقوت الحموي.

وقدم أمامه جهان بهلوان أزبك باين ـ وهو من حماة الأبطال ـ فساق، وخالفه يزك شمس الدين، فتوسط أزبك عسكر شمس الدين فهجم على جماعة منهم، فقتل منهم وحضر إلى جلال الدين من أخبره بذلك الجمع الكثير ثم ورد عليه برسول إيلتتمش في طلب الموادعة ويقول: «ليس بخفي على ما وراءك من عدو الدين، وأنت سلطان المسلمين وابن سلطانهم، ولست أستحل أن أكون عليك عونًا، ولا يليق بمثلي أن يجرد السيف في وجه مثلك، إلا لضرورة الدفع، وإن رأيت أن أزوجك ابنتي لتزول الوحشة وتتأكد الثقة بيني وبينك فافعل».

فمال جلال الدين إلى ذلك وأصحب رسوله باثنين من أصحابه، يزيدك بهلوان وسنقرجق طايسي، فمضيا إليه وأقاما لديه وترادفت الأخبار على جلال الدين أن ايلتتمش وقباجة وسائر ملوك الهند قد تآمروا على أن يمسكوا على جلال الدين حافة ماء خجنير، فعظمت إذ ذاك بليته وفترت في وجوه العزائم نيته، ورأى أن الزمان حزّب عليه أحزابًا ومتى سدّ للحوادث بجهده بابًا فتح عليه أبوابًا، فاستشار نصحاءه في ذلك، فأشار عليه الذين وردوا من العراق وهم الذين انفصلوا من أخيه غياث الدين أن يقصد العراق وينتزعه من يد أخيه، وأشار عليه جهان بهلوان أزبك باين بلزوم بلاد الهند خشية من جنكزخان واستضعافًا لملوك الهند، فحمله شغفه بحب الممالك الموروثة والحكم فيها على قصد العراق، فاستناب جهان بهلوان على ما كان يملكه من بلاد الهند، والحسن قزلق على ما قد نجا من بلاد الغور وغزنة من صدمات التتار، فاستمر جهان بهلوان فيما ولاه إلى سنة سبع وعشرين وستمائة، ثم طرد عنها ووصل إلى العراق على ما نذكره في موضعه؛ واستمر قزلق إلى حين وفاته.

ذكر طلوع جلال الدين من الهند ووصوله إلى كرمان وما جرى له من الحوادث إلى أن ملك العراق

كان عوده من الهند في سنة إحدى وعشرين وستمائة. قال شهاب الدين محمد المنشي. قاسى جلال الدين ومن معه من رذايا الأرواح المتخلصة من مشتجر الرياح في البوادي، القاطعة بين كرمان والهند، شدائد نستهم سائر الكرب، وأوردتهم بأجمعهم سواقي العطب. وقد أوعزتهم في تلك القفار علالات الشفاه[1]، وبلالات

---

(١) في الأصل «الشفاء».

الأفواه، فضلاً عن الأقوات، فكان الرجل يتنفس عند هبوب السموم كتنفس المحموم. قال: فتخلص إلى كرمان[١] في أربعة آلاف، فيهم ركّاب أبقار وحمر. وكان بها براق الحاجب ينوب عن أخيه غياث الدين بير شاه. وبراق هذا كان حاجبًا لكورخان ملك الخطايية، ورد رسولاً على السلطان مبدأ المكاشفة بينهما، فمنعه أن يعود إلى مرسله رغبة فيه، ثم اتصل بخدمة غياث الدين.

فلما وصل جلال الدين أقام بكراشير[٢] - وهي دار المملكة - شهرًا ثم أحس أن براقًا قد أضمر الغدر به، فقصد جلال الدين القبض عليه واستشار في ذلك، فأشار أورخان بالقبض عليه، وأن يواليه مملكة كرمان ويستظهر بها على غيرها من الممالك. وخالفه في هذا الرأي شمس الملك علي بن أبي القاسم المعروف بخواجه جهان، وقال: هذا أول من بذل الطاعة من نواب الأطراف، وولاة البلاد، وليس كل أحد يتحقق غدره ومكيدته، فمتى عوجل نفرت القلوب واشمأزت النفوس وتبدلت الأهواء، وتغيرت النيات والآراء.

فرحل جلال الدين إلى صوب شيراز، وورد عليه الأتابك علاء الدولة صاحب يزد، مذعنًا بالطاعة[٣]، وقدم له تقادم كثيرة فكتب له توقيعًا بتقرير بلاده عليه. وكان الأتابك سعد صاحب فارس قد استوحش من أخيه غياث الدين لإساءة سبقت، فرغب جلال الدين في إصلاحه لنفسه، وسيّر الوزير شرف الملك إليه خاطبًا ابنته، فأسرع إلى الإجابة والانقياد وزوّجه ابنته وحملها إليه فاستظهر جلال الدين بمصاهرته ثم تقدم من شيراز إلى أصفهان، فخرج إليه القاضي ركن الدين مسعود بن صاعد بأحسن اللقاء، قال: ولما بلغ غياث الدين توسط جلال الدين في بلاده، ركب إليه في جموعه في زهاء ثلاثين ألف فارس، فرجع جلال الدين حين سمع بقربه وقد أيس مما طمحت إليه نفسه، وسيّر إلى غياث الدين أدك أمير أخور؛ وكان من دهاة خواصه، يقول: «إن الذي قاسيته بعد السلطان من الشدائد الفَادحة، لو عرضت على الجبال لأشفقن منها واستثقلتها فأبين أن يقبلنها، وحين ضاقت علي الأرض بما رحبت، وانتفضت يدي عما ورثت وكسبت، وكنت قصدتك لأستريح عندك أيامًا وحيث علمت أن ليس عندك للضيف إلا ظبى السيف، ورجعت بظمأ من الشوق عن المناهل» وسيّر إليه سلب تولي خان بن جنكزخان وفرسه وسيفه. فلما سمع غياث الدين الرسالة انصرف إلى الري، وتفرقت عساكره في المصايف.

---

(١) انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص١٧١.

(٢) كواشر: في سيرة جلال الدين للنسوي، ص١٧٥ نشر حافظ حمدي.

(٣) انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص١٧١.

قال: وكان جلال الدين سيّر صحبة رسوله عدة خواتيم، وأمره بإيصالها إلى جماعة من الأمراء علامات منه، يستميلهم ويمنيهم الإحسان، فمنهم من تناول الخاتم وسكت وأجاب إلى الانقطاع إليه أو التقاعد عن نصرة غياث الدين، ومنهم من سارع إلى غياث الدين فناوله الخاتم، فعند ذلك أمر بالقبض على الرسول المذكور والاحتياط عليه. وبادر إلى خدمة جلال الدين، أبو بكر ملك ـ وهو من بني أخواله ـ وذكر له أن القلوب مجتمعة على محبته، فركب جلال الدين في ثلاثة آلاف ضعاف، وجدّ السير حتى وافى غياث الدين وأعجله عن التدبير. فلما أتاه النذير ركب فرس النوبة إلى قلعة سلوقان، ودخل جلال الدين خيمته وبها بكلواي والدة[1] غياث الدين، فاستوفى لها أدب الخدمة، وشرط التعظيم والحرمة وأنكر انزعاج غياث الدين وإخلاءه[2] مكانه، وذكر لها إشفاقه عليه[3]. فسيرت إليه من سكن روعته، فعاد إلى خدمة أخيه جلال الدين ونزل جلال الدين في منزلة السلطان، وأتته الأمراء واستعفوا مما كان منهم، فأقبل عليهم وعاملهم بالإحسان. ثم جاءه من كان بخراسان والعراق ومازندران من المتغلبين. فمنهم من حسنت سيرته في أيام الفتنة، فأقره وأعاده إلى مكانه، ومنهم من ساءت طريقته فأذيق وبال طغيانه، وتفرقت الوزراء والعمال في الأطراف فضبطوها بتواقيع جلال الدين.

ذكر مسيره صوب خوزستان

ولما تمكن السلطان جلال الدين من أخيه غياث الدين، وصار معه كأحد أمرائه[4]، توجه نحو خوزستان[5]، وشتى بها، ووجه من هناك ضياء الملك علاء الدين

---

(١) من الأسباب التي ساعدت على اضطراب الحالة السياسية في هذه البلاد تحكم أم غياث الدين في أمره حتى أنها تلقبت بلقب «خداوند جهان» أسوة بهذه الألقاب التي تلقبت بها تركان خاتون أم علاء الدين خوارزم شاه. وقد استمر الحال على ذلك في هذه الأقاليم من الدولة الخوارزمية حتى عاد جلال الدين منكبرتي من الهند واستطاع أن يسيطر على الأملاك التي بيد أخيه. انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص١٧٠.

(٢) في الأصل «إخلاؤه».

(٣) «أكد جلال الدين لوالدة غياث الدين الذي فرّ أنه لا يضمر الشر لأخيه، بل إنه يحل من نفسه كما يحل أقرب المقربين إليه» حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٧٣.

(٤) «وأصبح أميرًا كسائر الأمراء التابعين له» انظر الدولة الخوارزمية لحافظ حمدي، ص١٧٣.

(٥) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٢٥ والدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص١٧٥.

محمد بن مودود العارض النسوي رسولاً إلى الديوان العزيز. وكان من قبل ذلك قد جرد جهان بهلوان إيلجي برسم اليزك، فصادف المذكور عسكرًا من عساكر الديوان وعربان خفاجة، فأوقع بهم وأخرق الهيبة، وهتك الحرمة، فعادوا إلى بغداد على وجه غير مرضي، وأحضرت طائفة منهم إلى المخيم الجلالي، فأطلقوا. ووصل ضياء الملك بعد الحادثة إلى بغداد فطال مقامه، وأرجف الناس به إلى أن ملك السلطان مراغة، فأذن له في العود بوفور الحظ من الإنعام.

قال: ولما انجلى الشتاء رحل السلطان نحو أذربيجان، فلما أشرف على دقوقا صعد أهلها السور وشتموه، لما بلغهم من شنه الغارات على بلاد الديوان، فغاظه ذلك وأمر بالزحف عليها، فلم تكن إلا حملة واحدة حتى ملكوا البلد ووضعوا السيف في أهلها. ثم سار نحو أذربيجان. فلما حاذى جبال همذان أتاه إيغان طايسي[١] من أذربيجان، وانتظم في الخدمة.

ذكر ملكه أذربيجان[٢] ومراغة

قال: ولما انتظم أيغان طايسي في الخدمة رحل السلطان صوب أذربيجان، فلما قاربها ورد على شرف الملك كتب من أهل مراغة، حاثين عزائم السلطان بالمسير إليها لضعف الأتابك صاحبها عن دفع الكرج. فساق إليها ودخلها من غير مدافع، وأقام بها أيامًا. ووجه من هناك القاضي مجير الدين عمر بن أسعد الخوارزمي رسولاً إلى ملك الروم وملك الشام ومصر بكتب تتضمن تملكه بلاد أذربيجان وقلعه ما تشبثت بها من أنياب الكرج، وإعلامهم أنه نوى أن يغزو الكرج. ثم رحل من مراغة صوب أذربيجان، وهي أرض معشبة ذات مياه جارية، وقد خرب التتار مدينتها، فأقام بها أيامًا والناس يمتارون من تبريز وبها بنت طغرل[٣] بن أرسلان زوجة الأتابك

---

(١) «يغان طايسي» في الأصل.

(٢) كانت الحالة الداخلية في أذربيجان من العوامل التي ساعدت السيطرة على هذا الإقليم، وكان الأتابك أوزبك بن البهلوان حاكم هذا الإقليم رجلًا مسنًا منصرفًا إلى مجالس اللهو والعبث، لا يهتم بمصالح بلاده، بل إنه ترك مقاليد الأمور لزوجته التي أقامت في حاضرتها تبريز على قدر استطاعتها. وهكذا كان إقليم أذربيجان في حالة شديدة من الفوضى مما ساعد جلال الدين على تحقيق ما يريد. أما أوزبك فإنه رحل إلى مدينة كنجة في أقصى شمالي أذربيجان غير مبالٍ لما يمليه عليه الواجب. حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٧٦.

(٣) آخر سلاطين السلاجقة في العراق وقد قتل في سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٦، ص١٢٢.

أزبك، فلم يمنعوهم. وجاءه من أهل تبريز من أطمعه في ملكها، فسار نحوها، وأحاط بها من كل جانب، فخرج إليه الرئيس نظام الدين ابن أخي شمس الدين الطغرائي، وكان متحكمًا فيها، يملك رقاب أهلها موالاة له ولأسلافه. وتقدم إلى الأمراء بترتيب آلات الحصار من المجانيق والدبّابات والسلاليم، فأخذوا في ترتيب ذلك. فلما كان بعد سبعة أيام(١) خرج إليه رسول من جهة بنت السلطان طغرل في طلب الأمان لها ولجواريها وخدمها، على أموالهم ودمائهم، وعلى أن تكون مدينة خوى مفردة باسمها. فأجاب إلى ذلك، وتسلم تبريز(٢)، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وسير معها خادميه تاج الدين قليج وبدر الدين هلال، فأوصلاها إليها بمن معها من أتباعها. وولى السلطان رياسة تبريز للرئيس نظام الدين.

ذكر كسر السلطان الكرج

قال: ولما ملك السلطان أذربيجان اجتمع الكرج بموضع يعرف بكربى - من حدود دوين(٣) - في ستين ألفًا، وقد قلقوا لمجاورته، وقصدوا باجتماعهم أعلامه بما هم عليه من الكثرة والقوة، لعله يرغب في مهادنتهم. فلما بلغ السلطان اجتماعهم توجه نحوهم فيمن حضر من عساكره، وقد كان أكثرهم تفرقوا إلى إقطاعاتهم بالعراق وغيره. فحين وصل إلى شاطىء نهر أَرُسّ(٤)، وجد هناك أمراء الترك ومقدمهم جهان بهلوان ايلجي، فأعلموه بأن العدو بالقرب منهم، وأن فيهم كثرة، فكان جوابه عن ذلك عبوره إلى المخاضة بفرسه، وتبعته العساكر. فلما انتهى إلى كربى رأى الكرج وقد نزلوا على نشز عال، فلم يتقدموا إليه، وبات ليلته وعليه الحرس حتى الصباح، وقال لأصحابه: إن هؤلاء قصدهم المطاولة. وأمر بالحملة عليهم من كل جهة(٥)، فحملوا عليهم صاعدين إليهم، فبادرت ميسرة السلطان بالصعود، وفيهم غياث الدين

---

(١) شدد جلال الدين الحصار على تبريز حاضرة أذربيجان فسلمت له بعد خمسة أيام. حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٧٧.

(٢) «تسلم تبريز في السابع عشر من رجب» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٣٣.

(٣) «زون» في سيرة جلال الدين للنسوي، وفي الأصل «دوين» ودوين في ياقوت الحموي: بلدة من نواحي أران آخر حدود أذربيجان قرب تفليس. معجم البلدان، ج٢، ص٤٩١.

(٤) أرس: بالفتح ثم الضم والسين المهملة مشددة، يقال له نهر الرس. ويصب في بحر قزوين بعد أن يلتقي بنهر الكر. انظر معجم البلدان: ياقوت الحموي، ج١، ص١٥١، وصبح الأعشى ج٤، ص٤٠٢، وبلدان الخلافة الشرقية: لسترنج، الترجمة العربية، ص٢١١، ٢١٣، ٣١٣.

(٥) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٣٥.

أخوه وأورخان وأيغان طايسي[١] وغيرهم، فحمل عليهم شلوة - وكان من فرسان الكرج المشهورين - والتقى الفريقان برأس الجبل، فولت الكرج، وقتل منهم زهاء أربعة آلاف[٢]، ووقف السلطان على التل، والكرج تساق إليه، وتبع المسلمون من انهزم من الكرج. قال المنشي: حكى شمس الدين القمي، وكان من حجاب الأتابك أزبك - قال: «أرسلني صاحبي إلى الكرج أيام استيلائهم، فخاشنني شلوة[٣] في الكلام، حتى قال وددت أن يكون علي - يعني ابن أبي طالب رضي الله عنه[٤] باقيًا في زماني، لأريه من سطوتي ما ينسى يومي بدر وحنين» فلما كان في هذه الوقعة نزل إلى الأرض ولطخ وجهه بالدم، ونام بين القتلى. فحدث ابن داية غياث الدين وهو صبي به، فأخرجه وأحضره إلى السلطان مكتوفًا فأمنه. قال: ووجه السلطان ملك الخواص تاج الدين قليج إلى تبريز بجماعة من أمرائهم الأسرى ورؤوس القتلى. وساق من المعركة إلى مدينة دوين فزحف عليها وافتتحها في الوقت.

ذكر عوده من دوين إلى تبريز[٥] وتركه الميمنة ببلاد الكرج

قال: لما حصل للسلطان ما ذكرناه من النصر والظفر والفتوح، بثّ غيارته إلى أخريات بلاد أبخاز وفي نفسه قصد تِفليس، فورد عليه كتاب من شرف الملك بتبريز يذكر فيه أن شمس الدين الطغرائي وابن أخيه الرئيس نظام الدين قد تآمرا[٦] على الفتك به والعصيان على السلطان، وكان ذلك إفكًا وزورًا وكذبًا، افتراه من كان يلوذ بشرف الملك من نوابه وخواصه. وذلك أن الطغرائي كان دينًا، منصفًا، حسن السيرة، ذابًا عن الرعية، لا يمكن من الحيف عليهم، تارة بالشفاعة، وطورًا بالتوبيخ والتشنيع؛ ونواب شرف الملك يكرهون ذلك. فلما وقف على الكتاب عزم على العود إلى تبريز، وأحضر أمراء الميمنة بباب سرادقه، وخرج إليهم بعض الحجاب، وقال: السلطان يقول لكم: «إنا قد تحققنا تقصيركم في المصاف، واتفاقكم على أن تولوا

---

(١) «إيغان طائيسي» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٣٥.

(٢) «فالذي تحققناه أنه قتل منهم عشرون ألفًا وقيل أكثر من ذلك» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٣٥.

(٣) «قيل: الكرج جميعهم قتلوا، وافترقوا، وأسر كثير من أعيانهم من جملتهم شلوة» ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٤٣٥.

(٤) في الأصل (عليه السلام).

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٤٣٦.

(٦) في الأصل «قد تؤامروا».

وجوهكم إن حمل الكرج عليكم، وحيث وهب الله لنا النصر والظفر، فقد عفونا عنكم ما تحققناه، على أن تقيموا ببلادها فتقلبوها بغاراتكم ظهرًا لبطن إلى أن تعود إليكم». فضمنوا له ذلك، وأقاموا ثلاثة أشهر يشنون عليها الغارات إلى أن أخلوها قتلًا وسبيًا، ورخصت المماليك الكرجية، حتى أن المملوك منها يباع بدينارين أو ثلاثة.

قال: ورجع السلطان إلى تبريز، وكان رجوعه في شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وأحضر شرف الملك إلى بين يديه من الأوباش من شهد على الطغرائي وابن أخيه بما كان أنهاه عنهما. فأمر بالقبض عليهما. فأما الرئيس فقتل في الوقت وترك بالشارع طريحًا، وأما الطغرائي فحبس وصودر على ما ينيف على مائة ألف دينار كان الذي وصل معها إلى الخزانة السلطانية دون الثلاثين ألفًا، ثم حمل من تبريز إلى مراغة محتاطًا عليه. هذا وشرف الملك يعمل الحيلة على قتله حتى أخذ خاتم السلطان بذلك، وأراد الله تعالى إبقاءه[١] فضنّ النائب بمراغة بقتله، فأعانه بالخيل وهربا جميعًا وسارا إلى أربل ومنها إلى بغداد. وحجّ في سنة خمس وعشرين فلما ازدحم الناس حول الكعبة وقف تحت الميزاب وعلى رأسه مصحف، والحاج من الأقاليم وقوفًا، والذي كان يتولى ركب السلطان فيهم، وقال: «أيها الناس، قد أجمع المسلمون كافة أن ليس لِلّهِ في أرضه مقام[٢] أشرف من هذا المقام، ولا يوم[٣] أجل من هذا اليوم، ولا كتاب[٤] أعظم من هذا الكتاب، وأنا حالف بهذه الثلاثة أن الذي نسبني إليه شرف الملك ما كان إلا إفكًا مفترى». وغلظ بما تغلظ به أيمان البيعة في البراءة، وتفرق الناس إلى بلادهم وتحدث بذلك كل طائفة. وتواترت به الأخبار على السلطان، فعلم عند ذلك براءته، وندم على فعله، وأمنه وأعاده إلى تبريز، ورد عليه أملاكه هذا ما كان من أمره.

قال: وأقام السلطان بتبريز، فصام بها شهر رمضان، وأمر بمنبر فوضع بدار السلطنة، ونص على ثلاثين من علماء الأطراف وفضلائها، وقد حضروا لحاجاتهم، فوعظ كل واحد منهم يومًا والسلطان لجانب المنبر، فشكر منهم من وعظ وقال حقًا، وذم من بالغ في الإطراء.

---

(١) في الأصل «أبقاه».
(٢) في الأصل «مقامًا».
(٣) في الأصل «يومًا».
(٤) في الأصل «كتابًا».

ذكر ملك السلطان كنجة وسائر بلاد أران[(١)]

قال: ولما استقر السلطان بتبريز بعد انصرافه من الكرج، وجه أورخان في رجالة إلى كنجة، فتسلمها وما يضاف إليها من الكور، مثل بيلقان[(٢)] وبرذعة[(٣)] وسكور[(٤)] وشيز[(٥)] فتمكن أورخان بكنجة.

ذكر نكاح السلطان بنت طغرل بن أرسلان

قال: وورد على السلطان نساء من قبل بنت طغرل بن أرسلان وهو بتبريز، يعلمن السلطان برغبتها في أن يملكها، ويعلن أنها أثبتت بالشهود أنها مطلقة من زوجها الأتابك أزبك، فأجابها إلى ذلك وشهد لها أن زوجها حلف بطلاقها أن لا يغدر بفلان وغدر به، وحكم بذلك قاضي تبريز عز الدين القزويني فتزوج بها السلطان جلال الدين وسار بعد عقد النكاح إلى خوى ودخل بها، وزادها على خوى مدينتي سَلْمَاس وأرمية[(٦)] بأعمالهما. قال: وكان الأتابك بقلعة ألنجة من أعمال نَخْجُوان[(٧)] يسمع باستيلاء السلطان على بلاده، فلم يزد على قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ﴾[(٨)] [الأعراف: ١٢٨]؛ فلما بلغه أمر النكاح وأنه برغبة الملكة، حُمَّ لوقته ومات بعد أيام.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٤٣٦.

(٢) بيلقان: إحدى مدن أرمينية، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٠.

(٣) برذعة: بلد في أقصى حدود أذربيجان، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦١.

(٤) لعلها شمكور: وهي قلعة في نواحي آران. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٩٥ «وبها منارة مرتفعة جدًا» انظر صبح الأعشى: القلقشندي ج٤، ص٣٦٣.

(٥) في الأصل «سيبر» والتصحيح من سيرة جلال الدين للنسوي ص٢٠٥. وشيز ناحية من نواحي أذربيجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٥.

(٦) في الأصل «سلمان» و«أرمينية» والتصحيح من النسوي. وسلماس: بفتح أوله وثانيه، مدينة مشهورة بأذربيجان بينها وبين أُرمية يومان، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام، وأرمية: مدينة قديمة بأذربيجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٩.
ولأُرمية قلعة على جبل اسمها قلعة تلا في غاية الحصانة، كان هولاكو قد جعل أمواله فيها لحصانتها والنسبة إلى أرمية أرموي. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٥٩.

(٧) في الأصل «نخوجان» والتصحيح من النسوي. ونخجوان: بالفتح ثم السكون وجيم مضمومة وآخره نون وبعضهم يقولون نقجوان على غير أصلها بلد بأقصى أذربيجان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٧٦.

(٨) الآية الكريمة: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ذكر عوده إلى بلد الكُرج وفتحه تفليس[(١)]

قال: ثم سار السلطان بعد عيد الفطر من سنة اثنتين وعشرين وستمائة إلى غزو الكرج فلما وصل إلى نهر أرُسّ مرض مرضًا شديدًا تعذرت بسببه حركته، فشتا[(٢)] هنالك، وقاسى من معه من شدة الثلوج أمرًا عظيمًا. فلما انكشف الشتاء، تقدم السلطان إلى مروج تِفليس، وجرّ العساكر إليها متجردة عن أثقالها، فوجدها منيعة حصينة، قد بنى معظم سورها على الجبال والشقفان. فخرج عامة أهلها فتأخر الجيش حتى أبعدهم عن المدينة، وحملوا عليهم حملة كان فيها بوارهم، وسبقهم إلى الباب غياث الدين، فملكت المدينة، وتحكمت السيوف في أهلها، وقتل من بها من الكرج والأرمن، وتحصن أجناد الكرج بالقلعة ـ وبينها وبين المدينة نهر عظيم لا يخاض ـ وكان بينهما جسران[(٣)] من الخشب فأحرقا، فلم يبت السلطان حتى عبر النهر إلى صوب القلعة، وأمر بنصب آلات الحصار، فخرج رسول الكرج في طلب الأمان، فأجاب [السلطان][(٤)] إلى ذلك، وتسلمها بما فيها.

ذكر المصاف الكائن بينه وبين التتار بظاهر أصفهان

وفي سنة أربع وعشرين وستمائة وردت الأخبار من خراسان بحركة التتار، وأنهم على عزم العبور، فجمع السلطان عساكره وتوجه إلى أصفهان، وجرد أربعة آلاف فارس صوب الري ودَامَغان[(٥)] لليزك، فكانت الأخبار ترد من جهتهم يومًا فيومًا؛ والتتار يتقدمون واليزك يتأخر، إلى أن عادوا إلى السلطان. ونزل التتار شرقي أصفهان على مسيرة يوم بقرية تسمى السين[(٦)] وفيهم تاجن نوين[(٧)] وباناك نوين وباقو نوين وأسن طغان نوين وياتماس نوين وباشاور نوين وغيرهم. وكان المنجمون أشاروا على السلطان بمصابرتهم ثلاثة أيام والتقائهم في اليوم الرابع، فتأخر عن الملتقى وظن التتار

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٤٦٩.

(٢) في الأصل «فشتى».

(٣) في الأصل «جسرين».

(٤) ما بين حاصرتين إضافة من سيرة جلال الدين منكبرتي للنسوي نشر حافظ حمدي ص٢١٢.

(٥) دامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٣.

(٦) السين: قرية بينها وبين أصفهان أربعة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٣.

(٧) نوين: لقب في زمن المغول، لقب به الأمراء. ورد في القلقشندي لصبح الأعشى ج٤، ص٤٢٣ أن عند الأمراء أربع طبقات أعلاها النوين وهو أمير عشرة آلاف ويعبر عنه بأمير تومان إذ التومان عندهم عبارة عن عشرة آلاف.

أن ذلك فشلاً منه ووهنًا، فجردوا ألفي فارس إلى جبال بلاد اللؤلؤ للإغارة. فاختار السلطان من عسكره ثلاثة آلاف، فأخذوا عليهم المضايق وأوقعوا بهم، وأحضروا منهم إلى السلطان زهاء أربعمائة أسير، فأمر بضرب أعناقهم. ثم خرج للقاء التتار فلما تراءى الجمعان خذله غياث الدين وفارقه بعسكره وطائفة من عسكر السلطان مقدمهم جهان بهلوان إيلجي، فلم يعبأ السلطان بمفارقتهم، وصمم على لقاء التتار، فالتقوا واقتتلوا[١]، وحملت ميمنة السلطان على ميسرة التتار فانهزموا وركبهم السيف إلى تخوم قاشان[٢]، وهم يظنون أن الميسرة فعلت بالميمنة كذلك.

وكان للتتار كمين[٣]، فخرج وقد جنحت الشمس للغروب على ميسرة السلطان، فضربها على القلب، فثبت الأمراء والخانات أصحاب السلطان حتى قتلوا، ولم يسلم منهم إلا ثلاثة وهم كوج تكين بهلوان والحاجب الخاص خان بردى وأودك أمير أخور. وأسر علاء الدولة أبا خان صاحب يزد، أخذه رجل من المرتدة، فأعطاه ما كان معه من المال، فأطلقه فوقع بالليل في بئر فمات. ووقف السلطان في القلب وقد أحاطت به التتار من كل جانب، ولم يبقَ معه إلا أربعة عشر من خواص مماليكه، فالتفت فإذا هو بحامل سنجقه[٤] قد ولى منهزمًا، فلحقه وطعنه فقتله، وحمل على التتار، فأفرجوا له ولخواصه، فخرج. قال: ثم تفرق القلب والميسرة وطرحتهم الجفلة إلى كرمان وأذربيجان، ومنهم من دخل إلى أصفهان. وعادت الميمنة بعد يومين من جهة قاشان، وظنوا أن السلطان بأصفهان، فلَمَّا تحققوا الحال تسحبوا.

قال: وخفي أمر السلطان ثمانية أيام، وكان المصاف في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة. وكان الأتابك إيغان طايسي لم يخرج من أصفهان يوم المصاف لمرضه، فاتفق القاضي ومن تخلف بها من أرباب الدولة على أنهم إن صلُّوا العيد ولم يظهر السلطان أجلسوه على سرير الملك، فلما خرج الناس لصلاة العيد حضر السلطان إلى الصلاة، فسُرَّ الناس به وأقام بها عدة أيام إلى أن تجمع ما تشتت من عساكره المتفرقة.

---

(١) «وكانت ملحمة لم يسمع بمثلها في الملاحم في انهزام كلا الفريقين وذلك في رمضان» ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص١١٣.

(٢) قاشان: مدينة قرب أصبهان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٦.

(٣) في الأصل «كمينا».

(٤) في الأصل «صنجقة» والتصحيح من سيرة جلال الدين منكبرتي ص٢٣٧ (نشر حافظ حمدي).

وأما التتار فإن السيوف نالت منهم منالاً عظيمًا، ولم يخلص منهم مع انتصارهم إلى ما وراء جيحون إلا قليل[١]؛ فإن السلطان لما تجمعت عساكره سار[٢] في آثارهم إلى الري. وحكى ابن الأثير في تاريخه الكامل أن ابن جنكزخان أرسل إلى السلطان إثر هذه الوقعة يقول: إن هؤلاء ليسوا منا[٣].

ذكر ما آل إليه أمر غيّاث الدين

قال: وأما غياث الدين، فإنه لما فارق السلطان عند لقاء التتار، سار إلى خوزستان، وأرسل وزيره كريم الشرق إلى الديوان العزيز معلمًا بمفارقته لأخيه، ويذكر أنه قد جاور الممالك الديوانية زمانًا بالعراق فأحسن الجوار، إلى أن حضر أخوه من الهند فشنّ الغارات عليها وقلبها بطنًا لظهر وسأل أن يُعان على استرجاع ما غصبه جلال الدين من ملكه، ويكون من جملة غلمان الديوان، فأعيد رسوله بوعد جميل، وأنعم عليه بثلاثين ألف دينار. ثم تسحب غياث الدين إلى ألموت لما بلغه ظهور السلطان.

قال: ولما وصل السلطان إلى الري مقتفيًا آثار التتار بعد الوقعة، ففرّق عساكره بتخوم ألموت من حدود الري إلى أَبْخَاز[٤] فصار علاء الدين صاحب ألموت كالمجنون، فراسل السلطان يلتمس الأمان لأخيه غياث الدين ليعود إلى الخدمة، فأجابه إلى ذلك وحلف له؛ وأصحب رسوله رسولين من عنده إلى غياث الدين وهما تاج الملك نجيب الدين يعقوب الخوارزمي وجمال الدين فرج الطشتدار. فلما وصلا إلى غياث الدين ندم على طلبه الأمان، وسأل صاحب ألموت أن يعينه بما يحمله هو ومن معه، فأعانه بثلاثمائة فرس أو أربعمائة، فخرج ووقعت عليه طائفة من العساكر المركزة حول ألموت فلحقوه بحدود همذان وكادوا يمسكونه، ثم خلص منهم ونجا إلى كرمان ـ وبها الحاجب براق نائبه ـ فسار إليه طمعًا في وفائه. فأول ما اعتمده معه أنه تزوج بوالدته على كره منها ومنه. ثم ذكر بعد ذلك أنها قصدت أن تسقيه سمّا

---

(١) في الأصل «قليلاً».
(٢) في الأصل «ثار».
(٣) يقول ابن الأثير في الكامل، ج١٢، ص٤٧٧: «إن هؤلاء ليسوا من أصحابنا، إنما نحن أبعدناهم عنّا».
(٤) أبخاز: بالفتح ثم السكون: ناحية من جبل القبق المتصل بباب الأبواب يسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكرج. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٦٤. وكانت غيبة السلطان جلال الدين ببلاد أبخاز عشرة أيام. الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٦٠.

فقتلها وقتل معها الوزير كريم الشرق وجهان بهلوان إيلجي، وحبس غياث الدين ببعض القلاع، واختلفت الأقاويل في عاقبة أمره، فقيل إن براقًا قتله بعد حين وقيل إنه تخلص من الحبس إلى أصفهان وقتل فيها بأمر السلطان والله أعلم.

ذكر مسير السلطان إلى خلاط ومحاصرتها[١]

قال: وسار السلطان إلى خلاط وكان قدم العساكر والأثقال كلها، وتوجه هو جريدة في ألف فارس صوب نخجوان وحثّ السير إلى ناحية بجنى[٢] وكمن بها ليلاً حتى إذا أصبحت رعية الكرج، وسرحوا بمواشيهم على عادتهم، ضرب عليها وساقها إلى نخجوان، فكان الثور الجيد يباع بدينار. وكان سبب مسيره إلى نخجوان رغبة صاحبتها في الاتصال به، فتزوجها وأقام بها أيامًا، ثم سار حتى أتى خلاط، وقد سبقته العساكر إلى تخومها، وأقامت على مسيرة يوم منها. فلما وصل إليهم ورد عليه رسول من عز الدين أيبك ناب السلطان الملك الأشرف موسى بها، يذكر أن السلطان استنابه، وقبض على الحاجب لإساءته وتطرقه إلى بلاد السلطان جلال الدين وأنه من جملة نوابه، وبالغ في الملاطفة. فأجابه السلطان عن ذلك بجواب مغالط، وقال: إن كنت تقصد رضاي فابعث إلي بالحاجب علي. فلما عاد الرسول بهذا الجواب قتل الحاجب علي، ورحل السلطان، ونزل على خلاط وحاصرها ونصب عليها اثني عشر منجنيقًا كانت العمّالة منها ثمانية.

ذكر الحوادث في مدة حصار خِلاط[٣]

كان من ذلك وصول ركن الدين جهان شاه صاحب أرزن الروم، فتلقاه السلطان أحسن لقاء. وقدم المذكور إلى السلطان ما قيمته عشرة آلاف دينار، وخلع السلطان عليه وعلى أصحابه وأعاده إلى بلده. وأمره أن يجهز إليه ما يمكنه من آلات الحصار، فسيّر منجنيقًا كبيرًا وأتراسًا ونشابًا وغير ذلك.

ومنها أن خان سلطان أخت السلطان[٤] التي كانت أسرت مع تركان خاتون،

---

(١) ابن الأثير: الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٦٠ ـ ٤٦١.

(٢) بجنى: قلعة من قلاع أراك بن إيواني الكرجي. النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي (نشر حافظ حمدي) ص٢٩٢.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٦٢.

(٤) في سيرة السلطان جلال الدين للنسوي ص١٨٣ «إن خان سلطان أكبر بنات السلطان محمد».

واستخصها دوشي خاتون بن جنكزخان لنفسه على ما قدمناه، وصل رسولها إلى السلطان بخاتم كان لابنها أمارة، وهي تذكر أن الخاقان قد أمر بتعليم أولادها القرآن، «وقد بلغه أخبار شوكتك وعزم على مصاهرتك والمهادنة معك، على أن تشاطره الملك على نهر جيحون، فيكون لك ما دونه وله ما وراءه، فإن كنت تجد من قوتك ما تقاومهم وتنتقم منهم فشأنك وما أردت، وإلا فاغتنم السلامة والمسالمة حال رغبتهم فيها» فتشاغل عنها بخلاط ولم يعد عليها جوابًا يقتضي الصلح.

ومنها ورود سعد الدين الحاجب رسولاً من الديوان العزيز إلى السلطان يلتمس أشياء، منها أنه يستصحب معه رسولاً من أجلاء أصحاب السلطان وخواص حضرته ليعود بالخلع؛ ومنها أن السلطان لا يحكم على بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومظفر الدين كوكبري صاحب إربل وشهاب الدين سليمان شاه ملك الأبواب وعماد الدين بهلوان بن هزارسف ملك الجبال، بل يعدهم في جملة أولياء الديوان وأتباعه وخدمه وأشياعه.

ومن جملتها أن السلطان علاء الدين لما رجع من جبال همذان ولم يتم له ما نواه من قصد بغداد، أسقط خطبة الخليفة بعامة ممالكه، واستمر الحال على ذلك. فلما خاطبه رسول الديوان في ذلك أصدر تواقيعه إلى عامة بلاده بالخطبة لأمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر.

ذكر مسير رسول السلطان إلى الديوان العزيز واجتماعه بالخليفة وما اتفق له وعوده بالخلع والتشاريف

قال شهاب الدين محمد المنشي وهو كاتب السلطان جلال الدين: لما انقضت أشغال رسول الخليفة سعد الدين بن الحاجب أعاده السلطان وأصحبه الحاجب الخاص بدر الدين طولق. وكتب السلطان إلى أمير المؤمنين يسأله أن يحضر بين يدي المواقف الشريفة، تميزًا له على سائر الملوك بمزيد الإكرام، فأجيب إلى ذلك. قال المنشي: حدثني الحاجب الخاص قال: كان السلطان أمرني أني إذا حضرت إلى الديوان لا أقبّل يد الوزير بدر الدين القمي[1]، ولا أوفيه حق التعظيم لأمور كان

(١) في الأصل «القمني» والتصحيح من سيرة جلال الدين منكبرتي للنسوي ص٣٠٥ «نشر حافظ حمدي» ولد مؤيد الدين القمي في مدينة قم إحدى مدن العراق العجمي. ونشأ في بغداد وتوفي بها. تولى الوزارة في عهد الناصر والظاهر والمستنصر. توفي سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م في عهد الخليفة المستنصر. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص٢٨٥ ـ ٢٨٧.

ينقمها عليه، ففعلت ذلك امتثالاً لما أمر. فلما مضت أيام فإذا بحراقة في بعض العشيات وصلت إلى منزلي بحافة دجلة، ودخل علي سعد الدين الحاجب، وقال: استعد لخدمة أمير المؤمنين. فركبت الحراقة وركبها سعد الدين معي، فتكلم الملاح بكلمات غريبة لم أفهمها؛ فقفز سعد الدين من الحراقة إلى أخرى بجنبها وتركني منفردًا فيها، فسألته عن ذلك، فقال: ما كنت أعرف أن تلك من المراكب الخاصة، وقد سيّروها لك تشريفًا، فقمت وخدمته وشكرت ودعوت، وسقنا إلى أن وصلنا إلى باب كبير، فدخلت وتأخر سعد الدين ولم يتغير من هناك. فقالت: «لِمَ لا تدخل؟» فقال: «وما منا إلا له مقام معلوم، ليس لي أن أتعدى هذا المقام». وكان خلف الباب خادم، فأوصلني إلى باب آخر وطرق الباب، ففتح فدخلت وإذا بخادم شيخ جالس على دكة وبين يديه مصحف وشمعة، فأجلسني ورحب بي إلى أن جاء خادم آخر أبيض حسن الصورة فصافحني ولاطفني بالعجمي وأخذ بيدي وأوصاني بتعظيم المواقف الشريفة، وحسن الأدب وتقبيل الأرض حيث يشير إلي. فذكر ما اتفق له إلى أن انتهى إلى الستر والوزير قائم فأمر بالوقوف بالقرب من الوزير، ثم قال له أمير المؤمنين: كيف الجناب العالي الشاهنشاهي - وهكذا كان يخاطب في الكتب - ثم وعده بمواعيد جميلة في حق السلطان، وأنه يقدمه على سائر ملوك زمانه، وخلع عليه وأعيد؛ وأصحب بالأمير فلك الدين بن سنقر الطويل وسعد الدين بن الحاجب، معهما خلعة للسلطنة؛ فوصلوا إلى خلاط في فصل الشتاء، والسلطان يحاصرها.

قال: وكان الذي استصحبوه من الأنعام والخلع خلعتين للسلطان إحداهما جبة وعمامة وسيف هندي مرصع النجاد والثانية قباء وكمة وفرجية[1] وسيف قلاجوري محلى بالذهب معرقه الحياصة بالدنانير، وقلادة مرصعة يمنية، وفرسان بالساحات والسرفسارات والطوق أثقل ما يكون وأبهى، وثمان تطبيقات طبقت حوافرها عند التسليم وزن كل تطبيقة منها مائة دينار، وترس ذهب مرصع بنفائس الجواهر، وثلاثون فرسًا من الخيل العربية مجللة بالأطلس الرومي مبطنة الجلال بالأطلس البغدادي وعلى رأس كل جنيب مقود من الحرير وقد ضرب عليه ستون دينارًا خليفتية؛ وثلاثون أو عشرون مملوكًا بالعدة والمركوب، وعشرة فهود بجلال الأطلس وقلائد الذهب، وعشرة صقور مكللة الكمام بصغار الحب، ومائة وخمسون بقجة في كل واحدة عشرة ثياب وخمسة أكر من العنبر الأشهب مضلعة بالذهب، وشجرة عود طولها خمسة أذرع

---

(١) القباء والكمة والفرجية، ثياب متشابهة أشبه بالقفطان.

Dozy. Dict. Vet. Ar.

أو ستة تحمل بين يدي رجلين، وأربع عشرة خلعة برسم الخانات كلها بالخيل والساجات والكرفسارات والطوق وحوائص الذهب والكنابيش؛ وثلاثمائة خلعة برسم الأمراء، كل خلعة قباء وكمة فحسب. وكانت خلعة شرف الملك الوزير عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيفًا[١] هنديًا[٢] وأكرتين[٣] من العنبر وخمسين[٤] ثوبًا وبغلة. وعشرون خلعة برسم أصحاب الديوان كل خلعة منها جبة وعمامة. قال المنشي: «وخصصت من سائر أرباب الديوان ببغلة شهباء جيدة وعشرين[٥] ثوبًا أكثرها أطلسي رومي وبغدادي».

قال: فلبس السلطان الخلع خلعة بعد أخرى في نهار واحد ولبس الناس بعده. ثم خاطب رسولا الخليفة السلطان في الشفاعة في أمر خلاط وترك الحصار فلم يرد عليهما جواب شفاعتهما. ثم بعث إليهما بعد عودهما إلى منازلهما معاتبًا، وقال: قد بلغتماني عن أمير المؤمنين أنه يريد إعلاء أمري وتعظيم شأني وتحكيمي على ملوك الزمان ثم تشيران علي بإزالة الحصار بعد أن آن الفتح؟ وهذا ينافي ما ذكرتما، فاعتذرا، وقالا: «إنما قلنا ذلك شفقة، وخشينا أن يطول الحصار، ولا تتمكن منها فترجع عنها، فيكون ذلك بوساطتنا أسلم من مطاعن المستعجزين» فقبل عذرهما، واستمر الحصار. وكان أهل خلاط قد كفُّوا عن الشتم في أيام حضور رسل الخلافة فلما تحققوا أنهم ما شفعوا عادوا إلى عادتهم في السب والشتم. ثم وردت عليه رسل الملوك، كالملك المسعود صاحب آمد والملك المنصور صاحب ماردين يبذلان الطاعة، فكتب إليهما بالخطبة له في بلادهما.

ومما اتفق له أن امرأة عجوزًا أتته وهي من دهاة الأرض تتكلم بثلاث لغات: الفارسية والتركية والأرمينية، وكان مضمون رسالتها أن ركن الدين العجمي وهو من ذوي الحظ عند الملك الأشرف استدعى من السلطان خمسة آلاف دينار يفرقها في الأجناد بخلاط فتجلب أهواءهم وتسلم للسلطان خلاط. فدفع السلطان لها ألف دينار وقال: إذا ثبت صدقك وعدت برسالة ثانية كملت لك المال، وكانت الرسالة غير صحيحة، فشاع الخبر في العسكر حتى بلغ عز الدين أيبك فقتل ركن الدين، ثم ظفر السلطان بالعجوز بعد فتح خلاط واستعاد الذهب منها وقد صرفت منه ثلاثمائة دينار، وأمر بقتلها فقتلت.

---

(١) في الأصل «وسيف».
(٢) في الأصل «هندي».
(٣) في الأصل «واكرتاه».
(٤) في الأصل «وخمسون».
(٥) في الأصل «وعشرون».

ذكر ملكه مدينة خِلاط

قال: وملك السلطان جلال الدين خلاط في أواخر سنة ست وعشرين وستمائة وقيل إنه حاصرها في أوائل سنة ست وعشرين وملكها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين[١] قال: ولما طالت مدة الحصار وعدمت الأقوات حتى أكل الناس الكلاب والسنانير، أدلى الأمير إسماعيل الإيواني بعض أصحابه ليلاً من السور؛ فحضر إلى السلطان وأعلمه أن إسماعيل يلتمس من السلطان أن يعين له إقطاعًا بأذربيجان ليسلم المدينة، فأقطعه السلطان سلماس وعدة ضياع بأذربيجان، وحلف له على تقريرها بيده ولبس الناس لامة حربهم وأدلى إسماعيل الحبال ليلاً، فطلعت أعلام السلطان مع رجاله، واستعد الناس للزحف. فلما أصبحوا زحفوا على الثلمة فقاتل من بخلاط من بقايا الأجناد القيمرية[٢] قتالاً شديدًا، ثم نظروا إلى الأبراج وإذا أكثرها قد مليت بالرجال والأعلام السلطانية فزحف عليهم من بالأبراج فولوا منهزمين، وأسرت الأمراء القيمرية والأسد بن عبد الله وغيرهم، وتحصن عز الدين أيبك ومجير الدين وتقي الدين ابن الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب بالقلعة. وأراد السلطان أن يحمي خلاط من النهب فغلبوا على رأيه فيها، فأباحها ثلاثة أيام، ومات جماعة كثيرة من أهلها بالعقوبات في طلب الأموال. ثم نزل تقي الدين وناصر الدين القيمري وطلبا الأمان لعز الدين أيبك، فأمنه، ونزل إليه هو ومجير الدين ثم قبض السلطان بعد ذلك على عز الدين وحبسه وترددت رسل الملك الأشرف في الصلح فأمر السلطان بقتل عز الدين أيبك في محبسه فقتل. قال: ولما ملك السلطان خلاط أمر بعمارة ما هدمته المجانيق منها فعمر وأقطع كورها للخانات والأمراء، ثم وردت رسل الديوان بالشفاعة في تقي الدين ومجير الدين، فسلم السلطان تقي الدين خاصَّة.

---

(١) «في سنة سبع وعشرين وستمائة أخذ السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه مدينة خِلاط بعد حصار طويل أقام عليها عشرة أشهر، ولما بلغ صاحبها الملك الأشرف ذلك استنجد بملك الروم وغيره من الملوك وواقع جلال الدين الخوارزمي المذكور وكسره بعد أمور، وقتل معظم عسكره، وامتلأت الجبال والأودية منهم وشبعت الوحوش والطيور من رممهم وعظُم الملك الأشرف في النفوس» ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٤٣.

«في الثامن والعشرين من جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين» في الدولة الخوارزمية لحافظ حمدي، ص١٨٢.

(٢) الأجناد القيمرية نسبة إلى قيمر بفتح القاف وياء ساكنة وضم الميم وراء، وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط، كان معظم أهلها من الأكراد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٤.

ذكر مسيره إلى بلد الروم وانهزامه[١] من عسكري الشام والروم

قال: ولما ملك السلطان خِلاط سار منها إلى منازجرد[٢] ليرتب الحصار، فوصل إليه ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب أرزن الروم نائبًا، وأعلم السلطان باتفاق ملوك الشام والروم عليه وقال: «إن الرأي أن تبادرهم قبل أن يجتمعوا» فصوّب السلطان رأيه، وعرف نصيحته، فاتفقا على أن يقيما بخرتبرت[٣] وينظرا حركة العساكر، فأيهما تحرك أولاً ساقا إليه قبل اتصاله بصاحبه.

فلما وصل السلطان إلى خرت برت مرض مرضًا شديدًا يئس منه من الحياة، وتواترت كتب ركن الدين صاحب أرزن الروم يحرضه على الحركة، ويعلمه بحركة العسكر، والسلطان في شغل بنفسه عن قراءتها. فحين خفّ عنه المرض ركب بعد اجتماعهما، وكان قد أذن لبعض العساكر الأرانية والأذربيجانية والعراقية والمازدندانية في العود إلى أوطانهم، ولم يستحضرهم وسار، وجرد أمامه أوترخان في ألفي فارس برسم اليزك. ثم التقى الجمعان بعد ذلك واقتتلوا قتالاً شديدًا، فكانت الهزيمة على أصحاب السلطان، وأسر ألغ خان وأطلس ملك وعدة من المفاردة[٤]؛ فأمر صاحب الروم بضرب أعناقهم. وأسر ركن الدين صاحب أرزن الروم على ما ذكرناه في أخبار السلجقية ملوك الروم.

قال: وسار السلطان جلال الدين إلى أن وصل إلى منازجرد، فوجد وزيره شرف الملك قد ضايقها ونصب عليها عدة من المجانيق وأشرف على فتحها، فاستصحبه معه إلى خلاط، فلما وافاها حمل ما أمكنه من الخزائن، وأحرق البقية لقلة الظهر وضيق الوقت وفارقها إلى أذربيجان. فلما وصل إلى سكماناباذ، خلف

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٢) منازجرد، أو منازكرد، أو فزيكرت: وتقع بين خِلاط وبلاد الروم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٨، ص١٦٤.

(٣) خرتبرت: بالفتح ثم السكون: وهو الحصن المعروف في أخبار بني حمدان باسم حصن زياد. وهو حصن معروف في أقصى ديار بكر بينه وبين ملطية مسيرة يومين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٥.

(٤) المفاردة: مفردها مفردي. وهم العساكر التابعين مباشرة للسلطان، وفي زمن المماليك في مصر كان لهم ديوان اسمه ديوان المفرد. المقريزي: السلوك ج١، ص٤٨٠.

شرف الملك ومن كان معه من العراقيين هناك برسم اليزك، وأقام بخُوَيّ[١]. وأما أصحاب السلطان الذين كانوا بزكا، فإن الهزيمة استمرت بهم إلى مُوقان[٢]. قال: ولما بلغ الملك الأشرف أن شرف الملك هو المقيم بسكماناباذ راسله في طلب الصلح، وقال: إن سلطانك هو سلطان الإسلام والمسلمين وسيدهم، والحجاب دونهم ودون التتار؛ وغير خاف علينا ما تم على حوزة الإسلام وبيضة الدين بموت والده، ونحن نعلم أن ضعفه ضعف الإسلام. وطلب منه أن يرغبه في الألفة وضمن له من علاء الدين كيقباذ والملك الكامل أخيه، والقيام بما يزيل عارض الوحشة؛ فركن السلطان إلى ذلك، وترددت الرسائل إلى أن تم الصلح[٣].

ذكر وصول مقدمة التتار إلى تخوم أذربيجان ورحيل السلطان من تبريز إلى موقان

قال: كان السلطان قد جرد يرغو أحد بهلوانيته[٤] ليكشف بالعراق أخبار التتار فلما وصل إلى مرج شروان[٥] بين زَنْجَان[٦] وأبهر صادق[٧] يزك التتار، وكان معه من أصحابه أربعة عشر نفسًا فلم ينج منهم غيره، فرجع إلى تبريز بالخبر المزعج. فرحل السلطان من تبريز إلى موقان، إذ كانت عساكره بها متفرقة في مشاتيها، فأعجلته الحادثة قبل أن ينظر في أمر حرمه فيسيرها إلى قلعة حصينة من حصونه، فخلفها

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٩١.

(٢) موقان: وتسمى أيضًا موغان وهي عجمية، ولاية بأذربيجان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٥.

(٣) لما عاد الأشرف إلى خِلاط، ومضى جلال الدين منهزمًا إلى خُوَيّ ترددت الرسل بينهما فاصطلحوا كل منهم على ما بيده، واستقرت القواعد على ذلك وتحالفوا فلما استقر الصلح وجرت الأيمان عاد الأشرف إلى سنجار وسار منها إلى دمشق فأقام جلال الدين ببلاده من أذربيجان إلى أن خرج عليه التتر.

(٤) البهلوان: لفظ فارسي معناه: البطل في الرماية.

Dozy. Dict. Ar.

(٥) في الأصل «مرج شروبان» والتصحيح من سيرة السلطان جلال الدين للنسوي، ص٢٢٠.

(٦) زنجان: بفتح أوله وسكون ثانيه، بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي قريبة من أبهر وقزوين والعجم يقولون زنكان بالكاف. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٢.

(٧) أبهر: بفتح أوله بلد يقع قريبًا من زنجان وقزوين. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٨٢.

بتبريز، وسار فيمن معه من خواصه متوجهًا إلى موقان، حاثًا في السير ليجمع بها متفرق عساكره. فوصلها فوجد عساكره متفرقة، منهم من أقام بها ومنهم من توجه ليشتي بشروان، ومنهم من امتد إلى المكتور[١]. فوجه إليهم البهلوانية بقداح كانت علامات الاستقرار والاستحضار وقد هجم التتار عليهم قبل اجتماعهم وانتقض هذا النظام.

ذكر كبسة التتار السلطان وهو بحد (شيركبوت)

قال: لما انفصلت البهلوانية لجمع العساكر اشتغل السلطان بالصيد وهو في قلّ من العدد زهاء ألف فارس من خواصه، فترك ليلة بقرب شيركبوت، وهي قلعة مبنية على تل بموقان، يحيط بها خندق بعيد القعر، متصل متسع العرض، ينبع الماء منه فيفيض فيسقي البلد. فبينما هو بتلك المنزلة كبسه التتار ليلاً فانهزم وساقوا في أثره. فلما وصل إلى نهر آرس أوهم التتار أن قطع النهر صوب كنجة وعطف إلى أذربيجان، فأقام بماهان[٢]، وهي فضاء كثيرة الصيد فشتا[٣] بها. وكان عز الدين صاحب قلعة شاهق يبعث إلى السلطان ما يحتاج إليه من المأكل وغيره في المراكب. وقد كان قبل ذلك يجاهره بالعداوة، فرضي عنه السلطان كل الرضى، وكان عز الدين يعلم بأخبار التتار فلما انقضى الشتاء أخبره أن التتار قد ركبوا من أوجان[٤] لقصده، وأنهم تحققوا مكانه؛ وأشار إليه بالعود إلى أران فرحل صوبها.

ذكر القبض على شرف الملك وزير السلطان وقتله

قال المنشي: لما نبت الجفلة بالسلطان شرع شرف الملك في تمهيد القواعد لنفسه، وكاتب الملك الأشرف وغيره من الملوك، وذكر رجوعه عن السلطان، ونعت جلال الدين بالمخذول، وكتب إلى نواب الأطراف في ذلك وذكره في كتبه إليهم بالظالم المخذول؛ وصدر منه من الأفعال ما يناسب ذلك، فظفر السلطان بشيء من

(١) «المكتور» في سيرة السلطان جلال الدين للنسوي ص٢٢١.

(٢) ماهان: مدينة تقع جنوب شرقي كرمان. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، الترجمة العربية ص٢٤٥.

(٣) «فشتى» في الأصل.

(٤) أوجان: مدينة في إقليم أذربيجان بظاهر تبريز وهو مكان متسع ذو مروج وبه قصور لأكابر الأمراء. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢٧.

هذه الكتب وكتمها؛ لكنه كان يكتب إلى نواب الأطراف يحذرهم منه ومن امتثال أمره، ويغض منه في كتبه. وكان شرف الملك قد استقر بقلعة حيزان[1] وعمرها وصادر أصحاب السلطان، وجاهر بالعداوة، فلما رجع السلطان من ماهان وقارب حيزان، راسله في النزول إليها وتغافل عن جميع ما صدر منه، وأوهمه أنه باق على ما عهده. ونزل شرف الملك إليه فأكرمه بما لم يكن يعامله به قبل ذلك، فإنه أحضره في مجلس شرابه وشرب معه، ولم تكن هذه عادتهم مع وزرائهم، فسُرَّ شرف الملك بذلك وظن أنه زاده تقريبًا وتعظيمًا.

قال: وسار السلطان حتى قارب قلعة جاريبرد ـ وهي من مضافات أران ـ وعزم على أن يحبس شرف الملك بها، فركب إليها وصعد لكشفها، وصعد شرف الملك معه، فأمر السلطان واليها سرًا ـ واسمه سملان سلك بك وهو شيخ تركي ظالم شرير ـ أنه إذا نزل يمنع شرف الملك من النزول ويحبسه بالقلعة ويقيده. وكان يخشى منه أنه يفارقه إلى بعض الجهات فيثير فتنة، وعزم على حبسه إلى أن تخمد فتنة التتار، ثم يخرجه ويعيده إلى الوزارة من غير تقرير عشر البلاد، بل يقرر باسمه في كل شهر ألف دينار أسوة بوزير الخليفة، ولا يطلق يده في الإطلاقات. فحبس شرف الملك بالقلعة، ونزل إلى متولي القلعة بعد حبسه بأيام وقد جلس السلطان للمظالم، فكثرت الشكوى في متولي القلعة والسلطان لا يجيب في أمره بشيء تألفًا له. فخاف المتولي أن السلطان يعزله، فاتفق مع شرف الملك. وكان السلطان لما اعتقل شرف الملك ضم مماليكه الذين أمّرهم إلى أوترخان وكان كبيرهم ناصر الدين قشتمر، فدخل يومًا على أوترخان بخاتم شرف الملك وقال إن متولي القلعة سيّره إليه يقول: إنني قد واطأت صاحبك على إطلاقه، وإننا نصالح الكرج، فمن رغب منكم في خدمته فليأت القلعة. فلما سمع السلطان بذلك سقط في يده وفتَّ في عضده. وكان ابن المتولي في جملة بهلوانية السلطان وجماقداريته، فبعثه إلى أبيه يقبح عليه فعله ويذكره بإحسانه إليه وأنه ليس لجنايته موجب. فرجع الغلام وأخبر السلطان عن أبيه. أنه على الطاعة إن وثق من السلطان أنه لا يعزله. فقال السلطان مصداق هذا القول إنه يبعث إليه برأس شرف الملك. ووجه صحبة ابن المتولي خمسة من السلحدارية. قال: فلما دخلوا عليه وعلم مقصدهم استمهلهم ريثما يتوضأ ويصلي ركعتين. فلما فرغ من صلاته أذن لهم في الدخول. فقالوا له: ماذا تختار: الخنق أم السيف؟ فاختار السيف فقالوا: إن الملوك لا

(١) حيزان: بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الزاي المعجمة وألف ونون. وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة، وهي كثيرة الأشجار خصوصًا شجر البندق وهي بين جبال. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص٣١٩ ـ ٣٢٠.

تقتل بالسيف، والخنق أهون عليك، فقال: شأنكم وما تريدون. فخنقوه وخرجوا من عنده حتى يبرد ثم يدخلوا عليه فيقطعوا رأسه. فلما دخلوا عليه وجدوه قد أفاق وجلس، فضربوا عنقه. هذا ما نقله شهاب الدين المنشي في سبب قتله.

وقال غيره من المؤرخين[١]: إن سبب خلاف شرف الملك على السلطان وانضمام الناس إليه أن جلال الدين ظهر منه في هذه السنة - وهي سنة ثمان وعشرين وستمائة - نقائص وأمور دلت على نقص عقله، وأوجبت انحراف وزيره وعساكره عنه. فمنها أنه كان له خادم خصي يسمى قلج، وكان جلال الدين يحبه، فمات فأظهر عليه من الهلع والجزع ما لم يسمع بمثله، ولا نقل عن مجنون ليلى ولا غيره من جهّال العرب، الذين ضرب بهم المثل، وأمر الجند والأمراء أن يمشوا في جنازته رجّالة. وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ فمشى الناس كما أمرهم، ومشى هو بعض الطريق راجلاً، فألزمه وزيره وأمراؤه بالركوب، وأرسل إلى أهل تبريز أن يتلقوا الجنازة فتلقوها، فأنكر عليهم لتأخرهم وكونهم ما تقدموا الموضع الذي لقوها فيه، وكونهم لم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما أظهروا، وقصد معاقبتهم على ذلك، فشفع فيهم الأمراء فتركهم ولم يدفن الخادم، وكان يستصحبه معه أين سار وهو يلطم ويبكي، وامتنع من الأكل والشرب. وكان إذا أقدم له طعام يقول: احملوا من هذا إلى قلج، فيحملونه ويعودون فيقولون: هو يقبّل الأرض ويقول: إنني الآن أصلح مما كنت، ولا يتجاسر أحد[٢] يقول: إنه مات، فإنه قيل له مرة إنه مات فقتل القائل. فحصل لأمرائه من الغيظ والأنفة ما حملهم على الخروج عن طاعته والانحياز عنه والانضمام إلى وزيره[٣]؛ فكان ذلك سبب خروجه.

ذكر رحيل السلطان صوب كنجة وتملكها ثانيًا

قال: كان أوباش كنجة[٤] قد قتلوا من بها من الخوارزمية وتجاهروا بالفساد، وملك زمام أمرهم رجل يعرف ببندار وأطاعه الأوباش فبسط يده في المصادرات،

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٤٩٦.

(٢) «ولا يتجاسر أحد أن يقول» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٩٦.

(٣) ورد في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٩٧ أن جلال الدين بقي حيران لا يدري ما يصنع عندها دفن الغلام الخصي، وراسل الوزير فعاد إليه فلما وصل إليه قتله جلال الدين. ويقول ابن الأثير «وهذه نادرة غريبة لم يسمع بمثلها».

(٤) كنجة: هي أكبر مدن الران وإليها تنسب الثياب الكنجية. الحميري: الروض المعطار، ص٤٩٦، ويقول ياقوت: «وأهل المدن يسمونها جنزة» معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٢.

واقتصرت أذيته على من لم يدخل معه في العتو[١]. فوجه السلطان إليه يدعوه إلى الطاعة، ويحذره ويحذرهما من المخالفة، فلم يجيبوا إلى ذلك. فسار السلطان إليها، ونزل ببعض بساتينها، وترددت الرسائل في بذل الأمان والوعد بالعفو، فلم يجيبوا إلى ذلك، وخرجوا للحرب، ورموا خيمة السلطان بالسهام ووصلوا إلى حائط البستان. فركب فيمن حضر من خواصه، وأوقع بهم، وسار حتى دخل المدينة. وأقام بكنجة سبعة عشر يومًا ينتظر ما يسوغه[٢] التدبير، ثم أجمع على الاستنجاد بالملك الأشرف موسى على التتار، وكان جماعة من الجبناء يسيرون عليه بذلك وهو يخالفهم باطنًا ويوافقهم ظاهرًا. فسار إلى خلاط من طريق كيلكون، والغارات تتقلب بلاد الكرج بطنًا لظهر، والسلطان يتابع رسله إلى الملك الأشرف يستنجد به. ولما بلغ الملك الأشرف توجه الرسل إليه يستمدونه، توجه إلى مصر واجتمع رسل السلطان بدمشق، والكتب ترد عليهم من الملك الأشرف بأننا واصلون من مصر لإنجاد السلطان.

مواعيدٌ كما لاحَ سرابُ المهمه القفر فمن يومٍ إلى يومٍ ومن شهرٍ إلى شهرِ

ثم وردت عليه كتب رسله يؤيسونه من إنجاد الملك الأشرف، فبعث إلى الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر يستصرخه بنفسه، ومن عنده ومن حوله من الملوك، مثل صاحب آمد وماردين. فأجاب الملك المظفر أنه غير مستقل بالأمر وإنما هو ينوب عن إخوته. وأما صاحب آمِد وماردين فلم يسمعا الرسالة.

ذكر نزول السلطان بلد آمد[٣] وكبس التتار له وما كان من أمره

قال: لما آيس السلطان جلال الدين من إنجاد الملوك أحضر أمراءه واتفقوا على أن يتركوا أثقالهم بديار بكر، ويتجردوا خفافًا بمن يعز عليهم من نسائهم وأولادهم إلى أصفهان. فورد علم الدين سنجر ـ المعروف بقصب السكر ـ رسول الملك المسعود صاحب آمد رسالة تشتمل على الطاعة والخدمة، ويزين للسلطان قصد الروم، وأطمعه في الاستيلاء عليها وعدَم من ينازعه، ووعد السلطان أن يخرج بنفسه

---

(١) العُتوّ: التجبر والتكبر، ابن منظور: لسان العرب (عتا).

(٢) يسوغه: يسهل له أمره. ابن منظور: لسان العرب (سوغ).

(٣) انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤٩٩.

وأربعة آلاف فارس ولا يفارق خدمته. وكان سبب ذلك أن صاحب الروم قد أوغر صدر الملك المسعود صاحب آمد، واستولى على عدة من قلاعه. فمال السلطان إلى كلامه، وعدل عما كان قد عزم عليه من المسير إلى أصفهان، وعطف صوب بلد آمد، ونزل الجسر بقربها. قال: وشرب تلك الليلة حتى سكر، فأتاه وهنا من الليل شخص تركماني وقال: «إنني رأيت في منزلتك التي كنت بها أمس عسكرًا قد نزلها غير ذي عسكرك بخيل أكثرها شهب» فكذبوه، وقالوا: هذه حيلة. فلما كان قبيل الفجر، أحاط التتار به وبمن معه، فكانوا كما قيل:

فمسّاهم وبسطهم حرير وصَبَّحهم وبسطهم تُراب
ومن في كَفِّهِ منهم قناةٌ كمن في كَفِّهِ منهم خضاب

قال: وأحاط التتار بخركاة[1] السلطان وهو نائم في سكره، وإذا بأورخان قد وصل بأصحابه، وحمل على التتار حتى كشفهم عن الخركاة، ودخل بعض الخواص فأخذ بيد السلطان وأخرجه من الخركاة وعليه طاقية بيضاء. فركب فرسه ولم يذكر في ذلك الوقت إلا الملكة ابنة الأتابك سعد، فجهز في خدمتها من يسوق بها إلى حيث ترميهم الجفلة، وساق وأطلاب التتار تتبعه مجدة في السير خلفه فلما رأى ذلك، أمر أورخان أن يفارقه بمن معه من العسكر ليتبع التتار سواده، ويخلص هو بمفرده، ففعل ذلك.

قال المنشي: ولقد أخطأ، فإن أورخان لما فارقه انضوى إليه خلق كثير، ووصل إلى إربل ومعه أربعة آلاف فارس، وساق إلى أصفهان وملكها زمنًا إلى أن قصدها التتار. وأما السلطان فساق بعد فراقه لأورخان إلى أن وصل إلى باشورة آمد، فرموه بالحجارة ومنعوه الدخول، فتياسر عنها، وانضم إليه تقدير مائة فارس، فرمته الجفلة بهم إلى حدود جزيرة، وبها الدربندات المنيعة، فمنعوه من العبور، فأشار عليه أوترخان بالعود، وقال: إن أسلم الطُّرقِ اليوم طريق سلكه التتار، فرجع ووصل إلى قرية من قرى ميافارقين ونزل ببيدرها وسيّب الخيل لتستوفي شبعها، ثم ركب أوترخان وفارقه في ذلك الوقت جبنًا منه وخورًا، ووثوقًا بما كان بينه وبين الملك المظفر شهاب الدين غازي من المكاتبات، وأقام السلطان بالبيدر طول ليلته، فلما أصبح طلع عليه طائفة من التتار فركب وعوجل أكثر من معه عن الركوب فقتل بعضهم وأسر بعضهم (والله أعلم).

(١) الخركاة: وهي بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشّى بالجوخ ونحوه، تحمل في السفر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٨.

ذكر مقتل السلطان جلال الدين وانقراض الدولة الخوارزمية

كان مقتله رحمه الله في النصف من شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة[١] وذلك أنه لما كبسه التتار بالبيدر وركب، أخبرهم من أسر من رافقه أن الذي انهزم هو السلطان، فجدُّوا في طلبه وساق خلفه منهم خمسة عشر فارسًا، فلحقه منهم فارسان فقتلهما، ويئس الباقون من الظفر به فرجعوا، ثم صعد جلال الدين إلى جبل. وكان الأكراد يحفظون الطرق لما يتخطفونه[٢] فأخذوه وسلبوه على عادتهم بمن يظفرون[٣] به، وأرادوا قتله فقال لكبيرهم سِرًا: «إنني أنا السلطان فلا تعجل بقتلي، ولك الخيار في أن تحضرني عند الملك المظفر شهاب الدين فيغنيك أو إيصالي إلى بعض بلادي فتصير مَلكًا» فرغب الرجل في إيصاله إلى بلده، ومشى به إلى عشيرته، وتركه عند امرأته ومضى بنفسه إلى الخيل لإحضار ما يحمله عليه. فلما توجه الكردي جاء شخص من سفلة الأكراد وأراذلها وبيده حربة، فقال للمرأة: ما هذا الخوارزمي؟ ولمَ لا تقتلونه؟» فقالت: «قد آمنه زوجي وهو السلطان» فقال الكردي: «كيف تصدقون أنه السلطان وقد قتل لي بخلاط أخ خير منه» وضربه بالحربة ضربة فمات منها. فكانت مدة ملكه منذ وفاة أبيه اثنتي عشرة سنة تقريبًا.

قال: وكان أسمر قصيرًا، تركي العبارة. وكان يتكلم بالفارسية، وكان حليمًا عفيف اللسان لا يكاد يضحك إلا تبسمًا، وكان يحب العدل[٤]. قال المنشي: وكان

(١) ورد في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٢٤٦ ما يلي: «ولما قتل السلطان جلال الدين دخل جماعة على الملك الأشرف موسى فهنؤوه بموته، فقال: تهنّوني به وتفرحون! سوف ترون غِبّة! (أي ما سيأتي) والله لتكوننّ هذه الكسرة سببًا لدخول التتار إلى بلاد الإسلام، قتل السلطان جلال الدين سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص١٣٠ «قتله أحد الفلاحين سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م» في تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٠٣.
ولا يعلم ابن الأثير شيئًا عن مقتله إذ يقول: «وأما جلال الدين فإلى آخر سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة لم يظهر له خبر وكذلك إلى سلخ سنة تسع لم نقف له على حال والله المستعان» الكامل في التاريخ ج١٢، ص٥٠٤.

(٢) في الأصل «يتخطفوه». (٣) في الأصل «ظفروا».

(٤) اختلف المؤرخون في تصوير شخصية جلال الدين منكبرتي وتباينت آراؤهم فيه.
يصفه ابن الأثير بقوله: «وكلان جلال الدين سيىء السيرة، قبيح التدبير لملكه، لم يترك أحدًا من الملوك المجاورين له إلا عاداه، ونازعه الملك، وأساء مجاورته» الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٤٩٥.

يكتب إلى الخليفة في مبدأ خروجه من الهند والوحشة قائمة، حذوًا على منوال أبيه خادمه المطواع منكوبرتي ابن السلطان سنجر. ولما أتته الخلع الخليفتية بالسلطنة كتب إليه «عبده» والخطاب: «سيدنا ومولانا الخليفة أمير المؤمنين وإمام المسلمين، خليفة رسول رب العالمين، إمام المشارق والمغارب المنيف على الذروة العلياء من لؤي بن غالب» وكان يكتب إلى علاء الدين كيقباذ وملوك مصر والشام أجمع اسمه واسم أبيه منعوتًا بالسلطان، ولا يزيدهم على ذلك. وكانت علامته على تواقيعه «النصرة من الله وحده». وكان يكاتب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وأشباهه بهذه العلامة وخوطب من الخليفة في مبدأ طلوعه من الهند: الجناب الرفيع الخاقاني ولم يزل يقترح عليهم أن يخاطب بالسلطان، فلم تحصل الإجابة لذلك إذ لم تجرِ به عادة، فلما كثر إلحاحه خوطب بالجناب العالي الشاهنشاهي.

وانقرضت الدولة الخوارزمية بقتل السلطان جلال الدين، وكانت مدة قيام هذه الدولة منذ ولي خوارزم شاه محمد بن أنوشتكين خوارزم من قبل أمير داذ حبشي متولي خراسان في شهر رجب سنة تسعين وأربعمائة، وإلى أن قتل السلطان جلال الدين هذا، مائة سنة وثمان وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وأيامًا. وعدة من ولي منهم سبعة وهم خوارزم شاه محمد بن أنوشتكين[١]، ثم ابنه أتسز بن محمد[٢]، ثم ابنه إيل أرسلان بن أتسز[٣]، ثم ابنه سلطان شاه محمود بن إيل أرسلان[٤]، ولم تطل

= ويقول عنه ابن العماد الحنبلي: «أحد من يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام» وافتتح غير مدينة وسفك الدماء وظلم وعسف وغدر ومع ذلك كان صحيح الإسلام.. وكان سدًا بين المسلمين والكفار فلما مات انفتح السد» شذرات الذهب، ج٥، ص١٣٠ ـ ١٣١.

وقال دوسون D'osson مصورًا إياه في صورة الجندي لا في صورة الحاكم السياسي: كان يميل إلى الأبهة، شديد الولع بالخمر والموسيقى، حتى في أشد ساعاته حرجًا، وكانت جيوشه التي لا يدفع أرزاقها تعيش على السلب والنهب.

D'osson: Histoire des Mongols, Tome iii p.03.

(١) كان يلقب بقطب الدين. ولي الحكم سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م الدكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٤، ص٩٧.

(٢) ولي الحكم سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٩٧.

(٣) في الأصل ألب. ولي الحكم سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ولي الحكم سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أيامه[١]، ثم أخوه علاء الدين تكش[٢]، ثم ابنه علاء الدين محمد بن تكش[٣]، ثم ابنه جلال الدين منكوبرتي[٤].

ذكر أخبار الدولة الجنكزخانية وابتداء أمرها وما تفرع عنها

والدولة الجنكزخانية هي دولة التتار وقيل فيهم التاتار، وهذه النسبة إلى جنكزخان التمرجي[٥]. ونحن نذكر ملخص أخباره وابتداء ظهوره وما كان من أمره إلى أن ملك البلاد، ونشرح من ذلك ما لخصناه مما طالعناه ونورد ما تلقفناه من أفواه الرجال وسمعناه. ولما اتسعت ممالك هذه الدولة وبعدت، وكانت بين المؤرخين الضالة التي ما نشدت، تعذر علينا أن نتحقق أحوالها، ونجوس خلالها ونستوعب أخبارها، ونستقصي آثارها. ولم يمكن أن نخلّ بها وقد اشتهرت، ونطوي أخبارها وقد انتشرت، فأوردنا من أخبار ملوكها طرفًا على غير مساق، ونبذة على غير اتساق، مما أورده المنشي في تاريخه الجلالي، وعز الدين بن الأثير الجزري في تاريخه الكامل. وأما غيرهما ممن لعله أرّخ لهم فلم يصل ما أرخه إلينا، ولا ورد ما دونه من أخبارهم علينا، فنقلنا ما نورده مما لم يتضمن تاريخيهما، وما بعدهما مما نقل إلينا عن رسلهم الذين وردوا إلى أبواب ملوكنا من جهتهم، ومن غيرهم ممن ورد من تلك البلاد على ما سنقف عليه إن شاء الله. ولنبدأ بذكر أخبار جنكزخان.

---

(١) توفي سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م. د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ج٤، ص٩٧.

(٢) ولي الحكم سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م. د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ج٤، ص٩٧.

(٣) ولي الحكم سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م. د. حسن إبراهيم حسن المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ولي الحكم سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م. د. حسن إبراهيم حسن، المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) اسمه في الأصل تمرجين، ولما عظم شأنه سمي جنكزخان وقد ذكر بعضهم أن الصواب في النطق به جنكص خان بالصاد بدل الزاي. انظر صبح الأعشى: القلقشندي ج٤، ص٣٠٥.
ترجمته وأخباره في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٦١ وفيه يعرف بتموجين. وصفحات متفرقة من الكامل حسب تسلسل الحوادث في الجزء ١٢. وفي صبح الأعشى للقلقشندي ج٤، ص٣٠٥ ـ ٣١١ و٣٥٦، والدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص١٩١ وما بعدها. والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٢٣٨. وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٣٦ وما بعدها. وفيات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ج١، ص٣٠١ ـ ٣٠٣ رقم ١٠٩.

ذكر أخبار جنكزخان التمرجي
وابتداء أمره وسبب ظهور ملكه

وجنكزخان التمرجي هو أصل هذه الدولة، والقائم بأمرها، والناشر لذكرها. وإليه يرجع سائر ملوكها الذين استولوا على أقاصي البلاد وأدانيها، ورقاب العباد ونواصيها من الصين إلى الفرات وما دانا ذلك وتخلله وجاوره من الممالك والمدن والحصون والقلاع والأقطار. وقد اختلف في نسبة جنكزخان إلى التمرجي فقال قوم إنه كان حدادًا والتمرجي بلغتهم هو الحداد، وقال قوم بل هي نسبة إلى قبيلة تعرف بالتمرجي، وأنهم سكان البراري ببلاد الصين وجين الصين. وتسمى هذه البلاد بلغتهم جين وماجين بين الجيم والشين[1]. ومسيرة أقطارها ستة أشهر، وبها جبال منيعة تحيط بها كالسور، بها الأنهار العذبة المتسعة، وقيل إنه يحوي ملك الصين سور واحد لا ينقطع إلا عند الجبال المنيعة والأنهار الوسيعة وكان ملك الصين ينقسم قديمًا إلى ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى أمره خان، والخان بلغتهم الملك، يحكم ذلك الخان على القوم القاطنين بذلك السقع، ومرجع هؤلاء الخانات الستة[2] إلى خان واحد هو ملكهم الأكبر، ومقامه بطوغاج بوسط أرض الصين، وله مصايف ومشاتي يصيّف في هذه ويشتي في الأخرى...

وأما مبدأ أمر جنكزخان وسبب ملكه فقيل إنه تزهّد مدة طويلة وانقطع بالجبال. وكان سبب زهده أنه سأل بعض اليهود فقال له: «بمَ أعطى موسى وعيسى ومحمد هذه المنزلة العظيمة، وشاع لهم هذا الذكر»، فقال له اليهودي: «لأنهم أحبُّوا الله وانقطعوا إليه فأعطاهم»، فقال جنكزخان: «وأنا إذا أحببت الله وانقطعت إليه يعطيني؟» قال: «نعم، وأزيدك أن في كتبنا أن لكم دولة ستظهر» فترك جنكزخان ما كان فيه من عمل الحديد أو غيره وتزهد، وفارق قومه وعشيرته، التحق بالجبال وكان يأكل من المباحات، فشاع ذكره فكانت الطائفة من قبيلته تأتيه للزيارة فلا يكلمهم، ويشير إليهم أن يصفقوا بأكفهم، ويقولوا: يا الله يا الله يخشى در، فيفعلون ذلك ويوقعون له وهو يرقص، فكان هذا دأبه وطريقته مع من يقصده للزيارة، وهو مع ذلك لا يدين

---

(١) تكتب بالجيم المثلثة (ج) وهو الحرف الفارسي الذي ينطق تشي أو مثل ch في اللغة الإنكليزية.

(٢) «أما مصير الملك إليه فقد اختلف فيه على مذهبين» انظر صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٣٠٦ - ٣٠٧.

لديانة[١] ولا يرجع إلى ملة بل مجرد محبة الله بزعمه، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث فهذه كانت بدايته.

وأما سبب ملكه فحكى شهاب الدين محمد المنشي وغيره في سبب ملك جنكزخان أنه كان من جملة الستة خانات الذين يحكمون على مملكة الصين خان يسمى دوشي خان. وكان الخان الكبير الذي مرجع الستة إليه في زمن ظهور جنكزخان التمرجي ملك اسمه الطون خان فاتفقت وفاة دوشي خان أحد الخانات الستة ولم يخلف ولدًا، وله زوجة هي عمة جنكزخان التمرجي، فاختارت أن ترتبه مكان زوجها دوشي خان. وكان الخان الأكبر غائبًا عن مدينة طوغاج[٢] فلما قصدت ذلك أرسلت إلى اثنين من الخانات الستة يسمى أحدهما كشلوخان والآخر جنكزخان وهما متوليان على ما يتاخم ولاية زوجها دوشي خان، فأعلمتهما بوفاة زوجها، وأنه لم يخلف ولدًا، وأنها تقصد ترتيب ابن أخيها مكانه. وسألتهما الإعانة والمساعدة على ذلك. فأجاباها إليه وأشارا أن تقيمه مقام زوجها، وضمنا لها أمر التون خان الأكبر. فأقامته ولقبته جنكزخان، وانضم إليه أقوام من عشيرته. فلما عاد التون خان إلى طوغاج حضر الخانات إلى خدمته وجاء كل منهم بما جرت به العادة من التقادم، وعرض عليه الحجاب الأمور التي اتفقت في غيبته، وقدموا بين يديه التقادم إلى أن وصلوا إلى تقدمة جنكزخان التمرجي بحضور الخانين اللذين أشارا على عمته بتقدمته. فعجب التون خان من توليته في غيبته، وكونه ترشح لما لا يستحقه، فغضب من ذلك وخرج وأمر أن تقطع أذناب خيله وترد مطرودة. ففعل ذلك وشتمه الحجاب وشتموا صاحبيه كشلوخان وجنكزخان، وبالغوا في وعيده ووعيدهما. فلما خرجوا من بين يديه نزعوا أيديهم من الطاعة وانفردوا عن الخان الكبير التون خان[٣]، وخالفوه وانضم إليه خلق كثير، فكثرت جموعهم وأهم التون خان أمرهم، فكاتبهم يعدهم تارة

---

(١) من عادة بني جنكزخان أن كل من انتحل منهم مذهبًا لم ينكره الآخر عليه، ثم الذي كان عليه جنكزخان في التدين وجرى عليه أعقابه بعده الجري على منهاج ياسة التي قررها وهي قوانين خمنها من عقله وقرّرها من ذهنه رتب فيها أحكامًا وحدد فيها حدودًا ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية. وأكثرها مخالف لذلك سماها الياسة الكبرى. وأمر أن تجعل في خزانته تُتوارث عنه في أعقابه وأن يتعلمها صغار أهل بيته منها أن من زنى قتل ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل، ومن وجد أسيرًا أو هاربًا أو عبدًا ولم يردّه قتل الخ... انظر تفاصيل ذلك في صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٣١٠ ـ ٣١١.

(٢) يرسمها القلقشندي «طمغاج» وهي قاعدة الصين، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠٧.

(٣) «الطرخان» في صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٣٠٧.

ويتهددهم أخرى، على أن يرجعوا إلى الطاعة، فأبوا إلا الخلاف. فلما أيس التون خان من رجوعهم إلى الطاعة جمع جموعه وخرج فالتقوا واقتتلوا فكسروه، وقتلوا من قبائل الترك الذين معه مقتلة عظيمة، وهرب التون خان بنفسه إلى وراء كنك[١] وأخلى البلاد، فتمكنوا منها وملكوها، وضعف أمر التون خان ووهى حتى راسلهم يطلب المهادنة وقنع بالسقع الذي انتهى هربه إليه، فأجابوه إلى ذلك.

واستمر الأمر بين الثلاثة: كشلوخان وجنكزخان الأكبر، وجنكزخان الأصغر تمرجي، هذا على المشاركة، فكانوا كذلك إلى أن مات جنكزخان الأكبر، وبقي كشلوخان، وجنكزخان تمرجي مشتركين في الأمر، وامتدت أيديهما في البلاد، وسارا إلى بلاساغون[٢] فملكاها وما يتاخمها ويدانيها من البلاد. فاتفقت وفاة كشلوخان فقام ولده مقامه، ولقب كشلوخان بلقب أبيه، فلم ينصفه جنكزخان واستضعف جانبه لحداثة سنه، ولم يعامله بما كان يعامل به أباه من الاشتراك في الأمر والنهي والتناصف في قسمة الممالك. فجرى بينهما مراسلات ومعاتبات أفضت إلى مفارقة كشلوخان بن كشلوخان إلى قيالق والمالق[٣]، فصالحه صاحبها ممدوخان بن أرسلان واتفقا وتعاضدا.

واتفق أن كورخان خان الخانية ملك الخطا كان بينه وبين السلطان علاء الدين محمد بن تكش من الحروب ما ذكرناه في أخباره، وكان السلطان علاء الدين لما هزم كورخان التجأ إلى حدود كاشغر فقصده كشلوخان وممدوخان وأرادا أنهما يجلسانه على تخت الملك لينضاف إليهما بسببه قبائل الترك، فنهضا إليه من قيالق وكبسا عليه وهو بحدود كاشغر وأخذاه وأجلساه على سرير الملك. وكان كشلوخان يقف بين يديه عند الإذن العام موقف الحجاب، فيشاوره في سائر الأمور ولا يعمل منها إلا بما يختاره، فكانت واقعتهم هذه شبيهة بواقعة السلطان سنجر شاه السلجقي مع الغز لما أسروه، قال: واستوليا على خزانته وأمواله وذخائره، فبلغ السلطان علاء الدين محمد بن تكش ذلك، فأرسل إلى كشلوخان يطالبه بإرساله إليه ويتهدده إن أخره عنه، ويقول: إنه كان هادنه على أن يزوجه ابنته طوغاج خاتون ويزفها إليه بما في خزانته من الجواهر النفيسة والأعلاق الثمينة، على أن يتركه في أخريات بلاده؛ فما أجاب إلى ذلك، ودافعه عنه بالملاطفة والممالطة.

---

(١) كنك: بالكسر ثم السكون اسم واد في بلاد الهند. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٤.

(٢) «بلاد ساغون» في صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٤٢٩ وهي في مملكة توران.

(٣) المالق: إحدى مدن تركستان. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٤٢.

وفي أثناء ذلك بلغ جنكزخان تمرجي أن كشلوخان استولى على كاشغر[١] وبلاساغون وأن ملك الخطا قد وقع بين يديه، فبعث إليه ولده دوشي خان[٢] في زهاء عشرين ألف فارس فأوقع بهم دوشي خان بن جنكزخان، وغنم ما معهم وذلك في سنة ثنتي عشرة وستمائة وكان السلطان علاء الدين قد عبر النهر لقصد كشلوخان وقتاله، فبلغه أن دوشي خان بن جنكزخان أوقع به، وجاءته رسالة دوشي خان مع مَن يقول له: إنه يقبّل الأرض ويعتذر من عبوره إلى البلاد، ويقول: إنه إنما عبر لطلب كشلوخان وينازله في رسالته وقال: إن الغنائم بين يديه إن شاء أن ينعم على من باشر القتال بشيء منها، وإلا فالأمر إليه وإلا يرسل من يتسلمها ويسوقها إلى عنده، وذكر له أن أبا جنكزخان أوصاه بسلوك الأدب في خدمة السلطان علاء الدين إن صادفه أو صادف بعض عساكره. فلم يصغ علاء الدين إلى كلامه وقال: إن كان جنكزخان أمرك أن تقاتلني فالله أمرني بقتالك. وتقدم إليه والتقيا، فكسر دوشي خان ميسرة السلطان علاء الدين ومزقها، وكادت تكون الهزيمة حتى عطفت الميمنة على ميسرة دوشي خان ثم حجز بينهما الليل فأججوا نيرانًا كثيرة. وركبوا وساقوا في تلك الليلة مسيرة يومين، وتمكن الرعب في قلب السلطان محمد وعاد إلى سمرقند[٣]. ثم راسل جنكزخان السلطان علاء الدين خوارزم شاه وهاداه، وطلب منه أن يفسح للتجار أن تتواصل من بلادهما واتفقا على ذلك على ما قدمناه في أخبار خوارزم شاه.

ذكر خروج التتار إلى البلاد الإسلامية

كان سبب ذلك أن جنكزخان لما راسل السلطان محمد وهاداه، وانتظم بينهما الصلح، وفسحا للتجار في الوصول إلى بلاد الإسلام وبلاد الصين، فلم يزل الأمر على ذلك إلى أن وصل إلى أترار[٤] - وهي من ممالك السلطان علاء الدين محمد - عدة من تجار جنكزخان. وكان بها ينال خان ينوب عن السلطان، فقتلهم وأخذ

---

(١) كاشغر: هي مدينة قريبة من سمرقند، وهي في وسط بلاد الترك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٣٠.

(٢) يكتب أيضًا توشي خان. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص٣٠٨.

(٣) سمرقند: بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سُمْران بلد معروف مشهور قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٦.

(٤) أطرار: بالضم وراءين مهملتين: اسم مدينة حصينة وولاية واسعة في أول حدود الترك بما وراء النهر على نهر سيحون قرب قاراب، وبعضهم يقول: أترار. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢١٨. وفي الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٦٢ وردت «أوترار».

أموالهم. فاتصل ذلك بجنكزخان، فراسل السلطان يلومه على ذلك، ويقول: إنك كتبت خطك وأمانك للتجار، وقد غدرت ونكثت[١]، فإن زعمت أن الذي ارتكبه ينال خان كان عن غير أمرك فسلمه إلي لأجازيه على فعله، وإلا فأْذن بالحرب. فقتل رسله كما قدمنا ذلك في أخبار خوارزم شاه، فعند ذلك تجهز جنكزخان لقصد البلاد الإسلامية. وكان من سوء تدبير علاء الدين خوارزم شاه وتفرقة عساكره في كل مدينة من مدن ما وراء النهر ما ذكرناه، فتجهز جنكزخان بجموع التتار، ولما شارف البلاد الإسلامية تياسر صوب أترار واستولى عليها بعد قتال شديد، وأحضر ينال خان بين يديه وأمر بسبك الفضة وقلبها في أذنيه وعينيه، فمات.

ذكر استيلاء جنكزخان على بخارى

قال: ولما استولى جنكزخان على أترار وقتل النائب بها، ورتب الحيلة التي أوقع بها بين السلطان علاء الدين خوارزم شاه وبين أمه وأخواله على ما قدمناه في أخبار الدولة الخوارزمية، تقدم إلى بخارى، وقصد بذلك أن يقطع بين السلطان وبين عساكره المتفرقة، حتى أنه لو أراد جمعهم لعجز عن ذلك فلما انتهى إليها حاصرها، وقدم بين يديه رجال أترار، وداوم الحصار والقتال ليلاً ونهارًا وكان بها الأمير اختيار الدين كشلي أمير آخور[٢] وأغلى حاجب الملقب بإينانج خان في ثلاثين ألف فارس، فلما رأوا أنها قد أشرفت على الأخذ تخاذلوا، وأجمعوا على الهزيمة، فخرجوا وحملوا على التتار حملة رجل واحد، فأفرجوا لهم وانهزموا أمامهم حتى كادت الهزيمة تكون على جنكزخان، وظن أنهم يعودون للقتال. فلما علم جنكزخان أن مقصدهم الهرب أرسل في آثارهم من أكابر التتار من يتبعهم ويتخطفهم إلى أن وصلوا إلى حافة نهر جيحون، فلم ينج منهم إلا إينانج خان في شرذمة يسيرة، وشمل القتل معظم ذلك الجيش وغنم التتار ما معهم.

---

(١) نكث: نقض العهد. ابن منظور: لسان العرب (نكث).

(٢) أميرآخور: وهو الذي يتحدث على إصطبل السلطان أو الأمير ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرهما مما هو داخل حكم الإصطبلات. وهو مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو آخور بهمزة مفتوحة ممدودة بعدها خاء معجمة ثم واو وراء مهملة ومعناه المعلف، والمعنى أمير المعلف. لأنه المتولّي لأمر الدواب وأهم أمورها المعلف. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦١.

قال: ولما فارق العسكر الخوارزمي بخارى طلب أهلها الأمان فآمنهم[١] وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة، وفتحت أبواب المدينة بالأمان، وذلك في يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة[٢]. فدخل التتار بخارى ولم يتعرضوا إلى أحد بل قالوا لهم: أخرجوا إلينا جميع ما هو متعلق بالسلطان من الذخائر وغيرها، وساعدونا على قتال من بالقلعة، وأظهروا لهم العدل وحسن السيرة. ودخل جنكزخان بنفسه وأحاط بالقلعة ونادى في البلدان أن لا يتخلف أحد ومن تخلف قتل. فحضروا بأجمعهم وأمرهم بطم الخندق فطموه بالأخشاب والتراب وغير ذلك، حتى كان التتار يأخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق. ثم تابعوا الزحف على القلعة وبها أربعمائة فارس من المسلمين، فبذلوا جهدهم ومانعوا[٣] اثني عشر يومًا يقاتلون جميع الكفار وأهل البلد، فما زالوا كذلك إلى أن وصل النقابون إلى القلعة[٤]. واشتد الأمر ورمى المسلمون بجميع ما عندهم من حجارة وسهام ونار ثم قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم، وملك جنكزخان القلعة، فلما فرغ من أمر القلعة أمر بجمع رؤساء البلد، فجمعوا وعرضوا عليه فقال لهم: «أريد منكم النقرة التي باعكم خوارزم شاه فإنها لي وأخذت من أصحابي» فأحضر كل من كان عنده شيء منها ما عنده، ثم أمرهم بالخروج من البلد مجردين فخرجوا ليس مع أحد منهم غير ثيابه التي عليه. ونهب التتار البلد وقتلوا من تخلف فيه. وأحاطوا بالمسلمين فأمر أصحابه أن يقتسموهم ففعلوا ذلك وأصبحت بخارى خاوية على عروشها، وارتكب التتار من الفساد العظيم[٥] والناس ينظرون إليهم ولا

---

(١) يقول ابن الأثير: «أما الكفار فإنهم رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا إلى بخارى بعد خمسة أشهر من وصول خوارزم شاه، وحصروها وقاتلوها ثلاثة أيام قتالاً شديدًا متتابعًا. فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة، ففارقوا البلد عائدين إلى خراسان، فلما أصبح أهل البلد وليس عندهم من العسكر أحد ضعفت نفوسهم، فأرسلوا القاضي، وهو بدر الدين قاضي خان، ليطلب الأمان للناس، فأعطوهم الأمان. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٦٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٢٢٠، والكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٦٥، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٤٣، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٧٨.

(٣) «ومنعوا القلعة اثني عشر يومًا» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٦٦.

(٤) «ووصل النقابون إلى سور القلعة فنقبوه» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٦٦.

(٥) يقول «دوسن» إن تاريخ المغول يمتاز بطابع الفوضى ووحشيتهم لا تترك إلا صورًا بغيضة. وإن حكمهم كان انتصارًا للفساد والفوضى.

D'Hosson Histoire des Mongols. Amesterdam. 1834. Tome 1, P.7-8.

يستطيعون ردهم. فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت وقاتل حتى قتل، ومنهم من استسلم وأسر. وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب الأموال ثم ساروا إلى سمرقند.

ذكر استيلائه على سمرقند

قال: ولما فرغ جنكزخان من أمر بخارى سار إلى سمرقند وقد تحقق عجز السلطان علاء الدين عن قتاله، وهو بمكانه بين ترمِذ وبلخ، وأمر جنكزخان أن يتوجه من سلم من أهل بخارى فخرجوا مشاة على أقبح حال، فمن أعياه التعب وعجز عن المشي قتل. فلما قاربوا سمرقند، ورموا الخيالة، وتركوا الأثقال والأسارى والرجالة وراءهم، وتقدموا شيئًا فشيئًا ليكون ذلك أرعب لقلوب المسلمين، فاستعظم أهل البلد سوادهم فلما كان في اليوم الثاني وصلت الأسارى والرجال والأثقال ومع كل عشرة من الأسارى علم، فظنه أهل البلد أن الجميع مقاتلة وأحاطوا بالبلد، وكان طغانخان خال السلطان وأمراء الغور في أربعين ألف فارس وقيل في خمسين ألف فارس، وعامة البلد لا يحصون كثرة، فخرج إليهم شجعان أهله وأهل الجلاد رجال، ولم يخرج معهم أحد من العسكر الخوارزمي لما في قلوبهم من الجزع فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتار يتأخرون وأهل البلد يتتبعونهم ويطمعون فيهم، حتى بعدوا عن البلد، وكان التتار قد كمنوا كمينًا، فلما جاوزه المسلمون خرج الكمين من ورائهم وحال بينهم وبين البلد وعطف عليهم التتار فصاروا في وسط القوم وآخرهم السيف، قتلوا عن آخرهم، وكانوا سبعين ألفًا. فضعفت نفوس الجند ومن بقي من العامة وأيقنوا بالهلاك؛ فقال الجند ـ وكانوا أتراكًا ـ نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا[1]، فطلبوا الأمان فأجابوهم له، ففتحوا أبواب البلد وخرج الجند إليهم بأهاليهم وأموالهم فقال لهم التتار: «ادفعوا إلينا سلاحكم وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم إلى مأمنكم» ففعلوا ذلك ثم وضعوا فيهم السيف وقتلوهم عن آخرهم وأخذوا نساءهم فلما كان في اليوم الرابع نودي في البلد أن يخرج أهله بأجمعهم ومن تأخر قتل، فخرج جميع من به من الرجال والنساء والصبيان، ففعلوا مع أهل سمرقند كفعلهم مع أهل بخارى من النهب والقتل والسبي والفساد، ونهبوا ما في البلد، ثم أحرقوا الجامع وتركوا البلد على حاله، وذلك في المحرم سنة سبع عشرة وستمائة. هذا وخوارزم شاه مقيم

(١) في الأصل «يقتلونا».

بمنزلته كلما اجتمع إليه عسكر سيّره إلى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون عليهم. نعوذ بالله من الخذلان[١].

قال: ولما ملك جنكزخان بخارى وسمرقند فرق عساكره للاستيلاء على الممالك، فجهز طائفة خلف خوارزم شاه وهي المغربة، وطائفة إلى خراسان وطائفة إلى خوارزم وطائفة إلى بلاد فرغانة وطائفة إلى ترمذ[٢] وطائفة إلى كلاية، فاستولت كل طائفة على ما توجهت إليه وفعلت من القتل والنهب والأسر والسبي والتخريب وأنواع الفساد ما فعله أصحابهم. فأول طائفة جهزها من أصحابه الطائفة المغربة وفعلت ما نذكره.

ذكر ما فعلته الطائفة المغربة من التتار

قال ابن الأثير: لما ملك جنكزخان سمرقند جهز خمسة وعشرين[٣] ألف فارس من أصحابه في طلب خوارزم شاه حيث كان. وهذه الطائفة تسميها التتار المغربة لأنها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم لأنهم الذين أوغلوا في البلاد وكان المقدم على هذه الطائفة سبطي بهادر ويمنويه فساروا وقصدوا موضعًا يسمى فنج اب ومعناه خمس مياه، فلم يجدوا سفينة، فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار وألبسوها جلود البقر ووضعوا فيها أسلحتهم وأمتعتهم. وألقوا الخيل في الماء وأمسكوا أذنابها وشدوا تلك الحياض إليهم، فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض، فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه إلا وقد صاروا معه في أرض واحدة. وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبًا وخوفًا وحصل بينهم اختلاف، فكان ثباتهم بسبب أن نهر جيحون فاصل بينهم وبين التتار. فلما عبروه كان من أمر السلطان علاء الدين وانهزامه ووفاته ما قدمناه في أخباره.

ذكر استيلائهم على مازندران[٤] ووصولهم إلى الري وهمذان

قال ابن الأثير: لما أيس التتار المغربة من إدراك خوارزم شاه قصدوا بلاد

---

(١) يقول ابن الأثير إن خوارزم شاه قد سيّر مرة عشرة آلاف فارس فعادوا كالمنهزمين من غير قتال، وسيّر عشرين ألفًا فعادوا أيضًا. الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٦٨.

(٢) ترمذ: مدينة مشهورة على نهر جيحون من جانبه الشرقي ج٢، ص٢٦.

(٣) «سير عشرين ألف فارس» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٦٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٧٣، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٦، ص٢٢٠، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٧٢.

مازندران فملكوها في أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول إليها وامتناع قلاعها، فقتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد وألحقوها بغيرها ثم سلكوا نحو الري، ووصلوا إليه في سنة سبع عشر وستمائة أيضًا. وكان مسيرهم إلى الري في طلب خوارزم شاه، لأنهم بلغهم أنه توجه نحو الري، فجدُّوا السير في أثره وانضاف إليهم كثير من العساكر المسلمين والكفار والمفسدين، فوصلوا الري على حين غفلة من أهلها فملكوها، ونهبوا وسبوا الحريم، وأسرفوا في القتل ومضوا مسرعين في طلب خوارزم شاه، ونهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها، ووضعوا السيف في الرجال والنساء والأطفال، ولم يبقوا على شيء. وانتهوا إلى همذان، فلما قاربوها خرج رئيسها إليهم ومعه الجُمل من الأموال والأقمشة والخيل وغير ذلك، وطلب الأمان لأهل البلد، فأمنوهم ثم فارقوها. وساروا إلى زنجان ففعلوا أضعاف ما فعلوه بالري، ووصلوا إلى قزوين فاعتصم أهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدُّوا في قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف واقتتلوا هم وأهل البلد في باطنه حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين وقتل من الفريقين ما لا يحصى، فزادت القتلى من أهل قزوين على أربعين ألف قتيل ثم فارقوا قزوين.

ذكر مسيرهم إلى أذربيجان[١]
وقتالهم مع الكُرج

قال: لما هجم الشتاء على التتار بهمذان وبلد الجبل وترادفت الثلوج ساروا إلى أذربيجان، وعاثوا في طريقهم ونهبوا وخربوا ما مروا عليه من المدن الصغار والقرى على عادتهم، ووصلوا إلى تبريز وبها أزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان، فلم يخرج إليهم ولا قاتلهم لاشتغاله باللهو والشرب، وصالحهم على مال وثياب ودواب، وحمل ذلك إليهم، فتوجهوا من عنده يريدون ساحل البحر لقلة رده وكثرة مراعيه. فوصلوا إلى موقان[٢] وتطرقوا في مسيرهم إلى بلاد الكُرج فجاء إليهم من الكُرج نحو عشرة آلاف، فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الكُرج، وقتل أكثرهم وأرسل الكُرج إلى أزبك صاحب أذربيجان يطلبون منه الصلح، والاتفاق على دفع التتار، فاتفقا على أنه إذا انحسر الشتاء لقوهم. وراسلوا الملك الأشرف بن العادل صاحب خلاط، وديار الجزيرة في ذلك، وظنوا جميعهم أن التتار لا يتحركون إلى انقضاء فصل الشتاء، فما

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٧٤.

(٢) موقان: بالضم ثم السكون، ولاية بأذربيجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٥.

صبروا (التتار) وتحركوا وتوجهوا نحو بلاد الكُرج، وانضاف إليهم (إلى التتار) مملوك تركي من مماليك أزبك اسمه أقوش، وجمع أهل بلد الجبل والصحراء من التركمان والأكراد وغيرهم، فاجتمع إليه جماعة منهم، فمال التتار إليه للجنسية فسار في مقدمتهم إلى الكُرج فملكوا حصنًا من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وقتلوا ووصلوا إلى قرب تِفليس، فاجتمعت الكُرج، فلقيهم أقوش بمن معه فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم أدركهم التتار فلم يثبت الكُرج وانهزموا أقبح هزيمة، وأخذهم السيف من كل جانب وقتل منهم ما لا يحصى كثرة ـ وذلك في ذي القعدة[1] ـ ونهبوا من البلاد ما كان قد سلم منهم[2].

ذكر ملكهم مدينة مَراغة

قال: ولما فعلوا بالكُرج ما فعلوه، ودخلت سنة ثماني عشر وستمائة ساروا من بلاد الكُرج ومروا على تبريز، فصانعهم صاحبها أيضًا بمال وثياب ودواب، فساروا عنه إلى مدينة مراغة فحصروها، وليس بها من يمنعها لأن صاحبتها كانت امرأة وكانت مقيمة بقلعة روينذز، فقاتلهم أهلها، فنصبوا عليها المجانيق واستعانوا بأسرى المسلمين. وكانت عادتهم (التتار) إذا فتحوا مدينة استعانوا بأسراها على فتح غيرها، ويجعلون الأسرى أمامهم عند القتال، فيقع القتل فيهم. فإذا فتحوا البلد قتلوهم بعد ذلك وتعوضوهم بمن أسروه من البلد الآخر. فأقاموا عليها عدة أيام وملكوها عنوة، وذلك في رابع صفر من السنة، ووضعوا السيف في أهلها، ونهبوا ما صلح لهم وحرقوا ما سواه. قال: واختفى بعض الناس منهم، فكانوا يأخذون الأسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب أن التتار قد رحلوا فينادون فيسمعهم من اختفى فيظهر فيقتلونه.

قال ابن الأثير: ولقد بلغني أن امرأة من التتار دخلت دارًا وقتلت جماعة من أهلها، وهم يظنون أنها من الرجال، فلما وضعت السلاح، رأوها امرأة، فقتلها رجل كانت أخذته أسيرًا. قال: وسمعت من بعض أهلها أن رجلاً من التتار دخل دربًا فيه

---

(١) «في ذي القعدة سنة ٦١٧هـ» انظر الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٧٥.

(٢) وفي ذلك يقول ابن الأثير: «ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يُسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه: طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية من هذه الناحية، ويجاوزوا العراق من ناحية همذان، وتالله إن من يجيء بعدنا، إذ بعُد العهد، ويرى هذه الحادثة مسطورة يُنكرها ويستبعدها، والحق بيده، فمتى استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها. . .» انظر الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٧٦.

ما يزيد على مائة رجل فقتلهم واحدًا واحدًا، حتى أفناهم ولم يمد أحد يده إليه. ووقعت الذلة على الناس، نعوذ بالله من الخذلان[١].

قال: ثم رحلوا نحو مدينة إربل[٢]، فكتب مظفر الدين صاحبها إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر، فسيّر إليه جماعة، وكتب الخليفة إلى صاحبي الموصل وإربل يأمرهما بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا[٣] لمنع التتار، لما بلغه أنهم عدلوا عن إربل لصعوبتها وقصدوا العراق. فسار مظفر الدين ومن معه من العسكر الموصلي في صفر. وكتب الخليفة إلى الملك الأشرف يأمره بالحضور بنفسه في عساكره لتجمع العساكر ويقصدون التتار فمنعه من ذلك مسيره إلى الديار المصرية لنصرة الملك العادل بن أيوب على الفرنج، واستعادة دمياط من أيديهم. فلما اجتمع مظفر الدين هو والعسكر الموصلي بدقوقا، سيّر إليهم الخليفة مملوكه قشتمر - وهو أكبر أمير بالعراق - ومعه عشرة من الأمراء في نحو ثماني مائة فارس، فاجتمعوا ليتصل بهم عساكر الخليفة، والمقدم عليهم مظفر الدين صاحب إربل، فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على التتار. ولما سمع التتار باجتماع العسكر رجعوا القهقرى، ظنًا منهم أن العسكر يتبعهم، فلما لم يتبعهم أقاموا وأقام العسكر بدقوقا، ثم تفرق المسلمون وعادوا إلى بلادهم.

ذكر ملكهم همذان وقتل أهلها[٤]

قال: لما تفرق العسكر الإسلامي عاد التتار إلى همذان، فنزلوا بالقرب منها، وكان لهم شحنة يحكم فيها، فأرسلوا إليه أن يطلب لهم من أهلها مالاً وثيابًا وكان رئيس همذان من الأشراف ذا رئاسة قديمة بها وهو الذي سعى في أمر أهل البلد مع التتار، وتوصل إليهم بما جمع من الأموال فلما طلب المال ثانيًا من أهل همذان لم يجدوا ما يحملونه لهم، فاجتمعوا إلى الشريف ومعهم إنسان فقيه قام في اجتماع الكلمة على التتار، فشكوا إلى الشريف حالهم، وما نالهم من الهوان، وطلب ما لا

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٧٨.

(٢) رسمها ابن الأثير إربل بالكسر، المصدر نفسه والصفحة نفسها. وياقوت الحموي في معجم البلدان ج١، ص١٣٧ يقول «إربل» بالكسر ثم السكون ولا يجوز فتح الهمزة لأنه ليس في أوزانهم أي (العرب) مثل أفعِل.

(٣) دقوقاء: بفتح أوله وضم ثانيه، مدينة بين إربل وبغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٨١.

يقدرون عليه. فقال: إذا كنا نعجز عن دفعهم فليس إلا مصانعتهم بالأموال، فثاروا عليه، وأغلظوا له في القول، فوافقهم على مرادهم. فأشار الفقيه بإخراج شحنة التتار فوثب العامة على الشحنة فقتلوه، وامتنعوا. فتقدم إليهم التتار وحصروهم، فقاتلهم أهل البلد قتالاً شديدًا، والرئيس والفقيه في أوائلهم، فقتل من التتار خلق كثير، وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا. ثم اقتتلوا من الغد أشد مما مضى بالأمس. وأرادوا الخروج في اليوم الثالث، فلم يطق الفقيه الركوب ولم يوجد الرئيس، وهرب من سرب كان قد صنعه إلى ظاهر البلد هو وأهله، واستعصم بقلعة هناك على جبل عال. فحار الناس ثم اجتمعت كلمتهم على القتال إلى أن يموتوا، وكان التتار قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم، فلما تقاصر أهل البلد عن الخروج إليهم طمعوا واستدلوا على ضعفهم، فقصدوهم وقاتلوهم، ودخلوا المدينة بالسيف، وذلك في شهر رجب سنة ثماني عشرة [وستمائة](١). وقاتلهم الناس في الدروب بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى، ثم قوي التتار على المسلمين فأفنوهم وما سلم منهم إلا من كان عمل له نفقًا في الأرض، واختفى فيه، ثم أحرقوا البلد ورحلوا عنه.

ذكر مسيرهم إلى أذربيجان وملكهم أردويل(٢) وغيرها

قال(٣): لما فرغوا من همذان ساروا إلى أذربيجان فوصلوا إلى أردويل فملكوها، وقتلوا وخربوا أكثرها وساروا إلى تبريز، ففارقها صاحبها أزبك بن البهلوان وتوجه إلى نقجوان وكان كثير التخلف والشرب واللهو، فقام بأمر تبريز شمس الدين الطغرائي، وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع، وحذرهم عاقبة التخاذل والتواني، وحصن البلد. فبلغ التتار ذلك فراسلوه يطلبون منه مالاً وثيابًا فاستقر الأمر بينهم على قدر معلوم فأخذوه ورحلوا إلى مدينة سراو(٤) فنهبوها وقتلوا جميع من فيها. ورحلوا عنها

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح.

(٢) أردويل أو أردبيل: إحدى مدن أذربيجان بالقرب من تبريز. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٨٣. يقول القلقشندي: إنها كثيرة الخصب وعلى فرسخين منها جبل عظيم الارتفاع وأهلها غليظو الطبع وشرسو الأخلاق. صبح الأعشى ج٤، ص٣٥٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٨٢.

(٤) سراو: بفتح أوله وآخره، مدينة بأذربيجان بين أردبيل وتبريز. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٤.

إلى بيلقان من بلاد أرّان[١] فنهبوا كل ما مروا به من البلاد والقرى وقتلوا من ظفروا به وحصروا بيلقان[٢]، فاستدعى أهلها منهم رسولاً ليقرر الصلح فأرسلوا إليهم رسولاً من أكابرهم ومقدميهم، فقتلوه، فزحف التتار إليهم وقاتلوهم وملكوا البلد عنوة، وذلك في شهر رمضان من السنة، ووضعوا السيف فلم يبقوا على أحد من الرجال والنساء والأطفال حتى شقوا بطون النسوان الحوامل وقتلوا الأجنة. وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها. ثم ساروا إلى مدينة كنجة ـ وهي أم بلاد أرّان ـ فعلموا بكثرة من فيها وشجاعتهم لدربتهم بقتال الكرج، فلم يقدموا عليهم لذلك ولحصانة البلد. فراسلوا أهلها في طلب المال والثياب، فحمل إليهم ما طلبوا وساروا عنها.

ذكر وصولهم إلى بلاد الكُرج[٣]

قال: لما فرغوا من البلاد الإسلامية أذربيجان وأران بعضها بالملك وبعضها بالصلح، ساروا إلى بلاد الكُرج من هذه الأعمال أيضًا. وكان الكُرج قد استعدوا لهم، وسيّروا جيشًا كثيفًا إلى طرف بلادهم ليمنعوا التتار عنها، فالتقوا، فلم يثبت الكُرج وولوا منهزمين فأخذتهم سيوف التتار، فلم يسلم منهم إلا الشديد. فكانت القتلى منهم نحو ثلاثين ألفًا، ونهبوا ما وصلوا إليه من بلادهم وخربوها، كعادتهم. ووصل من سلم من الكُرج إلى مدينة تفليس ـ وبها ملكهم ـ فجمع جموعًا أخرى، وسيرهم ليمنعوا التتار من توسط بلادهم فرأوهم قد دخلوا البلاد ولم يمنعهم وعر ولا مضيق، فعادوا إلى تفليس ونهب التتار ما مروا عليه من بلادهم، ورأوا البلاد كثيرة المضايق والدربندات فما أوغلوا فيها، وداخل الكُرج منهم خوف عظيم.

قال ابن الأثير: سمعت عن بعض أكابر الكُرج أنه قال: من حدثكم أن التتار انهزموا وأُسروا فلا تصدقوه، وإذا حُدثتم أنهم قتلوا فصدقوا، فإنهم قوم لا يفرون أبدًا، ولقد أخذنا أسيرًا منهم فألقى نفسه عن الدابة وضرب رأسه بالحجر حتى مات، ولم يسلم نفسه للأسر.

---

(١) أرّان: بالفتح والتشديد، اسم لولاية واسعة من صقاع أرمينية أهم مدنها كنجة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٣٦.

(٢) بيلقان: بالفتح ثم السكون مدينة قرب الدربند الذي يقال له باب الأبواب تعد في أرمينية الكبرى، قرب شِروان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٣٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٣٨٢.

ذكر وصولهم إلى دَرْبَنْد شَرْوان[(١)]
وما فعلوه فيه

قال: لما عادوا من بلاد الكُرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شَماخي[(٢)] وقاتلوا أهلها، فصبروا على الحصار وقاتلوا أشد قتال، وعلموا أن الموت لا بد منه، فقالوا نموت كرامًا وصبروا إلى أن كلُّوا وتعبوا. وتوالى الزحف، فملك التتار البلد، وأكثروا القتل ونهبوا الأموال. ثم أرادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك، فأرسلوا رسولاً إلى شروان ملك الدربند، وطلبوا منه أن يرسل إليهم رسولاً يسعى بينهم في الصلح، فأرسل عشرة من أعيان أصحابه، فقتلوا أحدهم وقالوا لمن بقي: دلونا على طريق نعبر فيه ولكم الأمان، وإلا قتلناكم. فقالوا: ليس فيه طريق البتة، وإنما فيه موضع هو أسهل ما فيه، فساروا بهم إلى ذلك الطريق فعبروا فيه.

ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق[(٣)]

قال: لما عبر التتار دربند شروان، ساروا في تلك البلاد والأعمال ـ وفيها أمم كبيرة من اللان واللكز[(٤)] وطوائف من الترك ـ فنهبوا وقتلوا كثيرًا من اللكز ـ وهم مسلمون وكفار ـ ووصلوا إلى اللان وهي أمم كثيرة، فبلغهم الخبر فجدُّوا وجمعوا جمعًا من قفجاق[(٥)]، فقاتلوهم فلم تظفر إحدى الطائفتين بالأخرى، فأرسل التتار إلى قفجاق فقالوا: نحن وأنتم جنس واحد واللان ليسوا منكم، ولا دينكم كدينهم حتى تنصروهم، ونحن نعاهدكم أننا لا نتعرض إليكم، ونحمل لكم من الأموال والثياب ما

---

(١) شروان: مدينة من نواحي باب الأبواب، بناها أنو شروان فسميت باسمه، ويطلق الفرس على باب الأبواب اسم الدربند ويذكر ياقوت أن باب الأبواب هو الدربند، دربند شروان وهي مدينة على بحر ممتد من الجبل، ولا مسلك على جبلها إلى بلاد المسلمين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٣٩.

(٢) شماخي: بفتح أوله، مدينة عامرة في طرف أران. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٦١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٣٨٥.

(٤) اللكز: مدينة لَكْز: بفتح اللام وسكون الكاف وفي آخرها زاي معجمة، وهي مدينة يسكنها جنس من الترك يقال لهم اللكزى، وهم في الجبل الفاصل بين تتر مملكة بركة وتتر مملكة هولاكو. انظر صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٤٦٧.

(٥) رسمها القلقشندي قبجاق: وهي طائفة في بلاد الخفجاج شمالي توران. صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢٩.

شئتم، وتتركوننا وإياهم. فاستقر الأمر بينهم على ما حملوه لهم من مال وثياب وغير ذلك ففارقهم قفجاق فأوقع التتار عند ذلك باللان، فقتلوا منهم وسبوا وساروا إلى قفجاق وهم آمنون متفرقون، لما استقر بينهم من الصلح فطرقوا بلادهم وأوقعوا بهم الأول فالأول، وأخذوا منهم أضعاف ما حملوه إليهم. وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر، ففروا من غير قتال، واعتصم بعضهم بالغياض وبعضهم بالجبال ولحق بعضهم ببلاد الروس. وأقام التتار ببلاد قفجاق، وهي أرض كثيرة المرعى صيفًا وشتاءً وفيها أماكن باردة في الصيف وأماكن حارة في الشتاء، وغياض، وهي على ساحل البحر، ووصلوا إلى مدينة سوداق ـ وهي مدينة قفجاق ـ فملكوها، وفارقها أهلها، فبعضهم صعد إلى الجبال بأهله وماله، وبعضهم ركب في البحر وساروا إلى بلاد الروم التي بيد الملوك السلجقية.

ذكر ما فعلوه بقفجاق والروس(١)

قال: لما استولى التتار على قفجاق وتفرقوا، والتحقت طائفة كثيرة منهم ببلاد الروس ـ وهي بلاد كبيرة طويلة عريضة تجاور القفجاق وأهلها يدينون بدين النصرانية ـ فلما وصلوا إليهم اجتمعوا كلهم، واتفقوا على قتال التتار إن قصدوهم. فسار التتار إلى بلاد الروس في سنة عشرين وستمائة، فسار قفجاق والروس إلى طريق التتار ليلقوهم قبل وصولهم إلى بلادهم ويمنعوهم عنها، فبلغ التتار مسيرهم، فرجعوا على أعقابهم. فطمعت القفجاق والروس فيهم، وظنوا أنهم عادوا خوفًا منهم، وعجزوا عن قتالهم، فأتبعوهم وساقوا في إثرهم اثني عشر يومًا، فعطف التتار عليهم وهم على غرة، لأنهم كانوا قد آمنوا ووثقوا بالقدرة عليهم: فلم يجتمعوا للقتال إلا وقد بلغ التتار منهم مبلغًا عظيمًا.

فصبر الطائفتان صبرًا لم يسمع بمثله. ودام القتال عدة أيام، فاستظهر التتار عليهم، فانهزمت قفجاق والروس هزيمة فاضحة، وكثر القتل في المنهزمين، فلم يسلم منهم إلا القليل. ووصل من سلم منهم على أقبح حال، والتتار تتبعهم يقتلون وينهبون ويخربون فاجتمع كثير من أغنياء تجار الروس وأعيانهم، وحملوا ما يعز عليهم، وتوجهوا في البحر في عدة مراكب إلى بلاد الإسلام، فلما قاربوا المرسى الذي يقصدونه انكسر منهم مركب فغرق ونجا من فيه [وكانت العادة جارية أن

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٣٨٧.

السلطان له كل مركب ينكسر فأخذ من ذلك شيئًا كثيرًا][1] وسلم باقي المراكب [وأخبر من بها بهذه الحال][2].

ذكر عود التتار إلى ملكهم[3]

قال: ولما فعل التتار بالروس ما ذكرناه عادوا عنها وقصدوا بلغار في أواخر سنة عشرين وستمائة. فلما سمع بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع، وخرجوا إليهم فلقوهم واستجروهم إلى أن جاوزوا مواضع الكمناء، فخرجوا من وراء ظهورهم. وبقي التتار في وسطهم، وأخذهم السيف من كل ناحية، فقتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا القليل نحو أربعة آلاف رجل، فساروا إلى سَقْسين وعادوا إلى ملكهم جنكزخان. وكانت الطرق منقطعة تتخللهم في البلاد. فلما خلت البلاد منهم اتصلت الطرق وحمل التجار الأمتعة على عادتهم.

هذا ما فعله التتار المغربة منذ مفارقتهم جنكزخان وإلى أن عادوا إليه في مدة أربع سنين فلنذكر أخبار غير هذه الطائفة ممن سيرهم جنكزخان.

قال: ولما جهز جنكزخان هذه الطائفة المغربة جهز طائفة إلى بلاد فرغانة وطائفة إلى ترمز وطائفة إلى كلانة[4] وهي قلعة حصينة إلى جانب جيحون، فسارت كل طائفة إلى الجهة التي أمرت بقصدها ونازلتها، واستولت عليها، وفعلت من القتل والنهب والأسر والسبي والتخريب وأنواع الفساد كما فعل أصحابهم. فلما فرغوا من ذلك عادوا إلى ملكهم جنكزخان، وهو مقيم بسمرقند، فجهز جيشًا إلى خوارزم مع أحد أولاده وجهز جيشًا آخر فعبروا نهر جيحون إلى خراسان.

ذكر ملك التتار خراسان[5]

قال أبو الحسن بن الأثير: لما سار الجيش الذي جهزه جنكزخان إلى خراسان عبروا جيحون، وقصدوا مدينة بلخ، وطلب أهلها الأمان فأمنوهم، فسلم البلد ولم

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٨٨.

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٣٨٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٣٨٨.

(٤) كلانة: قلعة وصفها ابن الأثير بأنها حصينة من أحسن القلاع وأمنع الحصون. الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٨٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٣٩٠.

يتعرضوا إليه بنهب ولا قتل، بل جعلوا فيه شحنة. وقصدوا الزَّوَزَان[١] وميمند واندي خوي[٢] وفارياب[٣] فملكوا الجميع، وجعلوا فيه ولاة، ولم يتعرضوا إلى أهلها بسوء، سوى أنهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم، وذلك في سنة سبع عشرة وستمائة. ثم قصدوا الطالقان، وهي ولاية تشتمل على عدة بلاد، وفيها قلعة حصينة يقال لها (منصور كوه) لا ترام علوًا وارتفاعًا وبها رجال شجعان يقاتلون فحصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلاً ونهارًا، ولم يظفروا منها بشيء فكاتبوا جنكزخان، وأعلموه بالعجز عنها لحصانتها وكثرة من بها من المقاتلة. فسار بنفسه وبجموعه، وحصرها ومعه خلق كثير من الأسرى والمسلمين، فأمرهم بمباشرة القتال وإلا قتلهم، فقاتلوا، وأقام عليها أربعة أشهر أخرى، فقتل من التتار خلق كثير. فلما رأى جنكزخان ذلك أمر أن يجمع له الأحطاب والأخشاب فجمعت، وصار يعمل صفًا من خشب وحطب وفوقه من التراب ما يغطيه، حتى صار تلاً عاليًا يوازي القلعة، فعند ذلك اجتمع من بالقلعة وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا الجبال والشعاب، وقتل الرجالة، ودخل التتار القلعة وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الأمتعة.

قال: ثم جمع جنكزخان أهل البلاد الذين أعطاهم الأمان ببلخ وغيرها، وسيرهم مع بعض أولاده إلى مدينة مرو، فوصلوا إليها وقد اجتمع بها من الأعراب والأتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتي ألف رجل، وهم معسكرون بظاهر مرو، وقد عزموا على لقاء التتار؛ فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا. ولما رأى المسلمون إقدام التتار وصبرهم، ولوا منهزمين، فقتل منهم وأسر خلق كثير، ولم يسلم منهم إلا القليل، ونهبت أموالهم. وأرسل ابن جنكزخان إلى ما حوله من البلاد، وأمرهم بجمع الرجال لحصار مرو، فاجتمعوا وتقدموا للحصار ولازموا القتال. هذا وأهل البلد قد ضعفت نفوسهم بانهزام تلك الطائفة الكبيرة. فلما كان في اليوم الخامس من نزولهم أرسل التتار إلى أمير البلد يقولون له: «لا تهلك نفسك ومن

---

(١) الزوزان: بفتح أوله وثانيه: كورة حسنة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان وديار بكر والموصل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٨.

(٢) رسمها ياقوت أندخوز: وهي إحدى مدن خراسان بين بلخ ومرو. معجم البلدان، ج١، ص٢٦٠.

(٣) فارياب: بكسر الراء: مدينة مشهورة بخراسان قرب بلخ غربي جيحون. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٩.

معك، واخرج إلينا ولك الأمان، ونحن نجعلك أمير هذه البلد ونرحل عنك!». فطلب الأمان لنفسه وأهل البلد فأمنوهم؛ فخرج إليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له: «اعرض عليّ أصحابك حتى أستخدم منهم من يصلح لخدمتنا وأعطيه إقطاعًا ويكون معي» فجمعهم له، فلما تمكن منهم أمر بالقبض عليهم وعلى أميرهم ثم قال: «اكتبوا لنا تجار البلد ورؤساء أرباب الأموال في جريدة واكتبوا أرباب الصناعات والحرف في أخرى واعرضوا ذلك علينا» ففعلوا، فأمر أن يخرج أهل البلد منه بأهليهم وأموالهم فخرجوا بأجمعهم، فجلس على كرسي من الذهب، وأحضر أولئك الجند الذين قبض عليهم، وأمر بضرب أعناقهم فقتلوا صبرًا، والناس ينظرون إليهم ويبكون عليهم، وأما العامة فتقاسمهم التتار فكان يومًا مشهودًا، وأخذوا أرباب الأموال، فاستصفوا أموالهم وعذبوهم على طلب المال؛ ثم أحرقوا البلد وتربة السلطان سنجر، ونبشوا القبر طلبًا للمال. ودأبوا على ذلك ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الرابع، أمر بقتل أهل البلد كافة؛ وقال: هؤلاء عصوا علينا؛ فقتلوا أجمعين، وأمر بإحصاء القتلى فكانوا سبعمائة ألف قتيل.

ثم ساروا إلى نيسابور، فحوصرت خمسة أيام، وبها جمع صالح من العسكر الإسلامي، فلم تكن لهم بالتتار قوة، فملك التتار المدينة، وأخرجوا أهلها إلى الصحراء فقتلوهم، وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بالمال، كما فعلوا بمرو، وأقاموا خمسة عشر يومًا يخربون ويفتشون المنازل، وكانوا لما قتلوا أهل مرو قيل لهم إن قتلاهم سلم كثير منهم ولحقوا ببلاد الإسلام، فأمروا أن تقطع رؤوس أهل نيسابور حتى لا يسلم منهم أحد. فلما فرغوا من ذلك سيّروا طائفة منهم إلى طوس ففعلوا بها كذلك، وخربوها، وأحرقوا المشهد الذي فيه علي بن موسى الرضا والرشيد. ثم ساروا إلى هراة وهي من أحصن البلاد، فحصروها عشرة أيام فملكوها وآمنوا وقتلوا بعضهم وجعلوا فيها شحنة.

ذكر ملكهم مدينة غزنة وبلاد الغور[1]

قال ابن الأثير: لما فرغ التتار من خراسان وعادوا إلى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان، جهز جيشًا كثيفًا وسيّره إلى غزنة وبها السلطان جلال الدين منكبرتي ابن السلطان جلال الدين خوارزم شاه وكان قد وصل إليها بعد مفارقته خوارزم كما

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٩٥.

قدمناه، وقد اجتمع عنده من الجيوش نحوًا من ستين ألفًا. وكان الجيش الذي سار إليه من عسكر التتار نحو اثني[١] عشر ألفًا، فلما وصلوا إلى أعمال غزنة خرج إليهم المسلمون مع السلطان جلال الدين إلى موضع يقال له بلق[٢] فالتقوا هناك واقتتلوا قتالاً شديدًا، ودامت الحروب بينهم ثلاثة أيام، فانتصر المسلمون وانهزم التتار، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا، وعاد من سلم منهم إلى ملكهم بالطالقان.

قال: فلما سمع أهل هراة بذلك ثاروا على الوالي الذي عندهم من قبل التتار فقتلوه، فسيّر إليهم جنكزخان عسكرًا فملكوا البلد وخربوه وقتلوا من فيه وسبوا الحريم، ونهبوا السواد أجمع وأحرقوا المدينة.

وهذه الحرب والواقعة لم يذكرها شهاب الدين المنشي في تاريخه، وإنما قال: إن جلال الدين لما سار إلى غزنة اجتمع في طريقه بابن خاله أمين ملك، وهو الذي كان يتولى هراة وهي إقطاعة، وكان قد فارقها ومعه زهاء عشرة آلاف فارس، فاتفقا على كبس التتار المحاصرين قلعة قندهار، فنهضا إليها وأوقعا بمن عليها من التتار، فلم يسلم منهم إلا من وصل بخبرهم إلى جنكزخان فغضب لذلك وجهز ابنه تولي خان، وقد ذكرنا ذلك في أخبار جلال الدين فلنذكر ما ساقه ابن الأثير.

قال: ولما انهزم التتار أرسل جلال الدين إلى جنكزخان رسولاً يقول له في أي موضع يختار أن تكون الحرب حتى يأتي إليه، فجهز جنكزخان عسكرًا كثيرًا مع ابنه تولي خان[٣] فوصل إلى كابل. فتوجه إليهم جلال الدين بالعساكر الإسلامية، فالتقوا هناك واقتتلوا قتالاً شديدًا، فانهزم جيش التتار، وقتل تولي خان بن جنكزخان وغنم المسلمون ما معهم واستنقذوا ما في أيديهم من الأسارى، ولم يذكر ابن الأثير قتل تولي خان، وإنما ذكره المنشي وهو الصحيح[٤]. فلما بلغ جنكزخان انهزام عساكره وقتل ولده غضب لذلك، وتجهز بنفسه وبجيوشه، وسار إلى صوب غزنة لحرب

---

(١) في الأصل «اثنا».

(٢) بلق: بالفتح ثم السكون مكان بغزنة من أرض زابلستان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٨٩.

(٣) يكتب أيضًا تولي كما ورد في صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٣٠٨، وتولوي كما ورد في الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٧٦.

(٤) لم يذكر ابن الأثير مقتل ولده ولا اسمه. بل قال: «فجهز جنكزخان عسكرًا كثيرًا أكثر من الأول مع بعض أولاده» الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٩٦.
بينما يذكر القلقشندي أن جوجي وهو أكبر أولاده قد قتل في حياة أبيه وخلف أولادًا. انظر صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠٨.

جلال الدين وطلب ثأر ابنه. واتفق اختلاف المسلمين، ومفارقة العساكر الخلجية صحبة سيف الدين بغراق وأعظم ملك ومظفر ملك للسلطان جلال الدين بسبب ما وقع منهم عند قسم الغنيمة على ما بيناه في أخبار جلال الدين. واجتهد جلال الدين في ردهم فعجز، ودهمه وصول جنكزخان، ففارق غزنة وتوجه صوب السند، فأدركه جنكزخان قبل عبوره ماء السند فاضطر جلال الدين إلى القتال فكان من أمره وانهزامه وعبوره إلى بلاد الهند ما قدمناه في أخباره. ولما فارق جلال الدين البلاد رجع جنكزخان إلى غزنة فملكها من غير مدافع ولا ممانع لخلوها من العساكر فقتل التتار أهلها ونهبوا الأموال وسبوا الحريم وألحقوها بخراسان.

ذكر ملكهم مدينة خوارزم

قال شهاب الدين المنشي: كان حصار خوارزم في ذي القعدة سنة عشرين وستمائة، واستيلاؤهم عليها في صفر. قال: لما انفصل جلال الدين وإخوته عن خوارزم كما ذكرناه في أخباره، وافى التتار تخومها، وأقاموا بالبعد منها حتى تكاملت عدتهم وآلات الحصار، ثم تقدموا إليها. فأول من وصل إليها منهم باجي ملك[١] في عسكر كثيف ثم بعده أوكتاي[٢] بن جنكزخان وهو الذي انتهت إليه القانية[٣] فيما بعد ثم سيّر جنكزخان بعدهم حلقته الخاصة ومقدمها بقرجن نوين وأردفهم بابنه جغطاي ومعه طولن نوين[٤] واستون نوين وقاضان نوين في مائة ألف فارس. وطفقوا يستعدون للحصار ويستعملون آلاته من المجانيق والدبابات وغير ذلك. ولمّا رأوا خوارزم وبلدها خالية من حجارة المنجنيق وجدوا هناك من أصول التوت الغلاظ ما استعملوه بدلاً من الحجارة، فكانوا يقطعونها وينقعونها في الماء فتصير كالحجارة ثقلاً وصلابة، فتعوضوا بها عن الحجارة.

ثم وصل دوشي خان بن جنكزخان إلى بلاد ما وراء النهر فراسلهم في الأمان وقال: إن جنكزخان قد أنعم عليه بها وأنه لا يؤثر تخريبها ويضن به ويحرص على عماراتها. قال: ومما يدل على ذلك أن العساكر مدة مقامهم بالقرب منها ما تعرضوا إلى الغارات على رساتيقها فمال ذوو النباهة من أهلها إلى المسالمة، فغلب عليهم السفلة وامتنعوا، فعند ذلك ساق إليها دوشي خان، وأخذ يطويها محلة محلة، فكلما

---

(١) «باجي بك» في سيرة السلطان جلال الدين للنسوي ص٩٢.
(٢) «أوكطاي» في سيرة السلطان جلال الدين للنسوي، ص٩٢.
(٣) القانية من القان. أو الخان. انظر ص٧٤ هامش ٣ من هذا الجزء.
(٤) رسمه النسوي «طولن جربي» سيرة جلال الدين، ص٩٣.

أخذ واحدة منها التجأ الناس إلى أخرى، وهم يحاربون أشد حرب إلى أن أعضل الأمر، ولم يبق معهم إلا ثلاث محال تراكمت الناس فيها متزاحمين، فأرسلوا إلى دوشي خان الفقيه علاء الدين الخياطي[١] محتسب خوارزم - وكان من أهل العلم والعمل - مستعطفًا له؛ فأمر دوشي خان باحترامه، وأن تنصب له خيمة. ثم أحضره فأدى رسالته فقال في جملة ما قال: إننا قد شاهدنا هيبة الخان وقد آن أن نشاهد مرحمته. فاستشاط غضبًا وقال: «ماذا رأوا من هيبتي وقد أفنوا رجالي؟ فأما أنا فشاهدت هيبتهم وها أنا أريهم هيبتي» وأمر بإخراج الناس ونودي فيهم بانفراد أرباب الصنائع وانعزالهم على حدة، فمنهم من فعل ونجا، ومنهم من اعتقد أن أرباب الحرف تساق إلى بلادهم وغيرهم يترك في وطنه فلم ينفرد. ثم وضع السيف فيهم فقتلوا جميعًا وحكى ابن الأثير في تاريخه الكامل أن التتار بعد ذلك فتحوا السكر[٢] الذي يمنع ماء جيحون عن البلد فدخله الماء فغرق جميعه وتهدمت الأبنية ولم يسلم من أهله أحد البتة، فإن الذين اختفوا من التتار غرقهم الماء وقتلهم الهدم. وهذا ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان ولا حديثه. ثم عاد التتار إلى جنكزخان وهو بالطالقان.

ذكر عود طائفة من التتار إلى همذان وغيرها وهم غير التتار المغرّبة الذين قدمنا ذكرهم

قال ابن الأثير: وفي سنة إحدى وعشرين[٣] وستمائة وصلت طائفة من التتار من جهة جنكزخان إلى الري؛ وكان من سلم من أهلها قد عادوا إليها وعمروها، فوضع التتار فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤوا، ونهبوا البلد وخربوه، وتوجهوا إلى ساوَة[٤] ففعلوا بها كذلك، ثم إلى قم وقاجان[٥] وكانتا قد سلمتا من التتار والمغربة. ثم عاثوا في البلاد يخربون ويقتلون ثم قصدوا همذان، وقد اجتمع بها كثير ممن سلم من أهلها، فأبادوهم قتلًا وأسرًا ونهبًا.

---

(١) رسمه النسوي: «عالي الدين الخياطي» سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٩٤.
(٢) السكر: السد الذي يحجز ماء النهر. ابن منظور: لسان العرب. (سكر).
(٣) «أول سنة إحدى وعشرين وستمائة» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٤١٩.
(٤) ساوَة: مدينة بين الري وهمذان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٩.
(٥) مدينة إسلامية تذكر مع قاشان أو قاجان وهما قرب أصبهان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٦.

قال: وكانوا لما وصلوا إلى الري رأوا بها عسكرًا كثيرًا من الخوارزمية فقتل بعضهم وانهزم الباقون إلى أذربيجان، فنزلوا بأطرافها، فلم يشعروا إلا والتتار قد كبسوهم، ووضعوا فيهم السيف، فانهزموا فوصلت طائفة منهم إلى تِبريز، وتفرق الباقون ووصل التتار إلى قرب تبريز فراسلوا صاحبها أزبك بن البهلوان في طلب من التحق به من الخوارزمية، فعمد إلى من عنده منهم فقتل بعضهم وأسر البعض، وساق الأسرى وحمل الرؤوس إلى التتار، وأنفذ إليهم من الأموال والثياب والدواب شيئًا كثيرًا فعادوا عن بلاده نحو خراسان.

قال: ولم تكن هذه الطائفة أكثر من ثلاثة آلاف، وكانت الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستة آلاف فارس؛ وعسكر أزبك أكثر من الجميع، ومع هذا فلم يمتنعوا عنهم ولا حدّثوا نفوسهم بحربهم هذا كله وجلال الدين خوارزم شاه ببلاد الهند. ثم اتفق خروجه منها في سنة إحدى وعشرين وستمائة؛ واستولى على ملك العراق، وانتزعه من يد أخيه غياث الدين ببرشاه وملك أذربيجان ومراغة وغيرها، وقاتل الكُرج على ما قدمناه في أخباره. ولم يهجه التتار ولا قاتلوه إلى سنة خمس وعشرين وستمائة بعد وفاة جنكزخان وقيام ولده أوكداي[(١)] مقامه.

هذا ما انتهى إلينا من وقائع التتار وحروبهم وما استولوا عليه في أيام ملكهم جنكزخان التمرجي؛ وهو على سبيل الاختصار لعدم من تحقق من أخبارهم ودوّن آثارهم. ثم كان بعد وفاة جنكزخان وقيام من قام بعده من أولاده حروب ووقائع، نذكرها إن شاء الله تعالى بعد ذكرنا وفاة جنكزخان.

ذكر وفاة جنكزخان التمرجي وأسماء أولاده وإخوته وما قرره لأولاده من الوظائف والبقاع وغير ذلك

كانت وفاة جنكزخان في سنة أربع وعشرين وستمائة[(٢)]، وقيل في سنة خمس

---

(١) «فلما مات جنكزخان استقل أوكداي بتخت أبيه» القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠٩.

(٢) مات في رابع شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة. فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ج١، ص٣٠٢. «وفيها في رمضان قبل المصاف بأيام اتفق موت جنكزخان سنة أربع وعشرين وستمائة» ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص١١٣. وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٣٩، في سنة ٦٢٤هـ مات جنكزخان وكان في الستين من عمره. في تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٤٧.

وعشرين في فصل الشتاء. قال: ولما حضرته الوفاة طلب إخوته وهم أوتكين وبلكوتي ونوين والحاي نوين ووكوب ووكابي[١] وحضر من أولاده جغطاي[٢] وأوكتاي وكتب لهم وصية وقال امتثلوها بعدي، وإذا أنا مت وجاء وقت الربيع تجمّعوا كلكم وتعمل وليمة عظيمة ثم تقرأ هذه الوصية بحضوركم، وينصب في الملك من عينته فيها وامتثلوا أمره، ثم فرقهم في مشاتيهم التي قررها لهم ففعلوا ذلك وامتثلوا أمره على ما نذكره، ومات هو. وكان له من الأولاد تسعة عشر ولدًا من امرأة واحدة وهي تسوجي خاتون[٣]؛ [منهم تلي خان وهو طلوخان وهو الذي قتل في سنة ثماني عشرة وستمائة] في الحرب التي كانت بينه وبين السلطان جلال الدين منكوبرتي على ما قدمنا ذكر ذلك. وكان لتلي خان من الأولاد منكوقان وهو الذي استقر في القانية بعد على ما نذكره إن شاء الله تعالى؛ وهولاكو وأريق بوكا وقبلاي، وهو الذي جلس على تخت القانية بعد منكوقان واستقرت القانية فيه وفي بنيه من بعده إلى آخر وقت، وسنذكر لك ذلك إن شاء الله تعالى. وكان جنكزخان قد فوض لابنه تلي خان هذا ترتيب العساكر والجيوش وتدبيره في المقام في مشتاه ومصيفه وجعل له من البلاد خراسان والعراقين وما يليها، فقتل قبل تمام الفتوح. ومنهم دوشي خان بن جنكزخان وهو الذي فتح خوارزم في حياة أبيه كما تقدم، وفتح أيضًا بعد وفاة أبيه بلاد الشمال، واستولى على ملكها، وأباد من بها من طوائف الأتراك وقبائل القفجاق وغيرهم من القبائل: كالالان، والآص[٤]، والأولاق[٥]، و[الجركس][٦] والروس وغيرهم من سكان البلاد الشمالية. واستقر ملك هذه البلاد بيده، ثم بيده باطوخان بن دوشي خان ثم في (صرطق بن دوشي خان)، ثم في أولاد باطوخان وإخوته على ما نذكره بعد.

---

(١) ذكر رشيد الدين الهمذاني أربعة إخوة لجنكزخان وهم: أوتكين وبلكوتي وجوجي قار وقاجيون. انظر جامع التواريخ، ج١، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) ورد اسم جغطاي وأوكداي في صبح الأعشى للقلقشندي ج٤، ص٣٠٨.

(٣) كان له زوجات كثيرات ويفضل عليهن سونجين بيكي وهي التي سماها النويري تسوجي خاتون. انظر المغول في التاريخ لفؤاد عبد المعطي الصياد ص١٠٩.

(٤) تكتب أيضًا الآس. انظر جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الثاني، الترجمة العربية، ص٢١٢، حاشية ١.

(٥) بضم الهمزة وسكون الواو ولام ألف بعدها قاف، ويقال لهم البرغال بضم الباء الموحدة، وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ثم لام، وهم جنس معروف. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦٤.

(٦) الجركس: بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الكاف وسين مهملة في الآخر. وهم في شظف من العيش وقد غلب عليهم دين النصرانية. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦٢.

ومن أولاد دوشي خان بن جنكزخان أرديوا وهو صاحب غزنة وباميان. وقد قيل إن أرديوا بن جنكزخان، وكان جنكزخان قد جعل وظيفة دوشي خان ترتيب الصيد، وهي عندهم أكبر المراتب، وعين له من البلاد والمياه لمشتاه ومصيفه حدود قيالق وبلاد خوارزم إلى أطراف سقسين وبلغار إلى حيث تنتهي حوافر خيلهم من الفتوح.

ومنهم أوكتاي خان بن جنكزخان وهو أوكتاي، وهو الذي جلس على تخت القانية بعد وفاة أبيه جنكزخان، وكان جنكزخان قد جعله مشيره وصاحب الرأي وعين له من البلاد آمل[1] وقوتاق وجعله ولي عهده من بعده، وعهد إليه أنه إذا انتهى الملك إليه أن يعطي ما بيده من البلاد لولده كيوك خان ثم يتحول إلى مستقر الملك من بلاد الخطا والأيغور بقرا قورم وغيرها.

ومنهم جغطاي بن جنكزخان كان أبوه قد فوض إليه مهمات السياسة والحكومة للياسا[2] واليرغو، وجعل له من البلاد للمراعي والمشاتي والمصيف من حدود بقاع الأيغور وسمرقند وبخارى وما يتاخم ذلك من البلاد. وكان مقامه قبل ذلك بقرب المالق وما يليها.

فهؤلاء الأربعة هم المشار إليهم من أولاد جنكزخان وله غير هؤلاء منهم أورخان، وكلكان، والغوانوين، وجورجاي، وأولطاي خان، وأرديوا، وقد تقدم الخلاف فيه هل هو ابن جنكزخان أو ابن دوشي خان. ومن أولاده مغل بن جنكزخان وهو جد نوغية، ولنوغية هذا أخبار تذكر بعد إن شاء الله تعالى. وقد قيل إن مغل بن دوشي خان.

وأما بقية أولاد جنكزخان فلم تنقل إلينا أسماؤهم بحكم أنه لم يكن لهم ملك وإنما كانوا في خدمة إخوتهم. وعيّن جنكزخان أيضًا لإخوته وأقاربه أماكن من ملكه، فاستقرت حالهم على ما قرره لهم، وكان قد خالف جنكزخان من قبائل التتار أويرات

---

(١) مدينة بطبرستان. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٨٥.

(٢) قال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٣٨، إن صاحب «التورا» و«اليسق» هو جنكزخان، «والتورا باللغة التركية هو المذهب، واليسق هو الترتيب، وأصل كلمة اليسق: سي يسا، وهو لفظ مركب من أعجمي، وتركي، ومعناه: التراتيب الثلاث، لأن «سي» بالعجمي في العدد ثلاثة، و«يسا» بالتركي: الترتيب، وعلى هذا مشت التتار من يومه إلى يومنا هذا، وانتشر ذلك في سائر الممالك حتى ممالك مصر والشام، وصاروا يقولون: «سي يسا» فثقُلت عليهم، فقالوا: «سياسة» على تحاريف أولاد العرب في اللغات الأجنبية».

وقنورت[١] فلم يزل جنكزخان يلاطفهم ويسوسهم إلى أن قرر على نفسه أن يزوجوهم ما لهم من البنات ولذريتهم. واستقرت هذه القاعدة فيهم إلى وقتنا هذا.

هذا ملخص ما انتهى إلينا من أخبار أولاد جنكزخان وما قرره لهم؛ فلنذكر أخبار من انتصب في القانية بعد وفاة جنكزخان من أولاده وأولادهم.

ذكر ملك أوكتاي بن جنكزخان[٢]

قد ذكرنا أن جنكزخان كان قد كتب وصية قبل وفاته بمحضر إخوته وبعض بنيه، وقرر معهم أن يعملوا بها بعده، وأمرهم أنه إذا دخل فصل الربيع يجتمع إخوته وأولاده، والخواتين[٣] والأمراء وأن يذبحوا الذبائح ويعملوا الأفراح أربعين يومًا من حين اجتماعهم؛ ثم تقرأ وصيته ويعمل بمقتضاها. فلما دخل فصل الربيع وذلك في سنة خمس وعشرين وستمائة، سُير حلف الأعمام والإخوة والخواتين وأمراء التمانات[٤]؛ فكان أول من حضر منهم جغطاي بن جنكزخان ثم أخوه أوكتاي ثم حضر نقيبهم ولم يتخلف منهم أحد. ثم ذبحوا الذبائح وأحضروا الخمور وألبان الخيل، وهي القمز[٥]. وعملوا الأفراح إلى أن مضت المدة التي عيّنها لهم، ثم

---

(١) ورد في صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٣٠٦ أنه كان «من أعظم القبائل المجيبة لدعوة جنكزخان قبيلتان إحداهما تدعى إديرات والأخرى فيقورات».

(٢) أخباره في الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨، ٢٧٦، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٠ ـ ١٥١ وفيهما رُسم «أجتاي».
ومما هو جدير بالذكر هنا أن علاء الدين الجويني كان سكرتيرًا خاصًا لهولاكو عندما سار لغزو الإسماعيلية في «ألموت» والخلافة العباسية في بغداد، وفي هذه الفترة استطاع أن يكتب كتاب «جهان كُشاي» أي تاريخ قاهر العالم ويروي هذا الكتاب حوادث السنوات العشر الأخيرة من حكم جنكزخان، . فيتناول الكلام عن الحوادث التي انتهت باستيلاء المغول على بلاد ما وراء النهر وفارس، ثم يتكلم عن حكم أقباي وكيوك ومانجوخان، وينتهي من كتابه إلى حوادث عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، وتوفي علاء الدين سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م ثم أتم هذا الكتاب عبد الله بن فضل الله المعروف بوصاف الحضرة فتكلم عن تاريخ المغول من سنة ٦٥٥هـ إلى سنة ٧٢٨هـ، ١٢٥٧ ـ ١٣٢٧م. حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول ص٢٢٨، حاشية رقم ١.

(٣) الخواتين: جمع خاتون. وهي كلمة عربية محرفة عن الكلمة المغولية «قادرين» وذلك دون لقب «الملكة» الذي كان في عهد الفاطميين وكانت تلقب به الزوجة أو الأم أو الأخت. وكان لهن مشاركة في الحكم في بلاد الروس. محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١١٥.

(٤) التمانات: انظر صفحة ٧٥ من هذا الجزء حاشية رقم ٢.

(٥) القمز: تكتب أيضًا القمبز: لفظ تتري يقصد به نوع من الخمور يصنع من لبن الخيل. المقريزي. السلوك للدكتور محمد مصطفى زيادة، ص٦٠٧ حاشية ٢.

اجتمعوا وأخرجوا كتاب الوصية الذي اكتتبه جنكزخان، فقرىء بمشهد منهم، فإذا لوصية فيه بالملك لأوكديه خان. فلما سمع أوكديه خان ذلك قال: كيف أجلس على كرسي الملك وفي إخوتي وأعمامي من هو أكبر مني وأصلح، فلا أجلس. فلم يرجعوا إلى قوله، وأقام أخوه جغطاي وأخذ بيده اليمنى وأخذ عمه أوتكين بيده اليسرى فأقاماه وأجلساه على كرسي الملك. ثم ملأ أخوه الأصغر وهو ألغو نوين هنابًا[1] من المشروب فناوله إياه، فعند ذلك قام جميع من حضر من أعمامه وإخوته وأمراء التمانات فضربوا جوك ـ وهو الخدمة عندهم ـ؛ وكيفيته أن يبرك الرجل منهم على أحد ركبتيه ويسير بمرفقه إلى الأرض؛ وهذه الخدمة عندهم غاية التعظيم. وشرب أوكديه خان ذلك الهناب، وأمر بإجلاس الناس على مراتبهم، ونزّلهم منازلهم، فأجلس الأعمام والإخوة عن يمينه وأجلس الخواتين عن يساره. فقام الإخوة وجلسوا بين يديه وقالوا: قد امتثلنا ياسا أبينا جنكزخان، ونشد أوساطنا في الخدمة والإخلاص، ونبذل أنفسنا في الطاعة، فشكرهم أوكديه وفتح الخزائن، وفرق الأموال والخلع، وأنعم حتى على الغلمان والرعاة، وفرق الناس في مصايفهم ومنازلهم واستقر هو بقرا قروم وجهز أخاه دوشي خان إلى بلاد الشمال ففتحها في سنة سبع وعشرين وستمائة وملكها وأقام بها على ما نذكر ذلك في أخبارهم.

فلنذكر الحروب الكائنة بين عساكر أوكديه خان وبين السلطان جلال الدين وغيره من المسلمين.

ذكر الحروب الكائنة بين التتار والسلطان جلال الدين، وما كان من أمرهم إلى أن ملكوا ما كان بيده[2]

كانت أول حرب وقعت بين السلطان جلال الدين منكوبرتي وبين التتار بعد خروجه من الهند في سنة خمس وعشرين وستمائة بظاهر أصفهان، فهزموه ثم هزمهم، وأذاهم بالقتل ولم يسلم منهم إلا قليلًا. وحكي أن هذه الطائفة من التتار كان جنكزخان قد نقم على مقدمها وأبعده عنه، وأخرجه من بلاده، فقصد خراسان فرآها خرابًا، فقصد الري لتغلبه على تلك النواحي. ثم تقدم إلى قرب أصفهان فالتقى هو وجلال الدين، ولما هزمه جلال الدين، أرسل إليه أوكديه بن

---

(١) الهناب: قدح للشراب.

Dosy: Supp. Dict. Ar.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٤٧٦، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص١٢٦، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٤٥.

جنكزخان يقول إن هذه الطائفة ليست منا، فأمن عند ذلك جانب أوكتاي، ثم انقطعوا عنه ثلاث سنين.

وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة في أوائلها، وصلت طائفة من التتار من بلاد ما وراء النهر إلى تخوم أذربيجان. وكان سبب ذلك أن مقدم الإسماعيلية كاتبهم وعرّفهم أن جلال الدين قد ضعف وانهزم من كيقباذ صاحب الروم ومن الأشرف، وأنه وقع بينه وبين من يجاوره من الملوك، ووصلت إساءته إلى كل منهم وأنهم لا ينصرونه وضمن لهم الظفر به[١]. فبادرت طائفة منهم من التتار ودخلوا البلاد، واستولوا على الري وهمذان وما بينهما من البلاد، ثم قصدوا أذربيجان وقتلوا من ظفروا به من أهلها، ولم يقدم جلال الدين على قتالهم لتفرق عساكره ومخالفة وزيره شرف الملك عليه. وكان من كبسهم للسلطان جلال الدين، وانهزامه منهم، وتنقله من مكان إلى آخر ما قدمناه في أخباره. ثم كبسه التتار وهو بالقرب من آمد فهرب منهم. وكان من خبر مقتله ما قدمناه، فتمكن التتار بعد مقتله من البلاد وملكوها من غير ممانع عنها ولا مدافع.

ذكر طاعة أهل أذربيجان للتتار[٢]

قال ابن الأثير الجزري: وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة أطاع أهل أذربيجان التتار. وسبب ذلك أن جلال الدين لما كبسه التتار بآمِد وانهزم منهم، وانقطع خبره، سقط في أيدي الناس وأذعنوا بطاعة التتار وحملوا إليهم الأموال والثياب وغير ذلك. فممن دخل في طاعتهم أهل مدينة تِبريز - وهي توريز - وهي أصل أذربيجان ومرجع الجميع إليها. وكان مقدم جيش التتار نزل بعساكره بالقرب منها ودعا أهلها إلى طاعته، وتهددهم إن امتنعوا عليه، فأرسلوا إليه الأموال والتحف ومن كل شيء حتى الخمر، وبذلوا الطاعة. فشكرهم على ذلك، وطلب حضور أكابر أهلها إليه، فتوجه إليه قاضي البلد ورئيسه وجماعة من الأعيان، وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائي وكان مرجع الجميع إليه، إلا أنه لا يظهر ذلك. فلما حضروا عنده سألهم عن سبب

---

(١) سجل النسوي صاحب سيرة جلال الدين منكبرتي في الصفحة ٣٣٤ أن جلال الدين استشار مختلف القوى المجاورة له في الشرق الأوسط بعد عودته من الهند سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م كما أنه حارب أخاه غياث الدين الذي خانه، وحارب حاكم كرمان كما حارب الخليفة في بغداد. وحارب الإسماعيلية الباطنية سنة ٦٢٤هـ. كما انتزع خلاط سنة ٦٢٧هـ من صاحبها الأشرف موسى ابن الملك العادل الأيوبي وهذا ما جعله ضعيفًا غير قادر على كسب حليف يمكن أن يساعده إذا تعرض لخطر المغول.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٥٠٢.

امتناع الطغرائي من الحضور، فاعتذروا بانقطاعه وعدم تعلقه بالملوك وأنهم الأصل، فسكت. ثم طلب صناع الثياب الخطاي[١] وغيرها فحضروا إليه، فأمرهم أن يستعملوا للقان ثيابًا، وقرر ثمنها على أهل تبريز، وطلب منهم خركاة للقان أيضًا فعملوا خركاة عظيمة غشوا ظاهرها بالأطلس وباطنها بالسمور[٢] والقندر، وقرر عليهم في كل سنة من المال والثياب شيئًا معلومًا.

ذكر دخول التتار ديار الجزيرة[٣]

قال: لما انهزم جلال الدين من التتار على آمِد نهب التتار سواد آمد وميافارقين وقصدوا مدينة أسعرد[٤] فقاتلهم أهلها فبذل لهم التتار الأمان، فسلموا لهم البلد، فعند ذلك بذلوا فيهم السيف حتى كادوا يأتون عليهم، فما سلم منهم إلا من اختفى، وقليل ما هم. قيل إن القتلى بلغت تقدير خمسة عشر ألفًا، وكانت مدة الحصار خمسة أيام، ثم ساروا منها إلى مدينة طنزة[٥] ففعلوا فيها كذلك، وساروا منها إلى واد بالقرب منها يقال له وادي القريشية، فيه طائفة من الأكراد القريشية، وفيه مياه جارية وبساتين كثيرة، والطريق إليه ضيق، فمنعهم القريشية منه وقتلوا كثيرًا منهم، فعاد التتار ولم يبلغوا منهم غرضًا، وساروا في البلاد لا مانع يمنعهم فوصلوا إلى ماردين فنهبوا ما مروا عليه من بلدها واحتمى صاحبها وأهل دنيسر بقلعة ماردين. ثم وصلوا إلى نصيبين الجزيرة فأقاموا عليها بعض يوم ونهبوا سوادها، وقتلوا من ظفروا به، وغلقت أبوابها فعادوا عنها؛ وتوجهوا إلى بلد سنجار، فوصلوا إلى البلاد من أعمالها، فنهبوا ودخلوا الخابور فوصلوا إلى عربان[٦]، فنهبوا وقتلوا وعادوا وتوجهت طائفة منهم على

---

(١) «الخطائي» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٥٠٣.

(٢) السمّور: وهو حيوان جريء، وقيل السمور: طير، ومنه يتخذ نفيس الفراء التي لا يلبسها إلا الملوك وأكابر الأعيان ممن يداني الملوك لحسنها ودفائها، وأحسنه ما كان منه شديد النعومة مائلًا إلى السواد. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٨ ـ ٤٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٤٩٩.

(٤) هكذا وردت في الأصل وفي الكامل لابن الأثير ج١٢، ص٤٩٩ وأسعرد وهي سعرت: مدينة من ديار ربيعة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص٢٧٦.

(٥) طنزة: بفتح أوله وسكون ثانيه: بلد بجزيرة ابن عمر بديار بكر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤.

(٦) عَرَبان: بفتح أوله وثانيه: بلدة من أرض الجزيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٩٦.
وردت في الأصل عربان وكذلك في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٥٠٠.

طريق الموصل، فوصلوا إلى قرية تسمى المؤنسة، وهي على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل، فنهبوا واحتمى أهلها وغيرهم بخان فيها، فقتلوا كل من فيه ومضت طائفة منهم إلى نصيبين الروم وهي على الفرات من أعمال آمد، فنهبوا وقتلوا منها ثم عادوا إلى آمد ثم إلى بلد بَدْلِيس[١] فتحصن أهلها بالقلعة وبالجبال، فقتلوا فيها يسيرًا، وأحرقوا المدينة، ثم ساروا من بدليس إلى خلاط فحصروا مدينة من أعمالها يقال لها باكري [وهي][٢] من أحصن البلاد، فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها، وقصدوا مدينة أرجيش[٣] من أعمال خلاط، وهي مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وستمائة.

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل: لقد حكي لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي ألقاه الله تعالى في قلوب الناس منهم، حتى قيل إن الواحد منهم كان يعبر[٤] القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس فيقتلهم واحدًا بعد واحد ولا يجسر أحد يمد يده إليه. قال: ولقد بلغني أن إنسانًا منهم أخذ رجلاً ولم يكن معه ما يقتله به فقال له: ضع رأسك على الأرض ولا تبرح. فوضع رأسه على الأرض ومضى التتاري وأتى بسيف فقتله به. قال: وحكي لي كثير من ذلك أعفيت عنه رغبة في الاختصار.

قال: وفي ذي الحجة سنة ثمانٍ وعشرين وصلت طائفة من التتار من أذربيجان إلى أعمال إربل، فقتلوا من على طريقهم من التركمان الإيوائية والأكراد وغيرهم إلى أن دخلوا إلى بلد إربل، فنهبوا القرى وقتلوا من ظفروا به، ثم وصلوا إلى بلد دقوقا وغيرها وعادوا، ولم يرعهم أحد ولا وقف في وجوههم فارس.

هذا آخر ما أورده ابن الأثير والمنشي في تاريخيهما من أخبار التتار لم يتجاوزا سنة ثمان وعشرين وستمائة، وبعض ما أوردناه لم يورداه في تاريخيهما كوفاة جنكزخان وقيام ولده، فإنه ما وصل إليهما. والله أعلم.

---

(١) بَدْليس: بالفتح ثم السكون وكسر اللام، بلدة من نواحي أرمينية قرب خِلاط. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٨.

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٥٠٠.

(٣) أرجيش: بالفتح ثم السكون: مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى قرب خلاط، أكثر أهلها أرمن نصارى، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٤٤.

(٤) «يدخل القرية» في الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص٥٠٠.

ذكر وفاة أوكتاي خان وقيام ولده كيوك خان بعده وقتله

كانت وفاة أوكتاي خان بن جنكزخان في «سنة إحدى وثلاثين وستمائة»[١] ولما دنت وفاته استدعى أعمامه والأمراء وأمرهم بإجلاس ولده كيوك خان على كرسي المملكة، وأمر أن يكون جلوسه بحضور الأعمام والإخوة والأمراء. فلما مات اجتمعوا كلهم، إلا دوشي خان[٢] فإنه كان قد أوغل في بلاد الشمال واستولى عليها وعلى ما يدانيها من القفجاق وغيرها، فلم يمكنه الحضور لبُعد المسافة، فأرسل أخاه مغل بن جنكزخان، ومغل هذا هو جد نوغيه فسار مغل وأوصى على أولاده لعلمه ببُعد المسافة. فلما وصل إلى قرا قروم اجتمع أهل البيت الجنكزخاني والخواتين فأنكروا عليه وقالوا له: ولِمَ لم يأت دوشي خان، فاعتذر عنه بأعذار، فلم يقبلوها وأشاروا أن يسقوه سمًا فيقتلوه، فناولوه قدحًا فشربه. فلما علم أن فيه السم أيس من الحياة وأخرج سكينًا كان في خفه ووثب على كيوك فقتله[٣]، وخرج جماعة من أكابر الناس عليه فقتلوه.

ذكر جلوس منكوقان[٤] بن تلي خان بن جنكزخان على تخت القانية

ومنكوقان هو الملك الرابع من الملوك الذين جلسوا على تخت القانية. قال:

---

(١) توفي أوكتاي سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م في تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٠، وفي الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٣٠، ٢٧٦.

(٢) هذه الواقعة غير صحيحة لأن دوشي خان (جوجي خان) قد توفي في حياة أبيه كما ذكرنا في الصفحة ٢٢٥ حاشية ٣ من هذا الجزء.

(٣) لم يقتل كيوك بل توفي وفاة طبيعية، وذكر حافظ حمدي أن أجتاي مات سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م ومرّت فترة طويلة من الوقت قبل أن ينتخب الخاقان الجديد. وأخيرًا انتخب كيوك سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م ولكنه لم يستمر في الحكم كثيرًا إذ توفي بعد سنتين» انظر الدولة الخوارزمية والمغول ص٢٣٠. وعن أخبار كيوك وأخلاقه وحكمه انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٢.

(٤) رسمه حافظ حمدي مانجو خان، انتخب سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م توفي سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م انظر الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٧٦.

وانظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص٣٢٧، وفيه وصية منكوخان إلى أخيه هولاكو لما سلمه قيادة الجيش الذي أرسله لفتح الغرب (غربي الصين) أخبار مانجوخان بن تولوي في تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٣. والدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٣٧. وتاريخ جهانشكاي للجويني ج١ ص٢٠٥ وجامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني ج١، ص٥٧١.

ولما قتل كيوك خان من غير وصية اجتمع أولاد الخانات وأمراء التمانات، واتفقت آراؤهم على إقامة منكوقان، فإنهم لم يجدوا في البيت أرجح منه ولا أرشح للملك، فأجلسوه على كرسي القانية. ولما استقر جرد أخاه قبلاي إلى بلاد الخطائية[١] فعاد منهزمًا منهم، فأعاد وجهز معه أرنيكا[٢]، فتوجها إليهم بعساكرهما فكسروهم وغنموا غنائم كثيرة، فوقع بين الأخوين التنازع في الغنائم، حتى كان بينهما قتال، فهزم أرنيكا قبلاي ثم اصطلحا واستقر الأمر بينهما[٣] وكانت سائر ملوك التتار داخلة تحت طاعة من ينتصب على تخت القانية يأتمرون بأمره. وإنما استقل كل منهم بنفسه وانفرد بمملكته بعد وفاة منكوقان. ولما ملك منكوقان انقطع التتار عن الوصول إلى العراق والروم وغيرهما مما يكون داخلاً في طاعة الخلفاء العباسيين مدة سنين، وأرى ذلك إنما كان لاشتغالهم بقتال من يليهم، ثم رجعوا إلى هذه الممالك ففتحوها مملكة بعد أخرى[٤].

ذكر دخول التتار إلى بلاد الروم وما استولوا عليه من البلاد

كان أول دخول التتار إلى البلاد الرومية في سنة أربع وثلاثين وستمائة، في أواخر أيام السلطان علاء الدين كيقباذ وابتداء سلطنة ولده غياث الدين كيخسرو. ثم وردت طائفة منهم إلى الروم في سنة إحدى وأربعين وستمائة، في أيام السلطان غياث الدين كيخسرو. وكانت هذه الطائفة من قبل باطوخان بن دوشي خان بن جنكزخان، ملك البلاد الشمالية؛ فجمع كيخسرو العساكر وخرج إليهم والتقوا

---

(١) بلاد الخطائية: تشتمل هذه البلاد الأقاليم الجنوبية في بلاد الصين.

Dosy, Supp. Dict. Ar.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) عين مانجوخان أخاه كوبيلاي خان حاكمًا عامًا على بلاد الصين. (مانجوخان أو منكوقان) وقبلاي هو كوبيلاي. انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٤.

(٤) بذل الغرب الأوربي المسيحي محاولات للاتصال بالمغول في عهد كيوك ومنكوخان. وحاولوا نشر المسيحية من ناحية واستشارتهم ضد المسلمين في الشرق الأدنى من ناحية أخرى. انظر الحركة الصليبية لسعيد عبد الفتاح عاشور ج٢، ص١٠٩٨.

لم يعتنق كيوك الديانة المسيحية ولكنه ترك أمور دولته لوزيريه المسيحيين كما ملأ بلاطه بكثير من الرهبان ورجال الدين من المسيحيين، وكان من أثر ذلك أن لقي المسلمون في عهده صنوفًا مختلفة من العذاب. حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول ص٢٤٨ حاشية رقم ٢.

واقتتلوا. فكانت الهزيمة أولاً على التتار ثم تراجعوا، فهزموا صاحب الروم هزيمة عظيمة، وقتلوا وأسروا خلقًا كثيرًا من المسلمين، ونهبوا من الأموال ما لا يحصى كثرة. وهرب غياث الدين إلى بعض المعاقل، وتحكمت التتار في البلاد، ثم استولوا على بلاد خلاط وآمد، ودخل غياث الدين بعد ذلك في طاعة التتار على مال يحمله إليهم.

وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة، قصد التتار بغداد ونهبوا ما مروا عليه في طريقهم، ووصلوا إلى ظاهرها، واستعدت عساكر الخليفة للقائهم. فلما جاء الليل أوقد التتار نارًا عظيمة ورجعوا تحت الليل. ثم انقطعت أخبار التتار إلى أن جردهم منكوقان في سنة أربع وخمسين وستمائة على ما نذكره.

ذكر تجريد منكوقان العساكر إلى بلاد الروم وما استولوا عليه منها

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة جرد منكوقان جرماغون وبيجو[(١)] وجماعة من عساكره إلى بلاد الروم؛ وهي يومئذ في يد السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ السلجقي، فساروا إليها ونزلوا على أرزن الروم[(٢)]، وبها يومئذ سنان الدين ياقوت العلائي أحد مماليك السلطان علاء الدين كيقباذ. فحاصروها مدة شهرين ونصبوا عليها اثني عشر منجنيقًا، فهدموا أسوارها، ودخلوها عنوة، وأخذوا سنان الدين ياقوت، وملكوا القلعة في اليوم الثاني، وقتلوا الجند واستبقوا أرباب الصنائع وذوي المهن، وقتلوا ياقوت؛ وغنموا وسبوا، وعادوا، ومات جرماغون.

ثم عاد بيجو إلى الروم مرة ثانية في هذه السنة، فوصل إلى آقشهر زنجان، ونزل بالصحراء التي هناك. فجمع غياث الدين كيخسرو عساكره وسار للقائهم، فانهزم من غير لقاء، كما ذكرناه في أخباره، وغنم التتار خيامه وخزائنه وأثقاله إلا ما حمله مما خف منها. وفرّ غياث الدين إلى قونية وتوفي في هذه السنة.

وعاد بيجو ثم رجع إلى بلاد الروم في سنة خمس وخمسين وستمائة فدخلها وشن الغارات وسبى، وكان المحرك لعوده أن بيجار الرومي حضر إلى باب السلطان

---

(١) كتب «باجو» انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٧.

(٢) أرزن الروم: مدينة مشهورة من مدن أرمينية بالقرب من خلاط. انظر صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٣٥٤.

غياث الدين ليحضر السماط، ولم تكن له صورة بعسكر الروم، فمنعه البردادرية[١] وضربه بعضهم بعصاه على رأسه، فسقط طرطوره إلى الأرض فشق ذلك عليه، وقال: أنتم رميتم طرطوري في هذا الباب، لا بد أن أرمي عوضه رؤوسًا كثيرة. وخرج من فوره وتوجه إلى بيجو وحثه على قصد الروم، فقصده وأغار وخرج بعد الإغارة.

ثم عاد إلى الروم في هذه السنة، وقد استقل عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بالسلطنة. فلما بلغه عود التتار، جهز جيشه وقدم عليهم أميرًا من أكابر أمرائه اسمه أرسلان دغمش، فتوجه بعساكر الروم وكان بيجو قد نزل بصحراء قونية. فلما كان بعد توجه أرسلان بأيام شرب كيكاوس مسكرًا وتوجه إلى بيت أرسلان دغمش وهو على حالة من السكر ليهجم على حريمه؛ فبلغه ذلك فغضب له وقال: أكون قد بذلت نفسي في دفع عدوه ويخلفني في حريمي بهذا. وأجمع على الخلاف، وأرسل إلى بيجو ووعده أنه يتخاذل عند اللقاء وينحاز إليه.

فلما التقوا، عمل أرسلان إلى سناجق[٢] صاحبه فكسرها وانهزم بالعسكر ثم توجه إلى بيجو فأكرمه وتلقاه وحضر معه إلى قونية. ولما اتصل خبر الكسرة بالسلطان عز الدين فرّ من قونية إلى العلايا[٣] وأغلق أهل قونية أبواب المدينة. فلما كان يوم الجمعة أخذ الخطيب ما يملكه من ماله وحلي نسائه وأحضره معه إلى الجامع، ورقي المنبر وقال: «يا معشر المسلمين، إننا قد ابتلينا بهذا العدو وليس لنا من يعصمنا منه، وقد بذلت مالي، فابذلوا أموالكم واشتروا نفوسكم بنفائسكم، واسمحوا بما عندكم لنجمع من بيننا ما نفدي به نفوسنا وحريمنا وأولادنا». ثم بكى وأبكى الناس وسمح كل أحد بما أمكنه.

وجهز الخطيب المذكور الإقامات وخرج إلى مخيم بيجو فلم يصادفه، لأنه كان قد توجه إلى الصيد، فقدم ما كان معه إلى الخاتون زوجة بيجو، فقبلته منه وأقبلت عليه وأكل من المأكول فأكلت وقدم المشروب فأخذ منه شيئًا على سبيل الشاشني[٤]،

---

(١) البردادر: وهو الذي يكون في خدمة مباشري الديوان متحدثًا على أعوانه والمتصرفين فيه، كما في مقدم الدولة، وأصله «فردادار» وهو مركب من لفظين فارسيين: أحدهما فردًا، ومعناه الستارة، والثاني دار، ومعناه ممسك والمراد ممسك الستارة وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة ثم نقل إلى الديوان. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٨.

(٢) في الأصل صناجق.

(٣) العلايا: مدينة أسسها السلطان علاء الدين السلجوقي وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر ولها قلعة منيعة بناها أيضًا السلطان علاء الدين. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٨٣.

(٤) كلمة فارسية معناها الذوق، في الطعام والشراب. وتكتب أيضًا جاشني.

Dozy, Supp. Dict. Ar.

وناوله لصغير. فقالت له: لمَ لا تشرب أنت منه؟ فقال: هذا محرم علينا. قالت: مَن حرمه؟ قال: الله حرمه في كتابه. قالت: فكيف لم يحرمه علينا؟ فقال: أنتم كفار ونحن مسلمون. فقالت له: أنتم خير عند الله أم نحن؟ قال: بل نحن. قالت: فإذا كنتم خيرًا منا عنده، فكيف نصرنا عليكم؟ فقال: هذا الثوب الذي عليك وكان ثوبًا نفيسًا يمنيًا مرصعًا بالدراتب[1] تعطيه لمن يكون خاصًا بك أو بعيدًا عنك؟ قالت: بل أخص به من يختص بي. قال: فإذا أضاعه وفرط فيه ودنّسه، ما كنت تصنعين به؟ قالت: كنت أنكل به وأقتله. فقال لها: دين الإسلام بمثابة هذا الجوهر، والله أكرمنا به فما رعيناه حق رعايته، فغضب علينا وضربنا بسيوفكم واقتص منا بأيديكم. فبكت زوجة بيجو وقالت للخطيب: من الآن تكون أبي وأكون ابنك. فقال: ما يمكن حتى تسلمي. فأسلمت على يديه، وأجلسته إلى جانبها على السرير، فحضر بيجو من الصيد، فهمّ الخطيب أن يقوم له، فمنعته وقالت: «أنت قد صرت حماه[2] وهو يريد أن يجيء إليك ويخدمك» فلما دخل بيجو إلى الخيمة قالت له: هذا قد صار أبي. فجاس بيجو دونه وأكرمه وقال لزوجته: أنا عاهدت الله أنني إذا فتحت قونية وهبتها لك. فقالت: وأنا وهبتها لأبي. ثم أمر بفتح قونية، وأمن أهلها ورتب على كل باب شحنة من التتار ورسم أن لا يدخلها من التتار إلا من له حاجة، وأن يكونوا خمسين خمسين، لا يزيدون على ذلك. فلم يتعرضوا لأهلها بسوء. ثم اتفق بعد هذه الواقعة توجُه رسل صاحب الروم إلى منكوقان، ومصالحتهم وبذلهم ما بذلوه وقسمه البلاد بين ولدي كيخسرو على ما قدمناه في أخبارهم.

ذكر مهلك منكوقان وما حصل بين إخوته من التنازع في القانية

كانت وفاة منكوقان بمقام نهر ألطاي من بلاد أيغور، سنة ثمان وخمسين وستمائة[3]. وكان قد قصد غزو الخطا. وكان منكوقان يدين بدين النصرانية[4]، وكان

---

(١) هكذا في الأصل. (٢) في الأصل «حموه».

(٣) توفي مانجوقان أو منكوقان سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م انظر جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني، ج٢، ص٦٠٣ والدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٧٦، وتاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٣.

(٤) لا يوجد في المراجع ما يثبت أن منكوقان كان يدين بالنصرانية ولكنه كان متسامحًا مع جميع رعاياه وقصره كان فيه قاعة وسطى تماثل الكنيسة. وكان يزوره وليام روبرك وغيره من الرهبان المسيحيين. انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٣.

أخوه[١] أرنيكا[٢] ينوب عنه في كرسي المملكة بقراقروم. فلما مات منكوقان، أراد [أرنيكا] الاستيلاء على المملكة، وكان أخوه قبلاي مجردًا ببلاد الخطا من جهة منكوقان، فجلس في دست القانية. فأرسل بركة بن باطوخان صاحب البلاد الشمالية إلى أرنيكا يقول: أنت أحق بالقانية، لأن منكوقان رتبك فيها في حياته، وانضم إليه بنو عمه قجي[٣] بن أوكتاي وإخوته. ثم عاد قبلاي من بلاد الخطا، فسار أرنيكا لحربه، والتقوا واقتتلوا فكانت الكسرة على قبلاي، وانتصر أرنيكا، واحتوى على الغنائم والسبايا واختص بها، ولم يسهم منها لأحد من بني عمه شيئًا. فوجدوا عليه وتفرقوا عنه ومالوا إلى قبلاي، فعاود القتال، فاستظهر قبلاي عليه وأخذ أرنيكا أسيرًا.

ذكر ملك قبلاي بن تولي خان بن جنكزخان القانية وهو الخامس من ملوكهم

قال: ولما انهزم جيش أرنيكا وأسر هو، استقر قبلاي في القانية بقراقروم، وسقى أرنيكا سمًا فمات. وبلغ ذلك هولاكو، فسار في طلب القانية لنفسه، فما وصل إلى البلاد إلا وقد استقر أخوه[٤] قبلاي في القانية فاستقر له ما افتتحه من الأقاليم.

وفي سنة سبع وثمانين وستمائة كانت الحرب بين جيوش قبلاي القان وبين قيدو[٥] بن قيجي بن طلوخان بن جنكزخان صاحب ما وراء النهر. وكان سببها أنه - قبلاي - غضب على أمير من أمرائه اسمه طردغا، فأحس أن قبلاي قد عزم على الإيقاع به، فهرب ولحق بقيدو وحسّن له قصد قبلاي وحربه، وأطمعه في القانية. وقال: إن قبلاي قد كبر سنه وما بقي ينهض بتدبير مملكته وإنما أولاده هم الذين يتولون الأمور وهم صبيان، فسار قيدو بجيوشه وطردغا صحبته، وبلغ قبلاي الخبر فجهز جيوشه صحبة ولده نمغان[٦]. فلما صار قيدوا بالقرب من القوم بلغه ما هم عليه من الكثرة، فهمّ بالرجعة فقال له طردغا: «يعطيني الملك تمانا[٧] من نقاوة

---

(١) في الأصل «أخاه». (٢) هكذا في الأصل.

(٣) هكذا في الأصل وتكتب أيضًا قاش.

(٤) في الأصل «أخاه».

(٥) هكذا في الأصل. ويرسم أيضًا قايدو وهو ابن قاش بن أوكتاي. رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ص٤٤٧ - ٤٤٨.

(٦) هكذا في الأصل ورشيد الدين يكتبه نوموغان. جامع التواريخ ج١، ص٦١٣.

(٧) أي عشرة آلاف جندي. انظر صفحة ٧٥ من هذا الجزء حاشية رقم ٢.

العسكر، وأنا أدبر الحيلة وأهزمهم» فقال له قيدوا: «وكيف تصنع؟» فقال: «إن الطريق أمامنا فيه واد بين جبلين، فأتوجه أنا بالتمان وأكمن في الوادي، ويتقدم الملك إلى القوم، فإذا التقى الجمعان يرجع الملك فهم لا بد يتبعونه، فإذا تبعوه نستدرجهم إلى أن يصيروا بينه وبين الوادي، فأخرج أنا إليهم ويعطف الملك عليهم بمن معه» ففعل قيدو ذلك وفرّ أمامهم حتى تجاوزوا الكمين. فخرج عليهم طردغا وعطف قيدو بمن معه فانكسر نمغان وعساكره وقتل منهم خلق كثير. وسار قيدو ومن معه في آثارهم حتى أشرفوا على منازلهم، ونهبوا من النساء والصبيان شيئًا كثيرًا. وجلبت المماليك التتار إلى الديار المصرية إثر هذه الوقعة. قال: ولما وصل نمغان إلى أبيه غضب عليه، وأرسله إلى بلاد الخطا فأقام حتى مات.

ودامت أيام قبلاي وطالت إلى سنة ثمان وثمانين وستمائة[1]، فكانت مدة ملكه نحوًا من ثلاثين سنة[2]. ولما مات جلس بعده ابنه شرمون بن قبلاي بن تلي خان بن جنكزخان وهو السادس من ملوكهم.

كان جلوسه على تخت القانية بعد وفاة أبيه في شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة وكان لقبلاي ثلاثة أولاد وهم نمغان وشرمون[3] وكملك. فأما نمغان فإنه كان ببلاد الخطا كما ذكرنا، فمات بها. وكان شرمون هو الأكبر، فجلس في الملك ودامت أيامه إلى سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وتوفي فيها أو فيما يقاربها. ولما مات سار طقطا بن منكوتمر صاحب البلاد الشمالية في طلب القانية، فمات أيضًا ولم يلها. وجلس على كرسي القانية أحد أولاده ولم يصل إلينا جلية الخبر فنذكره.

فلنذكر ملوك البلاد الشمالية من البيت الجنكزخاني.

---

(١) هكذا في الأصل ولكن رشيد الدين يذكر أن وفاته كانت سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م انظر جامع التواريخ، ج١، ص٦٦١ كذلك في الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٧٦، وتاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٤.

(٢) مدة حكمه ٣٥ سنة. انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٧٦.

(٣) هكذا في الأصل. ويكتب أيضًا شيرامون وسيرامون وشيرامون هو ابن كوجو بن أوكتاي وكوجو هو الابن الثالث لأوكتاي وولي عهده. انظر جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني، ج١، ص٤٤٦.

ذكر أخبار ملوك البلاد الشمالية
من أولاد جنكزخان التمرجي

هذه المملكة ببلاد الشمال ونواحي الترك والقفجاق وكرسيها مدينة حراي[١]. وأول من ملك هذه المملكة من أولاد جنكزخان. دوشي خان[٢] وهو الذي فتحها لما جهزه أخوه أوكديه خان عند انتصابه في القانية بعد مهلك جنكزخان، وذلك في سنة سبع وعشرين وستمائة، وهلك في سنة إحدى وأربعين وستمائة.

وملك بعده ابنه باطوخان بن دوشي خان، وهو الملقب صاين قان، واستمر في الملك من سنة إحدى وأربعين وستمائة إلى أن توفي في سنة خمسين وستمائة. وكانت مدة ملكه عشر سنين وهو الثاني من ملوك هذه المملكة.

ولما مات صاين قان خلف من الأولاد ثلاثة، وهم طغان وبركة وبركجار[٣]. فنازعهم عمهم صرطق[٤] بن دوشي خان بن جنكزخان الملك، واستبد به دونهم، فملك في سنة خمسين وستمائة وهو الثالث من ملوك هذا البيت واستمر في الملك إلى أن هلك في سنة اثنتين وخمسين وستمائة، فكانت مدة ملكه سنة وشهورًا. ولم يكن له ولد.

وكانت براق شين[٥] زوجة طغان ابن أخيه باطوخان قد أرادت أن تولي ولدها تدان منكوا السلطنة بالبلاد الشمالية بعد وفاة صرطق، وكان لها بسطة وتحكم، فلم يوافقها الخانات أولاد باطوخان عمومة ابنها، وأمراء التمانات على ذلك. فلما رأت ذلك من إقناعهم راسلت هولاكو بن تلي خان وأرسلت إليه نشابة بغير ريش، وقباءً بغير بنود؛ وأرسلت إليه تقول له: «قد تفرغ الكاشن من النشاب وخلا القرنان من القوس، فتحضر لتتسلم الملك» ثم سارت في إثر الرسول، وقصدت اللحاق بهولاكو أو إحضاره إلى بلاد الشمال. فلما بلغ القوم ما دبرته أرسلوا في إثرها وأعادوها، على كره منها وقتلوها.

---

(١) حراي: وتكتب أيضًا السراي، وهي مدينة عظيمة على شط نهر الأثل غربي بحر الخزر بناها بركة بن طوجي بن جنكزخان. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص٤٥٧.

(٢) انظر صفحة ٢٢٥ من هذا الجزء حاشية ٤.

(٣) بركة وبركجار من أولاد دوشي (جوجي) وليسا من أبناء باطو (باتو). انظر جامع التواريخ، ج١، ص٥٠٦.

(٤) يكتب أيضًا سرتاق. وكتبه المقريزي «صرطق خان ابن دوشي خان» السلوك ج١، ص٣٩٤ في معجم الأنساب والأسرات لزامباور ص٣٦٣ أن سرتاق بن باطو أو باتو بن دوشي.

(٥) ترسم أيضًا برقجين خاتون. زامباور: معجم الأنساب والأسرات، ص٣٦٣.

هذا ما انتهى علمه إلينا من أخبار هؤلاء الملوك الثلاثة، ولم نطلع على ما كان لكل منهم من الأخبار والحروب والوقائع والفتوحات فنذكره، وإنما أوردنا ما أوردناه وما نورده مما تلقفناه من أفواه الرجال.

ذكر ملك بركة بن باطوخان بن دوشي خان ابن جنكزخان وهو الرابع من ملوك هذه المملكة الشمالية

كان جلوسه على تخت المملكة الشمالية في سنة اثنتين وخمسين وستمائة بعد وفاة عمه صرتق، وأسلم بركة هذا وحسن إسلامه، وأقام منار الدين، وأشهر شعائر الإسلام وأكرم الفقهاء وأدناهم منه، وقربهم لديه ووصلهم، وابتنى المساجد والمدارس بنواحي مملكته، وهو أول من دخل في دين الإسلام من عقب جنكزخان. لم ينقل إلينا أن أحدًا منهم أسلم قبله[(١)]. ولما أسلم أسلم أكثر قومه وأسلمت زوجتهججك خاتون، واتخذت لها مسجدًا من الخيام تسافر به.

وفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة كانت الحرب بين بركة وهولاكو ملك خراسان والعراقين وما مع ذلك. وذلك أن هولاكو لما انتهت إليه رسالة براق شين زوجة طغان كما ذكرناه، أطمعه ذلك في ملك هذه المملكة ليضمها إلى ما بيده من الممالك. فتجهز وسار بجيوشه إليها، فكان وصوله بعد قتل براق شين وجلوس بركة على سرير الملك وانتظام الأمر له.

ولما اتصل ببركة خبر هولاكو وقربه من البلاد سار بجيوشه للقائه وكان بينهما نهر يسمى نهر ترك وقد جمد ماؤه لشدة البرد، فعبر عليه هولاكو بعساكره إلى بلاد بركة. فلما التقوا واقتتلوا كانت الهزيمة على هولاكو. فلما وصل إلى ذلك النهر تكردس أصحابه عليه، فانخسف بهم، ففرق منهم خلق كثير[(٢)]، ورجع هولاكو بمن بقي معه من أصحابه إلى بلاده. ونشأت الحرب بينهم من هذه السنة، وكان فيمن شهد هذه الوقعة مع بركة ابن عمه نوغيه. ابن ططر بن مغل بن جنكزخان فأصابته طعنة رمح في عينه فغارت. ولنوغيه هذا أخبار نذكرها بعد إن شاء الله تعالى.

---

(١) ورد في صبح الأعشى للقلقشندي، ج٤، ص٣٠٩ أن أول من أسلم من بيت جنكزخان هو بركة بن جوجي بن جنكزخان. ولقد أسلم على يد الشيخ شمس الدين الباخرزي.

(٢) عن هذه الحادثة انظر جامع التواريخ لرشيد الدين ج١، ص٣٣٤.

وراسل بركة[١] هذا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ملك الديار المصرية والممالك الشامية في سنة إحدى وستين وستمائة يخبره بما منّ الله تعالى به عليه من الإسلام فأجابه السلطان يهنيه بهذه النعمة، وجهز له هدايا جليلة، من جملتها ختمة شريفة ذكر أنها من المصاحف العثمانية، وسجادات للصلاة وأكسية لواتية، وعدة من النطوع المصرطقة والأديم وسيوف قلاجورية مسقطة، ودبابيس مذهبة، وخوذ وطوارق، وفوانيس وشمعدانات، ومشاعل جفناوات وقواعد برسمها مكفتة، وسروج خوارزمية؛ ولجم؛ كل ذلك بسقط الذهب والفضة، وقسي حلق وقسي بنيدق وحروج وأسنة ونشاب بصناديقه وقدور برام، وقناديل مذهبة، وخدام سود، وجواري طباخات، وخيول عربية سبق، وهجن نوبية، وحمير فرة، ونسانيس وبغانغ وغير ذلك. وأعاد السلطان الملك الظاهر رسله في شهر رمضان من السنة المذكورة، وكتب إليه يغريه بهولاكو ويحضه على حربه.

وفي سنة ثلاث وستين وستمائة كانت الحرب بين عساكر بركة وعساكر أبغا بن هولاكو، وذلك أن هولاكو لما توفي في هذه السنة[٢] وجلس ابنه أبغا بعده، جهز جيشًا لقتال بركة، فلما بلغه الخبر جهز جيشًا وقدم عليه ييسوا نوغا[٣] بن ططر بن مغل، فصار في المقدمة ثم أردفه بمقدم آخر اسمه بستاي في خمسين ألف فارس، فسبق نوغا بمن معه وتقدم إلى عسكر أبغا وبستاي على إثره. فلما أشرفت عساكر أبغا على بستاي وهو مقبل في سواده العظيم تكردسوا وتجمعوا للهزيمة، فظن بستاي أنهم أحاطوا بنوغا ومن معه فانهزم راجعًا من غير لقاء. وأما نوغا فإنه تبع عساكر أبغا وواقعهم وهزمهم، وقتل منهم جماعة وعاد إلى بركة؛ فعظم قدره عنده وارتفع محله، وقدمه على عدة تمانات. وعظم ذنب بستاي عند بركة.

ودامت أيام بركة هذا بهذه المملكة إلى أن توفي في سنة خمس وستين وستمائة وهو على دين الإسلام، رحمه الله تعالى. ولم يكن لبركة ولد يرث الملك من بعده فاستقر الملك من بعده لابن أخيه منكوتمر[٤].

---

(١) انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٣٠٥، وفيه أن الحرب قد نشبت في سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م بين بركة وابن عمه هولاكو وانهزم هولاكو وقتل خلق من رجاله وغرق خلق.

(٢) توفي هولاكو سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م في الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٧٧ وهذا يتفق مع النويري. أما في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص١٩٢ فإنه توفي سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م، كذلك في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٣١٦.

(٣) ويرسم «نوقاي» أو «نوغاي» انظر جامع التواريخ، ج٢، ص١٤.

(٤) ويكتب أيضًا منكوتيمور. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص١٩٣، حاشية ٨.

ذكر ملك منكوتمر بن طوغان بن باطوخان ابن دوشي خان بن جنكزخان وهو الخامس من ملوكهم بهذه المملكة.

ملك هذه المملكة وجلس على كرسي الملك بصراي[١]، وصار إليه ملك بلاد الشام والترك والقفجاق وباب الحديد وما يليه؛ وذلك في سنة خمس وستين وستمائة. ولما ملك كاتبه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من الديار المصرية بالتهنئة والتعزية بعمه، وأغراه بأبغا بن هولاكو وحرضه عليه كما كان قد فعل لما كاتب بركة، وذلك في سنة ست وستين وستمائة.

ذكر مسير عساكر منكوتمر إلى بلاد القسطنطينية

وفي سنة ثمان وستين وستمائة جهز منكوتمر جيشًا إلى إستنبول. وكان رسول السلطان الملك الظاهر ركن الدين يومذاك عند الأشكري[٢]، وهو فارس الدين المسعودي. فخرج المذكور إلى عسكر منكوتمر وقال: أنتم تعلمون أن صاحب إستنبول صلُح مع صاحب مصر وأنا رسول الملك الظاهر، وبين أستاذي وبين الملك منكوتمر مراسلة ومصالحة واتفاق. وإستنبول مصر ومصر إستنبول. فرجعوا عنها ونهبوا بلادها وشعثوا. فلما وصل الفارس المسعودي في الرسلية إلى الملك منكوتمر من جهة السلطان، أنكر عليه كونه صد جيوشه عن أخذ إستنبول. وكان المسعودي قد فعل ذلك من قبل نفسه وبرأيه، لا برأي السلطان الملك الظاهر وأمره. فلما عاد المسعودي إلى السلطان الملك الظاهر نقم عليه وضربه واعتقله.

ولما كان جيش منكوتمر بإستنبول ورجعوا، مروا بالقلعة التي فيها عز الدين كيكاوس صاحب الروم معتقلاً فأخذوه منها، وأحضروه إلى الملك منكوتمر، فأكرمه وأحسن إليه وأقام عنده إلى أن مات.

ودامت أيام منكوتمر إلى سنة تسع وسبعين وستمائة وتوفي، ووردت الأخبار بوفاته إلى الديار المصرية في سنة إحدى وثمانين وستمائة. وكان سبب وفاته أنه طلع له دمل في حلقه فبطه فمات منه في شهر ربيع الأول من السنة. فكانت مدة ملكه نحو أربع عشرة[٣] سنة.

---

(١) وتكتب أيضًا «سراي» انظر صبح الأعشى، القلقشندي ج٤، ص٤٥٧.

(٢) الأشكري: لقب أطلق على ملوك القسطنطينية، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٨، ص٤٥.

(٣) في الأصل أربعة عشر.

وخلف منكوتمر من الأولاد تسعة[١]، وهم ألغي[٢] وأمه ججك خاتون[٣] وكان لها حرمة وبسطة لأنها من الذرية القانية، وبرلك[٤]، وصراي بغا[٥]، وطغرلجا[٦]، وتلغان[٧]، وتدان[٨]، وطقطا[٩] وهو الذي ملك البلاد فيما بعد، وقدان، وقطغان[١٠]. وكان له (منكوتمر) من الإخوة لأبيه تدان منكوا[١١]، وأدكجى[١٢]؛ وتدان منكوا أكبرهم. فدفع تدان منكوا أولاد أخيه عن الملك واستقر هو في الملك بعد أخيه منكوتمر.

ذكر ملك تدان منكوا[١٣] بن طغان بن باطوخان ابن دوشي خان بن جنكزخان

ملك البلاد الشمالية بعد وفاة أخيه في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وستمائة[١٤]. وقيل إنه جلس في جمادى الآخرة سنة ثمانين. وهو السادس من ملوك هذه المملكة. وكان السلطان الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية قد أرسل رسلاً إلى منكوتمر وهما شمس الدين سنقر الغتمي، وسيف الدين تلبان الخاص تركي؛ وسيّر معهما ستة عشر تعبية من القماش النفيس لمن يذكر: الملك منكوتمر، وأدكجي، وتدان منكو، وتلا بغا[١٥]، ونوغاي؛ وكان قد تقدم عنده. وما هو للخواتين من الأقمشة وهن: ججك خاتون وإلجي خاتون وتوتكين

---

(١) يذكر رشيد الدين أنه كان لمنكوتمر عشرة أولاد ويزيد على ما ذكره النويري اسم «مولاقاي» انظر جامع التواريخ ج١ ص٥١٤ طبع طهران.

(٢) يرسمه رشيد الدين «ألغوي» انظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) يذكر رشيد الدين أولجاي خاتون هي والدة ألغوي المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ويكتب أيضًا بورلوك.

(٥) ويكتب أيضًا سراي بوقا.

(٦) ويكتب أيضًا طغريلجه.

(٧) في مقابل هذا الاسم أباجي.

(٨) يكتب أيضًا توداكان.

(٩) يكتب أيضًا توكتاي.

(١٠) يكتب أيضًا قود دوقاي. انظر جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني ج١، ص٥١٤ طبع طهران. وصبح الأعشى: القلقشندي، ج٤، ص٤٧٣.

(١١) يرسم أيضًا تودامنكو، زامباور معجم الأنساب والأسرات ص٣٦٣.

(١٢) يكتبه رشيد الدين أولاقجي. جامع التواريخ، ج١، ص٥١٤.

(١٣) يرسمه رشيد الدين تودا مونكا. جامع التواريخ ج١، ص٥٢٧ طبع طهران.

(١٤) وفاته سنة ٦٨١هـ رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ص٥٢٧.

(١٥) يكتبه رشيد الدين تولابوقا وهو ابن تارتو بن توقو قان بن باتو بن جوجي خان. جامع التواريخ، ج١، ص٥١٤.

خاتون، وبدارن خاتون وسلطان خاتون وخطلوا خاتون. وما هو للأمراء وهم: الأمير مادوا أمير الميسرة، والأمير طبرا أمير الميمنة. وما هو لقيالق زوجة إيلجي. وما هو للسلطان غياث الدين صاحب الروم. وكانت هدية جليلة من الأقمشة والتحف والقسي والجواشن والخوذ. فلما وصلا وجدا منكوتمر قد مات، وجلس تدان منكوا في الملك، فقدموا له الهدية فقبلها.

واستمر تدان منكوا في الملك إلى سنة ست وثمانين وستمائة، فأظهر الزهد والتخلي عن النظر في أمور المملكة وصحب الفقراء والمشايخ وقنع بالقوت، فقيل له: إن المملكة لا بد لها من ملك يسوس أمورها، فنزل عن الملك لتلابغا(١).

ذكر ملك تلابغا بن طربوا بن دوشي خان ابن جنكزخان

ملك البلاد الشمالية بعد تزهد تدان منكوا في سنة ست وثمانين وستمائة، وهو السابع من ملوك هذه المملكة. فلما ملك تجهز بعساكره لغزو الكُرك واستدعى نوغيه بن ططر بن مغل بن دوشي خان، وهو الذي قلعت عينه في حرب هولاكو كما ذكرناه. وأمره بالمسير بمن معه من التمانات، فسار إليه وتوافيا في المقصد، وشنوا الغارة على بلد كرك ونهبوا وقتلوا وعادوا وقد اشتد البرد وكثرت الثلوج، ففارقهم نوغيه بمن معه وسار إلى مشاتيه، فوصل سالمًا. وسار تلابغا، فضلّ عن الطريق فهلك جماعة ممن معه واضطره الحال إلى أن أكل أصحابه دوابهم وكلاب الصيد ولحوم من مات منهم لشدة ما نالهم من الجوع. فتوهم أن نوغيه قصد له المكيدة فأضمر له السوء، وكان ذلك سبب قتله.

ذكر مقتل تلابغا

كان مقتله في سنة تسعين وستمائة وذلك أنه لما عاد من غزو الكرك اجتمع على الإيقاع بنوغيه، ووافقه على ذلك من انتمى إليه من أولاد منكوتمر. وكان نوغيه شيخًا مجربًا له معرفة وممارسة بالمكائد، فنما الخبر إليه فكتمه، ثم أرسل تلابغا يستدعي نوغيه وأظهر له احتياجه إلى مشورته وأخذ رأيه، فراسل نوغيه والدة تلابغا وقال لها:

---

(١) عزل تودا مونكا من منصبه بحجة أنه مجنون، رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، ص٥٢٧، طبع طهران.

إن ابنك شات وإنني أحب أن أبذل له النصيحة وأعرفه بما يعود عليه نفعه من مصالح ملكه، ولا يمكن أن أبديها له إلا في خلوة يجب ألا يطلع عليها سواه، وأختار أن ألقاه في نفر يسير. فمالت المرأة إلى مقالته وأشارت على ابنها بموافقته والاجتماع به وسماع ما يقول. ففرق تلابغا عساكره التي كان جمعها وأرسل إلى نوغيه ليحضر عنده، فتجهز بجميع من عنده من العساكر وأرسل إلى أولاد منكوتمر الذين كانوا يميلون إليه، وهم طقطا برلك وصراي بغا وتدان باللحاق معهم. ثم سار مجدًا فلما صار بالقرب من مقام تلابغا الذي تواعدا أن يجتمعا فيه ترك العسكر الذي معه وأولاد منكوتمر طقطا وإخوته كمينًا واستصحب معه نفرًا يسيرًا، وتوجه نحو تلابغا، فصار تلابغا لتلقيه ومعه من أولاد منكوتمر أولغي وطغرلجا وتلغان وقدان وقتغان، وهم الذين انحازوا إليه. فلما اجتمع تلابغا ونوغيه وأخذا في الحديث لم يشعر تلابغا إلا وخيول أصحاب نوغيه قد أقبلت، فتحير في أمره وتقدم العسكر، فأمرهم نوغيه بإنزال تلابغا ومن معه من أولاد منكوتمر عن خيولهم فأنزلوهم، ثم أمر بربطهم فربطوا وقال لطقطا: هذا تغلب على ملك أبيك وهؤلاء بنو أبيك وافقوه على أخذك وقتلك. وقد سلمتهم إليك، فاقتلهم أنت كما تشاء، فقتلهم جميعًا.

ذكر ملك طقطا بن منكوتمر بن طوغان ابن باطوخان بن دوشي خان بن جنكزخان وهو الثامن من ملوك هذه المملكة

ملك البلاد الشمالية في سنة تسعين وستمائة. وذلك أنه لما قتل تلابغا وإخوته الخمسة أولاد منكوتمر أجلسه نوغيه على كرسي الملك، ورتب أمور دولته، وسلم إليه من بقي من إخوته الذين اتفقوا معه. وقال: «هؤلاء إخوتك يكونون في خدمتك فاستوص بهم». وعاد نوغيه إلى مقامه، وبقي في نفسه من الأمراء الذين اجتمعوا مع تلابغا عليه عندما أرسل إليه يستدعيه.

ذكر إيقاع طقطا بجماعة من أمرائه

وفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة، جهز نوغيه زوجته ييلق خاتون إلى الملك طقطا برسالة. فلما وصلت إلى الأردو تلقاها بالإكرام واحتفل بها غاية الاحتفال، ثم سألها عن موجب حضورها، فقالت له: أبوك يسلم عليك ويقول لك: قد بقي في

طريقك قليل شوك فنصفه. قال: وما هو؟ فسمت له الأمراء وهم: «كلكتاي[١] ويوقق وقرا كيوك وما جار وتاين[٢] طقطا وكبى وبركوا[٣] وطراتمر والتمر ونكا وبيطرا وبيملك تمر وبيطقتمر وبيقور الطاجي[٤] وتادوة[٥] وملخكا وبرلغي[٦] وكنجك وشردق وقراحين وجاجري وابشقا بيننجي. وهؤلاء هم الذين اتفقوا مع تلابغا على نوغيه». فلما أبلغته هذه الرسالة، وسمت له هؤلاء الأمراء، طلبهم وقتلهم جميعًا، وعادت يبلق خاتون إلى نوغيه فاطمأن خاطره؛ وتحكم أولاد نوغيه وأولاد أولاده. وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة[٧] وهم جكا وتكا وطراي وابنة تسمى طغلجا وابن بنت يسمى أقطاجي. وكانت ابنته متزوجة لشخص يسمى طاز بن منجك، فقويت شوكتهم، ثم وقع الخلف بين طقطا ونوغيه.

ذكر ابتداء الخلف بين طقطا ونوغيه

وفي سنة سبع وتسعين وستمائة ابتدأ الخلف بين طقطا ونوغيه، وكان لذلك أسباب منها أن يبلق خاتون زوجة نوغيه نفرت من ولديه جكا وبكا وأظهرا لها الإساءة والامتهان، فأغرت طقطا بهما وأرسلت إليه تحرضه عليهما. منها أن بعض أمراء طقطا أوجسوا منه خيفة ففارقوه وانحازوا إلى نوغيه؛ فقبلهم وأحسن إليهم، وأنزلهم في حوزته، وزوج أحدهم وهو طاز بن منجك بابنته، فطلبهم طقطا منه فمنعهم عنه فأغضبه ذلك، وأرسل إليه رسولاً وصحبته محراث وسهم نشاب وقبضة تراب. فجمع أكابر عشيرته وقال: «ما عندكم فيما أرسله طقطا؟» فقال كل منهم قولاً، فقال: «ما أصبتم وأنا أخبركم بمراده. أما المحراث فهو يقول: إن نزلتم إلى أسافل الأرض أطلعتكم بهذا المحراث؛ وأما النشابة فيقول: إن طلعتم إلى الجو أنزلتكم بهذا السهم، وأما التراب فيقول: اختاروا لكم أرضًا تكونون فيها للملتقى» فقال نوغيه لرسوله: «قل لطقطا إن خيلنا قد عطشت ونريد نسقيها من ماء تن ـ وهو نهر على مقام صراي وفيه منازل طقطا ـ وجمع جنوده وسار للقائه.

(١) في الأصل «كل كيابي».
(٢) في الأصل «وياي».
(٣) في الأصل «يركو».
(٤) في الأصل «بيقور أقطاجي».
(٥) في الأصل «بارق».
(٦) في الأصل «برليفي».
(٧) ورد في جامع التواريخ لرشيد الدين ج١، ص٥١٧ أن هؤلاء الأولاد هم جوكه وبوكه وبوري.

ذكر الوقعة الأولى بين طقطا ونوغيه

وفي سنة سبع وتسعين وستمائة سار طقطا للقاء نوغيه، فجمع عساكره ومن انضاف إليه، وكانوا يزيدون على مائتي ألف فارس. وسار كل منهما لقصد صاحبه، فالتقوا على نهر يقصى بين مقام طقطا ومقام نوغيه. فكانت الهزيمة على طقطا وعساكره، وانتهت بهم الهزيمة إلى نهر تن، فمنهم من عبر وسلم ومنهم من هوى به فرسه فغرق. وأمر نوغيه عساكره أن لا يتبعوا منهزمًا ولا يجهزوا على جريح، وأخذ الغنائم والسبايا والأسلاب وعاد إلى مكانه.

ذكر الوقعة الثانية وقتل نوغيه

وفي سنة تسع وتسعين وستمائة، عزم طقطا على حرب نوغيه، واتفق أن جماعة من أمراء نوغيه الذين كان يعتمد عليهم فارقوه وانحازوا إلى طقطا. فقويت به شوكتهم، وكانوا في ثلاثين ألف فارس. ولما تجهز طقطا اتصل خبره بنوغيه، فتجهز أيضًا لحربه وخرج كل منهما للقاء الآخر. فلما صار بينهما مسافة يوم، أرسل نوغيه شخصًا ومعه مائة فارس للكشف، فظفر بهم طقطا وقتلهم ونجا مقدمهم بمفرده. فأخبر نوغيه أن العسكر قد دهمه، فركب فيمن معه والتقوا على كوكان لك واقتتلوا، فكانت الكسرة على نوغيه في وقت المغرب، فانهزم أولاده وعشائره وثبت هو على ظهر فرسه، وكان قد كبر وطعن في السن، وتغطت عيناه بشعر حواجبه، فوافاه رجل روسي من عسكر طقطا وقصد قتله، فعرفه بنفسه وقال: «أنا نوغيه فاحملني إلى طقطا فلي معه حديث» فلم يصغ الروسي لمقالته وقتله. وحمل رأسه إلى طقطا وقال: «هذا رأس نوغيه» فقال له: «ومن الذي أعلمك أنه نوغيه؟» فقصّ عليه القصة. فآلمه ذلك، وأمر بقتل قاتله، وقال: «إن من السياسة قتله حتى لا يجترىء أمثاله على قتل مثل هذا الرجل الكبير» ثم عاد طقطا إلى مقامه.

ذكر أخبار أولاد نوغيه

ولما انهزم عسكر نوغيه وقتل، استقر أولاده بمقامه فلم تطل بهم الأيام حتى وقع الخلف بينهم. وقتل جكا بن نوغيه أخاه بكا، واستبد جكا بملك أبيه وأقام له نائبًا يسمى طنغر؛ فنفر عنه أصحابه وعلموا أنه لا يبقى عليهم بعد أن قتل أخاه. واتفق نائبه طنغر مع طاز بن منجك ـ وهو صهر نوغيه، زوج ابنته طغلجا ـ على الإغارة على بلاد أولاق والروس. فسارا وتذاكرا سوء سيرة جكا فيهم، واتفقا على أن يقبضا عليه عند عودهما، وعادا لذلك. فبلغه الخبر ففر منهما في مائة وخمسين فارسًا، ودخل بلاد آص وكان بها مقدم وطمأن من عسكره فأقام بينهم. ووصل طنغر ثانية وطاز بن منجك صهره إلى بيوته فنهبوها واستولوا عليها.

ولما أقام جكا ببلاد آص تسلل إليه كثير من عسكره، فكثرت بهم عدته، وسار لحرب طنغر وطاز بن منجك، والتقوا واقتتلوا فاستظهر جكا عليهما وأسروا بيوتهما به. وكانت أخته طقلجا تقاتله بنفسها في هذه الوقعة. فلما انكسر زوجها ومن معه، كاتبوا طقطا يستمدونه، فأمدهم بجيش صحبة أخيه برلك بن منكوتمر.. فلما جاءهم المدد والتقوا للقتال لم يكن لكيجا[1] بهم قبل، فهرب إلى بلاد[2] أولاق، وكان ملكها والحاكم عليها صروجا أحد أقارب جكا فآوى إليه، فاجتمع أصحابه وقالوا: هذا عدو طقطا، ولا نأمن أنه إذا بلغه أنه انحاز إلينا يقصدنا بجيوشه ولا قبل لنا به. فأمسكه دعوقه في قلعته واسمها تزنوا وطالع طقطا بأمره فأمره بقتله، فقتله في هذه السنة وهي سنة سبعمائة، ودخلت مملكة الملك طقطا ممن يساويه، واستقر يزلك[3] بن منكوتمر في مقام نوغيه من قبل أخيه طقطا. ولم يبق من أولاد نوغيه إلا أصغرهم وهو طراي. ورتب طقطا بيجى بن قرمسى يرصع أباجي أخاه. وجهز ولديه يكل بغا وأربصا إلى بلاد نوغيه، فاستقر يكل بغا في صنعجى ونهر طنا[4] وتايل باب الحديد، وهي منازل نوغيه. وأقام ايربصا، بنق ورتب أيضًا أخاه صراي بغا.

ذكر ما اتفق طراي بن نوغيه وصراي بغا بن منكوتمر من الخروج عن طاعة الملك طقطا وقتلهما

وفي سنة إحدى وسبعمائة تحرك طراي بن نوغيه في طلب ثأر أبيه وأخيه من طقطا، ولم يكن له قوة بنفسه، فجاء إلى صراي بغا بن منكوتمر. وكان أخوه[5] طقطا قد رتبه في مقام نوغيه فتوصل طراي إليه ولازمه، ولم يزل يلاطفه حتى حسّن له الخروج على أخيه طقطا وأن يستقل بالملك، فوافقه صراي بغا ومال إليه وركب بتمانه وعبر نهر اتل، وترك العسكر، وتوجه جريدة، اجتمع بأخيه برلك، وعرفه ما عزم عليه وطلب منه الموافقة فأجابه إلى ما طلب. ثم بادر برلك[6] بالاجتماع بأخيه طقطا، وعرفه الصورة وما همّ به صراي بغا وطراي بن نوغيه. فركب طقطا لوقته في خواصه وجهز إليهما من أحضرهما، فقتلا بين يديه، ورتب ولده في المكان الذي كان قد رتب فيه صراي بغا. ولما قتل طقطا طراي هرب قرا كشك بن جكا بن نوغيه، وهرب معه اثنان من أقاربه وهما جركتمر ويلتطلوا ـ وكان بزلك قد أرسل في طلبه ـ

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) في الأصل «أحر».

(٣) هكذا في الأصل والصواب برلك.

(٤) في الأصل «نهر طونه ور».

(٥) في الأصل «وكان أخاه».

(٦) في الأصل «زين لك» والصواب برلك.

فانهزم هو وهذان إلى بلاد ششتمن[١] إلى مكان يسمى يدرك بالقرب من كدك ومعهم نحو ثلاثة آلاف فارس، فآواهم ششتمن وأصحابه وقاموا عنده يعبرون على الأطراف ويأكلون من كسبهم إلى آخر أيام طقطا.

وفي سنة سبع وسبعمائة وردت الأخبار إلى الديار المصرية أن طقطا نقم على الفرنج الجنوبية الذين بقرم وكفار البلاد الشمالية لأمور نقلت إليه عنهم، منها استيلاؤهم على أولاد التتار وبيعهم بالبلاد الإسلامية، فأرسل جيشًا إلى مدينة كفا وهي مسقط رؤوسهم. فشعر الفرنج بهم فركبوا في مراكبهم وتوجهوا في البحر فلم يظفر الجيش منهم بأحد. فنهب طقطا أموال من كان منهم بمدينة صراي وما يليها.

وفي سنة تسع وسبعمائة كانت وفاة ايرصا[٢] بن طقطا حتف أنفه. وكان مرشَّحا عند أبيه للتقدمة على العساكر. وتوفي أيضًا أخوه برلك بن منكوتمر ودامت أيام طقطا إلى أن توفي في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وملك بعده.

أزبك بن طغولجا بن منكوتمر بن طغان ابن باطوخان بن دوشي خان بن جنكزخان وهو التاسع من ملوك هذه المملكة

ووصلت رسله إلى أبواب مولانا السلطان الملك الناصر[٣] سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وغيرها من الممالك الإسلامية وكان وصولهم في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وصحبهم من التقادم لمولانا السلطان ما لم تجر بمثله عادة. وكان من جملة رسالته أنه هنأ مولانا السلطان الملك الناصر بإيصال الإسلام من الصين إلى أقصى بلاد الغرب؛ وقال إنه كان قد بقي في مملكته طائفة على غير دين الإسلام فلما ملك خيّرهم بين الدخول في دين الإسلام أو الحرب؛ فامتنعوا وقاتلوا، فأوقع بهم وهزمهم واستأصل شأفتهم بالقتل والأسر. وجهز إلى مولانا السلطان عدة

---

(١) في الأصل «سيشمين».

(٢) يقول رشيد الدين إن توقتاي (طقطا) كان له ابن اسمه فانوس. انظر جامع التواريخ، ج١، ص٥١٤، طبع طهران.

(٣) يقصد المؤلف السلطان الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م. توفي بالقاهرة سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م.
ترجمته وأخباره في الأعلام للزركلي ج٧، ص١١، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج٢، ص٢٦٣، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٨، ص٤١، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٨، ص٣٠٠.

من سباياهم، فأعاد مولانا السلطان رسله صحبة رسل منه وأنعم عليهم وأرسل معهم الهدايا الوافرة. هذا ما نقل إلينا من أخبار ملوك هذه المملكة الشمالية إلى حين وضعنا لهذا التأليف. ومهما اتصل بنا من أخبارهم بعد ذلك نورده إن شاء الله في جملة أخبار الدولة الناصرية بالديار المصرية المحروسة.

وأما ملوك ما وراء النهر من ذرية جنكزخان

فلم يصل إلينا من أخبارهم ما ندونه لبُعد بلادهم وانقطاع رسلهم عن ملوكنا؛ إلا أن ملك ما وراء النهر انتهى إلى قيدوا بن قيجي بن طلوا بن جنكزخان، وطلوا هو تلي خان. ورأيت في شجرة وضعها الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري أن قيدوا بن قيجي بن أوكديه بن جنكزخان. وطالت أيام قيدوا واستمر الملك إلى أن توفي في تسع وسبعمائة. وكرسي مملكته. كاشغر وقلا صاق، وله تركستان وقيالق والمالق وبخارى وغير ذلك. ولما مات ملك بعده ابنه جابار واستمر إلى أن مات في سنة سبع عشرة وسبعمائة[١]. وملك بعد أخوه ألوين بغا بن قيدوا. ولقيدوا غير هؤلاء من الأولاد تانجار[٢] وأروس[٣]. وهذه الطائفة يقابلون القان الكبير الجالس على تخت القانية بقراقروم وغيره.

وأما ملوك غزنة وباميان وهم أولاد أرديوا بن دوشي خان بن جنكزخان وهم أقرب إلى ملوك البلاد الشمالية من غيرهم من البيوت لأن أرديوا بن دوشي خان هو أخو باطوخان بن دوشي خان. فدوشي خان بن جنكزخان يجمعهم وأخبارهم أيضًا منقطعة عن بلادنا لبعد بلادهم، لأن بيت هولاكو بيننا وبينهم. والذي وصل إلينا من أخبارهم أن ملك غزنة وباميان انتهى إلى قيجي[٤] بن أرديوا بن دوشي خان. ودامت أيامه إلى أن توفي في سنة إحدى وسبعمائة، فاختلف أولاده وبنو عمه في الملك بعد وفاته وتنازعوه بينهم وافترق بعضهم عن بعض، وكان له من الأولاد: نيان، وكبلك[٥]، وطقتمر، وبغاتمر، ومنغطاي، وصاحي. وكان كبلك قد استقر في الملك بعد وفاة أبيه فسار أخوه نيان إلى الملك طقطا واستنجد به، واستمده على أخيه، فأمده بأخيه برلك وسار كبلك إلى قيدوا واستعان به فأمده بجيش. وعادا من جهة

---

(١) انظر زامباور: معجم الأنساب والأسرات ص٣٦١ وفيه عزل جابار سنة ٧٠٦هـ.

(٢) في الأصل «بابنجار». (٣) في الأصل «أدوين».

(٤) «هو قوينجي» يذكره رشيد الدين بأنه ضخم الجثة إلى درجة مفرطة. انظر جامع التواريخ، ج١، ص٥٠٧.

(٥) يكتب كوبلك. ويذكر رشيد الدين أنه ابن عم نايان وليس أخاه. المصدر نفسه ج١، ص٥٠٨.

طقطا وقيدوا، والتقوا واقتتلوا فكُسر كبلك ثم مات واستقر أخوه نيان في المملكة الغزنوية؛ واستمر إلى سنة ثمان وسبعمائة، فوقع الحلف بينه وبين أخيه منغطاي بن قيجي[١]. وتنازعا الملك، وانحاز إلى كل واحد منهما فئة، فاستظهر منغطاي على أخيه نيان بكثرة من انحاز إليه، فانهزم نيان واستقر منغطاي في الملك. وأقام نيان ببلاد بكمرش وهي على أطراف حدودهم. ثم توجه قرشياي بن كبلك إلى قيدوا في سنة تسع وسبعمائة، واستنجده على عمه نيان، فأنجده عليه، وجرد معه جيشًا. فقصد نيان واقتتلا فانهزم نيان وتوجه إلى عند الملك طقطا، لأنه كان قد أمده أولاً وأعانه. وتمكن قرشتاي من بلاد نيان واستقر بها، واستمر منغطاي في ملك المملكة الغزنويَّة إلى وقتنا هذا.

وانقطعت أخبارهم عنا من سنة عشر وسبعمائة فلم يصل إلينا منها ما نشرحه. وإنما أوردنا هذه النبذة اليسيرة من أخبار هذين البيتين لتكون دالة على وجودهم ومنبهة عن ممالكهم، وإلا فأخبارهم كثيرة لم نظفر بها. فلنذكر الآن نبذة من أخبار هولاكو بن تولي خان بن جنكزخان، وأخبار أولاده، وما ملكه وملكوه بعده من الأقاليم. والممالك.

ذكر أخبار هولاكو[٢] بن تولي خان بن جنكزخان وابتداء أمره وما استولى عليه من الممالك والأقاليم ومن ملك من ذريته

وهذا البيت من التتار وهو أقرب البيوت إلى القان[٣] الكبير، لأن القانية استقرت في إخوة هولاكو، ثم في بني أخيه قبلاي بن تولي خان، كما قدمناه في أخبارهم.

---

(١) «قوينجي» انظر ما سبق.

(٢) أخباره في: الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٣٠ ـ ٢٤٠ و٢٧٧ وفيه ولي الحكم من ٦٥٤ إلى ٦٦٣هـ/ ١٢٥٦ ـ ١٢٦٥م، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ج٤، ص٢٤٠، والبداية والنهاية لابن كثير ج١٣، ص٢٤٨، وتاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٤ ـ ١٦٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٧، ص٤٢ ـ ٥٢.

(٣) القان: لقب أطلق على رؤساء الترك في القرن السابع الميلادي ومعناه رئيس الرؤساء وقد استعمل الترك المتقدمون لقب قان أو خان أيضًا بمعنى قاغان، وربما كان اختصارًا له واستعمل هذا اللقب حتى أيام ملوك المغول وأصبحت كلمة قان أو قاغان تطلق على ملك المغول الأعظم وقصر لفظ خان على الملوك الذين يتولون جزءًا من الأمبراطورية المغولية. أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ص٢١.

وكان ابتداء أمر هولاكو أن أخاه منكوقان وهو الجالس في أيامه على تخت القانية بقراقروم بعثه لفتح العراق في سنة خمسين وستمائة، فسار فيمن معه من الجيوش إلى بلاد الإسماعيلية، ويسمون ببلاد العجم الملاحدة، فاستولى عليها وأباد أهلها قتلاً وأسرًا وسبيًا ونهبًا. ثم كان بينه وبين بركة من الحرب ما شرحناه في أخبار بركة. وكانت الهزيمة على هولاكو وقتل كثير من أصحابه وغرق كثير منهم. وعاد هولاكو إلى العراق بمن بقي معه. وتمكنت العداوة بين هذين البيتين ونشأت الحرب بينهم من هذه السنة وهي سنة ثلاث وخمسين.

ذكر استيلائه على بغداد وقتله الخليفة المستعصم بالله[١]

وفي سنة ست وخمسين وستمائة سار هولاكو بعساكر التتار إلى مدينة بغداد ونازلها. وكان قد أرسل إلى بيجو[٢] يستدعيه من بلاد الروم، فكره بيجو اللحاق به. وما أمكنه مفاجأته بذلك؛ فاعتذر إليه أن جمعًا كثيرًا من القرى تليه والأكراد والياروقية قد تجمعوا في الطرقات، ومقدمهم شرف الدين بن بلاش، وأنهم أخذوا عليه وعلى من معه المضيق، ولا سبيل لهم إلى الخروج من حدود ديار بكر. وقصد بيجو بذلك المدافعة. فجهز هولاكو ثمانين من التوامين[٣] التي معه، مقدم أحدهما قدغان ومقدم الآخر كتبغا[٤] نوين لفتح الطريق. وفي أثناء ذلك أوقع[٥] بالأكراد والقراتلية وقعة

---

(١) هو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله ولد سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٩م وقتل على يد هولاكو المغولي سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. كانت مدة خلافته ١٥ سنة و٨ أشهر وأيامًا. أهمل أمر هولاكو حتى كان في ذلك هلاكه.
أخباره في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٢٧٠، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج١، ص٢٣٧، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٧، ص٦٠ انظر حاشية رقم ١، وفيها خبر عن مقتله.

(٢) ويكتب أيضًا بايجو نوين. وهو من قواد المغول المشهورين عاون هولاكو في فتح بغداد. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص٤٦.

(٣) التوامين جمع تمان. وهي فرقة من الجيش عددها عشرة آلاف جندي. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢١.

(٤) كتبغا أو كيتو بوقا. «ونوين» لفظ فارسي يقرن بأسماء قواد التتار، ومن ألقاب كفال الممالك القانية كنائب السلطنة وأمراء الألوس ونحوهم، وهو يعني أمير عشرة آلاف. ويقال له أيضًا أمير تومان. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٧، ص٧٢، حاشية رقم ٣.

(٥) في الأصل «أنفع».

عظيمة وجعل منهم أهل أرزنجان وتحصنوا بجبل يسمى أرن سور، فلما وصل التتار إلى أرزنجان تسلموها وحاصروا كماج، وهزموا الأكراد وقتلوا منهم وسبوا، وأقام قدغان وكتبغا حتى وصل إليهما بيجو.

وأخبرني الأتمر البدري رحمه الله وهو من ذرية بيجو كما زعم، وكان له معرفة بأخبارهم، أن منكوقان لما جهز بيجو لفتح الروم، أوصاه أنه لا يتعرض إلى بغداد، وأنه لما جهز هولاكو أوصاه أن لا يخالف بيجو وأنه لا يصل إلى بغداد، وكتب معه إلى بيجو بذلك. فغير هولاكو الكتب وجعل معناه أن بيجو لا يخالف أمر هولاكو، وكانت كراهية منكوقان لفتح بغداد أنهم رأوا فيما عندهم أنها إذا فتحت لا تطول مدة القان.

ثم توجه بيجو ومن عنده إلى هولاكو ونزلوا بالجانب الغربي من بغداد، ونزل هولاكو بالجانب الشرقي منها، وحاصروها واشتد الحصار، فخرج إليهم عسكر الخليفة صحبة مجاهد الدين أيبك الدوادار الكبير[١] ـ وكان مقدمًا على عشرة آلاف فارس ـ فالتقى مع التتار وهزمهم، فولوا عامة ذلك النهار، وقتل كثيرًا منهم إلى أن حجز بينهم الليل، واستبشر المسلمون بالنصر. فلما أصبحوا تراجع التتار إليهم، فانكسر الدوادار ومن معه. وكان أكثر أصحابه لما أيقنوا بالظفر دخلوا بغداد في تلك الليلة، فلما انهزم مجاهد الدين بمن بقي معه قصد التحصن ببغداد، فحال بينه وبينها ـ للقضاء المقدر ـ شق انبثق من دجلة، وساحت منه مياه عظيمة، فصار الماء أمامه والتتار وراءه، فأدركوه هو ومن معه، وأخذهم السيف، ومرق جماعة منهم. وقتل مجاهد الدين أيبك وولده أسد الدين ـ وكان مقدم خمسة آلاف فارس ـ «وسليمان شاه ترجم[٢]». أمير علم الخليفة، وجماعة من الأمراء، وأسروا خلقًا. وحملت رؤوس هؤلاء الثلاثة إلى الموصل، وحملت على باب المدينة ترهيبًا لأهلها.

ورمى أهل بغداد بالداهية الكبرى والمصيبة العظمى، وارتاع الخليفة وأغلقت أبواب المدينة، وأحاط بها التتار وضايقوها وفتحوها عنوة، ودخلوها في العشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة[٣]؛ ووضعوا السيف فيها سبعة أيام، لم يرفعوه

---

(١) الصواب الدوادار الصغير، وليس الكبير كما يذكر النويري وهو الأمير مجاهد الدين أيبك بن عبد الله المعروف بالدويدار الصغير قتل على يد التتار سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص٤٣ حاشية ١.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) لمزيد من التفصيل عن دخول التتار بغداد انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٥٩ ـ ١٦٠ و١٦١.

عن شيخ كبير ولا طفل صغير. وجيء بالخليفة إلى هولاكو[١] فأمر أن يجعل في جولق ويداس بأرجل الخيل، ففعل به ذلك حتى مات، كما ذكرناه في أخبار الدولة العباسية. ومن عادة التتار أنهم لا يسفكون دماء الملوك والأكابر غالبًا.

وسبى التتار من بالقصر، وأخذوا ذخائر الخلافة، واستدعى هولاكو الوزير ابن العلقمي[٢]، وكان قد كاتبه وحثه على قصد بغداد وأضعف جيوش الإسلام. فلما مثل بين يدي هولاكو سبه ووبخه على عدم موافاته لمن هو غذى نعمته، وأمر بقتله فقتل. وقيل لم يقتله بل استبقاه. ثم عزم هولاكو على إحراق مدينة بغداد[٣]، فمنعه كتبغا نوين، وقال هذه أم الأقاليم ويتحصل منها الأموال العظيمة، والمصلحة إبقاؤها، فأبقاها ورتب فيها شحنة، ثم سار عنها بعد انقضاء الشتاء إلى الشام، وجرد إلى ميّافارقين، والله أعلم.

ذكر استيلاء التتار على ميافارقين

وفي سنة ست وخمسين أيضًا أرسل هولاكو طائفة من عساكره إلى ميافارقين صحبة صرطق[٤] نوين وقطغان نوين. وكان بها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب، فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق من كل ناحية، فقاتله أهلها، وامتنعوا وصبروا على شدة الحصار، وقلّت الأقوات عندهم حتى أكلوا الكلاب والسنانير والميتة. ففتحها التتار بعد سنتين، بعد أن فني الجند من كثرة

---

(١) ذكر ابن كثير أن الوزير ابن العلقمي كان قد اجتمع بهولاكو مع أهله وأصحابه وحشمه ثم أشار على الخليفة بالخروج إلى هولاكو والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف الخراج لهولاكو والنصف الآخر للخليفة. البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠١.

(٢) هو وزير الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين بن العلقمي وكان رافضيًا خبيثًا حريصًا على زوال الدولة العباسية ونقل الخلافة إلى العلويين. يدبر ذلك في الباطن ويظهر للخليفة المستعصم خلاف ذلك. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٤٣.
عن الدور الذي قام به مؤيد الدين بن العلقمي في تسليم بغداد فهناك آراء وأقوال مختلفة. انظر ذلك في تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ج٤، ص١٦١ - ١٦٢ وانظر أيضًا النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٧، ص٤٤ حاشية ١ وفيه طرح ابن تغري بردي مسألة موقف الوزير ابن العلقمي بتفصيل.

(٣) عن إحراق بغداد انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ج٤، ص١٦١، والدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٤٠ - ٢٤١، والنجوم الزاهرة، ج٧، ص٤٨.

(٤) يرسمه رشيد الدين سونتاي. انظر جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص٣١٩. الترجمة العربية.

القتال، وأسر من بقي، وأخذ الملك الكامل صاحبها وتسعة نفر من مماليكه، وأحضروا بين يدي هولاكو فقتلوا، إلا مملوكًا واحدًا يسمى قراسنقر سأله عن وظيفته، فذكر أنه أمير شكار[١]، فأبقاه وسلم إليه طيوره. وجاء قراسنقر هذا بعد موت هولاكو إلى الديار المصرية في الأيام الظاهرية، فجعله السلطان من مقدمي الحلقة المنصورة. وكان استيلاء التتار على ميافارقين في سنة ثمان وخمسين وستمائة.

ولما قتل الملك الكامل هذا حمل التتار رأسه على رمح وطيف به البلاد ومروا به على حلب وحماه ووصلوا به إلى دمشق في سابع عشرين جمادى الأولى من السنة، وطافوا به في دمشق بالمغاني والطبول، وعلق رأسه بباب الفراديس[٢] فلم يزل إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين فدفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس.

ذكر وفاة بيجو مقدم التتار

وفي سنة ست وخمسين أيضًا نقم هولاكو على بيجو لما بلغه عنه من إضمار الخلاف[٣] وما قصده من التأخير عنه لما طلبه وأنه قصد الانفراد ببلاد الروم. فلما فرغ من فتح بغداد والعراق سقاه سمًّا[٤] فمات. وقيل إنه كان قد أسلم قبل موته، ولما حضرته الوفاة أوصى بأن يغسل ويدفن على عادة المسلمين. وكان له من الأولاد أفاك، وسوكناي. وأفاك هذا هو أبو سلامش وقطقطو اللذين وفدا إلى الديار المصرية في الأيام المنصورية.

ولما فتح هولاكو العراق جاءه ملوك الأطراف، فكان ممن جاءه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بهدايا جليلة وتحف. ولما قصد السفر من الموصل جاءه أهلها وقالوا: «إنا نخشى عليك من سطوة هذا الملك الجبار» فقال: «أرجو أن أتمكن منه وأعرك أذنيه» فلما جاءه وقدم ما معه أعجب هولاكو وأقبل عليه. فلما فرغ من تقدمته قال: «قد بقي معي شيء خاص بالقان» وأخرج له حلقتي أذن من الذهب،

---

(١) أمير شكار مكون من كلمة أمير عربية وشكار فارسية بمعنى صيد: أو هو موظف يقوم برعاية الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها. وكذلك كل ما يتعلق بالصيد وحيواناته. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢، ج٥، ص٤٦١.

(٢) باب الفراديس: وهو أحد الأبواب التي بنيت بدمشق، وعليه اسم أحد الكواكب، وهو عطارد. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٩٢.

(٣) «بلغه عنه من الوزير ابن العلقمي أنه كاتب الخليفة المستعصم لما كان بالجانب الغربي» ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٤٧.

(٤) ضرب هولاكو عنق مقدم جيشه بايجو. في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص٤٧.

فيهما دُرَّتان[١] كبيرتان، فأعجباه فقال: «أشتهي القان يشرفني بأن أجعلهما بيدي في أذنيه ليعظم قدري بذلك عند الملوك وأهل بلادي وأعلم رضاه عني» فأصغى إليه بأذنيه فمسكهما ووضع الحلقتين فيهما، ونظر إلى من معه من أهل الموصل يعني: «إنني قد قلت قولاً وقد حققته».

وأرسل إليه الملك الناصر[٢] صلاح الدين يوسف بن العزيز صاحب الشام ولده العزيز بهدايا وتحف اقتداء بصاحب الموصل، فقبل تقدمته وسأله عن تأخير أبيه، فاعتذر بأنه لا يمكنه مفارقة البلاد خوفًا عليها من عدو الإسلام الفرنج، فقبل عذره وأعاده إلى أبيه. وجاءه عز الدين كيكاوس، وركن الدين قلج أرسلان ملك الروم فقسم البلاد بينهما على ما قرره منكوقان.

وفي سنة سبع وخمسين وستمائة وجه هولاكو أرغون ـ وهو من أكابر المقدمين ـ في جيش إلى كرجستان، فغزا تفليس وأعمالها، فأغار ونهب وعاد إليه وهو بالعراق.

وفيها أيضًا قدم هولاكو إلى شرقي الفرات ونازل حران وملكها، واستولى على البلاد الجزيرية، وذلك بعد وفاة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

وأرسل هولاكو أحد أولاده إلى حلب فوصل إليها في العشر الآخر من ذي الحجة من السنة. وكان الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بحلب ينوب عن ابن أخيه الملك الناصر، فخرج بالعسكر الحلبي لقتال التتار، فأكمن التتار كمينًا عند الباب المعروف بباب الله قريب من مدينة حلب من شمائلها، والتقوا واقتتلوا عند بانقوسا[٣]، فاندفع التتار بين يدي العسكر الحلبي وتبعهم العسكر حتى خرجوا عن البلد، ثم عطفوا عليهم، فطلب المسلمون المدينة والتتار يقتلون فيهم. وهلك في الأبواب جماعة من المنهزمين.

ثم رحل التتار إلى إعزاز وتسلموها بالأمان، ثم تقدم هولاكو بجيوشه فبدأ بالبيرة فملكها، ووجد بها الملك السعيد ابن الملك العزيز أخا الملك الناصر معتقلاً فأطلقه، وسأله عما كان بيده فقال: الصبيبة وبانياس، فكتب له بذلك فرمانًا، ثم تقدم هولاكو إلى حلب.

---

(١) الدرة: اللؤلؤة. ابن منظور: لسان العرب (درر) الفيروزابادي القاموس المحيط (درر).

(٢) وفي سنة خمس وخمسين وستمائة، أرسل الملك الناصر «يوسف صاحب الشام ولده الملك العزيز بهدية إلى هولاكو ملك التتار» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٧، ص٥٣. وهذا يخالف ما ذكره النويري هنا. في أنه أرسل ابنه في سنة ٦٥٦هـ.

(٣) بانقوسا: جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٣١.

ذكر منازلة هولاكو مدينة حلب
واستيلائه عليها وعلى بلاد الشام

وفي سنة ثمان وخمسين وستمائة[(١)] عبر هولاكو الفرات بجموعه، ونازل حلب، وأرسل إلى الملك المعظم توران شاه[(٢)] ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف يقول: «إنكم تضعفون عن لقاء المغل، ونحن قصدنا الملك الناصر، فاجعلوا عندكم شحنة وبالقلعة شحنة ونتوجه نحن إلى العسكر فإن كانت الكسرة عليهم كانت البلاد لنا وتكونون[(٣)] قد حقنتم دماء المسلمين. وإن كانت الكسرة علينا كنتم مخيرين في الشحنتين إن شئتم القتل أو الإطلاق فقال له الملك المعظم: «ليس له عندي إلا السيف». وكان الرسول إليه من جهة هولاكو صاحب أرذن الروم، فعجب من جوابه، وتألم لما علم من ضعف المسلمين عن ملاقاة التتار.

وأحاط التتار بحلب في ثاني صفر[(٤)] وهجموا على البواشير في الثالث من الشهر؛ فقتل من المسلمين جماعة، منهم أسد الدين ابن الملك الزاهر صلاح الدين. واشتدت مضايقة التتار لحلب، وهجموه من عند حمام حمدان وذلك في يوم الأحد تاسع صفر، وصعد إلى القلعة خلق كثير. وبذل التتار السيف والنهب في أهل حلب إلى يوم الجمعة رابع عشر الشهر، فأمر هولاكو برفع السيف، ونودي بالأمان، فقتل منها في هذه المدة ما لا يحصى كثرة، وكان قد تجمع بها من أهل القرى خلق كثير. وسبى من النساء والذراري زهاء مائة ألف، بيعوا في جزائر الفرنج وبلاد الأرمن، ولم يسلم ممن كان بحلب إلا من التجأ إلى أماكن كان مع أهلها فرمانات من هولاكو

---

(١) «في المحرم من سنة ثمان وخمسين وستمائة قطع هولاكو الفرات» في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٢٩٠.

(٢) يكتبه ابن العماد الحنبلي «بوران شاه» شذرات الذهب ج٥، ص٢٩٠.

(٣) في الأصل «وتكونوا».

(٤) نزل هولاكو على حلب في ثاني صفر فلم يصبح على الآمنين الصباح إلا وقد حفر التتار عليهم خندقًا بعمق قامة وعرض أربعة أذرع وبنوا حائطًا ارتفاع خمسة أذرع ونصبوا عشرين منجنيقًا وألحوا بالرمي، وشرعوا في نقب السور، وفي تاسع صفر ركبوا للأسوار ووضعوا السيف يومهم ومن الغد واحتمى في حلب أماكن فيها نحو خمسين ألفًا واستتر خلق وقتل أمم لا يحصون وبقي القتل والسبي خمسة أيام ثم نودي برفع السيف وأذّن المؤذن يوم الجمعة بالجامع وأقيمت الجمعة بأناس ثم أحاطوا بالقلعة وحاصروها ووصل الخبر يوم السبت إلى دمشق فهرب الناصر، إلى نحو غزة» ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص٢٩٠.

منها: دار شهاب الدين بن عمرون، ودار نجم الدين أخي مزدكين، ودار البازيار، ودار علم الدين قيصر الموصلي، والخانقاه التي فيها زين الدين الصوفي، وكنيسة اليهود. فقيل: إن الذين سلموا في هذه الأماكن يزيدون على خمسين ألف إنسان.

واستمر الحصار على القلعة والمضايقة لها نحو شهر، فوثب جماعة ممن بالقلعة على صفي الدين بن طرزة رئيس حلب وعلى نجم الدين أحمد بن عبد العزيز ابن القاضي نجم الدين بن أبي عصرون فقتلوهما لأنهم توهموا أنهما باطنا التتار. ثم سأل من بالقلعة الأمان، فأمنوا، وتسلمها التتار في يوم الاثنين حادي عشر ربيع الأول من السنة. وأمر هولاكو من كان بالقلعة أن يعود كل منهم إلى داره وملكه وأن لا يعارض. ونزل العوام والغرباء إلى الأماكن التي أحميت بالفرمانات. وكان بقلعة حلب في الاعتقال جماعة من البحرية الصالحية الذين حبسهم الملك الناصر، منهم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، وسكز، وترامق، وغيرهم؛ فأخذهم وأضافهم إلى مقدم يسمى سلطان جق من أكابر القفجاق. وكان سلطان جق هذا قد هرب من التتار لما استولوا على بلاد القفجاق وقدم إلى حلب، فأكرمه الملك الناصر وأحسن إليه وأقام عنده، فلم توافقه البلاد فالتحق بهولاكو فأكرمه؛ هذا ما كان من أمر حلب.

وأما حماه[1] فإن صاحبها الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب كان قد فارقها وتوجه إلى دمشق، ترك بها الطواشي مرشد. فلما بلغه أخذ حلب فارق حماه، وتوجه إلى الملك المنصور بدمشق، فتوجه أكابر حماه بمفاتيحها إلى هولاكو. وسألوه الأمان لأهل البلد، وطلبوا منه شحنة يكون عندهم؛ فأمنهم وأرسل معهم شحنة من العجم اسمه خسرو شاه، كان يدعي أنه من ولد خالد بن الوليد، فقدم حماه وأقام بها وآمن أهلها. وكان بقلعة حماه مجاهد الدين قايماز أمير جاندار فسلم القلعة إليه. ودخل في طاعة التتار.

ووصل إلى هولاكو وهو على حلب جماعة منهم الملك الأشرف موسى بن إبراهيم بن شيركوه وهو صاحب حمص، فأكرمه هولاكو وأعاد عليه حمص. وكان الملك الناصر قد أخذها منه في سنة ست وأربعين وعوضه عنها تل باشر[2]، فأعادها

---

(١) يذكر الدواداري أن أهل حماه قد اختشوا لما ملك هلاوون (هولاكو) حلب، فسيّروا مفاتيح البلاد لهلاوون. انظر كنز الدرر رج٨، ص٤٦.

(٢) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب وأهلها نصارى أرمن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٠.

هولاكو عليه الآن. ووصل إليه أيضًا من دمشق القاضي محيي الدين بن الزكمي فأقبل عليه هولاكو وخلع عليه وولاه قضاء الشام. ولما عاد ابن الزكي إلى دمشق لبس خلعة هولاكو، فكانت مذهبة، وجمع الفقهاء وغيرهم من أكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاكو.

ثم رحل هولاكو إلى حارم بعد أن ولى على حلب عماد الدين القزويني. فلما وصل إليها طلب تسليمها، فامتنع من بها أن يسلموها إلا إلى فخر الدين متولي قلعة حلب. فأحضره هولاكو فتسلمها، فغضب هولاكو وأمر بقتل من بها فقتلوا عن آخرهم وسبى النساء.

ذكر استيلاء التتار على دمشق

قال: وجرد هولاكو إلى دمشق مقدمًا يسمى السبان وصحبته علاء الدين الكازي وزين الدين الحافظي وزير الملك الناصر بحلب؛ وكان قد خدم هولاكو. وكان الملك الناصر قد فارق دمشق في منتصف صفر فوصل التتار إلى دمشق، وملكوا المدينة بالأمان، ولم يتعرضوا إلى قتل ولا إلى نهب. وعصيت القلعة عليهم فحاصرها التتار، وجرى على أهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمة، وضايقوا القلعة ونصبوا عليها المجانيق ثم تسلموها بالأمان في منتصف جمادى الأولى من السنة. ثم توجهوا إلى بعلبك ونازلوا قلعتها فتسلموها وخربوا قلعتها.

وجرد هولاكو إلى الشام كتبغا نوين في اثني عشر ألف فارس وأمره أن يقيم بالشام، فوصل إلى دمشق وهو الذي حاصر قلعتها وفتحها وقتل واليها بدر الدين بن قزمجاه[1]. ونقيبها. ونزل كتبغا بالمرج، وحضر إليه رسل الفرنج بالساحل، وأحضروا معهم التقادم، وحضر إليه أيضًا الملك الظاهر أخو الملك الناصر، وكان بصرخد فأقره على حاله.

ثم توجه كتبغا إلى عجلون فامتنعت عليه قلعتها، فحاصرها وأحضر إليه الملك الناصر وهو في حصار عجلون، فأمر من بالقلعة أن يسلموها إلى التتار فسلموها. وجهز كتبغا الملك الناصر إلى هولاكو فوصل إليه وهو بحلب فسأله عن عساكر الديار المصرية، فقال: «عساكر ضعيفة، وهم نفر قليل» وصغرهم عنده. وقال: «يكفيهم القليل من الجيش». فاقتصر هولاكو عند ذلك على كتبغا نوين ومن معه ولم يردفه بغيره.

---

(١) في الأصل: علاء الدين بن قزل. والتصحيح من المقريزي السلوك، ج١، ص٤٢٦.

وعاد هولاكو من حلب إلى بلاد قراقروم لطلب القانية لنفسه، فوجدها قد استقرت لأخيه قبلاي، كما قدمنا ذكر ذلك. ولما فارق حلب أمر عماد الدين القزويني في المسير إلى بغداد، ورتب مكانه رجلاً أعجميًا. وأمر هولاكو أن يخرب أسار قلعة حلب، وأسوار المدينة، فخربت عن آخرها. وأمر الملك الأشرف موسى صاحب حمص أن يتوجه إلى حماه ويخرب أسوارها وأسوار قلعتها، فوصل إلى حماه ونزل بدار المبارز وشرع في تخريب سور القلعة، فخربت أسوارها وأحرقت زردخاناتها، وبيعت الكتب التي بدار السلطنة بأبخس الأثمان، وسلمت أسوار المدينة، لأن حماه كان بها رجل يقال له إبراهيم بن الفرنجية كان ضامن الجهة المفردة، فبذل لخسرو شاه جملة كثيرة من المال وقال: إن الفرنج بالقرب منا، في حصن الأكراد، ومتى ضربت أسوار المدينة لا يقدر أهلها على المقام بها. فأخذ منه المال وأبقى أسوار المدينة. ولم يزل خسرو شاه بمدينة حماه إلى أن انهزم التتار على عين جالوت[١] ففارقها وعاد إلى هولاكو.

وأما كتبغا نوين فإنه أرسل إلى الملك المظفر قطز صاحب الديار المصرية يطالبه ببذل الطاعة أو تعبية الضيافة، فقتل قطز رسله إلا صبيًا واحدًا فإنه استبقاه وأضافه إلى مماليكه. وتجهز وسار إلى لقاء التتار، فتجهز كتبغا لقتاله والتقوا بعين جالوت، واقتتلوا قتالاً شديدًا، فانهزم التتار وأخذهم السيف والأسار، وقتل كتبغا نوين، وفرّ من بقي من أصحابه إلى هولاكو. ولما استقرت القانية لقبلاي، استقر لهولاكو ما نذكره.

ذكر الأقاليم التي استقرت في ملك هولاكو بعد وفاة منكوقان

منها:

إقليم خراسان: وكرسيه نيسابور ومن مدنه المشهورة طوس وهراة وترمذ ولحج ومرو. ويضاف إليه همذان ونسا وكنجة ونهاوند.

عراق العجم: وكرسيه أصفهان. ومن مدنه قزوين وقم وقاشان وسجستان وطبرستان وكيلان وبلاد الإسماعيلية وغيرها.

عراق العرب: وكرسيه بغداد ومن مدنه واسط والكوفة والبصرة والدينور وغير ذلك.

---

(١) قتل يوم عين جالوت الملك كتبغا نوين رأس التتار، قتله آقوش الشمسي. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٨٥.

أذربيجان: وكرسيها تبريز وهي توريز؛ ومن مدنها الأهواز وغيرها.

بلاد فارس: ومدينتها شيراز؛ ومن أعمالها كتشن وكرمان وكازرون والبحرين.

ديار بكر: وكرسيها الموصل ومن مدنها ميافارقين ونصيبين وسنجار وأسغرد[١] ورأس العين ودنيسر وحران والرها وجزيرة ابن عمر وخرتبرت وملطية وسمياط وغيرها.

بلاد الروم: وكرسيها قونية وتشتمل البلاد الرومية على عدة أعمال منها: أرمينية الكبرى، ومن ملكها سمي شاه أرمن. ومن مدنها خلاط وأعمالها وان وسطان وأرجيس وما معها.

أرزن الروم وأعمالها: ومن مدنها شهر وبانوب وقجمار وتسمى دار الجلال.

مدينة أُلتى[٢] وأعمالها، وهي متصلة ببلاد الكرج وتخومها وهي ذات قلعة حصينة.

أرزنجان وأعمالها، ومن مدنها أقشهر ودرخان وكماج وقلعة كغونية وما مع ذلك.

سيواس وبلاد دانشمند وتسمى دار العلاء، ومن مدنها أماسيه وتوقات وقمنات وبلاد كنكر وبلاد أنكورية ومدينة سامسون وكستمونية وطرخلوا وبرلوا وهذه متصلة بسواحل البحر المحيط، وطنغزلوا وأعمالها وقرا حصار ودمرلوا وأقصرا وأنطاليا والعلايا.

ذكر مهلك هولاكو ونبذة من أخباره

كانت وفاته في تاسع عشر[٣] شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة[٤]

---

(١) أسغرد: هكذا في الأصل. وردت اسعرد وسعرت. في صبح الأعشى: القلقشندي، ج٧، ص٢٧٦.

(٢) أُلتى: بضم الهمزة: قلعة حصينة، ومدينة قرب تِفليس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٤٥.

(٣) ذكر الدواداري أن هلاوون (هولاكو) قد هلك في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع، وكان يعتريه في كل يوم مرتين. كنز الدرر، ج٨، ص١١٤.

(٤) يقول ابن شاكر الكتبي إن هولاكو قد توفي بعلة الصرع وأخفوا موته، وصبّروه، وجعلوه في تابوت، وهلك هولاكو وله ستون سنة أو نحوها في سنة أربع وستين وستمائة. فوات الوفيات، ج٤، ص٢٤١ كذلك في النجوم الزاهرة ج٧، ص١٩٢ يقول ابن تغري بردي إنه توفي في سنة أربع وستين وستمائة.

بالقرب من كورة مراغة. وقيل إنه حمل إلى قلعة تلا[١] ودفن بها. وكانت مدة ملكه منذ فتح بغداد سبع سنين وشهورًا ومنذ وفاة أخيه منكوقان واستقلاله بالملك خمس سنين.

وكان لهولاكو أحكام غريبة منها ما حكي عنه أن قومًا أتوه واستغاثوا أن بعض صناع المبارد قتل قرابة لهم، وسألوه أن يمكنهم منه ليقتلوه بصاحبهم فسأل عن صناع المبارد وكم عدتهم، فذكر له عدة يسيرة فأطرق ساعة ورفع رأسه إلى أولياء المقتول، وأمرهم أن يقتلوا بصاحبهم بعض صناع البرادع والرحال، فقالوا: إن الذي قتل صاحبنا مباردي ولا يقتل به غيره. فسأله بعض خواصه عن ذلك فقال: إن صناع المبارد عندنا قليل ومتى قتلناه احتجنا إليه، ولا يقوم غيره مقامه، وصناع البرادع والرحال كثير، ومن قتلناه منهم استغنينا عنه. فلما امتنع أولياء المقتول من ذلك أطلق لهم بقرة وقال: خذوا هذه بدلاً من صاحبكم.

ومنها أن بعض الصناع الزراكشة تخاصم مع رجل فضربه ضربة أصابت إحدى عينيه فزالت، فجاء إلى هولاكو واستغاث على الزركشي أنه قلع عينه، فأمره أن يقلع عين أحد صناع النشاب. فقيل له عن ذلك فقال: إن الزركشي يحتاج إلى عينيه ومتى قلعت إحداهما تضرر، والنشابي لا يحتاج إلا إلى عين واحدة فإنه إذا قوم السهم غلق إحدى عينيه ونظر بالأخرى، وما أشبه هذه الأحكام. ولهولاكو وقائع من هذا الجنس أضربنا عن ذكرها.

وكان له من الأولاد الذكور خمسة عشر[٢] وهم جمغار وهو أكبرهم سنًا، وأباقا وهو أبغا[٣] وهو الذي ملك بعده. ويصمت[٤]، وتشتشين[٥] وبكشى[٦] وتكدار[٧]

(١) جدد هولاكو قلعة شاها، سميت بقلعة تلا في بحيرة أورمية، وفيها أمواله ومما نهبه من بغداد وأقاليم الخلافة. وأصبحت هذه القلعة مدفنًا له. وتعرف بالفارسية باسم كور قلعة (القبر). لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، الترجمة العربية، ص١٩٥.

(٢) «وخلف من الأولاد الذكور سبعة عشر ولدًا» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص١٩٣.

(٣) ويرد أباغا ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٧، ص١٩٣ حاشية ٣.

(٤) ويرد أشموط ويشموت: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٧، ص١٩٣.

(٥) يرد تشين وتوسين، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٧، ص١٩٣.

(٦) يرد تكش وبيكين. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩٣.

(٧) يكتبه ابن تغري بردي أحمد نكودار. في النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩٣، حاشية رقم ١٠.

- وهو أحمد وملك بعد أبغا - وأجاي، وألاجو[١]، وسبوجي[٢]، ويشودار[٣]، ومنكوتمر[٤]، وقنغرطاي[٥]، وطرغاي و«طغاي تمر»[٦] وهو أصغرهم. ولما مات هولاكو ملك بعده أبغا.

ذكر ملك أبغا بن هولاكو بن تولي خان ابن جنكزخان

وهو الثاني من ملوك هذا البيت جلس على كرسي المملكة بعد وفاة أبيه هولاكو في تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة. فأول ما بدأ به أن جهز جيشًا لحرب عساكر بركة ملك البلاد الشمالية، فتوجه العسكر والتقى مع عساكر بركة، فكانت الهزيمة على أصحاب أبغا كما شرحنا ذلك في أخبار بركة، وهي الوقعة الثانية بين عسكريهما.

وفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقع بين أبغا وبين ابن عمه تكدار[٧] بن موجي بن جغطاي بن جنكزخان. وكان تكدار مقدمًا على ثلاثين ألفًا، وهو مقيم ببلاد كرجستان، فكاتب قيدو وقصد الاتفاق معه على أبغا، فوقعت الكتب في يد أبغا فطلب عساكره المتفرقة من الروم وغيرها وقصد تكدار، فانهزم والتجأ إلى بلاد الكرج بمن معه، فمنعه صاحبها الملك كركيس من دخولها، فأوى إلى جبل من جبالها هو ومن معه، فأكلت خيولهم من عشبه وكان فيه حشيشة مضرة بالدواب، فنفقت خيولهم، فطلبوا الأمان من أبغا فأمنهم فنزلوا إليه، ففرّق أصحاب تكدار في جيوشه، ورسم لتكدار أن لا يركب فرسًا قارحًا ولا جذعًا[٨] إلا مهرًا صغيرًا، وأن لا يمس

---

(١) يكتب هولاجو. انظر جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الأول ص٢٢٦.

(٢) يكتبه رشيد الدين سياوجي أو شيبا دجى. انظر جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الأول، الترجمة العربية، ص٢٢٩.

(٣) يرسمه رشيد الدين بيسودار، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) ويرد منكوتيمور، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩٣ حاشية رقم ٨.

(٥) يكتبه رشيد الدين قو نقرتاي. انظر جامع التواريخ، الملجد الثاني الجزء الأول. الترجمة العربية ص٢٢٩.

(٦) ويرد طغاي تيمور. وتغاي تمر. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩٣ حاشية ٩.

(٧) ويكتب نكودار أو نكودار. انظر جامع التواريخ رشيد الدين الهمذاني الملجد ٢ ج١، ص٢٠٧.

(٨) الفرس القارح: الناقة أول ما تحمل وقيل: إذا تم حملها فهي قارح، ابن منظور: لسان العرب، (قرح) أما الجذع: الصغير السن، وأما الجذع في الخيل: إذا استتم الفرس سنتين ودخل في الثالثة، فهو جذع، ابن منظور: لسان العرب (جذع).

بيده قوسًا. فبقي كذلك حتى مات، حتى أن ولدًا له صغيرًا أحضر إليه قوسه ليوتره له، فامتنع وقال: ما أقدر أمس القوس بيدي لأجل مرسوم أبغا.

وفي سنة خمس وسبعين وستمائة وقع المصاف الكائن بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس[١] وبين المغل أصحاب أبغا، ومعهم العسكر الرومي بالبلستين[٢] من بلاد الروم. فكانت الهزيمة على المغل وعساكر الروم، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار دولة الترك في أيام الملك الظاهر. وقتل وأسر من المغل في هذا المصاف خلق كثير، وقيل أيضًا وأسر من عسكر الروم. فلما اتصلت هذه الوقعة بأبغا جاء إلى موضع المصاف وشاهد القتلى، فاستعظم قتْل المغل وأسْرهم؛ وجاءه أيبك الشيخ أحد أمراء الملك الظاهر ـ وكان قد هرب ـ أطلعه على أن البرواناه ـ وهو المتحكم في الروم نيابة عن الملوك السلجقية ـ كاتب الملك الظاهر، وحثه على قصد الروم، فنقم أبغا على البرواناه وأكد ذلك عنده أنه وجد القتلى من المغل وليس من الروم إلا القليل، فأمر عند ذلك بنهب بلاد الروم، وقتل من بها من المسلمين، فتفرقت عساكره تقتل وتنهب المسلمين خاصة سبعة أيام، ووكل أبغا بالبرواناه من يحفظه من حيث لم يشعر بذلك.

ثم سار إلى أرزنكان[٣] فاشتراها؛ واعتد ثمنها من الإتاوة التي على بلاد الروم، وأخذ في استرجاع قلاع الروم. فلما وصل إلى قلعة بابرت[٤]، خرج إليه شيخ منها، وقال له: «أريد أمان القان لأتكلم بين يديه» فقال: «قل ولك الأمان» فقال: «إن عدوك حضر إلى بلادك ولم يتعرض إلى رعيتك، ولا أسأل لهم محجمة دم، وأنت قصدت العدو وجئت في طلبه، فلما فاتك قتلت رعيتك ونهبت بلادهم وخربتها. فمن هو من الخانات الذين تقدموك من أسلافك فعل مثل هذا الفعل وسن هذه السنة؟» فأنكر أبغا عند ذلك على الأمراء الذين أشاروا عليه بذلك وأمر بإطلاق الأسرى المسلمين، فأطلقوا، وكانوا أربعمائة ألف أسير، وعاد إلى الأردو.

---

(١) هو السلطان الملك القاهر، الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس. ولد سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م. وتوفي سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م.
ترجمته وأخباره في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص٨٦ ـ ٦٧٠. معجم زامباور ص١٦٢، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٥، ص٣٥٠.

(٢) أبُلُستين: بالفتح ثم الضم، ولام مضمومة أيضًا، هي مدينة مشهورة ببلاد الروم بآسيا الصغرى، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٧٥.

(٣) أرزنجان: بالفتح ثم السكون، وأهلها يقولون أرزنكان بالكاف، بلدة طيبة كثيرة الخيرات من بلاد أرمينية قريبة من أرزن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٥٠.

(٤) بابرت: بكسر الباء الثانية: قرية كبيرة ومدينة حسنة من نواحي أرزن الروم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٠٧.

ذكر قتل سليمان البرواناه[(١)]

قال: ولما وصل أبغا إلى الأردو استشار في أمر البرواناه، فطائفة أشارت بقتله، وطائفة أشارت بإبقائه، فهمّ بإعادته إلى الروم. فتجمع نساء من قتل من المغل ونحن ويبكين، فسمعهن أبغا وسأل عن شأنهن، فقيل إنهن بلغهن أن القان يريد إطلاق البرواناه، فهن يبكين على أهلهن وأزواجهن. فعند ذلك أمر أبغا كوكجي بهادر - وهو من أمرائه - أن يأخذ البرواناه ويتوجه به إلى موضع عيّنه له فيقتله. فاستدعى البرواناه وقال: إن أبغا يريد أن يركب، ورسم أن تركب أنت وأصحابك معه، فركب في اثنين وثلاثين نفرًا من مماليكه وألزامه، وتوجه مع كوكجي، فأخذ به نحو البر ومعه مائتا[(٢)] فارس. فلما انتهوا إلى المكان المعين أحاط به فسأل المهلة أن يصلي ركعتين، فأمهله. فلما قضى صلاته قتله وقتل من معه. ولما بلغ من بقي من مماليك البرواناه قتل صاحبهم تجمعوا وفيهم سنجر البرواني، وبكتوت أمير أخور، وأوْتروا قسيّهم ونكثوا نشابهم، وقالوا: نموت كرامًا. فطولع أبغا بخبرهم فشكرهم على ذلك وأعادهم إلى الروم. وكان مقتل البرواناه في آخر صفر[(٣)] سنة ست وسبعين وستمائة.

وفي سنة ثمانين وستمائة في رابع عشر شهر رجب انهزم التتار أصحاب أبغا الذين حضروا مع جهته إلى الشام والتقوا مع السلطان الملك المنصور قلاوون، وكانوا صحبة منكوتمر بن هولاكو. وكان أبغا قد نازل الرحبة ثم جرد هؤلاء وعاد إلى الأردو، ووصل منكوتمر بمن معه إلى حمص، والتقوا هم والعساكر الإسلامية. فاستظهر التتار في مبادىء الوقعة فانهزمت ميسرة الملك المنصور، وما شك التتار في الظفر، ونزلوا وأكلوا الطعام. ثم كانت الدائرة عليهم فانهزموا أقبح هزيمة على ما نبينه في أخبار السلطان الملك المنصور. وأما منكوتمر بن هولاكو فإن الهزيمة استمرت به إلى جزيرة ابن عمر، فلما وصل إليها مات. وقيل إن علاء الدين الجويني صاحب

---

(١) هو معين الدين سليمان بن علي الملقب بالبرواناه، وزر أبوه لصاحب الروم علاء الدين كيقباذ ولولده فلما مات ولي الوزارة بعد معين الدين هذا سنة بضع وأربعين وستمائة، فلما غلبت التتار على الروم ساس الأمور وصانع التتار وتمكن من الممالك بقوى إقدامه وقوة دهائه إلى أن دخل المسلمون وحكموا على مملكة الروم ونسب إلى البرواناه مكاتيبهم. ابن تغري بردي: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٥٢.

(٢) في الأصل «مائتي».

(٣) «قتله أيضًا في المحرم من سنة ٦٧٦هـ» ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٥٢.

الديوان كان قد عزم على اغتياله واغتيال أبغا ونقْل الملك عنه، فكتب إلى مؤمن أغَا شحنة الجزيرة يأمره أن يتحيل على منكوتمر ويقتله، فسقاه مؤمن سمًا فمات. ولما مات هرب مؤمن الشحنة من الجزيرة، وعلم أصحاب منكوتمر بأمره فطلبوه فلم يدركوه، فقتلوا نساءه وأولاده. وتوجه مؤمن إلى الديار المصرية ومعه ولداه فأعطوا بها أقطاعًا، وحمل منكوتمر إلى قلعة تلا فدفن بها.

وفي سنة ثمانين وستمائة أيضًا كانت وفاة علاء الدين الجويني[(١)] صاحب الديوان. وكان قد تمكن في دولة التتار تمكنًا عظيمًا بسبب أخيه الصاحب شمس الدين، فإنه كان المشار إليه. ثم نقم عليه أبغا لما توهم أنه واطأ المسلمين، واستصفى أمواله. ثم مات بعراق العجم وولي بعده ولد أخيه هارون بن الصاحب شمس الدين.

ذكر وفاة أبغا بن هولاكو

كانت وفاته في أوائل المحرم سنة إحدى وثمانين وستمائة[(٢)]. وكان سبب موته أن الصاحب شمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان كان إليه التصرف في الأموال، وكانت تحمل إليه من سائر بلاد التتار، وتصرف بقلمه، فخاف غائلة أبغا، فتحيّل في قتله، ودس إليه من سقاه سمًا، فمات. وقيل إنه منذ انكسرت جيوشه على حمص أخذ حاله في النقص، ثم أتاه الخبر أن الخزائن التي جمعها هولاكو وكانت ببرج بقلعة في وسط البحر فسقط البرج بجميع ما فيه من الأموال والذخائر والجواهر في البحر. ثم دخل الحمام وخرج فسمع أصوات الغربان، فقال لمن حوله: إنني أسمع هذه الغربان تقول: «أبغا مات»، وركب فعوت كلاب الصيد في وجهه، فتشاءم بذلك. ولم يلبث أن مات في التاريخ، وقيل في نصف ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة.

وخلف من الأولاد أرغون، وكيختو[(٣)]. ومات أخوه أجاي بعده بيومين.

---

(١) توفي علاء الدين الجويني سنة ٦٨١هـ في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ج٢، ص٤٥٢، وسنة ٦٨٣هـ في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٥، ص٣٨٢.

(٢) كانت وفاته سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م. في الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٧٧. كذلك في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص٢٩٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٣٦٦.

(٣) يرسمه حافظ حمدي «جيخاتو» الدولة الخوارزمية والمغول ص٢٧٧.

ذكر ملك توكدار بن هولاكو وهو المسمى أحمد سلطان، وهو الثالث من ملوك هذا البيت

كان جلوسه على كرسي المملكة بعد وفاة أخيه أبغا في المحرم سنة إحدى وثمانين وستمائة[١]. وذلك أن أبغا لما مات كان ولده الأكبر أرغون بخراسان. وكان كيختو عنده بالأردو فاجتمع الأمراء ليقع اتفاقهم على من يجلس مكان أبغا. وكان بعض المغل يختار توكدار[٢] لأنه كان قد استمالهم إليه، فاجتمع رأيهم عليه. فجلس على كرسي المملكة، وأرسل أخاه قنغرطاي يقول لأرغون ابن أخيه أبغا: «إن الشرط في الياسا أنه إذا مات ملك لا يجلس عوضه إلا الأكبر من أهل بيته، وهذا عمك أحمد هو الأكبر، وقد أجلسناه، ومن خالف يموت» فأطاعوه.

ولما جلس كان أول ما بدأ به أنه أظهر دين الإسلام وأشاعه، وكتب إلى بغداد كتابًا، نسخته بعد البسملة: «إنا جلسنا على كرسي الملك، ونحن مسلمون، فتبلغون أهل بغداد هذه البشرى، ويعتمدون في المدارس والوقوف وجميع وجوه البر ما كان يعتمد في أيام الخلفاء العباسيين، ويرجع كل ذي حق إلى حقه في أوقاف المساجد والمدارس، ولا يخرجون عن القواعد الإسلامية. وأنتم يا أهل بغداد مسلمون، وسمعنا عن النبي ﷺ أنه قال: لا تزال هذه العصابة الإسلامية مستظهرة ظافرة إلى يوم القيامة. وقد عرفنا أن هذا خبر صحيح ورسول صحيح. رب واحد. أحد. فرد. صمد. فتطيبون قلوبكم وتكتبون إلى جميع البلاد» وكتب إلى السلطان الملك المنصور قلاوون[٣] يعلمه بإسلامه.

واستولى على السلطان أحمد وعلى دولته الشيخ عبد الرحمٰن، وأصله من الموصل، وكان مملوكًا؛ ويقال له عبد الرحمٰن النجار، وأظهر للمغل المخاريق والخيل، وأخذ في إفساد ما بين السلطان أحمد وبين أهله، وقصد بذلك الاستبداد،

---

(١) «سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م» في الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٧٧.

(٢) اسمه تكودار أحمد، أسلم وهو صبي مات وله بضع وعشرون سنة وكان قليل الشر مائلاً إلى الخير. توفي سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٣٨١. انظر أيضًا الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٧٧.

(٣) هو قلاوون الألفي (٦٢٠هـ ـ ٦٨٩هـ)، (١٢٢٣م ـ ١٢٩٠م) أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك. مدة ملكه ١١ سنة و٣ أشهر. أخباره في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص٢٩٢، وفيات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ج٢، ص١٣٣، والأعلام للزركلي ج٥، ص٢٠٣.

وعظم أمره، وتحدث في سائر الأوقاف، ومال إليه أبناء المغل. وانتهى من أمره أن أحمد سلطان كان يقف في خدمته، ويقتدي بما يقول، وركب بالخبز والسلاح دارية. وحضر عبد الرحمٰن هذا في رسلية إلى السلطان الملك المنصور (قلاوون)، فقتل أحمد في غيبته، فأقام هو بالشام، ومات به، على ما نذكره إن شاء الله في أخبار الملك المنصور.

ذكر ما اتفق بين توكدار وبين أرغون ابن أخيه أبغا

وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة سار أرغون بن أبغا من خراسان لقتال عمه توكدار، فجرد إليه عمه جيوشًا صحبة الناق نائبه، فكبسهم أرغون وهم على غير استعداد، فقتل منهم جماعة. فركب أحمد سلطان في أربعين ألف فارس وسار لقصد أرغون، وأسره من غير حرب، وعاد إلى تبريز. فجاءت زوجة أرغون وخواتين كثيرة من النساء اللواتي لهن الدخول على أحمد، وسألته العفو عن أرغون وإطلاق سبيله والاقتصار به على خراسان. فلما أجاب إلى ذلك - وكان أحمد قد أمسك من أكابر أمراء المغل اثني عشر أميرًا وقيدهم وأهانهم - فتغيرت خواطر الأمراء عليه وعزموا على قتله.

ذكر مقتل توكدار بن هولاكو

كان مقتله في سنة اثنتين وثمانين وستمائة[1]. وذلك أنه لما أسر أرغون ابن أخيه أبغا، وكل به يحفظه. واتفق تشويش خواطر المغل عليه من أسباب: منها إساءته إلى أكابرهم؛ ومنها ما ألزمهم به من الدخول في دين الإسلام طوعًا أو كرهًا؛ ومنها وثوبه على أخيه قنغرطاي وإحضاره من الروم وقتله؛ وغير ذلك مما نقل عنه في ميله إلى أبناء المغل والخلوة بهم، وهو أمر لم يألفوه قبله. فأجمعوا على قتله، وإقامة أرغون. وكان من جملة الأمراء ثلاثة وهم بغا وأروق - وهما أخوان - وقرمشي بن هندغون، فتوجهوا إلى ججكب وشكوا إليه ما يلقون من أحمد، وعرفوه ما عزموا عليه، فوافقهم ججكب، واتفقوا جميعًا. وجاؤوا إلى المكان الذي فيه أرغون تحت التوكيل، فأطلقوه وكبسوا الناق نائب أحمد فقتلوه؛ وقصدوا الأردو، فأحسّ بهم أحمد فركب فرسًا وانهزم فأدركوه وقتلوه وأقاموا أرغون.

---

(١) كان مقتله في سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م في الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٧٧، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٣٨١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٧، ص٣٠٦.

ذكر ملك أرغون بن أبغا بن هولاكو ابن تولي خان بن جنكزخان، وهو الرابع من ملوك هذا البيت

كان جلوسه على كرسي المملكة في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين[١] وذلك أن الأمراء لما أطلقوه من توكيل عمه توكدار وفرّ توكدار، أجلسوه على كرسي السلطنة. وساق المغل خلفه وكان قد هرب هو وصاحب الديوان شمس الدين، فأدركوا توكدار وقبضوا عليه، وأحضروه إلى أرغون فقتل بين يديه. وأما شمس الدين صاحب الديوان، فإن أرغون اتهمه أنه دبر على أبيه[٢] أبغا وعمه منكوتمر حتى ماتا، وأخرج الملك منه إلى عمه أحمد، فطلبه ففر منه ولجأ إلى بعض القلاع، فأُخذ وجيء به إليه، فقتله صبرًا، وأرسل كل قطعة منه إلى مكان من بلاده، واستناب أرغون (الأمير) أبغا - أحد الأمراء الثلاثة الذين اتفقوا على إقامته - ثم أوقع به بعد مدة يسيرة وبالأميرين الآخرين، واستناب طاجار[٣]، ودس على ججكب جوشكاب من سقاه سمّا فمات. وقتل غياث الدين كيخسرو صاحب الروم لتوهمه أنه واطأ[٤] عمه أحمد على قتل عمه قنغرطاي، وكان قنغرطاي قد أقام ببلاد الروم من أيام أبغا، وقرر أرغون أن بيدو يحكم على إقليم بغداد، وأولاجو يحكم على إقليم الروم، وترك ولديه غازان وخربندا بخراسان، ووكل أمرهما إلى نيروز[٥]، وجعله أتابكهما، واستوزر سعد الدولة اليهودي، وأصله من أبهر من كور عراق العجم. وكان سعد الدولة في أول أمره يشتغل بالطب، فتميز وانتقل إلى أن ترشح للوزارة.

وأحسن أرغون إلى والدة عمه أحمد وهي قوتوي خاتون[٦]، وأبقى عليها بلادها التي كانت لها في زمن ابنها وهي طوبان، وميّافارقين. ودامت أيامه إلى سنة تسعين[٧] وستمائة فمات حتف أنفه في شهر ربيع الأول منها على شاطىء نهر الكُر[٨] من بلاد

---

(١) يذكر حافظ حمدي أن جلوسه على كرسي المملكة كان في سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. الدولة الخوارزمية والمغول ص٢٧٧. انظر أيضًا جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص١٢٦ وفيه أن جلوسه كان في ٢٧ جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ.

(٢) في الأصل «أخيه» والصواب أبيه.

(٣) ورد في جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني المجلد الثاني الجزء الثاني، ص١٤٢ «طغاجار».

(٤) في الأصل «واطىء».

(٥) وتكتب أيضًا نوروز.

(٦) في الأصل «قتوخان».

(٧) في الأصل «سبعين» والصواب تسعين. انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٧٧.

(٨) نهر الكُر: بضم الكاف وتشديد الراء. نهر بين أرمينية وأران. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥١.

أران. وقيل إنه مات مغتالاً بسم. وقيل إنه كان يدين بدين البخشيّة وهي الطائفة المشهورة بعبادة الأصنام. وكان يجلس في السنة أربعين يومًا في خلوة، ويتجنب أكل لحوم الحيوان. فوفد عليه رجل من الهند يزعم أنه يعلم علم الأديان والأبدان، وأوحى إليه أنه يتخذ له معجونًا، من داوم مناولته طالت حياته، وركب له. فتناول منه فأوجب له انحرافًا وصرعًا، فمات وملك بعده أخوه كيخاتو.

ذكر ملك كيخاتو[(١)] بن أبغا بن هولاكو وهو الخامس من ملوك هذا البيت

جلس على كرسي المملكة بعد وفاة أخيه أرغون في شهر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة. وذلك أن أرغون لما مات كان له من الأولاد غازان وخربندا؛ وكانا بخراسان، فاجتمع الأمراء وأرباب الرأي على إقامة كيخاتو فأقاموه في المملكة.

فلما استقر حكمه ونفذ أمره أساء السيرة، وخرج عن الياسا المقررة، وأفحش في الفسق، وتعرض إلى نسوان المغل وأولادهم الذكور. وتمادى على ذلك فاجتمعوا وشكوا ذلك إلى بيدو ابن عمه، فوثب به بيدو بن طرغاي[(٢)] وبشتاي وصنجك، فعلم بهم فهرب من الأردو إلى نحو كرخستان[(٣)]، فقتل بمقام سلاسوار من أعمال موغان، في شهر ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة[(٤)].

ذكر ملك بيدو بن طرغاي بن هولاكو بن تولي خان ابن جنكزخان، وهو السادس من ملوك هذا البيت

جلس على كرسي المملكة في جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وستمائة بعد

(١) ملك في الفترة ما بين سنة ٦٩٠ ـ ٦٩٤هـ/ ١٢٩١ ـ ١٢٩٥م حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول ص٢٧٧.

(٢) في الأصل بيدو وطرغاي. والتصحيح من جامع التواريخ المجلد الثاني، الجزء الأول، الترجمة العربية، ص٢٢٦.

(٣) هكذا في الأصل، وهي محرفة عن كرجستان أي جورجيا وتفليس قصبتها وتقع في أعالي نهر الكر. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، الترجمة العربية ٢١٦.

(٤) قتل في يوم الخميس ٦ من جمادى الأولى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م انظر جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص٢٢٦.

مقتل كيخاتو. ولما ملك كان غازان بن أرغون بخراسان وصحبته أتابكه نيروز، فحسن له قصد بيدو وانتزاع المملكة منه. فجمعا وحشدا وحضرا من خراسان، وسار بيدو بعساكره إليهما. فلما تراءى الجمعان تبين لغازان أن جمعه لا يقوم بمن مع بيدو، فراسله واتفقا على الصلح وعاد غازان إلى خراسان. وأقام نيروز عند بيدو، فإنه منعه من الرجوع مع غازان لئلا يتفقا على حربه مرة ثانية.

فأعمل نيروز الفكرة واغتنم الفرصة في مدة إقامته عند بيدو. واستمال جماعة من الأمراء لغازان واستوثق منهم أنه متى دنا منهم انحازوا إليه وفارقوا بيدو. فلما استوثق منه أعلم غازان بأمرهم فتجهز للمسير من خراسان وبلغ بيدو خبره فأوجس منه خيفة، وذكر ذلك لنيروز، فقال: «أنا أكفيك أمره وأدفعه عن قصدك، ومتى توجهت إليه ثنيت عزمه، وأرسلته إليك مربوطًا» فاستحلفه بيدو أنه لا يخون ثم جهزه. فسار إلى غازان وأخبره بما اتفق عليه الأمراء وتعاضدا وخرجا معه لقصد بيدو، وأرسل إليه نيروز قِدرًا مربوطًا في عدل، وقال: «قد وفيت بما قلت لك وأرسلت قازان إليك» ومعنى قازان في لغتهم القدر، فغضب بيدو لهذه الرسالة وتحقق أنه خدعه ومكر به، وسار بيدو للقائهما. فلما التقى الجمعان بنواحي همذان، انحاز الأمراء الذين وافقوا نيروز إلى جهة غازان، فقوي بهم وضعف بيدو وهرب، فأدركوه بنواحي همذان، وقتلوه في ذي الحجة من السنة، فكانت مدة ملكه نحو سبعة أشهر.

ذكر ملك غازان[1] بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ابن تولي خان بن جنكزخان وهو السابع من ملوك هذا البيت

جلس على كرسي المملكة بعد مقتل بيدو ابن عم أبيه في ذي الحجة سنة أربع

(١) ويرد أيضًا قازان وقيل القان إيل خان معز الدين قازان.

ترجمته وأخباره في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٨، ص٩٤ ـ ٩٦. والدولة الخوارزمية لحافظ حمدي ص٢٧٧. والعلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص١٤٢ ـ ١٤٣.

وكان أول عمل قام به بعد إسلامه هو أنه أعلن الإسلام دينًا رسميًا للدولة المغولية في إيران، كما غيّر المغول زيّهم ولبسوا العمامة كشارة ملموسة لهذا الانقلاب. ثم أصدر غازان أمره بتدمير الكنائس المسيحية واليهودية وحطمت كذلك الهياكل والأصنام البوذية وأجبر البوذيون على الدخول في الإسلام. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٨، ص٦٠ حاشية ١. والعلاقات السياسية بين المماليك والمغول لجوزيف نسيم ص١٣١ ـ ١٣٢. ومؤرخ المغول الكبير رشيد الدين الهمذاني لفؤاد عبد المعطي الصياد ص١٣١ ـ ١٣٢.

وتسعين وستمائة. وترك أخاه خربندا بخراسان واستقر نيروز أتابك العسكر ومدبر المملكة.

وفي سنة خمس وتسعين وستمائة فارقت الطائفة الأويراتية بلاد التتار، وحضروا إلى الديار المصرية والشام، والتجأوا إلى الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري، وكانوا زهاء ثمانية عشر ألف بيتًا ومقدمهم طرغاي، وسنذكر أخبارهم في دولة الترك في الأيام العادلية، وكان سبب هربه أن مقدمهم طرغاي كان ممن وافق بيدو على قتل كيخاتو، فلما صار الملك إلى غازان خافه طرغاي على نفسه، فهرب هو ومن انضاف إليه.

وفي سنة سبع وتسعين وستمائة حضر إلى غازان جماعة من النواب بالممالك الإسلامية والأمراء، وهم: الأمير سيف الدين قفجاق[١] نائب الشام، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار المعروف بالسلاحدار، والأمير فارس الدين البكي الساقي نائب المملكة الصفدية، والأمير سيف الدين بوزلار، والأمير سيف الدين عزاز الصالحي، والتحقا به للسبب الذي نذكره إن شاء الله في أخبار الملك المنصور لاجين المنصوري.

وفيها قتل غازان أتابكه نيروز وسبب ذلك أن نيروز أحس بما أضمر له غازان من قتله، فكاتب الملك المنصور لاجين، والتمس منه أن يجرد عسكرًا ليساعده على الحضور إلى أبوابه، فوقعت الأجوبة في يد غازان، فأحضره وقتله. وقتل أخويه فيما بعد، وقتل الذي وصل إليه بالأجوبة من الديار المصرية. ورتب قطلوشا في نيابته عوضًا عن نيروز.

وفيها أيضًا فارق سلامش[٢] بن أفاك بن بيجو وأخوه قطقطو بلاد التتار إلى الديار المصرية وكان سلامش معدمًا على التمان ببلاد الروم. فلما وصل إلى الديار المصرية خيره الملك المنصور لاجين في المقام بمصر أو الشام، فسأله أن يجرد معه عسكرًا ليخلص أهله من الروم، فجرد معه طائفة من العسكر بحلب. فلما قاربوا بلاد الروم ظفر بهم التتار وأخذوا عليهم المضايق ففر سلامش، والتجأ إلى قلعة من قلاع الروم، ثم أحضر إلى غازان فقتله، واستقر قطقطو بمصر.

---

(١) تكتب أيضًا قبجق. وهو الذي شجع غازان على الاستمرار في المعركة وقيل إن هدف قبجق من ذلك هو أن يدفع غازان إلى الهزيمة. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٨، ص٩٨ حاشية ١.

(٢) يكتب أيضًا سلامش بن أباجو. كان سلامش يرى أنه أحق بالملك من غازان لأنه أقرب في النسب إلى جنكزخان وعلى هذا كوّن جيشًا بلغ عدده عشرة آلاف جندي وطلب من المنصور لاجين قبل وفاته يطلب نجدته ومساعدته على قتال غازان. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٨، ص٩٥.

ذكر مسير غازان إلى الشام ووقعة مجمع المروج واستيلائه على البلاد الشامية وعوده عنها

وفي سنة تسع وتسعين وستمائة توجه غازان بعساكره وجموعه ومن انضم إليه من الكرج والأرمن وصحبته الأمراء والنواب الذين التحقوا به من الديار المصرية والشام، وسار بهم حتى قطع الفرات وانتهى إلى حلب، وتقدم إلى مجمع المروج بالقرب من حمص. وجاء السلطان الملك الناصر[١] بعساكره والتقوا في يوم الأربعاء ثامن وعشرين شهر ربيع الأول من هذه السنة، واقتتلوا قتالاً شديدًا، فانهزمت ميمنة التتار هزيمة قبيحة، وقتل منهم خلق كثير، فاعتزل غازان في نحو ثلاثين فارسًا واعتد للهزيمة. ثم ركب من التتار من لم يشهد الوقعة، وحملوا على ميسرة الملك الناصر، فانهزمت وكانت الكسرة. وعاد الملك الناصر إلى الديار المصرية. وكانت القتلى من جيش غازان أضعاف من قتل من العساكر الإسلامية، والنصر لهم.

ولما عاين غازان من قتل من عساكره ورأى الهزيمة ظنها مكيدة فتوقف عن اتباع من انهزم. ثم سار إلى حمص وبها الخزائن السلطانية فسلمها إليه والي حمص من غير ممانعة، وأخرج إليه مفاتيح البلد فتسلمها، وأمن أهلها. ورحل منها إلى دمشق ونزل بالغوطة وهي أحد مستنزهات الدنيا الأربعة، وخرج إليه أكابر دمشق بالتقادم والتحف والهدايا. وتعرض من في عسكره من الأرمن إلى المدارس والمساجد والجامع بجبل الصالحية وخربوه وحرقوه. ورتب الأمير سيف الدين قفجاق لتحصيل الأموال من الدماشقة، فأخذ في جبايتها فجبى من الأموال ما لا يحصى كثرة. ورسم بمحاصرة القلعة فحوصرت وبها الأمير علم الدين سنجر أرجواش المنصوري فحفظها فلم يتمكن غازان منها ولما اشتد الحصار خشي أرجواش أن يتمكن التتار من القلعة بما حولها من البنيان، فهدمه جميعه، فكان من جملة ما هدم دار السعادة وهي الدار التي يسكنها نواب السلطنة؛ ودار الحديث الأشرفية، والمدرسة العادلية، ودار تعرف بالزين الحافظي، وطواحين باب الفرج، وغير ذلك مما جاور القلعة. وجاء رجل

---

(١) هو السلطان الناصر محمد بن قلاوون سلطان المماليك.

ترجمته وأخباره في: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٨، ص٣٥، و٩٣، وفوات الوفيات، ج٤، ص٣٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٦، ص١٣٤، وخطط المقريزي ج٢، ص٢٣٩.

منجنيقي فالتزم لغازان بأخذ القلعة، وقرر أن ينصب المجانيق عليها في جامع دمشق، فأجمع أرجواش رأيه أنه متى نصبت المجانيق بالجامع رمى عليها بمجانيق القلعة. وكان ذلك يؤدي إلى هدم الجامع، فانتُدب رجال من أهل القلعة بعد أن تهيأت أعواد المجانيق ولم يبق إلا رميها وخرجوا بحمية الإيمان، وهجموا الجامع ومعهم المياسير، فأفندوا ما رتبه التتار وهيؤوه من أعواد المجانيق، ثم جددوا غيرها واحترزوا عليها. فانتدب رجل من أهل القلعة، وبذل نفسه والتزم بقتل المنجنيقي، وخرج إلى الجامع والمنجنيقي بين المغل، فتقدم إليه وضربه بسكين فقتله، وهجم رجال القلعة فنفرت الناس عن القاتل وحماه أصحابه فجاء إلى القلعة وبطل ما دبروه من عمل المجانيق ونصبها على القلعة.

وكتب غازان إلى سائر نواب القلاع والحصون الشامية والساحلية في تسليمها فما أجابه أحد إلى تسليم ما بيده، وتربصوا ثقة بالله تعالى ثم بالعساكر الإسلامية أنها لا تتأخر عن دفع غازان. وتقدم بكتابة الفرمانات[١]، وابتدأها بقوله بعد البسملة: بقوة الله تعالى وميامين الملة المحمدية، وأظهر فيها شعائر الإسلام واتباع السنة. هذا وأفعاله تناقض أفعاله لأنه رضي بما فعله الأرمن من الفساد. ثم رتب الأمير سيف الدين قفجاق قبجق في النيابة عنه بالشام، ورتب الأمير سيف الدين بكتمر السلحدار في النيابة بالممالك الحلبية والحموية وحمص، ورتب الأمير فارس الدين البكي الساقي في النيابة بالممالك الطرابلسية والصفدية والفتوحات والساحل، وجعل الأمير يحيى بن جلال الدين على جباية الأموال، ومرجع نواب الممالك إليه، وجرد من عسكره عشرين ألف فارس صحبة بولاي وانشقا وججك وهولاجو، فنزلوا الأغوار، وشنوا الغارات، فانتهت غاراتهم إلى القدس وبلد الجبل ونابلس ووصلوا إلى غزة، وقتلوا بجامعها خمسة عشر نفرًا.

ورحل غازان عائدًا إلى الشرق في منتصف جمادى الأولى، وترك نائبه قطلوشاه يحاصر قلعة دمشق، فحصرها أيامًا فلم يتمكن منها، فجبى له قفجاق من أهل المدينة مالاً فأخذه وتوجه إلى غازان. ثم لم يلبث بولاي ومن معه من التتار إلا قليلاً، وتوجهوا إلى بعلبك والبقاع فأغاروا عليها ورجعوا إلى الشرق في ثامن شهر رجب من هذه السنة، لما بلغهم أن السلطان الملك الناصر تجهز بجيوشه لدفعهم.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٨ (الملاحق) وفيه نص فرمان غازان لتأمين أهل دمشق.

وأما السلطان الملك الناصر، فإنه لما دخل إلى الديار المصرية شرع في الاهتمام والاحتفال بالعساكر، وأنفق فيهم الأموال، وعاد إلى الشام فبلغه توجه غازان، فجرد نائبه الأمير سيف الدين سلار وأستاذ داره الأمير ركن الدين بيبرس، ثم انحاز إليه الأمراء: سيف الدين قفجاق، وسيف الدين بكتمر، وفارس الدين البكي، على ما نذكر ذلك في أخبار الدولة الناصرية.

وفي سنة سبعمائة عاد غازان لقصد الشام، وانتهى إلى حلب وتقدم ونزل فيما بينها وبين حماه. ثم خرج السلطان الناصر بعساكره إلى الشام، وأقام بمنزله بدعرش بالقرب من غزة، وجرد من العساكر طائفة. ثم عاد غازان إلى الشرق والملك الناصر إلى مصر من غير قتال.

ذكر مسير غازان إلى الشام وعوده وتجريد عساكره وانهزامها بمرج الصفر

وفي سنة اثنتين وسبعمائة سار غازان من الأردو ونازل الرحبة وحاصرها، فخرج إليه نائبها بلبان[١] الغتمي بالإقامات ولاطفه، وقال: «أنت أيها الملك متوجه إلى الشام فإذا أخذت البلاد فهذه القلعة لا تمتنع عليك» فوافقه غازان، وأخذ ابنه ومملوكه رهينة، ثم رحل عنها وعاد إليها. وجرد قطلوشاه وصحبته اثنا عشر تمانًا لقصد الشام وعاد غازان إلى العراق في أوائل شعبان من السنة.

وهجم عساكره على أطراف البلاد الحلبية فتأخر العسكر إلى حماة وغارت كل طائفة منهم على القريتين[٢] ونهبوا من هناك من التركمان وسبوا نساءهم وذراريهم، وتوجهوا منها في البرية إلى صوب عُرض[٣]، وهم زهاء عشرة آلاف فخرج إليهم طائفة من العساكر الإسلامية مقدمهم الأمير سيف الدين اسندمر كرجي نائب السلطنة بالمملكة الطرابلسية، وعدتها على التحرير ألف وخمسمائة فارس، فالتقوا هم والتتار على عرض، واقتتلوا أشد قتال، فكانت الكسرة على التتار، وقتل منهم خلق كثير.

---

(١) هكذا في الأصل. وورد الاسم «علم الدين سنجر الغتمي» في السلوك للمقريزي، ج١، ص٩٣٠.

(٢) القريتان: قرية كبيرة من أعمال حمص، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٦.

(٣) عرض: بضم أوله وسكون ثانيه: بليد في برية الشام من أعمال حلب، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٠٣.

ثم اتفق بعد ذلك اجتماعهم ووصولهم إلى الشام والعساكر تتأخر عنهم منزلة بعد أخرى، إلى أن قاربوا دمشق ونزلوا على مرج الصفر، واجتمع به سائر نواب السلطنة بالشام، والعساكر المجردة من الديار المصرية. ووصل السلطان بعساكره إلى المرج في مستهل شهر رمضان، وفي الساعة التي انتهى السلطان فيها إلى هذه المنزلة كان وصول التتار، وكنت ممن شهد هذا المصاف في جملة العساكر الإسلامية. فالتقى الجمعان يوم السبت مستهل شهر رمضان من بعد الزوال إلى عشية النهار، فهزمت ميسرة التتار ميمنة المسلمين، فأردفها القلب، وألجأوا التتار إلى جبل هناك، فارتقوا ذروته وأحاطت العساكر الإسلامية بهم وهرب في هذا اليوم بولاي في نحو عشرين ألف فارس. وكان مقابل الميسرة الإسلامية فلما رأى كثرة جموعها فرّ من غير قتال طائل. وبات التتار على الجبل في تلك الليلة، وأصبحوا يوم الأحد إلى وقت الزوال ففرج لهم الأمير سيف الدين اسندمر كرجي نائب الفتوحات فرجة من طرف الميسرة، فانهزموا منها على فرقتين فرقة تتلوها أخرى، وأخذهم السيف من كل مكان. وسنذكر إن شاء الله هذه الوقعة في أخبار الدولة الناصرية ونزيدها بيانًا وتفصيلاً.

ذكر وفاة غازان

كانت وفاته في الثالث عشر من شوال سنة ثلاث وسبعمائة بمقام جبل من نواحي الري، فكانت مدة ملكه ثماني سنين وعشرة شهور. ولما مات ملك بعده أخوه خربندا ويقال فيه خدابندا.

ذكر ملك خدابندا[1] بن أرغون بن أبغا ابن هولاكو بن تولي خان

وهو الثامن من ملوك هذا البيت جلس على تخت المملكة بعد وفاة أخيه غازان

---

(١) ورد اسمه «أولجايتو» في الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٧٧. وورد اسمه خربندا بن أرغون في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٨، ص١٣٤.
هو أولجايتو بن أرغون، وقد عرف أولاً باسم «خربنوه» ثم «أولجايتو محمد خدابنده» وأولجايتو: كلمة مغولية تعني المحظوظ. وخربنده: كلمة مركبة من «خر» بمعنى حمار و«بنده» بمعنى عبد، والمقصود عبد الله.
اختلف في سبب تسميته بهذين اللقبين خربنده وخدابنده، وذهب المؤرخون في ذلك مذاهب شتى: فابن بطوطة يروي أن علة تسميته خربنده ترجع إلى أن التتر كانوا يسمون الطفل باسم أول داخل إلى البيت عند ولادته. فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل المكاري، والتتر =

في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعمائة، وتلقب بأولجاتو سلطان، وذلك بمقام أوجان. ولما جلس[1] أطلق رسولي الملك الناصر، وكان غازان قد عوقهما؛ وهما الأمير حسام الدين ازدمر المجيري، والقاضي عماد الدين بن السكري، وجهزهما إلى الديار المصرية، وأصحبهما رسولاً من جهته. فوصلوا في سنة أربع وسبعمائة كان مضمون رسالته التماس الصلح والاتفاق.

ذكر قتل قطلو شاه نائب خربندا وتولية جوبان النيابة

وفي سنة خمس وسبعمائة جرد خربندا نائبه قطلوشاه[2] وهو الذي كان ينوب عن غازان، وأقره خربندا إلى جبال كيلان لقتال الأكراد فسار إليهم والتقوا واقتتلوا فهزمه الأكراد وقتلوه؛ ورتب خربندا بعده في النيابة جوبان.

وفي سنة سبع وسبعمائة سار خربندا إلى جبال كيلان، وأوقع بالأكراد وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وسبى نساءهم وأولادهم، وأمر ببيعهم بمدينة تبريز، فبيعوا بها.

وفي سنة تسع وسبعمائة ابتنى خربندا بابنة الملك المنصور نجم الدين غازي بن المظفر قرا أرسلان صاحب ماردين، وحملت إليه إلى الأردو، وحمل جهازها على ما نقل إلينا على ألف جمل.

وفيها توفي ولد خربندا واسمه أبو يزيد.

وفي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وصل إلى خربندا من نواب السلطنة بالشام والأمراء جماعة وهم الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب المملكة الحلبية، والأمير جمال الدين أقش الأفرم نائب المملكة الطرابلسية، والأمير عز الدين أزدمر الزردكاش، والأمير سيف الدين بلبان الدمشقي، وبدر الدين بيسرا الحسامي؛ والتحقوا به وأقاموا عنده.

= يسمونه خربنده. ويزعم البعض أنه عندما وُلي غازان السلطة هرب منه أولجايتو، وكان يطوف مع المكارين في نواحي كرمان وهرمز فأطلقوا عليه اسم خربنده. وقد قيل إنه سمي في أول عمره «تمودر» بمعنى الجهنمي. حكم أولجايتو بين سنتي ٧٠٣هـ - ٧١٦هـ/ ١٣٠٤ - ١٣١٦م. انظر مؤرخ المغول رشيد الدين فضل الله الهمذاني ص٨٤، ٨٥، ١٤٠، والدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي ص٢٧٧.

(١) «وجلس خربندا على تخت الملك في ثالث عشر ذي الحجة وتلقب غياث الدين محمدًا» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٨، ص١٣٤.

(٢) أخباره في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج٨، ص١٢٦ - ١٢٧، ١٢٨ - ١٢٩.

وكان سبب ذلك أن السلطان الملك الناصر قبض على جماعة من الأمراء ممن اتهمهم ونقم عليهم. فخاف هؤلاء على أنفسهم ففارقوا البلاد، ولجأوا إليه، فقبلهم وأكرمهم وتجهز بعساكره وقصد الشام ونازل الرحبة والأمراء معه. وقيل إن خربندا لم يصل إلى الرحبة، وإنما وصلت جيوشه إليها، وحاصروها وأقام هو شرقي الفرات. ثم رجعت عساكره عنها في السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ولم يعلم سبب رجوعهم، وعادوا إلى بلادهم.

ذكر خبر مدينة قنغر لام[1] وتسمى السلطانية

هذه المدينة كان غازان قد شرع في إنشائها واهتم بأمرها، فهلك قبل تكملتها، فأمر خدابندا بالاهتمام بعمارتها. وهي مدينة بالقرب من قلعة كَردكوه على عشرة مراحل من مدينة تبريز. ووصلت إلينا الأخبار في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة أنها كملت وسكنت وأن خدابندا نقل إليها من مدينة تبريز جماعة كثيرة من التجار والمتعيشين والحاكة والصناع وغيرهم، وألزمهم سكناها والإقامة بها، فسكنوها على كره منهم. ثم وصلت الأخبار إلينا أن أكثر الحاكة والصنّاع انسحبوا منها وعادوا إلى تبريز وغيرها من البلاد التي نقلوا منها.

ذكر وفاة خدابندا وملك ابنه أبي سعيد[2] بن خدابندا

وفي سنة ست عشرة وسبعمائة وردت الأخبار بوفاة خدابندا وأن وفاته كانت في سابع شوال من السنة. وكان قد أظهر الرفض وتمذهب به، وقرب الروافض، وأبعد أهل السنة وأطرحهم وأهانهم، ونقل إلينا أنه قبل وفاته أمر بإشهار النداء بنواحي

---

(١) وتكتب قُنْغُر لان: بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. بناها خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو على القرب من جبال كيلان. وجعلها كرسي مملكته. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٥٨.

(٢) هو بهادر بن أولجايتو (خربند) أبو سعيد أو بوسعيد تاسع سلاطين المغول الإيلخانيين في فارس وآخرهم. حكم من عام ٧١٦ إلى ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ ـ ١٣٣٥م. وبهادر (بالدال المضمومة) كلمة تركية مغولية الأصل مأخوذة من «بخاتُر» والمعنى الأصلي لبهادر هو الشجاع أو المقدام ثم أصبحت لقبًا يطلق للتشريف في بلاد المغول. دائرة المعارف الإسلامية: ج١، ص٤٩٠، وج٧، ص٤٣٣، وج٨، ص٢١٩.

مملكته أنه من تلفظ بذكر أبي بكر وعمر مات؛ فأهلكه الله تعالى بعد سبعة أيام من حين أمر بذلك. ولما هلك اختلفت آراء الأمراء وأرباب دولته، فيمن يجلس على تخت السلطنة، فذكر لنا أن منهم من مال إلى ابن قازان، ومنهم من مال إلى غيره من أهل هذا البيت الجنكزخاني ثم اجتمعت كلمتهم على أن أقاموا أبا سعيد بن خدابندا وعمره أحد عشر[1] سنة فنصبوه في الملك، وقام بتدبير دولته جوبان نائب أبيه، ووصلت رسله وهداياه إلى السلطان الملك الناصر بالديار المصرية. وتكرر ذلك منه، وانتظم الصلح، وحصل الاتفاق. هذا ما انتهى إلينا من خبر التتار إلى حين وضعنا لهذا التأليف، ومهما ورد علينا من أخبارهم بعد هذا أوردناه في أخبار الدولة الناصرية بالديار المصرية آخر كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

كمل الجزء السابع والعشرون من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الثامن والعشرين الباب الثاني عشر من القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار ملوك الديار المصرية والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) تولى أبو سعيد عرش المغول في سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م وتوفي سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م. انظر الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ حمدي، ص٢٧٧.



المصادر والمراجع العربية

١ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ط١ ـ ١٩٩٢.

٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير (عماد الدين إسماعيل الدمشقي) ١٤ جزءًا، القاهرة ١٩٣٢.

٣ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ـ الجزء الأول، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٢.

٤ ـ بلدان الخلافة الشرقية، لسترانج، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٥٤).

٥ ـ تاريخ الإسلام تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٧.

٦ ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير الجزري (علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني) تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٣.

٧ ـ تاريخ الملوك السلجوقية وأخبار الدولة السلجوقية، لصدر الدين أبي الحسن علي الحسيني، تحقيق الأستاذ محمد إقبال لاهور ١٩٣٣.

٨ ـ تاريخ دولة آل سلجوق للبنداري الأصفهاني. مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٩٠٠م.

٩ ـ تاريخ الفارقي لأحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، تحقيق الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض، القاهرة ١٩٥٩م.

١٠ ـ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، بيروت ١٩٥٨م.

١١ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٢م.

١٢ ـ تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر. سبعة أجزاء. أولها المقدمة طبع بمصر ١٢٨٤هـ، وأعيد طبع الجزأين الأول والثاني بمصر ١٣٥٥هـ.

١٣ ـ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العام ١٩٨٤م.
١٤ ـ جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني، نقله من الفارسية إلى العربية صادق نشأت ومحمود موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة ١٩٦٠ «وطبع طهران».
١٥ ـ الحركة الصليبية، سعيد عبد الفتاح عاشور، جزءان، القاهرة ١٩٦٣م.
١٦ ـ الخطط المقريزية، المواعظ والاعتبار للمقريزي، دار صادر، بيروت، والقاهرة ١٨٥٣م.
١٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية (النسخة العربية) إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد وأحمد الشنتناوي، وعبد الحميد يونس، إصدار كتاب الشعب، القاهرة.
١٨ ـ الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م.
١٩ ـ الدولة المملوكية تأليف الدكتور أنطوان خليل ضومط، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
٢٠ ـ الدولة الخوارزمية والمغول تأليف حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، مصر ١٩٤٩م.
٢١ ـ ذيل تاريخ دمشق لأبي يعلى حمزة بن القلانسي، بيروت، ١٩٠٨م.
٢٢ ـ ذيل الروضتين لأبي شامة، القاهرة ١٩٤٧م.
٢٣ ـ راحة الصدور وآية السرور للراوندي نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي والدكتور عبد المعطي الصياد، القاهرة ١٩٦٠م.
٢٤ ـ رسوم دار الخلافة لهلال بن المحسن الصابىء، تحقيق ميخائيل عوّاد، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٦م.
٢٥ ـ الروض المعطار، الحميري، مكتبة لبنان، تحقيق د. إحسان عباس ١٩٨٤م.
٢٦ ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة. جزآن، طبع بمصر ١٢٨٧هـ.
٢٧ ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ١ ـ ٢ تحقيق الدكتور سامي الدهان، دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤م.
٢٨ ـ السلاجقة في التاريخ والحضارة للدكتور أحمد كمال الدين حلمي، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥م.
٢٩ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق الأستاذ محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤ ـ ١٩٤٢.
٣٠ ـ سيرة جلال الدين منكبرتي للمنشي النسوي (محمد أحمد بن علي بن محمد)، تحقيق حافظ حمدي، القاهرة ١٩٥٣م.

٣١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٣٢ ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب لأحمد بن إبراهيم الحنبلي، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م.
٣٣ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي طبعة المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٣م.
٣٤ ـ العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي (١ ـ ٥) تحقيق الأستاذين صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد، الكويت ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦.
٣٥ ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين محمود العيني، تحقيق د. محمد أحمد أمين، القاهرة ١٩٨٧م.
٣٦ ـ العلاقات السياسية، بين المماليك والمغول لجوزيف نسيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.
٣٧ ـ الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي، القاهرة ١٩٣٨م.
٣٨ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (محمد) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
٣٩ ـ الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م.
٤٠ ـ كنز الدرر لابن أيبك الدواداري، تحقيق الأستاذ أولرخ هارمن، القاهرة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م.
٤١ ـ اللمعات البرقية في النكت التاريخية لمحمد بن علي بن طولون رسالة طبعت في دمشق ١٣٤٨هـ.
٤٢ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط بن الجوزي (المجلد الثامن ١ ـ ٢) حيدر أباد الدكن، ١٩٥١ ـ ١٩٥٢.
٤٣ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للبغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤م.
٤٤ ـ المختصر في أخبار البشر، ويعرف بتاريخ أبي الفداء للملك المؤيد إسماعيل أبي الفداء صاحب حماه، أربع أجزاء، طبع بمصر ١٣٢٥هـ.
٤٥ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (دولة المماليك الأولى) تحقيق دوروينا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦م.
٤٦ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.

٤٧ ـ معجم لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
٤٨ ـ معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٥م.
٤٩ ـ معجم القاموس المحيط للفيروزابادي، القاهرة ١٩٥٢م.
٥٠ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي زامباور، نقله إلى العربية الدكتور زكي محمد حسن وآخرون، القاهرة ١٩٥١م.
٥١ ـ معجم ما استعجم للبكري (١ ـ ٤) تحقيق مصطفى السقّا، القاهرة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩م.
٥٢ ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي (١ ـ ٣) تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م والجزء الرابع تحقيق محمد ربيع، القاهرة ١٩٧٥م.
٥٣ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي، ١٠ أجزاء، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٣٥٨هـ.
٥٤ ـ مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، تأليف فؤاد عبد المعطي الصياد، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧م.
٥٥ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٦ جزءًا، ١٩٩٢م.
٥٦ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أبي العباس بن خلكان. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٨م.

المصادر والمراجع الأجنبية

- Dozy (R)

1 - Dict. des noms des vetments chez les Arabes (Cambridge 1957).

2 - Supplement Aux Dictionnaires Arabes.

- D'Hoson. M. le Baron

Histoire des Mongols depuis tchinguiz- khan jusqu'à Timour Bey ou Tamerlan, Paris 1824.

- Quatrèmere (E)

Hist. des Sultans Mamlouks de l'Egypte, Paris, 1845.

فهرس المحتويات